UNIVERSAL
LIBRARY

OU-234546

UNIVERSAL
LIBRARY

٢٠

๒ ๒๕๔๖

2345 ٢٠

الجزء الثانى

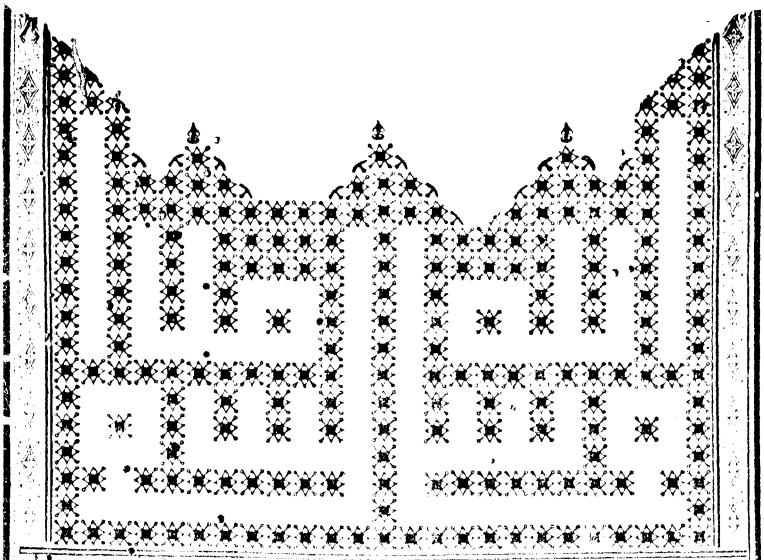
من كتاب الكامل
فى اللغة والادب تأليف العلامة
الهمام علم الائمة الاعلام أبى العباس محمد
ابن يزيد المعروف بالمبرد النحوى المتوفى سنة ٢٨٥
هجريه تغمده الله برحمته وأسكنه
فسيح جنته
آمين

(قال فى مقدمة تاريخ الامام ابن خلدون ما نصه)
وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول فن الادب وأركانه
أربعة دواوين وهى كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة
وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابى على القالى
البغدادى وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع منها اه

وقد طرز هامشه بكتاب الفصول المختارة من كتب الامام أبى عثمان
عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى المتوفى بالبصرة فى
المحرم سنة ٢٥٥ هجريه اختيار الامام عبيد الله بن حسان رحمه
الله ونفعنا به آمين

(محل مبيعه)
(مكتبة السيد محمد عبد الواحد بدر الطوبى وأخيه)
(بجوار المسجد الحسينى بمصر)

(الطبعة الأولى)
(مطبعة التقدم العلميه بدرب الدليل بمصر المحميه)
(سنة ١٣٢٤ هجريه)



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿باب ما يجوز فيه يفعل بالضم مما عينه فعل من حروف الحلق﴾

اعلم ان كل فعل على فَعَل فهو غير متعد الى مفعول لان معنى الفاعل فى نفسه وتأويله الانتقال وذلك قولك كرُم عبد الله فانما تأويل قولك الا انتقال اليه والانتقال من حال الى حال فقول ما كان كرما وقد كرُم وما كان شريفا وقد شرُف فهذا تأويله وانما كان كذلك لانه معارضة على أكثر ما كان من فعل الى فعُل فان يفعَل نحو ضرب يضرب وعلم وفرق ويكون متعديا وغير متعد فتقول حذرت زيدا وعلمت عبد الله ويكون فيه مثل سمنت وبخلت غير متعد وكله على يفعَل نحو يسمن ويبخل ويعلم ويطرب فاما قولهم فى الاربعة من الافعال يحسب ويبئس ويئم ويبئس فهى معارضة على يفعل تقول فى جميعها يحسب ويئم ويبئس ويبئس وما كان على فعل فبابه يفعُل نحو قتل يقتُل وضرب يضرب وقعد يقعُد وجلس يجلس فقد أنبأنا أن الفعل يكون متعديا وغير متعد فما يأتى ويقلى فلما علة تبين عند ما أذكره لك ان شاء الله ولا يكون فعل يفعُل الا أن يكون يعرض له حرف من حروف الحلق الستة فى موضع العين أو موضع اللام فان كان ذلك الحرف عينا فتح نفسه وان كان لاما فتح العين وحروف الحلق الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء وذلك قولهم قرأ يقرأ قرأ يا فتى وقراءة وسأل يسأل

﴿فصل منه فى الاحتجاج للجمع على قراءة زيد﴾

ولو كان زيد من آل أبى العاص أو من عرض بنى أمية لو جد ابن مسعود متعلقا ولو كان بدل زيد عبد الرحمن بن عوف لوجد الى القول سبيلا ولو كان ابن مسعود رجلا من بنى هاشم لوجد للطعن موضعا ولو كان عثمان رضى الله تعالى عنه استبد بذلك الرأى على على بن أبى طالب كرم الله وجهه وسعد وطلحة والزبير رحمهم الله وجميع

والجبه يذهب وتقول صنع يصنع وظأن يظعن وضع يضع وكذلك فرغ يفرغ وسلخ يسلخ وقد يجوز ان يجيء الحرف على أصله وفيه أحد الستة يجوز أن يزيد وفرغ يفرغ وصبغ يصبغ الا ان الفتح لا يكون فيما ماضيه فعل الا واحد هذه الحروف فيه وأما يأبى فله علة وأما يقلى فليس بثبت وسيبويه يذهب في يأبى الى انه انما انفتح من أجل ان الهمزة في موضع فانه والقول عندي على ما شرحت لك من انه اذا فتح جدت فيه حرف من حروف الحلق فانما انفتح لانه يصير الى الالف وهي من حروف الحلق ولكن لم تذكرها لانها لا تكون أصلا انما تكون زائدة أو بدلا ولا تكون متحركة فانما هي حرف ساكن ولا يعتمد اللسان به على موضع فهذا الذي ذكرت لك من أن يسع ويطأ حدهما فعل يفعل في المعتل كيحسب يحسب من الصحيح ولكن فتحتهما العين والهمزة كما تقول ولغ الكلب يلغ والاصل يلغ فرغ الحلق فتحه

(باب)

يروى عن علي بن أبي طالب رحمه الله عليه انه افتقد عبد الله بن العباس رحمه الله فقال ما بال أبي العباس لم يحضر فقالوا انه مريض فلما صلى علي رحمه الله وانصرف ابنا اليه فاتاه فهنأه فقال شكرت الواهب ورزقت البر في الوهوب ما سميته قال أو يجوز لي ان لم سميته حتى أسميه قال سميه حتى أسميه فخرج اليه فاخذه وحنكه ورده اليه وقال خذه اليك أبا الاملاك فسميته عليا وكنيته أبا الحسن فلما قام معاوية قال لابن عباس ليس لكم اسمه وكنيته فدكنيته أبا محمد فعرف عليه وكان علي سيدا شريفا بايعا وكان له جسمانة أصل وثمانون يصلي في كل يوم الى كل أصل ركعتين فكان يدعى ذا الثفنات ضرب بالسوط مرتين كلتاهما ضربه الوليد احداهما في رأسه والأخرى في وجهه فاتبابة بنت عبد الله بن جعفر وكانت عند عبد الملك فعض تفاحة ثم رمى بها اليها وكان أبخر فدعت بسكين فقال ما تصنعين به قالت أميط عنها الأذى فظافها فتزوجها علي بن عبد الله فضربه الوليد وقال انما تزوج بأمهات الخلفاء لتضع منها لان مروان بن الحكم تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية ليضع منه فقال علي بن عبد الله انما أردت الخروج من هذه البلدة وأنا ابن عمها فتزوجتها لاكون لها محرجا وأما ضربه اياه في المرة الثانية فانا نرويه من غير وجه ومن أتم ذلك ما حدثنيه أبو عبد الله محمد بن شجاع البلخي (هو محمد بن شجاع الثلجي كذا صوابه) في اسناده متصل لست أحفظه

المهاجرين والانصار لو جد للتهمة مساغا فاما والامر كما وصفنا وبينا فانا الطاعن على عثمان الارجل أخطأ خطة الحق رجيل على صاحبه والكل بنى آدم من الخطأ نصيب والله عز ذكره يغفر له ويرحمه والذي يخطئ عثمان في ذلك فقد خطأ عليا وعبد الرحمن وسعدا والزبير وطلحة وما عليه الصحابة ولو يكن ذلك رأي على لغيره ولو لم يمكنه التغيير لقال فيه ولو لم يمكنه في زمن عثمان لا مكنه في

يقول في آخر ذلك الاسناد رأيت عليا مضروبا بالسوط يدار به على بعير ووجهه مما يلي ذنب البعير وصائح يصيح عليه هذا علي بن عبد الله الكذاب قال فأتيته فقلت ما هذا الذي نسبوا فيه الى الكذب قال بلغهم قولي ان هذا الامر سيكون في ولدي والله ليكونن فيهم حتى يملكهم عبيدهم الصعار العيون العراض الوجوه الذين كأن وجوههم المجان المطرقة ومع هذا الحديث آخر في شبيه باسناده أن علي بن عبد الله دخل على سليمان بن عبد الملك ومعه ابناه الخليفتان أبو العباس وأبو جعفر قال أبو العباس وهذا غلط لما ذكرناه انما ينبغي أن يكون دخل على هشام فأوسع له على سريره وسأله عن حاجته فقال ثلاثون ألف درهم علي دين فأمر بقضائها قال له وتستوصي يا بني هذين خيرا ففعل فشكره وقال وصلتك رحم فلما ولي علي قال الخليفة لأصحابه ان هذا الشيخ قد اختل واسن وخلط فصار يقول ان هذا الامر سينتقل الى ولده فعلم ذلك علي فالتفت اليه فقال والله ليكونن والله وليملكن هذان قال أبو العباس أما فولي الخليفة في ذلك الوقت لم يكن سليمان فلان محمد بن علي بن عبد الله كان يطمع من تزويج الحارثية للحديث المروي فلما قام عمر بن عبد العزيز جاءه محمد فقال له اني اريد أن أتزوج بنت خالي من بني الحرث ابن كعب أفتأذن لي فقال عمر تزوج رحمك الله من أحببت فتزوجها فأولدها أبا العباس أمير المؤمنين وعمر بعد سليمان فلا يمنعني أن يكون نبيا له أن يدخل على خليفة حتى يستدعى (ش كذا رفع في الام والرواية والصحيح لهما أن يدخلا على خليفة حتى يترعرعا) فلا يتم مثل هذا الا في أيام هشام وكان عبد الملك يكرم عليا ويقدمه حدثني الزبير قال قال علي بن عبد الله سايرت يوما عبد الملك فما جاوزنا الا يسيرا حتى لقيه الحجاج قادما عليه فلما رآه ترجل ومشى بين يديه فجعل عبد الملك يأمر الحجاج فراد عبد الملك فهو رول الحجاج فقلت لعبد الملك أبت عز جدة على هذا فقال لا ولكنه رفع من نفسه فأحببت أن أغض منه وحدثني جعفر بن عيسى بن جعفر الهاشمي قال حضر علي عبد الملك وقد أهدي له من خراسان جارية ونصف وسيف فقال يا أبا محمد ان حاضر الهدية نظر فيها فاختر من الثلاثة واحدا فاختار الجارية وكانت تسمى سعدى وهي من سبي الصغد من رهط عجيف بن عنبسة فأولدها سليمان وصالحا ابني علي وذكر جعفر بن عيسى أنه لما أولدها سليمان اجتنبت فراشه فرض سليمان من جدري خرج عليه فانصرف على من صلاه

زمن نفسه وكان لا أقل من اظهار الحجة ان لم يملك تحويل الأمة وكان لا أقل من التجربة ان لم يكن من التوسع على ثقة بل لم يكن لعثمان في ذلك ما لم يكن لجميع الصحابة وأهل القدم والقدوة ومع ان الوجه فيما صنعوا واضح بل لا يجد لما صنعوا وجها غير الاصابة والاحتياط والاشفاق والنظر للعواقب وحسم طعن الطاعن ولو لم يكن ما صنعوا والله تعالى فيه رضا لما اجمع عليه أول هذه

فاطمها على فراشه فقال مرحبا بك يا أم سليمان فوقع بها فأولدها صالحا فجئت بعد فسألها عن ذلك فقالت خفت فتنة أن يموت سليمان فينقطع النسب بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فالآن اذ ولدت صالحا فلعلي ان ذهب أحدهما أن يبقى الآخر وليس منلي اليوم من وطئه الرجال وزعم جعفر وأنه كانت فيها رتة فالرتة تعذر الكلام اذا أراده الرجل فهي الآن معروفة في ولد سليمان وولد صالح وكان علي يقول أكره أن أوصي الى محمد وكان سيد ولده وخوفا من أن أشينه بالوصية فأوصى الى سليمان فلما دفن علي جاء محمد الى سعدى فقال أخرجي الى وصية أبي فقالت ان أباك أجل من أن تخرج وصيته ليلا ولكنها أتيتك غدا فلما أصبح غدا بها عليه سليمان فقال يا أبي ويا أخي هذه وصية أبيك فقال محمد جزاك الله من ابنة خيرا ما كنت لأتهم عليا أبي بعد موته كما لم أتهم به في حياته قال أبو العباس التمتمة التردد في التاء والفأفأة التردد في الفاء والعقلة التواء اللسان عند ارادة الكلام واللجلجة تعذر الكلام عند ارادته واللفف ادخال حرف في حرف والرتة كالربح تمنع أول الكلام فاذا جاء منه شيء اتصل والغمغمة أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيع الحروف والطمطمة أن يكون الكلام مشبها كلام العجم واللكنة أن تعترض على الكلام اللغة الاعجمية وسنفسر هذا بحججه حرفا حرفا وما قيل فيه ان شاء الله واللثغة أن يعدل بحرف الى حرف واللثغة أن يشرب الحرف صوت الحاء والحاء أشد منها والترخيم حذف الكلام يقال رجل فاف أي ناقص تقديره فاعل ونظيره من الكلام ساباط خاتام قال الراجز

يا مي ذات الجورب المشقق ● أخذت خاتامي بغير حق

(كذا ذكره أبو العباس بغير همز الالف الاولى والصحيح أنه بالهمز على فعلال مثل خنخاص وقمطام فالذي حكى أبو العباس غلط لان سيبويه رحمه الله قال ليس في الصفات فاعال قال أبو الحسن يقال خاتم على وزن دانق وخاتم على وزن ضارب وخيتام على وزن ديماس وخاتام على وزن ساباط) وقال ربيعة الرقي في مدحه يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب وربيعة أحنف به الاصمعي وذمه يزيد بن أسيد السلمي

لشتان ما بين اليزيدين في الندى ● يزيد سليم والاغر بن حاتم
فهم الفتى الازدي اتلاف ماله ● وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

الأمة وآخرها وان أمرا اجتمعت عليه المعتزلة والشيعة والخوارج والمرجئة لاظاهر الصواب واضح البرهان على اختلاف أهوائهم وبغيتهم لكل ما ورد عليهم فان قال قائل هذه الروافض بأسرها تأبى ذلك وتنكره وتطعن فيه وترى تغييره قلنا ان الروافض ليست منا بسبيل لان من كان أذانه غير اذاننا وصلاته غير صلاتنا وطلاقه غير طلاقنا وعتقه غير عتقنا وحجه غير حجنا وفقهاؤه غير

فلا يحسب التميمي أني هجوته • ولكنني فضلت أهل المكارم

وقال آخر أيضا

ليس بفقاء ولا تميم • ولا يحسن سقط الكلام

وقال الشاعر

وقد تعتريه عقلة في لسانه • اذا هز فصل السيف غير قروب

وزعم عمرو بن بحر الجاحظ عن محمد بن الجهم قال أقبلت على الفكر في أيام محاربة الزط فاعترتني لثغة في لساني وهذا يكون لان اللسان يحتاج الى القرن على القول حتى يخف له كما تحتاج اليد الى القرن على العمل والرجل الى القرن على المشي وكما يعانيه مؤتر القوس ورافع الحجر ليصلب

ويشتد قال الراجز

كأن فيه لفقا اذا انطوى • من طول تخبيس رهم وأرى

وقال ابن المقفع اذا كثر تقليب اللسان رقق جوانبه ولانت عذبته وقال العتابي اذا حبس اللسان عن الاسهمال اشتد عليه مخارج الحروف واما الزته فلها ان تكون غريزة قال الراجز

يا أيها المخلط الآرث ☆ يقال انها تكون في الاشراف ولم يرد تخصيص واحد دون واحد واما اللغمة فقد تكون من الكلام وغيره لا صوت لانهم تطبيع حروفه وحدثني من لا أحصي من أصحابنا عن الاصمعي عن شعبة عن قتادة قال قال معاوية يوما من أفصح الناس فقام رجل من الحمادا فقال قوم تباعد وا عن فراتنا العراق تباينا منكرا عن كشكشة تميم وتيامر وا عن كسكسة بكر بن سعد فهم غمغمة قضاعة لا يطمطم حمير فقال له معاوية يعمن أنت قال أنا رجل من جرم بل الاصمعي جرم من فضعاء الناس قوله تباينا منكرا عن كشكشة تميم فان بني عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث ووقفت عليها أبدلت مكانها شينا فتقرب الشين من الكاف في المخرج لانها مهموسة مثلها فأرادوا البيان في الوقف لان في الشين تفشيا فيقولون لامرأة جعل الله البركة في دارش ويجعلن بالش والتي يدرجونها يدعونها اكد والتي يقفون عليها يبدلونها شينا وأما بكر فتختلف في الكسكسة فقوم منهم يبدلون من الكاف سينا كما يفعل التميميون في الشين وهم أقلهم وقوم يبقون حركة كاف المؤنث في الوقف بالسين يزيدونها بعدها فيقولون أعطيتكس واما الغمغمة فما ذكرت لك وقال الهارب لامر أته يوم الخندق وذلك أنها ارطرت اليه بحجارة في يوم فتح مكة فقالت ما تصنع بهذه فقال أعددتها لمحمد وأصحابه فقالت والله ان أراه يقرب لمحمد وأصحابه شيئا فقال لها اني لأرجو أن أخدمك بعضهم

وأرشا

وفهمائنا وامامه غير امامنا وقرائته غير قراءتنا وحلاله غير حلالنا وحرامه غير حرامنا فلا نحن منه ولا هو منا ولأي شيء جانب من قرابتي من رسول الله فوالله ما كان أحد أفرط في العمرية منه ولا أشد على الشيعة منه ولقد بلغ من حبه لعمر رضي الله عنه ان قال لقد خشيت الله تعالى في حبي لعمر فلم يحامون عنه وهو كان شجاعهم لو أدركهم

﴿فصل منه﴾ فأمن الله رجلا فارقهم ولزم الجماعة

وأنشأ يقول (الضارب هو أبو عثمان الهذلي ويقال له الرماش ويقال ان الرجز المذكور بعد هذا لحماس بن قيس أخي بني بكر بن عبد مناة أنشده له أبو اسحق والخادمة جبل دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وقيل الخادمة مشى فيه امرأ فأضيف الى اليوم لما كان فيه)

ان تقبلوا اليوم فما لي علة • هذا سلاح كامل وألة • وذو غرارين سريع السلة

الألة الحربة والغرار ههنا الحد يعني بذي غرارين السيف فلما لقيهم خالد يوم الخادمة انهزم الرجل فلامته امرأته فقال

انك لو شهدت يوم الخادمة • اذ فر صفوان وفر عكرمة • ولحقتنا بالسيوف المسلمة
يقطرن كل سلهب وشيمة • ضربا لا نسمع الا غمغمة • لهم نهيت خلفنا وهمهمة
• لم تنطفي في اللوم أذني كلمه •

وأما الخياط ما زنة ففيها يقول عنترة

تبري له حول النعام كأنها • حرف مليحة لاعجم طمطم

وكان صهيب أبو يحيى صاحب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يرتضخ الكنة رومية ويذكرون أن نسبه في النمر بن قاسط صحيح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبشة وقال عمر لصهيب في قوله انه من النمر بن قاسط فسمعت ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن انتمى الى غير نسبه فقال صهيب أنا من القوم ولكن وقع علي سباء وكان عبد بني الحسحاس يرتضخ الكنة حبشية فلما أنشد عمر بن الخطاب

• عميرة ودع ان تجهزت غاديا • كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال عمر لو كنت قدمت الاسلام على الشيب لأجزتك فقال ما شعرت ويد ما شعرت وكان عبيد الله ابن زياد يرتضخ الكنة فارسية وانما أتته من قبل زوج أمه شيرويه الاسواري ويقال ان عليا عليه السلام عاد زيادا في منزل شيرويه فقال عبيد الله يوما لرجل كله فظن به رأي الخوارج (الرجل الذي كله عبيد الله بن زياد وظن أنه من الخوارج هاني بن قبيصة) أحرورى منذ اليوم يريد أحروري وهذه الهاء تشترك في قلبها من الحاء أصناف من العجم وكان زياد الأعجم وهو رجل من عبد القيس يرتضخ الكنة أعجمية يذهب فيها الى مذهب قوم بأعيانهم من العجم وأنشد المهلب بن

فان فيها الأنس والجنة
ترك الفرقة فان فيها
الوحشة والشهرة والحمد
لله الذي جعلنا لا نفرق بين
أئمتنا كما جعلنا لا نفرق
بين أنبيائنا
(فصل منه) والذي
دعانا الى تأليف جميع
الرسول ونظمها وجمع
وجوهها وتدوينها انها
متى كانت مجموعة
منظومة نشط لحفظها
وتفهمها من كان عسى ان
لا ينشط لجمعها ولا يقدر
على نظمها وجمع متفرقها
وعلى اللفظ المؤثر عنها

أبى صُفرة فى مدحه لياه فتى زاده السلطانُ فى المدح رغبةً اذا غيّر السلطانُ كلَّ خليل

يريد السلطان وذلك أن بين التاء والطاء نسبا فلذلك قلبها تاء لان التاء من مخرج الطاء فقال السلطان واما الغَمْغَمة فَتَمْغْمَغُ من الجارية الحديثة السن لانها لم تُفرِط فى ميل الى ضرب من النَّغْمة قال ابن الرقاع العاملى يصف الظبية وولدها

تُزجى أغَنَّ كأنَّ ابرةَ رَوْقِه قَلَمٌ أصابَ من الدَّواةِ مِدادَها

ومن كان عيبى ان لا يعرف وجه مطالبها والوقوع عليها ولعل بعض الناس يعرف بعضها ويجهل بعضها ولعل بعضهم وان كان قد عرفها بحقها وصدقها فلم يعرفها من أسهل طرقها وأقرب وجوهها ولعل بعضهم ان يكون قد كان عرف فنسى أو تهاون بها فعمى بل لا نشك انها اذا كانت مجموعة محيرة مستقصاة مفصلة انها استزيد فى بصيرة العالم ويجمع الكل لمن كان لا يعرف الا البعض

﴿ باب ﴾

قال محمد بن عبد الله بن عَمْرِو الثقفى

تَرَعَيْنى مثلَ سِرْبٍ رأيتُه خَرَجْنَ من التَّنعيم مُعْتَجِرات

مَرَرْنَ بفَخٍّ ثم رُحْنَ عَشِيَّةً يُلَبِّينَ للرحمن مُؤْتَجِرات

تَضَوَّعَ مِسْكًا بَطْنُ نَعْمانَ اِن مشَتْ به زينبٌ فى نسوةٍ عَطِرات

وقامتْ تَرَاآى يومَ جَمْعٍ فأفتنتْ برؤيتِها مَن راحَ بين عَرِفات

ولما رأتْ رَكْبَ المُهَيْرِىِّ أعرضتْ وكُنَّ مِن اَن يَلْقَيْنَه حَذِرات

دَعَتْ نسوةً ثُمَّ العَرانينَ بُدَّنًا نَواعِمَ لا شُعْثًا ولا غَبِرات

(ويروى ولا غَفِرات بالفاء أخذ القافى من الغَفَر وهو الشعر الذى ينبت فى اللحيين يقال غَفِرَتْ المرأة اذا نبت لها ذاك الشعر)

فأدْنَيْنَ لما لم يَحْجُبْنَ دونها حِجابًا من القَسِّىِّ والحِبَرات

أَحَلَّ الذى فوق السموات عَرْشُه أوانِسَ بالبَطْحاء مُعْتَمِرات

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البنان من التُّقَى ويَخْرُجْنَ جُنْحَ الليل مُخْتَمِرات

قوله مثلَ سِرْبٍ رأيته هو القطعة من النساء أو من الظباء أو من البقر أو من الطير كما قال

لم تَرَعينى مثلَ سِرْبٍ رأيتُه خَرَجْنَ علينا من رُفاقِ ابن واقِف

فهذا يعنى نساء (القطيع من السباع يقال له سِرْبٌ قاله ابن جنى وكذلك من الماشية كلها) ويقال مَرَّتْ بنا سِرْبةٌ من الطير فى هذا المعنى قال ذو الرُّمَّة

سوى ما أصاب الذئبُ منه وسِرْبةٌ أطافتْ به من أُمَّهاتِ الجَوازِلِ

ويقال فلان واسع السَّرب يعنى بذلك الصدر ويقال خَلِّ لفلان سَرْبه أى طريقه الذى يَسْرُب فيه ويقال للابل كيلك بالفتح لأذْعَرَنَّ سَرْبَكَ ويقال حَذَرانٌ وحَذِرانٌ ويَقَظٌ ويَقِظٌ قال ابن أحمر

هل يُنسئَنِّى يومى الى غيره ٭ أنّى حَوالىَّ وأنى حَذِرُ

وقوله وكن من أن يلقينه حذرات الاصل من أن يلقينه ولكن الهمزة اذا خففت وقبلها ساكن ليس من حروف اللين الزوائد فتخفيفها متصلة كانت أو منفصلة أن تُلقى حركتها على ما قبلها وتحذفها فتقول مَن ابوك فتفتح النون وتحذف الهمزة ومِن اخواتك ومِن أمِّ زيد فتضم النون وتكسرها وتفتحها على ما ذكرت لك وتقول الذى يُخرِج الخَبَ فى السموات وفلان له هَيْئة وهذه مَرْأة اذا خففت الهمزة فى الخَبَ والهيئة والمرأة وعلى هذا قوله تعالى سَلْ بنى اسرائيل لانها كانت اسْئَلْ فلما حركت السين بحركة الهمزة سقطت ألف الوصل لتحرك ما بعدها وانما كان التخفيف فى هذا الموضع بحذف الهمزة لان الهمزة اذا خففت قَرُبَتْ من الساكن والدليل على ذلك أنها لا تُبتدأ الا محققة كما لا يبتدأ الا بمتحرك فلما التقى الساكن وحروف تجرى مجرى الساكن حذفت المعتل منها كما تحذف لالتقاء الساكنين وقوله دعت نسوة شم العرانين فالشَّمَّاء السابغة الانف والمصدر الشَّمَم وقال أحد الشعراء يمدح قُثَم بن العباس

نَجَوْتَ من حَلٍ ومن رحلة ٭ ياناقَ ان قَرَّبتِنى من قُثَمْ

انّ الذى قَرَّبتِنى غَدًا ٭ عاش لنا اليُسْرُ ومات العَدَمْ

فى باعه طولٌ وفى وجهه ٭ نورٌ وفى العرنين منه شَمَمْ

لم يَدْرِ مالا وبَلَى قد دَرَى ٭ فعافَها واعتاضَ منها نَعَمْ

(قال أبو الحسن أنشدنيه أبى لسليمان بن قَتَّة وزادنى

أَصَمُّ عن ذكر الخَنَا سَمْعُه ٭ وما عن الخير به من صَمَم)

والعرنين والمَرْسِن والانف واحد لما يحيط بالجميع والبُدْن واحدها بادنٌ كقولك شاهد وشُهُدٌ وضامر وضُمُرٌ وهو العظيم البدن يقال بَدُنَ فلان اذا كثر لحمه وبَدَّنَ اذا أسن وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انى قد بَدُنْتُ فلا تسبقونى بالركوع والسجود (من رواه بَدُنْتُ بضم الدال فقد أخطأ لان بَدُنَ بمعنى ضَخُمَ ولم يكن صفته عليه السلام أنه ضخم الجسم ولكنه الرجل بين

ويذكر الناس ويكون عدة على الطاعن ولعل بعض من ألحد فى دينه وعمى عن رشده وأخطأ موضع حظه ان يدعوه العجب بنفسه والثقة بما عنده الى ان يلتمس قراءتها ليتقدم فى نقضها وافسادها فاذا قرأها فهمها واذا فهمها انتبه من رقدته وأفاق من سكرته لعز الحق وذل الباطل ولاشراف الحجة على الشبهة ولان من تفرد بكتاب فقرأه ليس كمن نازع صاحبه وجاراه لان

الرجلين ومعنى بدن بالتشديد أسن) والاشعث والشعثاء الخاليان من الدهن وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل

مَن كان حين تَغَسُّ الشمس جبهته • أو الغبار يخاف الشين والشعثا

ويألف الظل كي تبقى بشاشته • فسوف يسكن يوما راغما جدثا

(قال أبو الحسن وزادني أبي

في بطن مظلمة غبراء مقفرة • كيما يطيل بها في بطنها اللبثا

تجهزي بجهاز تبلغين به • يا نفس واقتصدي لم تخلقي عبثا)

الانسان لا يباهي بنفسه والحق بعد قاهر له ومع التلاقي يحدث التباهي ورفع المحافل يقل الخضوع ويشتد النزوع ثم رجع الكلام الى حاجة الناس الى استماع الاخبار والتفقه في تصحيح الآثار فأقول ان الناس قد استغنوا عن التكرير وكفوا مؤنة البحث والتنقير لقلة اعتبارهم ومن قل اعتباره قل علمه ومن قل علمه قل فضله ومن قل فضله كثر نقصه ومن قل علمه وفضله

وقال عمر بن أبي ربيعة ونظر الى أم عمر بنت مروان بن الحكم وكانت صارت اليه متنكرة فرأته وقضت من محادثته وطرا ثم انصرفت فلما رجعت من منى عرفها فعلمت ذلك فبعثت اليه لا ترفع بي صوتا وأهد لي ألف دينار فاشتري بها عطرا وبزا وأهداه لها فأبت أن تقبله فقال اذا والله أنهبه فيكون أذيع له فقبلته وفي ذلك يقول

وكم من قتيل لا يباء به دم • ومن عاق رهنا اذا ضمه منى

وكم مالئ عينيه من شيء غيره • اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

يجررن أذيال المروط بأسوق • خدال اذا وازين أعجاز هاروى

أوانس يسلبن الحليم فؤاده • فيا طول ما حزن ويا حسن ما حلى

فلم أر كالتجمير منظر ناظر • ولا كليالي الحج أفلتن ذا هوى

وفيها أيضا يقول

أم الرباب بمأسل بتكارا • قد قضى من تهامة الاوطارا

ليت ذا الحج كان حتما علينا • كل شهرين حجة واعتمارا

قوله وكم من قتيل لا يباء به دم يقول لا يقاد به قاتله وأصل هذا انه يقال أبأت فلانا بفلان قبأ به اذا قتلته به ولا يكاد يستعمل هذا الا والثاني كف. فالاول نحو من ذلك قول مهلهل بن ربيعة حيث قتل بجير بن الحرث بن عباد فقيل للحرث ولم يكن دخل في حربهم ان ابنك قتل فقال ان ابني لأعظم فتيل بركة اذا أصلح الله به بين ابني وائل فقيل له انه لما قتل قال مهلهل بؤ بشسع نعل كليب فعند ذلك أدخل الحرث يده في الحرب وقال

قربا مربط النعامة مني • لقحت حرب وائل عن حيال

لا يُجْبَرُ أغنى فتيلا ولا رهطٌ كُلَيْبٍ تزاجروا عن ضلال

لم أكن من جُناتها علم الله وإني بحرّها اليوم صالي

وقالت ليلى الأخيلية

فإن تكن القتلى بواء فإنكم ... قتلتم آل عوف بن عامر

وقال عمرو بن حُيَيّ العقيلي

ألا تنتهي عنّا ملوك وتتّقي ... محارمنا لا يبوء الدم بالدم

ويقال باء فلانٌ بذنبه أي بخع به وأقرّ قال الفرزدق لمعاوية

فلو كان هذا الحكم في غير ملككم ... لبُؤتم به أو غصّ بالماء شاربُه

ويقال باء فلانٌ بالشيء من قول أو فعل أي احتمله فصار عليه وقال المفسرون في قول الله جل وعز إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك أي يجتمعا عليك فتحملهما وأما قوله ومن غلق رهن فمن جرّ فهو من قولهم رهنٌ غلقٌ فلما قدّم النعت اضطرارا أبدل منه المنعوت ولو قال ومن غلق رهنا فنصب على الحال من المعرفة بقي الاسم المضمر في غلق وقوله إذا ضمه مني فإنما سميت منى لما يُمنى فيها من الدم يقال في المني رهي النطفة مَنَى الرجلُ يمْني أمنى والقراءة أفرأيتم ما تُمْنون ويقال مَذى الرجل وأمْذى ومَذى وأمْذى فقولهم ودَى يعني البِلّة (بكسر الباء برواية عاصم وبفتحها رواية ابن سراج) التي تكون في عقب البول كالمَذْي وأما المذي فيعتري من الشهوة والحركة وقال علي بن أبي طالب رحمه الله كل فحل يمذي وكل أنثى تمذي وهو أن يكون منها مثل المذي ولمنى موضع آخر يقال مَنى الله لك خيرا أي قدّر لك خيرا ويقال مَنى الله أن ألقى فلانا أي قدّر والمَنِيّة من ذا يقال لي فلان منيته أي ما قُدّر له من الموت فأما المنيئة بالهمز فهي المدبغة وهي المكان الذي يُدْبَغ فيه وقوله إذا راح نحو الجمرة البيض كالدُمَى الجمرة إنما سميت لاجتماع الحصى فيها ومن ثم قيل لا تجمّروا المسلمين فتفتنوهم وتفتنوا نساءهم أي لا تجمعوهم في المغازي والتجمير التحميع وكذلك قيل في جمرات العرب وهم بنو غُبَيْر بن عامر بن صعصعة وبنو الحرث بن كعب بن عُلَة بن جلد وبنو ضَبّة بن أدبن طابخة وبنو عبس بن بغيض بن ريث لأنهم تجمعوا في أنفسهم ولم يُدخلوا معهم غيرهم وأبو عبيدة لم يَعُدّ فيهم عَبْسا في كتاب الديباج ولكنه قال فطفئت جمرتان وهما بنو ضَبّة لأنها صارت الى الرباب فحالفت وبنو الحرث لأنها صارت الى مَذْحِج وبقيت بنو غُبَيْر الى الساعة لأنها لم تحالف وقال النمري يُجيب جريرا

وكثر نقصهم لم يحمد على خير أتاه ولم يذم على شر جناه ولم يجد طعم العز ولا سرور الظفر ولا روح الرجاء ولا برد اليقين ولا راحة الأمن وكيف يشكر من لا يقصد وكيف يلام من لا يتعمد وكيف يقصد من لا يعلم وما عسى ان يبلغ قدر سرور من لا يحس من السرور الا بما سرت به حواسه ومسه جلده وكيف يأتي أريج الأفعال وأبعد الشرين من ركب شراسة السباع وغباوة البهائم

غَيْرُ جمرةِ العرب التي لم ٭ تَزَلْ في الحرب تَلْتَهِبُ التهابا

واني اذا أَسُبُّ بها كُلَيْبًا ٭ فتحتُ عليهم للخسف بابا

وقال في هذا الشعر ولولا أن يقال هَجَا غيرا ٭ ولم نسمع لشاعرها اجرابا

رَغِبْنا عن هجاء بني كُلَيْبٍ ٭ وكيف يُشاتِمُ الناسُ الكلابا

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة

ليتَ شعري هل أقولن لركبٍ ٭ بفَلاةٍ هُمُ لديها هُجوعُ

طالما عَرَّسْتُمُ فاستقلوا ٭ حان من نجم الثُرَيّا طلوعُ

ان همّي قد نفى النوم عني ٭ وحديثُ النفس شيءٌ ولوعُ

قال لي فيها عَتيقٌ مَقالًا ٭ جَرَتْ مما يقولُ الدموعُ

قال لي ودّعْ سُلَيْمى ودَعْها ٭ فأجابَ القلبُ لا أستطيعُ

لا تَلُمْني في اشتياقي اليها ٭ وابذُلي لي مما تَجِنّ الضلوعُ

ثم لم يعط الآلة التي بها يستطيع التفرقة بين ما عليه وله والعلم بمصالحه ومفاسده فيقوى بها على عصيان طبائعه ومخالفة شهواته وبها يعرف عواقب الأمور وما تأتي به الدهور وفضل لذة القلب على لذة البدن وان سرور الجاهل لا يحسن في جنب سرور العالم وان لذة البهائم لا تعادل لذة الحكيم العالم وأي سرور كسرور العز والرياسة واتساع المعرفة وكثرة صواب الرأي

قوله حان من نجم الثريا طلوع كناية وانما يريد الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحرث بن أُمَيّة الاصغر وهم العَبَلات وكانت الثريا وأختها عائشة أعتقتا الغَرِيض المغني واسمه عبد الملك ويُكنى أبا يزيد ويقول اسحق بن ابراهيم الموصلي انما سمي الغريض بالطلع لان الطلع يقال له الاغريض وليس هو عندي كما قال انما سمي الغريض لطراءته يقال لحم غريض وكانت الثريا موصوفة بالجمال وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فنقلها الى مصر فقال عمر يضرب لهما المثل بالكوكبين

أيها المُنكِحُ الثُرَيّا سُهَيْلًا ٭ عَمْرَكَ اللهَ كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلّت ٭ وسُهَيْلٌ اذا استقلّ يماني

وقوله قال لي فيها عتيق مقالا يزعم الرواة أن كل شيء ذكر فيه عتيقا أو بكرا فانما يعني ابن أبي عتيق (ابن أبي عتيق هو عبد الله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة وأبو عتيق اسمه محمد وهو صحابي ترأبوه عبد الرحمن صحابي وجده أبو بكر صحابي وجد أبيه أبو قحافة صحابي ولم يكن أحد من الصحابة كذلك غيرهم وعبد الله بن أبي عتيق غلبت عليه الدعابة وشهر بها) وكان ابن أبي عتيق من نُسّاك قريش وظُرفائهم بل كان قد بذّهم ظرفا وله أخبار كثيرة سيمر بعضها في

الكتاب ان شاء الله فمن طريف أخباره انه سمع وهو بالمدينة قول ابن أبي ربيعة

فبانت منها محرما غير أننا ● كلانا من الثوب المطرف لابس

فقال أينا يلعب ابن أبي ربيعة فأي محرم بقي فركب بغلته متوجها الى مكة فلما دخل أنصاب الحرم قيل له أحرم فان ذا الحاجة لا يحرم فلقي ابن أبي ربيعة فقال أما زعمت أنك لم تركب حراما فقط قال بلى قال فما قولك ● كلانا من الثوب المطرف لابس ● فقال له اذا أخبرك خرجت بغلة المسجد فصرنا الى بعض الشعاب فأخذتنا السماء فأمرت بمطرفي فسترنا الغلمان به لئلا يروا بنا فيقولوا هلا استترت بسقائف المسجد فقال له ابن أبي عتيق يا ظاهر هذا البيت يحتاج الى حاضنة وهو الذي سمع قول عمر بن أبي ربيعة

من رسولي الى الثريا بأني ● ضقت ذرعا بهجرها والكتاب

فلبس ثيابه وركب بغلته وأتى باب الثريا فاستأذن عليها فقالت والله ما كنت لنازل وآرا فقال أجل ولكني جئت برسالة يقول لك ابن عمك عمر بن أبي ربيعة ضقت ذرعا بهجرك والكتاب فلامه عمر فقال له ابن أبي عتيق انما أردت متلددا فلتمس رسولا خفيفا في حاجتك فانما كان ثوابي أن أشكر

ومن طريف أخباره أن عائشة بنت طلحة عتبت على مصعب بن الزبير فهجرته فقال مصعب هذه عشرة آلاف درهم لمن احتال لي أن تكلمني فقال له ابن أبي عتيق عد المال ثم صار الى عائشة فجعل يستعتبها لمصعب فقالت والله ما عزمي ان أكلمه أبدا فلما رأى جدها قال لها يا بنت عم انه قد ضمن لي ان كلمته عشرة آلاف درهم فكلميه حتى آخذها ثم عودي الى ما عودك الله ومن أخباره أن مروان بن الحكم قال يوما الى المشعوف ببغلة الحسن بن علي رحمهما الله فقال له ابن أبي عتيق ان دفعتها اليك أتقضي لي ثلاثين حاجة قال نعم قال اذا اجتمع الناس عندك العشية فاني آخذ في ما آمر قريش ثم أمسك عن الحسن فلمني على ذلك فلما أخذ الناس مجالسهم أخذ في ما أمر قريش فقال له مروان ألا تذكر أولية أبي محمد له في هذا ما ليس لاحد فقال انما كنا في ذكر الاشراف ولو كنا في ذكر الانبياء لقدمنا ما لابي محمد فلما خرج الحسن ليركب تبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن وتبسم ألك حاجة فقال ذكرت البغلة فنزل الحسن ودفعها اليه ومن طريف أخباره أن عثمان بن حيان المري لما دخل المدينة واليا عليها اجتمع الاشراف عليه من قريش والانصار فقالوا له انك لا تعمل

والنجيح الذي لا سبب له الاحسن النظر والتقديم في التدبير نم العلم بالله وحده وانك بعرض ولايته والجاه عنده وانه الذي يرجاك ويكفيك وانك اذا عملت اليسير أعطاك الكثير ومتى تركت له الفاني أعطاك الباقي ومتى أدبرت عنه دعاك ومتى رجعت اليه اجتباك ويحمدك على حقك ويعطيك على نظرك لنفسك ولا يغيبك الا ليقبل ولا يميتك الا ليحيي ولا يمنعك الا ليعطيك

عملا أجدى ولا أولى من تحريم الغناء والزنا. ففعل وأجلهم ثلاثا فقدم ابن أبي عتيق في الليلة الثالثة فحط رحله بباب سلامة الزرقاء وقال لها بدأت بك قبل أن أصير الى منزلي. فقالت أوما تدري ما حدث وأخبرته الخبر فقال أقيمي الى السحر حتى ألقاه فقالت انا نخاف أن لا تغني شيأ ونسكط (تعني تنال الناشدة) فقال انه لا بأس عليك ثم مضى الى عثمان فاستأذن عليه فأخبره أن أحدث ما أقدمه عليه حب التسليم عليه وقال له ان من أفضل ما عملت به تحريم الغناء والزنا. قال ان أهلك أشاروا علي بذلك قال فانك قد وفقت ولكني رسول امرأة اليك تقرئك السلام وتقول قد كانت هذه صنعتي فتبت الى الله منها وأنا أسألك أيها الامير أن لا تحول بينها وبين مجاورة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان اذن أدعها لك قال اذن لا يدعها الناس ولكن تدعوهم فتنظر اليها فان كانت ممن يترك تركها قال فادعهم فامرها ابن أبي عتيق فتقنعت وأخذت سبحة في يدها وصارت اليه وحدثته عن ما أثر أبانه ففكها لها فقال لها ابن أبي عتيق اقرئي للامير فغنت فأعجب بذلك فقال لها واحدي للامير فركبت واحدت ثم قال لها غني للامير فجعل يعجب بذلك عثمان فقال له ابن أبي عتيق فكيف لو سمعتها في صناعتها فقال قولي لها فلتقل فأمرها فتغنت

سددن خصاص الخيم لما دخلته ... بكل لبان واضح وجبين

فنزل عثمان بن حيان عن سريره حتى جلس بين يديها ثم قال لا والله ما مثلك يخرج عن المدينة فقال له ابن أبي عتيق اذا يقول الناس أذن لسلامة في المقام ومنع غيرها فقال له عثمان قد أذنت لهم جميعا وقال ابن غير الثقفي

أشاقتك الظعائن يوم بانوا ... بذي الزي الجميل من الاثاث

ظعائن أسلكت نقب المثنى ... تحث اذا ونت أي احتثاث

كأن على الظعائن يوم بانوا ... نعاجا ترتمي بقلل البراث

يهيجني الحمام اذا تغنى ... كما تجع النوائح بالمراثي

قوله الظعائن واحدتها ظعينة وانما قيل لها ظعينة وهم يريدون مظعونا بها كقولك قتيل في معنى مقتول ثم استعمل هذا وكثر حتى قيل للمرأة المقيمة ظعينة وقوله بذي الزي الجميل من الاناث هي الرواية الصحيحة وقد قيل بذي الزي الجميل واستهواهم اليه قول الله جل ثناؤه هم أحسن

وانه المبتدئ بالنعمة قبل السؤال والناظر لك في كل حال وهذا كله لا ينال الا بغريزة العقل على ان الغريزة لا تنال ذلك بنفسها انما باشرته حواسها دون النظر والتفكر والبحث والتصفح وان ينظر ناظر ولا يفكر مفكر دون الحاجة التي تبعث على الفكرة وعلى طلب الحيلة ولذلك وضع الله تعالى في الانسان طبيعة الغضب وطبيعة الرضا والبخل والسخاء والجزع والصبر والرياء والاخلاص

أثاثا وريّا فالاثاث متاع البيت والرِّيُّ ماظهر من الزينة وانما أخذ من قولك رأيت فلانا رِيَّ غير الأثاث والرِّيُّ من الأثاث فمن ههنا غلطوا وقوله أُسالكَ نقب المنقى فالمنقى موضع بعينه والنَّقبُ الطريق في الجبل والخَلُّ الطريق في الرمل فان اتسع الطريق في الجبل وعلا فهو ثَنِيَّةٌ قال ابن الأَجْهَم التَّغلبيُّ

وتراهنَّ شُزَّبًا كالسعالى ... يتطلَّعْنَ من ثنايا النقاب

وقوله نعاجا ترتعى يقال البراث فالنعجة عند العرب البقرة الوحشية وحكم البقرة عندهم حكم الضائنة وحكم الظبية عندهم حكم الماعزة والعرب تكنى بالنعجة عن المرأة وبالشاة قال الله تبارك وتعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة وقال الاعشى

فرميتُ غفلةَ عينه عن شاته ... فأصبتُ حبَّةَ قلبها وطحالها

يريد المرأة وأما البراث فهى الاماكن السهلة من الرمل واحدها بَرْثٌ مفتوح موضع الفاء من الفعل وتقديرها كَلْبٌ وكَلِبٌ والسجع من الكلام أن يأتلف أواخره على نسق كما تأتلف القوافى وهو فى البهائم مولاة الصوت قال ابن الدُّمَيْنة

أأن سَجَعَتْ وُرْقاءُ فى رَوْنَقِ الضحى ... على فَنَنٍ غَضِّ النبات من الرَّنْد

(الرند صغار الآس) وقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة

قال لى صاحبى لِنَعْلَمَ مابى ... أتُحبُّ القتولَ أختَ الرَّباب

قلت وَجْدى بها كوَجْدكَ بالما ... ء اذا ما مُنِعْتَ بَرْدَ الشراب

مَنْ رسولى الى الثُّرَيَّا بأنى ... ضقتُ ذَرْعًا بهجرها والكتاب

سَلْبَنِى مُجاجةَ المِسْكِ عقلى ... فَسَلُوها بما تُحِلُّ اغتصابى

أزهقتْ أم تُوَفِّلٍ اذ دعتها ... مُهْجَتى مالقاتلى من مَتاب

حين قالت لها أَجِيبى فقالت ... مَنْ دعانى قالت أبو الخَطَّاب

فاستجابت عند الدعاء كما آبى ... رجالٌ يرجون حُسْنَ الثواب

أرزوها مثلَ المهاة تهادَى ... بين خمس كواعبٍ أتراب

وهى مكنونة تَحَيَّرَ منها ... فى أديم الخَدَّيْن ماءُ الشباب

ثم قالوا تُحِبُّها قلتُ بُهْرًا ... عَدَدَ النجم والحَصَى والتُّراب

والكبر والتواضع والسخط والقناعة فجعلها عروقا وان تفى قوة غريزة العقل لجميع قوى طبائعه وشهواته حتى يقيم ما اعوج منها ويسكن ما تحرك دون النظر الطويل الذى يشدها والبحث الشديد الذى يشحذها والتجارب التى تحنكها والفوائد التى تزيد فيها وان يكثر النظر حتى تكثر الخواطر ولن تكثر الخواطر حتى تكثر الحوائج ولن تبعد الرؤية الا لبعد الغاية وشدة الحاجة ولوان

دُمْيَةٌ عند راهب ذى اجتهاد ٭ صَوَّروها فى جانب المحراب

قوله قلت وجدى بها كوجدك بالماء معنى صحيح وقد اعتورَه الشعراء وكلهم أجاد فيه وقوله اذا ما منعت بردَ الشراب يريد عند الحاجة وبذلك صح المعنى ويروى عن على بن أبى طالب رحمه الله أن سائلا سأله فقال كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان والله أحبَّ الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ وقال آخر وأحسبه قَيْسَ بن ذَرِيح

حَلَفْتُ لها بالمُشْعَرَيْنِ وزَمْزَمٍ ٭ وذوالعرش فوق المُقْسِمِينَ رَقِيبُ

(قال أبو الحسن ويروى والله فوق المقسمين وهو أحب الىّ)

لئن كان بَرْدُ الماء حَرَّانَ صاديًا ٭ الىَّ حبيبا انها لَحَبِيبُ

وقال القُطَامِىُّ يَقْتُلْنَنا بحديث ليس يَعْلَمُهُ ٭ مَنْ يَتَّقِينَ ولا مكنونُهُ بادى

فهنَّ يَنْبِذْنَ من قول يُصَبِّنَ به ٭ مواقعَ الماء من ذى الغُلَّة الصادى

والقول فيه كثير وقوله ضقت ذرعا بهجرها والكتاب قوله زاد الكتاب قَسْمٌ وقوله أم تُوَفِّل اذ دعتها مهجتى تأوبه أبطلت وأذهبت قال الله جل وعز فيبدِّدَه فاذا هو زاهق وللزاهق موضع آخر وهو السمين المُفْرِط قال زُهَيْرٌ

القائدُ الخيلَ مَنْكُوبًا دوابرُها ٭ منها الشُّنُونُ ومنها الزاهقُ الزَّهِمُ

وقوله ما القاتلى من متاب يقول من توبة والمصدر اذا كان بزيادة الميم من فَعَلَ يَفْعُلُ فهو على مَفْعِل قال الله جل وعز فانه يتوب الى الله مَتَابًا وأما قوله جل ذكره غافر الذنب وقابل التوب فيكون على ضربين يكون مصدرا ويكون جماعا فالمصدر قولك تاب يتوب توبًا كقولك قال يقول قولا والجمع تَوْبٌ وتُوبٌ مثل تَمْرة وتَمْر وجَمْرة وجَمْر وقوله أبرز وناملُ المهاة تهادى المهاةُ البقرة فى هذا الموضع وتُشَبِّهُ المرأةَ بالبقرة من الوحش لحسن عينها ولمشيتها والبقرة يقال لها العَيْناءُ والجماعُ العِينُ وكذلك يقال للمرأة وتكون المَهاةُ اللؤلؤةَ فى غير هذا الموضع وقوله تهادى يريد يهدى بعضها بعضا فى مشيتها ومشية البقرة تستحسن قال ابن أبى ربيعة

أبْصَرْتُها لَيْلَةً ونِسْوَتُها ٭ يَمْشِينَ بين المَقام والحَجَر

يَمْشِينَ فى الرَّيْطِ والمُرُوط كما ٭ يمشى الهُوَيْنا سواكنُ البقر

الناس تركوا وقد قوى غرائزهم ولم يهاجوا بالحاجة على طلب مصلحتهم والتفكر فى معاشهم وعواقب أمورهم والجئوا الى قدر خواطرهم التى تولدها مباشرة حواسهم دون ان يسمعهم الله تعالى خواطر الاولين وأدب السلف المتقدمين وكتب رب العالمين لما أدركوا من العلم الا اليسير ولما ميزوا من الامور الا القليل ولولا ان الله تعالى أراد تشريف العالم وتربيته وتسويد العاقل

وقوله

وقوله كواعب الواحدة كاعبٌ وهى التى قد كعّب ثديها للنهود وأترابٌ أقرانٌ يقال تربٌ فلان والمكورة للكنّة وقوله ثم قالوا تحبها فلت بهراً قال قوم أراد بقوله تحبها الاستفهام كما قال امرؤ القيس • أجارتى برقاً أريدُ وميضهُ • فحذف ألف الاستفهام وهو يريد أترى وقالوا أراد أتحبها وهذا خطأ فاحش انما يجوز حذف الالف اذا كان فى الكلام دليل عليها وسنفسر هذا ونذكر الصواب منه ان شاء الله قوله تحبها يجاب عليه غير استفهام انما قالوا أنت تحبها أى قد علمنا ذلك فهذا معنى صحيح لا ضرورة فيه وأما قول امرئ القيس فانما جاز لانه جعل الالف التى تكون للاستفهام تنبيها للنداء واستغنى بها ودلت على أن بعدها ألفا منوية فحذفت ضرورة لدلالة هذه عليها ونظير قول امرئ القيس أحارتى برقا فاكتفى بالالف عن أن يعيدها فى ترى قول ابن هرمة

ولا أراها تزال ظالمة • تُظهرُ لى قرحةً وتنكؤها

استغنى بلا الاولى عن اعادتها كما قال التميمى وهو اللعينُ المنقرىُّ

لعمرك ما أدرى وان كنتُ داريا • شُعيثُ بن سهم أم شعيثُ بن منقرِ

يريد أشعيث فدلت أم على ألف الاستفهام وقال ابن أبى ربيعة

لعمرك ما أدرى وان كنت داريا • بسبعٍ رمَين الجمر أم بثمان

مثل ذلك وبيت الأخطل فيه قولان وهو

كذبتك عينك أم رأيت بواسط • غلس الظلام من الرباب خيالا

قال أراد أكذبتك عينك كما قلنا فيما قبله وليس هذا بالاجود ولكنه ابتدأ مستيقنا ثم شك فأدخل أم كقولك انها لابلٌ ثم تشك فتقول أم شاءٌ يا قوم وقوله قلت بهرا يكون على وجهين أحدهما حبانى يبهرنى بهرا أى يعلونى ويقال للقمر ليلة البدر باهر أى يبهر النجوم أى يعلوها كما قال ذو الرمة • كما يبهرُ البدرُ النجومَ السواريا • وقال الاعشى

حكّموه فقضى بينكم • أبلجُ مثلُ القمر الباهرِ

والوجه الآخر أن يكون أراد بهرا لكم أى تبيّنا لكم حيث تلومونى على هذا كما قال ابن مُفرِّغ

تفاقدَ قومى اذ يبيعون مُهجتى • بجاريةٍ بهرا لهم بعدها بهرا

وقوله عدد النجم والحصى والتراب فيه قولان أحدهما انه أراد بالنجم النجوم ووضع الواحد فى

ورفع قدره وان يجعله حكيما وبالعواقب عليما لما يضره كل شئ ولم يسخر لشئ ولما طبعه الطبع الذى يجرى منه أريب حكيم وعالم حليم كما انه عز ذكره لو أراد أن يكون الطفل عاقلا والمجنون عالما لطبعهم طبع العالم ولسواهم تسوية العالم كما أراد أن يكون السبع وتابا والحديد قاطعا والسم قاتلا والغذاء مقيما فكذلك أراد ان يكون المطبوع على المعرفة عالما والمهيأ للحكمة حكيما

موضع الجمع لانه للجنس كما تقول أهلك الناس الدرهم والدينار وقد كثرت الشاة والبعير وكما قال الله جل وعز ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال الشاعر

فبات يعد النجم في مستحيرة • سريع بايدي الآكلين جمودها

يريد النجوم ويعني بالمستحيرة اهالة والوجه الآخر أن يكون النجم ما نجم من النبت وهو ما لم يقم على ساق والشجر ما يقوم على ساق والبقطين ما انتشر على وجه الارض قال الله عز وجل والنجم والشجر يسجدان وقال الحرث بن ظالم للاسود بن المنذر بن ماء السماء

أخصي حماريات بكدم نجمة • أيؤكل جيراني وجارك سالم

ومن طريف شعره قوله

فلما فقدت الصوت منهم وأطفأت • مصابيح شبت بالعشاء وأنور

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه • وروح رعيان ونوم سمر

ونفضت عني العين أقبلت مشية الـ • ـحباب وركبي خيفة القوم أزور

فبينا اذ فاجأتها فتولهت • وكادت بمكنون الصبابة تجهر

وقالت وعضت بالبنان فضحتني • وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر

أراك بنا اذ هنا على البعد تخطف • رقيبا وحولي من عدوك حضر

فوالله ما أدري أتخييل حاجة • مررت بك أم قد نام من كنت تحذر

فقلت لها بل قادني الشوق والهوى • اليك وما عين من الناس تنظر

فيالك من ليل تقاصر طوله • وما كان ليلي قبل ذلك يقصر

ويالك من مأهى هناك ومجلس • لنا لم يكدره علينا مكدر

بمنج ذكي المسك منها مفلج • رقيق الحواشي ذو غروب مؤشر

برف اذا يفتر عنه كأنه • حصى برد أو أقحوان منور

وترنو بعينيها الي كما رنا • الى ربرب وسط الخميلة جؤذر

فلما تقضى الليل الا أقله • وكادت توالي نجمه تتغور

أشارت بان الحي قد حان منهم • هبوب ولكن موعد لك عزور

وذو الدليل متبدلا وذو النعمة مستتبعا فلما علم الله تبارك وتعالى ان الناس لا يدركون مصالحهم بأنفسهم ولا يشعرون بعواقب أمورهم بغرائزهم دون أن يرد عليهم آداب المرسلين وكتب الأولين والأخبار عن القرون والجبارة الماضين طبع كل قرن من الناس على أخبار من يليه ووضع القرن الثاني دليلا يعلم به صدق خبر الأول لان كثرة السماع للاخبار العجيبة والمعاني الغريبة

فما راعني الا منادي برحلة • وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر

فلما رأت من قد تنور منهم • ورأيقاظهم قالت أشر كيف تأمر

فقلت أبادرهم فاما أفوتهم • واما ينال السيف نأرا فيثأر

فقالت أتحقيقا لما قال كاشح • علينا وتصديقا لما كان يؤثر

فان كان مالا بد منه فغيره • من الامر أدنى للخفاء وأستر

أقص على أختي بدء حديثنا • ومالي من ان تعلما متأخر

لعلهما ان تبغيا لك مخرجا • وان ترحبا سربا بما كنت أحصر

فقامت كئيبا اليس في وجهها دم • من الحزن تدري عبرة تتحدر

فقالت لاختيها أعينا على فتى • اني زائرا والامر للامر يقدر

فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا • أقلي عليك الهم فالخطب أيسر

يقوم فيمشي بيننا متنكرا • فلا سوءنا يقشو ولا هو يظهر

فكان مجني دون من كنت أتقي • ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فلما أجزنا ساحة الحي قلن لي • ألم تتق الاعداء والليل مقمر

وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا • اما فستحي أو ترعوي أو تفكر

قوله شبت يقول أوقدت يقال شببت النار والحرب أي أوقدتهما وقوله وانوران شئت همزت وان شئت لم تهمز وانما الهمز لانضمام الواو وقد مضى تفسير هذا وقوله قيرانا صغره لانه ناقص عن التمام وهذا في أول الشهر وكذلك يصغر في آخر الشهر لان النقصان فيهما واحد قال عمر

وقبر بدا ابن خمس وعشرين له قالت الفتاتان قوما

وقوله رعيان بريد جمع الراعي ومثله راكب وركبان وفارس وفرسان والسمر جمع السامر وهم الجماعة يتحدثون ليلا والحباب حية بعينه وقوله ونفضت عني العين يقول احترست منها وامتنعت والنفضة أمام العسكر القوم يتقدمون فينفضون الطريق وقوله أزور يعني منحرفا يقال زار وزر فلان اذا ذهب في شق وقوله ذو غروب غرب كل شئ حده وانما يعني الاسنان وقوله وشر يعني له أشر وهو نشر بر الاسنان في قول الناس جميعا يقال لاسنانه أشر فهذا الشائع الذائع

مشحذة للاذهان ومادة للقلوب وسبب للتفكير وعلة للتنقير عن الامور وأكثر الناس سماعا أكثرهم خواطر وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكرا وأكثرهم تفكرا أكثرهم علما وأكثرهم علما أرجحهم عملا كما ان أكثر البصراء رؤية للاعاجيب أكثرهم تجاربا ولذلك صار البصير أكثر خواطر من الاعمى وصار البصير السميع أكثر خواطر من البصير الأصم وعلى قدر شدة الحاجة تكون الحركة

واما الشَّنَبُ فهو عندهم جميعا بَرْدٌ فى الاسنان وحدثنى الرياشى عن ابن عائشة قال أخذ أبى حَبَّةَ رُمَّانٍ بين اصبعيه فاذا هى تَرِفُّ فقال هذا الشَّنَبُ وقوله وكادت توالى نجمه تتغور التوالى التوابع وتتغور تغورا فتذهب وهو مأخوذ من الغَوْر وقوله أشارت بان الحى قد مان منهم هبوب يقول انتباه يقال هَبَّ من نومه هَبُّ قال عمرو بن كلثوم

أَلَا هُبِّى بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا * (ولا تُبْقِى خُمُورَ الأَنْدَرِينَا)

وقال الآخر هَبَّتْ تلوم وليست ساعةَ اللَّحَى * هلا انتظرت بهذا اللوم اصباحى

وعزور موضع بعينه وقوله وأيقاظهم جمع يَقْظ وقوله فقالت أتحقيقا أى أتفعل هذا تحقيقا ومن كلام العرب أَكُلَّ هذا بُخْلًا وذاك انه رآه يفعل شيأ أنكره فقال أتفعل كل هذا بخلا وقوله أيا ديهم أبطرهم غيرهم وزيقال بدأ يَبْدُو وغيرهم وزاذا ظهر وبدأت بهذا مهموزا اذا أردت به معنى الاول وقوله بدء حديثنا يريد أول حديثنا وقوله وان ترحبنا يريد أن تتسعا أى تتسع صدورهما من قولهم فلان رَحِيبُ الصدر وقوله أحضرُ أضيق به ذَرْعًا وقد مضى تفسيره وقوله مجنى يريد تُرْمِى وقوله ثلاث نخوص والوجه ثلاثة أنخُص ولكنه لما قصد الى النساء أنث على المعنى وابان ما أراد بقوله كاعبان ومعصر ومثله قول الشاعر

فانَّ كلابا هذه عَشْرُ أبطُنٍ * وأنتَ برئٌ من قبائلها العَشْرِ

فقال عشر أبطن لان البطن قبيلة وابان ذلك فى قوله من قبائلها العشر وقال الله جل وعز من جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها لان المعنى حسنات وبروى ان يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عُقْبَةَ المُرِّى الى المدينة اعترض الناس فر به رجلٌ من أهل الشام معه نَزْلٌ قبيح فقال له يا أهل الشام مجنُّ ابن أبى ربيعة أحسن من مجنِّك يريد قول ابن أبى ربيعة

فكان مجنى دون من كنت أتقى * ثلاث نخوص كاعبان ومُعْصِرُ

وقوله اما تسجى يريد تسجى وله تفسير يبعد فى العربية قليلا وسنذكره بعدذا ان شاء الله تعالى

وعلى قدر ضعف الحاجة يكون السكون، كان الراجى والخائف دائبان والآيس والآمن وادعان واذا كان الله تعالى لم يخلق عباده فى طبع عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وآدم أبى البشر صلوات الله عليهم أجمعين وخلقهم ناقصين وعن درك مصالحهم عاجزين وأراد منهم العبادة وكلفهم الطاقة وترك العيان للامل البعيد وأرسل اليهم رسله وبعث فيهم أنبياءه وقال

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس وحدثت ان عُمَرَ الوادى قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير فى صَرْد من الارض فسمعت غناء من القرار لم أسمع مثله فقلت والله لأتوصلن اليه ولو بذهاب نفسى

فانحدرتُ اليه فاذا عبدٌ أسود فقلت له أعِدْ عليَّ ما سمعت فقال لي والله لو كان عندي فرَى أقربُ ما فعلتُ ولكنّي أجعله قِراكَ فاني ربما غنّيتُ هذا الصوتَ وانا جائع فاشبع وربما غنيته وانا كسلان فانشط وربما غنيته وأنا عطشان فأروى ثم انّ بَرَى يغنّيني

وكنتُ اذا ما زُرتُ سُعدَى بأرضها ❊ أرى الارضَ تُطوى لي ويدنو بعيدُها
من الخفرات البيضِ ودّ جليسُها ❊ اذا ما قضتْ أحدوثةً لو تعيدُها
(وبعده تُحدّثُ أحقادي اذا ما لقيتُها ❊ وتبقى بلا ذنب عليّ حقودُها
وكيف يحبُّ القلبُ مَنْ لا يحبُّهُ ❊ بلى قد تريد النفسُ مَنْ لا يريدها)

قال عمر فحفظته عنه ثم تغنيت به على الحالات التي وصف فاذا هو كما ذكر وتحدّث الزبيريون عن خالد صامة انه كان من أحسن الناس ضرباً بالعود قال فقدمتُ على الوليد بن يزيد وهو في مجلس ناهيك به مجلساً فألفيته على سريره وبين يديه مَعْبَدٌ ومالك بن أبي السمح وابن عائشة وأبو كامل غُزَيِّلُ الدمشقي فجعلوا يغنون حتى بلغت النوبةُ الى فغنّيتُه

سَرَى همّي وهُمُّ المرءِ يَسْرِي ❊ وغارَ النجمُ الا قيدَ فاستَرِ
أراقبُ في المجرّةِ كلَّ نجمٍ ❊ تعرّضَ أو على المجرّاةِ يجرِي
لهمٍّ ما أزالُ له قرينا ❊ كأنّ القلبَ أبطنَ حَوْجَرِ
على بكرٍ أخي فارقتُ بكرًا ❊ وأيُّ العيشِ يَصْلُحُ بعدَ بكرِ

فقال لي أعِدْ ياصامّ ففعلتُ فقال لي مَنْ يقولُ هذا الشعر فقلت هذا يقوله عُروةُ بن أُذينة يرثي أخاه بكرا فقال لي الوليد ❊ وأيّ العيش يصلح بعد بكر ❊ هذا العيش الذي نحن فيه والله قد تحجّر واسعا على رَغْمِ أنفه وحدّثتُ أن سُكينة بنت الحسين أنشدت هذا الشعر فقالت ومن بكرٌ فوُصف لها فقالت أذاك الأسيّد الذي كان عمر بنا والله لقد طاب كلُّ شيءٍ بعده ذاك حتى الخبزُ والزيتُ وروى أصحابنا أن يزيد بن عبد الملك وأمّه عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية واليها كان يُنسَبُ قال يوما يقال ان الدنيا لم تَصْفُ لاحدٍ قطُّ يوما فاذا خلَوتُ يومي هذا فاطْلُبوا عني الاخبار ودَعُوني ولَذّتي وما خلَوتُ له ثم دعا بحبابة فقال اسقيني وغنّيني فخلَوا في أطيب عَيْشٍ فتناولت حبابةُ حبّةَ رُمّانٍ فوضعتها في فيها فغصّت بها فماتت فجزِعَ يزيدُ جزَعاً أذهلَهُ ومنَعَ من دفنها حتى قال له مشايخ

لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولم يشهد أكثر عباده حجج رسله عليهم السلام ولا أحضرهم عجائب أنبيائه ولا أسمعهم احتجاجهم ولا أراهم تدبيرهم لم يكن بد من ان يطلع المعاينين على أخبار الغائبين وان يضطر اسماع الغائبين لأخبار المعاندين وان يخالف بين طبائع المخبرين وعلل الناقلين ليدل السامعين ومن يجيب من الناس على ان العدد الكثير المختلفي العلل

بنى أُمَيَّةَ ان هذا عيب لا يُستقال وانما هذه جيفة فأذن فى دفنها وتبع جنازتها فلما رآها قال أمسيتُ والله فيدٌ كما قال كُثَيِّرٌ

فان تسألى عنى النفوسُ أو تدعِ الهوى • فبالبأس تسألو عنى لا بالتجأُّد

وكلُّ خليلٍ راءنى فهو قائلٌ • من اجلك هذا هامةُ اليوم أو غد

فعذَّبهما خمسة عشر يوما وقوله راءنى يريد رآنى ولكنه قلب فأخر الهمزة ونظير هذا من الكلام قسىٌّ فى جمع قوس وانما الاصل قُوُوس ولما أخَّر الواو بين البدل منهما ياء كما يجب فى الجمع تقول دَلْوٌ ودُلِىٌّ وعُوَاءٌ وعُنِىٌّ وان شئت قلت عنِىٌّ ودلِىٌّ من أجل الياء فان كان فُعولٌ لواحد قلت عُنُوٌّ ويجوز القلبُ والوجه فى الواحد اثبات الواو كما تقول مَغْزُوٌّ ومَدْعُوٌّ ويجوز مَغْزِىٌّ ومَدْعِىٌّ وفى القرآن وعَتَوْا عُتُوًّا كبيرا وقال أيُّهم أشدُّ على الرحمن عتيًّا وقال ارجعى الى ربك راضية مَرْضِيَّة والاصل مَرْضُوَة لانه من الواو ومن الرضوان ومن القلب قولهم طأمَنَّ ثم قالوا اطْمَأَنَّ فأخروا الهمزة وقدموا الميم ومثل هذا كثير جدا وقوله هذا هامةُ اليوم أو غد يقول ميِّتٌ فى يومه أو غده يقال انما فلان هامة أى يصير فى قبره وأصل ذلك شئ كانت العرب تقوله قد مضى تفسيره وحدثنى عبد الصمد بن المُعَذَّل قال سمعت اسحق بن ابراهيم الموصلى يحدث قال حججت مع أمير المؤمنين الرشيد فلما قفلنا نزلنا المدينة أخبث منزل ارجلا كان له سنٌّ ومعرفة وأدبٌ فكان يُمتِّعنى فأتانى ذات ليلة فى منزلى اذا أنا برسوله يستأذن على فظننت أمرا قد فدحه ففزع فيه الى فاسرعت نحو الباب فقلت ماجاء بك فقال اذن أخبرك دعانى صديقٌ لى الى طعام عتيد وشراب قد التقى طرفاه وشواء رشراش وحديث مُمتِع وغناء مُطرب فأجبته وأقمت معه الى هذا الوقت فأخذت منى حُبَّا الكأس ما أخذها ثم غُنِّيت بقول نُصَيب

زينبَ ألمِمْ قبل أن يرحلَ الركبُ • وقل ان تَمِلْنا فَمَالَّكَ القلبُ

فكدتُ أطير طربا ثم وجدت فى الطرب نقصا اذ لم يكن معى من يَفْهَمُ هذا كما فهمته ففزعت اليك لأصف لك هذه الحال ثم أرجع الى صاحبى وضَرَبَ نَعْلَيْهِ مُوَلِّيًا عنى فقلت قف أكلِّمْك فقال ما بى الى الوقوف البتة من حاجة وحدثنى غير واحد من أصحابنا عن أبى زيد سعيد بن أوس الانصارى يُسْنِدُه قال كانت وليمة فى أخوالنا وهم حَىٌّ يقال لهم بنو بَيْطٍ من الانصار قال فحضر الناس وجاء

المتضادى الاسباب المتقاوى الهمم لا يتفقون على تحرص الخبر فى المعنى الواحد وكما لا يتفقون على تخرص الخبر فى المعنى الواحد على غير التلاقى والتراسل الا وهو حق فكذلك لا يمكن مثلهم فى مثل علمهم التلاقى عليه والتراسل فيه ولو كان تلاقيهم ممكنا وتراسلهم جائزا لظهر ذلك وفشا واستفاض وبدا ولو كان ذلك أيضا ممكنا وكان قولا متوهما لبطلت الحجة ولنقضت العادة

حسّان بن ثابت وقد ذهب بصره ومعه ابنه عبد الرحمن يقوده • فلما وُضع الطعام وجيء بالثريد قال حسان لابنه يا بنيّ أطعام يدٍ أم طعام يدين فقال بل طعام يدٍ فأكل ثم جيء بالشواء فقال أطعام يدٍ أم طعام يدين فقال طعام يدين فأمسك وفي المجلس قَيْنتان تغنيان بشعر حسان

• انظر خليلي ببابِ جِلّقَ هل • تُؤنِسُ دون البلقاء من أحد

قال وحسان يبكي يذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب وعبد الرحمن يومئ اليهما أن زيدا قال أبو زيد فلا عجبني ما أعجبه من أن تبكيا أباه يقول عجبت مما الذي اشتهى من أن تبكيا اباه فقوله أعجبني أي تركني أعجب ومثله قول ابن قيس الرقيات

ألا هرّتْ بنا قُرشيةٌ هـ • ـترٌ موكِلُها • رأتْ بي شيبةً في الرأ

س عني ما أغيّبُها • فقالت ابنُ قيسٍ ذا • وبعضُ الشيبِ يُعجبُها

أي تتعجب منه وحدثني عبد الصمد بن المعذّل قال كان خليلان الأمويّ يتغنى ويرى ذلك زائدا في المروءة وكان خليلان شرِيفا وذا نعمة واسعة فحضر يوما منزل عُقبة بن سَلْم الهُنائي وهو أمير البصرة وكان هاتيا جوادا فلما طعموا وخلوا انظر خليلان الى عود موضوع في جانب البيت فعلم أنه عُرِض له به فأخذه فتغنى

يا بنةَ الأزديّ قلبي كئيبُ • مُستهامٌ عندها ما يؤوب

ولقد لاموا فقلتُ دعوني • انّ من تلحونَ فيه حبيبُ

فجعل وجه عقبة يتغير وخليلان في شهو مما فيه عقبةُ يُرى انه محسن ثم فطن لتغيير وجه عقبة فعلم أنه لما تغنى به فقطع الصوت وجعل مكانه ألا هرّتْ بنا قرشيةٌ هترٌ موكلها

فسُرّي عن عقبة فلما انقضى الصوت وضع خليلان العود وكّله على نفسه الحلف ألا يُغنّي عند من يجوز أمرُه عليه أبدا وحُدّثت أن رجلا تغنى بحضرة الرشيد بشعر مدح به علي بن ربطة وهو علي بن أمير المؤمنين المهدي وتغنّاه المُغنّي على جمل وهو

قل لعلي آفةَ العرب • وخيرَ نامٍ وخيرَ مُنتسب

أعلالَكَ جَدّاكَ يا علي اذا • قصّرَ جدٌّ في ذروة الحسب

ففتش عن المغني فوجده لم يدر فهم الشعر فبحث عن أول من تغنى فيه فاذا هو عبد الرحيم الرقاصُ

ولفسدت العبرة ولعادت النفس بعلة الاخبار جاهلة ولكان للناس على الله أعظم الحجة وقد قال الله جل وعز لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل اذ اكلفهم طاعة رسله وتصديق أنبيائه ورسله وكتبه والايمان بجنته وناره ولم يضع لهم دليلا على صدق الاخبار وامتناع الغلط في الآثار تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واعلم ان الله تعالى انما خالف بين طبائع الناس ليوفق بينهم ولم

فأمر به فضرب اربعمائة سوط * وحُدِّثتُ أن معاوية استمع على يزيد ذات ليلة فسمع من عنده غناء أعجبه فلما أصبح قال ليزيد من كان مُلهيكَ البارحة فقال له يزيد ذاك سائبُ خاثر قال اذًا فأخبِرْه من العطاء وحُدِّثتُ أن معاوية قال لعمرو امض بنا الى هذا الذى قد تشاغل باللهو وسعى فى هدم مُروءته حتى نتعى عليه أى نعيب عليه فعله يريد عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فدخلا اليه وعنده سائبُ خاثر وهو يُلقى على جَوارٍ لعبد الله فأمر عبد الله بتنحية الجوارى لدخول معاوية وثبت سائبُ مكانه وتنحّى عبدُ الله عن سرير معاوية فرفع معاوية عمرا فأجلسه الى جانبه ثم قال لعبد الله أعدْ ما كنتَ فيه فأمر بالكراسى فأُلقيت وأُخرِج الجوارى فتغنى سائب بقول قيس بن الخطيم

ديارُ التى كادتْ ونحن على منًى * تحلُّ بنا لولا نجاءُ الركائب

ومثلك قد أصبتُ ليستْ بكنّة * ولا جارة ولا حليلة صاحب

وردّدها الجوارى عليه فحرّك معاوية يديه وتحرك فى مجلسه ثم مدّ رجليه فجعل يضرب بهما وجه السرير فقال عمرو اثْنِ يا أمير المؤمنين فان الذى جئتَ لتلحاه أحسنُ منك حالا وأقل حركة فقال معاوية اسكتْ لا أبا لك فان كل كريم طروبُ * وحُدِّثتُ من غير وجه أن سفيان بن عيينة قال لجليسائه يوما الى أرى جارنا هذا السَّهمى قد أثرى وانفسحت له نعمةٌ وصار ذا جاه عند الامراء ووافدا الى الخلفاء فَمْ بنا اليه يعنى يحيى بن جامع فقال له جلساؤه انه يصير الى الخليفة فيتغنى له فقال سفيان فيقول ماذا فقال أحد جلسائه يقول

أطوفُ نهارى مع الطائفين * وأرفعُ من مئزرى المُسْبَل

فقال سفيان ما أحسن ما قال فقال الرجل

وأسهرُ ليلى مع العاكفين * وأتلو من المُحكَم المُنزَل

قال حسنٌ والله جميلٌ قال ان بعد هذا شيأ قال سفيان وما هو قال

عسى فارجُ الكربِ عن يوسف * يُسخِّرلى ربّةَ المحمل

فزوى سفيان وجهه وأومأ بيده أن كُفَّ وقال حلالا حلالا واتى ابنُ أبجرَ عطاء بن أبى رباح وهو يطوف فقال اسمع صوتا للغريض فقال له عطاء يا خبيثُ أفى هذا الموضع فقال ابن أبجر ورب هذه البَنِيَّة لتسمعنّه خفية أو لأشيدنّ به نوفك له فتغنّى

يجب ان يوفق بينهم فيما يخالف مصلحتهم لان الناس لو لم يكونوا مسخرين بالاسباب المختلفة وكانوا مجبرين فى الامور المتفقة والمختلفة لجاز ان يختار واباجعهم الملك والسياسة وفى هذا ذهاب العيش وبطلان المصلحة والبوار والتواء ولو لم يكونوا مسخرين بالاسباب مرتهنين بالعلل لرغبوا عن الجماعة أجمعين والبيطرة والقصابة والدباغة ولكن لكل صنف من الناس مزين

عُوجي علينا ربّةَ الهودجِ • انّا ان لا تفعلي نخرجِ

أنّي أُتيحتْ لي بمانيةٌ • احدى بني الحرث من مذحجِ

تلبثُ حولا كاملا كلّه • لا تلتقي الا على منهجِ

في الحجّ ان حجّتْ وماذا مِنًى • وأهلُه ان هي لم تحجّجِ

فقال له عطاء الكثير الطيّب يا خبيث وسمع سليمانُ بن عبد الملك مُغنّيًا في عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد ما تغنيت فتغنى واحتقل وكان سليمان مُفرطا الغيرة فقال لاصحابه والله لكأنها جرحةُ الفحل في الشول وما أحسب أنّي تسمع هذا الا صبّت ثم أمر به فخُصّي وحُدّثتُ أن الفرزدق قدم المدينة فنزل على الأخوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح فقال له الاحوص ألا أُسمعُك غناء من غناء القُرى فأتاه بمَن فجعل يغنيه فكان مما غناه

أتنسى اذ تودّعُنا سُلَيمى • بفرعِ بشامةَ سُقيَ البشامُ

ولو وجدَ الحمامُ كما وجدنا • بسُلمانيْنِ لاكتأبَ الحمامُ

فقال الفرزدق لمن هذا فقالوا لجرير ثم غناه

أمِن ريحانةَ الداعي السميعُ • يؤرّقني وأصحابي هجوعُ

ان البليّة مَن تَمِلُّ حديثه • فانقعْ فؤادكَ من حديث الوامق

فقال لمن هذا فقيل لجرير ثم غناه

ان الذين غدَوا بلبّكَ غادروا • وشلًا بعينكَ ما يزال معينا

غيّضْنَ من عبراتهنّ وقُلْنَ لي • ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا

فقال لمن هذا فقالوا لجرير فقال الفرزدق ما أحوجَه مع عفافه الى خُشونة شعري وأخرجني مع فُسوق الى رقّة شعره وقال الأخوص يوما لمُغنّيه امضِ بنا الى عقيلة حتى نتحدث اليها ونسمع من غنائها وغناء جواريها فمضيا فألفياه على بابها مُعاذًا الانصاريّ ثم الزرقيّ وابنَ صائد النجاري فاستأذنوا عليها جميعا فأذنت لهم الا الاحوص فانها قالت نحن غضابٌ على الاحوص فانصرف الاحوص وهو يلوم أصحابه على استبدادهم فقال

ضنّتْ عقيلةُ لما جئتُ بالزاد • وآثرتْ حاجةَ الثاوي على الغادي

عندهم ما هم فيه ومن أهل ذلك عليهم فالحائك اذا رأى نقصيرا من صاحبه أو سوء حذق أو خرقا قال له يا حجام والحجام اذا رأى تقصيرا من صاحبه قال له يا حائك ولذلك لم يجمعوا على اسلام أبنائهم في غير الحياكة والحجامة والبيطرة والقصابة ولو ان الله تعالى أراد أن يجعل الاختلاف سببا للاتفاق والائتلاف لما جعل واحدا قصيرا وآخر طويلا وواحدا حسنا والآخر قبيحا

فقلتُ واللهِ لولا أن تقولَ لهُ ٭ قد باحَ بالسرِّ أعدائي وحُسَّادي
فلتا لمتزلها حُييتَ من طَلَلٍ ٭ وللعقيقِ ألا حُييتَ من وادي
"انى جعلتُ نصيبي من مودتها ٭ لمعبدٍ ومُعاذٍ وابنِ صيادِ
لابنِ اللعينِ الذي يُخبا الدخانُ لهُ ٭ والمُغْنِي رسولَ الزُّورِ قوَّادي
أما معاذٌ فاني لستُ ذاكرَهُ ٭ كذاكَ أجدادُهُ كانوا الأجدادي

قال الزبيري وكان مُعاذٌ جَلْدًا فخاف الاحوصُ أن يضربه فخلف مَعْبدٌ أن لا يكلم الاحوص ولا يتغنى في شعره فشق ذلك على الاحوص فلما طالت هجرتُهُ اياه رحَلَ نحبيبَاله وجعل طلاءً في مِذْرَعٍ (والمذرع زِقٌّ سُلِحَ حين سُلِحَ عمابلي الذراعُ) في قعيبة رحله وأعدَّ دنانير ومضى نحو معبد فأناخ ببابه ومعبد جالس بفنائه فنزل اليه الاحوصُ فكلمه فلم يكلمه معبد فقال يا أباعبَّاد أتهجرني فخرجت اليه امرأته أم كُرْدم فقالت أتهجر أبا محمد والله لتكلمنه قال فاحتمله الاحوص فأدخله البيت وقال والله لا رمتُ هذا البيت حتى آكل الشواء وأشرب الطلاء وأسمع الغناء فقال له معبد قد أخزى الله الآبعدَ هذا الشواء اكلتَهُ والغناء سمعته فأنّى لكَ بالطلاء قال قم الى ذلك المذرع ففيه طلاء ومعه دنانير فأصلح بها ما تريد من أمرنا ففعل كل ما قال فقالت أم كُرْدم لمعبد أتهجر من ان زارنا أغدر فينا فضلا ونُبلا وان فارقنا خالف فينا عقلا ونُبلا فانصرف الاحوص مع العصر فزار بين الدارين وهو يميل بين شُعبتَي رحله وحُدِّثتُ ان سعدَ بن مُصْعَب بن الزبير أتاهم بامرأة في ليلة مَناحة أو عُرس وكانت تحته ابنة حمزة بن عبد الله بن الزبير فقال الاحوص وكان بالمدينة رجل يقال له سعد النار

ليس بسعدِ النارِ من تذكرونه ٭ ولكنَّ سعدَ النارِ سعدُ بنُ مُصْعَبِ
ألم تَرَ أنَّ القومَ ليلةَ جمعهم ٭ بَغَوْهُ فألفَوه لدى شرِّ مركبِ
فما يَبْتَغي بالشر لا دَرَّ دَرُّهُ ٭ وفي بيتِهِ مثلُ الغزالِ المُرَبَّبِ

فأمر سعدُ بن مصعب بطعام فصنع ثم حُمِلَ الى قباب العرب وقال للاحوص وكان له صديقا تعالَ غدًا فنصيب منه فلما خلا به أمَرَ به فأُوثِقَ وأراد ضربه فقال له الاحوص دَعْني فلا والله لا أهجو زُبَيْرًا أبدا فخلّه ثم قال اني والله ما أمتنع على مرحلٍ ولكني أنكرت قولك

واحدا غنيا وآخر فقيرا وواحدا عاقلا وآخر مجنونا وواحدا زكيا وآخر غبيا ولكن خالف بينهم ليختبرهم وبالاختبار يطيعون وبالطاعة يسعدون ففرق بينهم ليجمعهم وأحب ان يجمعهم على الطاعة ليجمعهم على المثوبة فسبحانه وتعالى ما أحسن ما أبلى وأولى وأحكم ما صنع وأتقن ما دبر لان الناس لو رغبوا كلهم عن عار الحياكة لبقينا عراة ولو رغبوا بأجمعهم

• وفى بيته مثل الغزال المربب • وحدثت ان ابن أبى عتيق ذكر له ان المخنثين بالمدينة خصوا وانه خصى الدلال فيهم فقال انا لله أما والله لئن فعل ذلك به لقد كان يحسن

لمن ربع بذات الجيش أمسى دارسا خلقا

ثم استقبل ابن أبى عتيق القبلة يصلى فلما كبر سلم ثم التفت الى أصحابه فقال اللهم انه كان يحسن خفيفه فاما ثقيله فلا الله أكبر وحدثت ان مدنيا كان يصلى مذ طلعت الشمس الى أن قارب النهار ان ينتصف ومن ورائه رجل يتغنى وهما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل من الشرط قد قبض على المغنى فقال اترفع عقيرتك بالغناء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه فانتقل المدنى من صلاته فلم يزل يطلب اليه فيه حتى استنقذه ثم أقبل عليه فقال أندرى لم شفعت فيك قال لا ولكنى اخالك رحمتنى قال اذا فلا رحمنى الله قال فأحسبك عرفت قرابة بيننا قال اذا فقطعها الله قال فليد تقدمت منى اليك قال لا والله ولا عرفتك قبلها قال فخبرنى قال لانى سمعتك غنيت آنفا فأنت واوات معبد اما والله لو أمهات التأديبة لكنت أحد الاعوان عليك والصوت الذى ينسب الى واوات معبد شعر الاعشى الذى يعاتب فيه يزيد بن مسهر الشيبانى وهو قوله

هريرة ودعها وان لام لائم • غداة غد أم أنت للبين واجم

لقد كان فى حول ثواء ثويته • تقضى لبانات ويسأم سائم

قوله هريرة ودعها وان لام لائم منصوب بفعل مضمر تفسيره ودعها كأنه قال ودع هريرة فلما انحذل الفعل أظهر ما يدل عليه وكان ذلك أجود من أن لا يضمر لان الامر لا يكون الا بفعل فأضمر الفعل اذ كان الامر أحق به وكذلك زيدا اضرب به وزيدا فأكرمه وان لم تضمر ورفعت جاز وليس فى حسن الاول ترفعه على الابتداء وتصير الامر فى موضع خبره فأما قول الله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما وكذلك الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فليس على هذا الرفع الوجه لان معناه الجزاء كقوله الزانية أى التى تزنى فاقطعوا وجب القطع للسرق والجلد للزنا فهذا مجازاة ومن ثم جاز الذى يأتينى فله درهم فدخلت الفاء لانه استحق الدرهم بالاتيان فان لم ترد هذا المعنى قلت الذى يأتينى له درهم ولا يجوز زيد فله درهم على هذا المعنى ولكن لو قلت زيد فله درهم على معنى هذا زيد فله درهم أو هذا زيد فحسن جميل جاز على ان زيدا خبر وليس بابتداء

عن كذا البتة بقينا بالعراء ولو رغبوا عن الفلاحة لذهبت الافوات ولبطل أصل المعاش فسخرهم على غير اكراه ورغبهم من غير دعاء ولولا اختلاف طبائع الناس وعلمهم لما اختاروا من الاشياء الا أحسنها ومن البلاد الا أعدلها ومن الامصار الا أوسطها ولو كان كذلك لتنافسوا على طلب الواسط وتشاجروا على البلاد العليا ولما وسعهم بلد ولما تم بينهم صلح فقد صار بهم التحضير الى غاية

والاشارة دخلت الفاء وفى القرآن الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ودخلت الفاء لان الثواب دخل للانفاق وقد قرأت القراء الزانية والزانى فاجلدوا والسارق والسارقة فاقطعوا بالنصب على وجه الامر والوجه الرفع والنصب حسن فى هاتين الآيتين ومالم يكن فيه معنى جزاء فالنصب الوجه ويروى ان معبدا بلغه ان قتيبة بن مسلم فتح خمس مدائن فقال لقد غنيت خمسة أصوات هن أشد من فتح المدائن التى فتحها قتيبة بن مسلم والاصوات

ودع هريرة ان الركب مرتحل ● وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وقوله

هريرة ودعها وان لام لائم ● غداة غد أم أنت للبين واجم

وقوله

رأيت عرابة الاوسى يسمو ● الى الخيرات منقطع القرين

وقوله

ودع أبانة قبل ان تترحلا ● واسأل فان قليلة ان تسألا

وقوله

لعمرى لئن شطت بعتمة دارها ● لقد كنت من خوف الفراق أليح

اما قوله ودع هريرة ان الركب مرتحل وقوله هريرة ودعها وان لام لائم فللاعشى يعاتب فيهما يزيد بن مسهر الشيبانى بقول

أبلغ يزيد بنى شيبان مألكة ● أبا ثبيت اما تنفك تأكل

ألست منتهيا عن نحت أثلتنا ● ولست ضائرها ما أطت الابل

كناطح صخرة يوما ليفلقها ● فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ويقول فى الاخرى يعاتبه أيضا

يزيد يغض الطرف دونى كأنما ● زوى بين عينيه على المحاجم

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى ● ولا تلقنى الا وأنفك راغم

فأقسم ان جد التقاطع بيننا ● لتصطفقن يوما على المآتم

وثلثى حصان تنصف ابنة عمها ● كما كان يلقى الناصفات الخوادم

اذا اتصلت قالت أبكر بن وائل ● وبكر سبتها والأنوف رواغم

فأما الشعر الثالث فللشماخ بن ضرار بن مرة بن غطفان يقوله لعرابة بن أوس بن قيظى الانصارى

رأيت عرابة الاوسى يسمو ● الى الخيرات منقطع القرين

القناعة وكيف لا يكون كذلك وأنت لو حولت ساكنى الآجام الى الفيافى وساكنى السهاء الى الجبال وساكنى الجبال الى البحار وساكنى الوبر الى المدر لأذاب قلوبهم الهم ولاتى عليهم فرط النزاع وقد قيل عمر الله البلدان بحب الأوطان وقال عبد الله بن الزبير رحمه الله تعالى ليس الناس بشئ من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم وقال معاوية فى قوم من اليمن رجعوا الى بلادهم بعد ان

اذا مارايةٌ رُفعتْ لمجدٍ ... تلقّاها عرابةُ باليمينِ

اذا بلّغتني وحملتُ رحلي ... عرابةَ فاشمَرِي بدمِ الوتينِ

والرابع لعمرو بن عبد الله بن أبي ربيعة يقوله في بعض الروايات

ودّعْ لُبابةَ قبلَ انْ تترحّلا ... واسألْ فان قليلةٌ ان تسألا

امكنْ لعمرُكَ ساعةً فتأنّها ... فعسى الذي بخلتْ به ان يبذلا

لسنا نُبالي حين نُدرِكُ حاجةً ... ان باتَ أوظلّ المطيُّ معقّلا

أنزلهم من الشام منزلا خصيبا وفرض لهم في شون العطاء يصلون أوطانهم بقطيعة أنفسهم وقال الله جل وعز ولو أنا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أواخرجوا من دياركم مافعلوه الا قليل منهم فقرن الضن بالأوطان الى الضن بمهج النفوس وليس على ظهرها انسان الا وهو معجب بعقله لا يسره ان له بجميع ماله مالغيره ولولا ذلك لماتوا كمدا ولذابوا حسدا ولكن كل انسان وان كان يرى انه

والشعر الخامس لا أعرف قائله ولم يتغنّ معبد في مدح قط الا في ثلاثة أشعار منها ماذكرنا في عرابة ومنها قول عبد الله بن قيس الرقيات في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

تقدّمتْ بي الشهباءُ نحوَ ابن جعفر ... سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

والثالث قول موسى شهوات في حوة بن عبد الله بن الزبير

حمزةُ المبتاعُ بالمال الثنا ... ويرى في بيعه ان قد غبنْ

وهو ان أعطى عطاءً كاملا ... ذا اخاه لم يكدّرْه بمنْ

ونحن ذاكرون قصص هذه الاشعار التي جرت في عقب ما وصفنا ان شاء الله تعالى قال أبو العباس كان عبد الله بن قيس الرقيات منقطعا الى مُصْعَب بن الزبير وكان كثير المدح له وكان يقاتل معه وفيه يقول

انما مُصْعَبٌ شهابٌ من الله ... تجلّتْ عن وجهه الظلماءُ

مُلكُه مُلكُ قوةٍ ليس فيه ... جبروتٌ منه ولا كبرياءُ

يتّقي الله في الامور وقد أفـ ... ـلح من كان همّهُ الاتقاءُ

قال أبو العباس وله فيه اشعار كثيرة فلما قتل مصعب كان عبد الملك على قتل عبد الله بن قيس فهرب فلحق بعبد الله بن جعفر فشفّع فيه الى عبد الملك فشفّعه في ان ترك دمه فقال ويدخل اليدَ يا أمير المؤمنين فتسمع منه فأبى فلم يزل به حتى أجابه في ذلك يقول لعبد الله بن جعفر

أتيناكَ نُثني بالذي أنتَ أهلُهُ ... عليكَ كما أثنى على الارض جارُها

تقدّمتْ بي الشهباءُ نحوَ ابن جعفرٍ ... سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

نزورُ فتىً قد يعلمُ الناسُ أنه ... تجودُ له كفٌّ قليلٌ غرارُها

فوالله لولا ان تزور ابن جعفر • لكان قليلا فى دمشق قرارها

والشعر الذى مدح به عبد الملك

عادله من كثرة الطرب • فعينه بالدموع تنسكب

كرقية نازح محلتها • لا أم دارها ولا صقب

والله ما ان صبت الى ولا • يعلم بينى وبينها نسب

الا الذى أورثت كثيرة فى • القلب وللحب سورة عجب

وفيها يقول ما نقموا من بنى أمية الا • انهم يحلمون ان غضبوا

وانهم سادة الملوك فلا • تصلح الا عليهم العرب

ان الفتى الذى أبوه أبو الـ • ـعاصى عليه الوقار والحدب

خليفة الله فى رعيته • جفت بذاك الاقلام والكتب

يعتدل التاج فوق مفرقه • على جبين كانه الذهب

حاسد فى شئ فهو يرى انه محمود فى شئ ولولا اختلاف الاسباب لتنازعوا بلدة واحدة واسما واحدا وكنية واحدة فقد صاروا كما ترى مع اختيار الاشياء المختلفة الى الأسماء القبيحة والألقاب السمجة والأسماء مبذولة والصناعات مباحة والمتاجر مطلقة ووجوه الطرق مخلاة ولكنها مطلقة فى الظاهر مقسمة فى الباطن وان كانوا لا يشعرون بالذى دبره

فقال له عبد الملك أتقول لمصعب

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

وتقول لى يعتدل التاج فوق مفرقه • على جبين كانه الذهب

واما شعر الشماخ فى عرابة فقد ذكرنى موضعه بحديثه واما الشعر فى حمزة بن عبد الله بن الزبير فانه لموسى شهوات وكان موسى قال لمعبد أقول شعرا فى حمزة وتغنى أنت به فما أعطاك من شئ فهو بيننا فقال هذا الشعر حمزة المبتاع بالمال الثنا • ويرى فى بيعه أن قد غبن

وهو ان أعطى عطاء كاملا • ذا اناء لم يكدره عن

واذا ما سنة مجحفة • برت المال كبرى بالسغن

حسرت عنه نقيا لونه • طاهر الاخلاق ما فيه درن

فأعطاه مالا فقاسمه موسى

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس قال عتبة بن غماس

إنَّ أَوْلَى بالحقِّ فى كلِّ حقٍّ • ثمَّ أحْرَى بان يكون حقيقا

مَنْ أبوه عبدُ العزيزِ بن مَرْوا • نَ ومَنْ كان جدُّه الفاروقا

رَدَّ أموالَنا علينا وكانتْ • فى ذُرَاها هى يفوت الأنُوقا

يقول هذا الشعر فى عمر بن عبد العزيز بن مروان وأمُّ عمر أمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رحمه الله والأنوقُ الرَّخَمةُ ولا يقال الانوق الا للرخمة الانثى ومن أمثال العرب هو أعزُّ من بيض الأنوق وتقول العرب لمن يَطْلُبُ الامر العسير سألتنى بيض الأنوق وذلك انها تبيض فى رؤس الجبال فلا يكاد يوجد بيضها لبعد مطلبه وعسره فان سأله محالاً قال سألتنى الأبْلَقَ العَقُوقَ وانما هو الذكر من الخيل ويقال فرس عَقُوقٌ اذا حملتْ فامتلأ بطنها فالأبْلَقُ العقوق محال ويروى ان رجلا سأل معاوية أمر الا يوجد فأعله ذلك فسأل أمرا أعسرَ ابعده فقال معاوية

طَلَبَ الأبْلَقَ العَقُوقَ فلما • لم يَنَلْهُ أراد بيضَ الانوق

وانما الابلق الذكر من الخيل يقال فرس عَقُوقٌ اذا حَمَلتْ فامتلأ بطنها فالابلق العقوق محال وقال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز

ما عَدَّ قومٌ كاجدادٍ تَعُدُّهُمُ • مَرْوانُ ذو النور والفاروقُ والحَكَمُ

أشْبَهْتَ من عُمَرَ الفاروقِ سيرتَهُ • قادَ السريرةَ وائتمَّتْ به الامم

تدعو قُرَيْشٌ وانصارُ الرسولِ له • انْ يُمْتَعوا بالحِفْضِ وما ظَلَمُوا

وفيه يقول جرير أيضا

يعود الحِلْمُ منكَ على قريشٍ • وتَفْرُجُ عنهمُ الكُرَبَ الشدادا

وقد أمِنَتْ وَحْشُهُمُ برِفْقٍ • ويُعْيِى الناسَ وَحْشُدُ ان يُصادا

(وتَبْنِى المَجْدَ يا عُمَرُ ابنَ لَيْلَى • وتَكْفِى المُمْحِلَ السنةَ الجَمادا)

وتدعو الله مجتهدا لِيَرْضَى • وتذكر فى رَعِيَّتِكَ المَعادا

(فأكْعَبُ بنُ مامةَ وابنُ سُعْدَى • بأجود منكَ يا عمرُ الجوادا)

وكان ابن سعد الازدى قد تولى صدقات الاعراب وأعطياتهم فقال جرير يشكوه الى عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه

الحكيم من ذلك ولا بالمصلحة فيه فسبحان من حبب الى واحد ان يسمى ابنه محمدا وحبب الى آخر ان يسميه شيطانا وحبب الى آخر ان يسميه عبد الله وحبب الى آخر ان يسميه حمارا لان الناس لو لم يخالف بين علمهم فى اختيار الأسماء وجاز ان يجتمعوا على شئ واحد كان فى ذلك بطلان العلامات وفساد المعاملات وأنت اذا رأيت ألوانهم وشمائلهم واختلاف

انّ عيالى لافواكه عندهم • وعند ابن سعد سكّر وزبيب

وقد كان ظنّى بابن سعد سعادة • وما الظنّ الا مخطئ ومصيب

فان ترجعوا رزقى الىّ فانه • متاع ليال والاداء قريب

تحنّى العظام الراجفات من البلى • وليس لداء الركبتين طبيب

وفيه يقول أيضا المانعى

نعى النعاة أمير المؤمنين لنا • يا خير من حجّ بيت الله واعتمرا

حملت أمرا جسيما فاضطررت له • وقمت فيه بحق الله يا عمرا

فالشمس طالعة ليست بكاسفة • تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

قوله يا عمر انّدبه أراد يا عمرا وانما الالف للندبة وحذفها والهاء تزاد فى الوقف للهاء الالف فاذا وصلت لم تزدها تقول يا عمر اذا الفضل فاذا وقفت قلت يا عمره فحذف الهاء فى القافية لاستغنائه عنها فاما قوله نجوم الليل والقمر افقيه أقاويل كلها جيد فمنها ان تنصب نجوم الليل والقمر بقوله بكاسفة يقول الشمس طالعة ليست بكاسفة نجوم الليل والقمر يقول انما تكسف النجوم والقمر بافراط ضيائها فاذا كانت من الحزن عليه قد ذهب ضياؤها ظهرت الكواكب ويقال ان الغبار يوم حليمة سدّ عين الشمس فظهرت الكواكب المتباعدة عن مطلع الشمس ويوم حليمة هو اليوم الذى سافر فيه المنذر بن المنذر بعرب العراق الى الحرث الاعرج الغسانى وهو الاكبر والحرث فى عرب الشام وهو أشهر أيام العرب ومن أمثالهم فى الامر الفاشى ما يوم حليمة بسر وفيه يقول النابغة

تخيّرن من أزمان يوم حليمة • الى اليوم قد جرّبن كلّ التجارب

وأظن قول القائل من العرب لا ريثنّ الكواكب ظهرا انما أخذ من يوم حليمة قال طرفة

ان تسوّله فقد تمنعه • وترى النجم يجرى بالظهر

وقال الفرزدق لخالد بن عبد الله القسرى

لعمرى لقد سار ابن شيبة سيرة • ارتنّ نجوم الليل مظهرة تجرى

ويجوز ان يكون نجوم الليل والقمر أراد بهما الظرف يقول تبكى الشمس عليك مدة نجوم الليل والقمر كقولك تبكى عليك الدهر والشهر وتبكى عليك الليل والنهار يا فتى ويكون تبكى عليك

صورهم وسمعت لغاتهم ونغمهم علمت ان طبائعهم وعلمهم محجوبة الباطنة على حسب أمورهم الظاهرة وبعض الناس وان كانوا مسخرين لحياكة فليس بمسخر للفسق والخيانة والاحكام والصدق والأمانة وقد يسخر الملك لقوم بأسباب قديمة وأسباب حديثة فلا يزال ذلك الملك مقصورا عليهم مادامت تلك الأسباب قائمة فليس اذا كانوا للملك مسخرين وكان الناس لهم مسخرين

الشمس النجوم كقولك بكيت زيدا على فلان لما رأيت به وقد قال فى هذا المعنى أحد المحدثين شيأ ملحا وهو أحمد أخو أنمع السلمى بقوله لنصر بن شبث العقيلى وكان أوقع بقوم من بنى تغلب بموضع يعرف بالسواجير وهو أشبه بالشعر قال

لله سيفٌ فى يدَىْ نَصْرٍ • فى حَدِّه ماءُ الردَى يَجْرِى
أَوْقَعَ نَصْرٌ بالسواجيرما • لم يُوقِعُ الجَحَّافُ بالبشر
أبكى بنى بكرٍ على تغلبٍ • وتغلبًا أبكى على بكر

ويكون تبكى عليه نجوم الليل والقمر على ان تكون الواو فى معنى مع واذا كانت كذلك فكان قبل الاسم الذى يليه أو بعده فعل انتصب لانه فى المعنى مفعولٌ وَصَلَ الفعلُ اليه فنصبه ونظير ذلك استوى الماءُ والخشبةَ لانك لم ترد استوى الماءُ واستوت الخشبةُ ولو أردت ذلك لم يكن الا الرفع ولكنَّ التقدير ساوى الماءُ الخشبةَ وكذلك مازلتُ اسيرُ والنيلَ يافتى لانك لست تخبر عن النيل بسير وانما تريد ان سيرك بجذائه ومعه فوصل الفعلُ وهذا باب يطول شرحه فان قلت عبدُ الله وزيدٌ أخواك فأنت تريد بالواو معنى مع لم يكن الا الرفع لان قبلها اسما مبتدأ فهى على موضعه وأجود التفسير بن عندنا فى قول الله عز وجل فَأَجْمِعُوا أمركم وشُرَكاءَكُمْ ان تكون الواو فى معنى مع لانك تقول اجمعتُ رأيى وأمرى وجَمَعْتُ القومَ فهذا هو الوجه وقوم ينصبونه على دخوله بالشركة مع اللام فى معنى الاول والمعنى الاستعداد بهما فيجعلونه كقول القائل

بالبَيْتِ زَوْجَكِ قد غَدَا • مُتَقَلِّدًا سيفا ورُمْحا

والرمح لا يُتَقَلَّدُ ولكن أدخله مع ما يُتَقَلَّدُ فتقديره متقلدا سيفا وحاملا رمحا ويكون تقدير الآية فاجمعوا أمركم وأعدُّوا شركاءكم والمعنى يؤول الى أمر واحد ومن ذلك قوله

• شَرَابُ ألبانٍ وتَمْرٍ وأَقِطْ • فأما ما جاء من القرآن على هذا خاصة فقوله عز وجل والله خَلَقَ كلَّ دابة من ماء فمنهم مَنْ يمشى على بطنه ومنهم مَنْ يمشى على رجلين ومنهم مَنْ يمشى على أربع فأدخل مَنْ ههنا لان الناسَ مع هذه الاشياء جُمِعَتْ على لفظ واحد ولا تكون مَنْ الا لمن يعقل اذا أفردتها وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله يشكو اليه عُمَّالَه

انَّ الذين أمرتَهم أنْ يعدلوا • نَبَذُوا كتابَكَ واستحلُّوا المَحْرَمَ

بالجبرية والفظاظة والقسوة والطول الاحتجاب والاستئثار وسوء اللقا والتضييع وقد يكون الانسان مسخرا لامر ومخيرا فى آخر ولولا الأمر والنهى لجاز التسخير فى دقيق الأمور وجليلها وخفيها وظاهرها لان بنى الانسان انما سخروا له ارادة العائدة عليهم ولم يسخروا للمعصية كما لم يسخروا للفساد وقد تستوى الأسباب فى مواضع وتتفاوت فى مواضع كل ذلك لجميع الله

وأردت أن يلي الامانة منهم • بَرُّوهيبات الأبَرُّ المسلم

طُلْسُ الثياب على منابر أرضنا • كلٌّ بنقص نصيبنا يتكلم

أنشد نيه الرياشي عن الاصمعي ونظير هذا قول ابن هَمّام السلولي

اذا نَصَبوا للقول قالوا فأحسنوا • ولكنَّ حُسْنَ القول خالفَهُ الفعلُ

وذُمُّوا الدنيا وهم يرضَعونها • أفاويقَ حتى ما يَدِرُّ لها ثُعْلُ

وقد مر تفسير هذا الشعر والأطلس الاغبر وربما اشتدت غُبْرَتُه حتى يحمّى في الغبار وانما أراد بقوله طلس الثياب انهم يُظهرون تَقَشُّفا ويكون ان يكون جعلهم بمنزلة الذئاب وهو أحسن ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولّى رجلا بلدا فوفد عليه فاذا هو مُدَّهِنٌ حسن الحال في جسمه عليه بُرْدان فقال له عمر رضي الله عنه أهكذا رأيتنا ثم عزله ودفع اليه غُنَيْمات رعاها ثم دعا به بعد مدة فرآه بالياً أشعث في ثوبين أطلسين وذُكر عند عمر بخير فرده الى عمله وقال كلوا واشربوا واذهنوا فانكم تعلمون الذي تُنهَوْن عنه ويروى عن الحسن انه قال اقرؤوا من هذه الاعواد فانهم اذا رأوها ألقَوا الحكمة لتكون عليهم حجة يوم القيامة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز يرثيه أنشدنيه الرياشي

قد غَيَّبَ الدافنون اللَّحْدَ اذ دفنوا • بدرَ السماء فُطاسَ الموازين

مَن لم يكن همُّهُ عيبا يُفجِّرُها • ولا النقيرَ ولا ركْضَ البراذين

أقول لما أتاني ثَمَّ مُهْلِكُهُ • لا يُبعِدَنَّ قوامُ الملك والدين

يقال هذا قوامُ الامر وملاكُه لا غير وتقول فلان حسن القَوام مفتوح تريد بذلك الشَّطاط لا يكون الا ذلك وقوام اذا كان اسما لم تنقلب واوه ياء من أجل الكسرة لانها متحركة الا ان يكون جمعا قد كانت الواو في واحده ساكنة فتنقلب في الجمع لان حركتها العلة تقول سوط وسياط وثوب وثياب وحَوْض وحياض فان كانت الواو في الواحد متحركة ثبتت في الجمع نحو طويل وطوال وكذلك فعال اذا كان مصدرا صح اذا صح فعله واعتَلَّ اذا اعتل فعله فما كان مصدرا لفاعَلْتُ فهو فعال صحيح نحو قاولته قوالا ولاوذته لواذا كقول الله عز وجل قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا أي مُلاوذة واذا كان مصدر فَعَلْتُ اعتَلَّ لاعتلال الفعل فقلت قُمْتُ قياما ونِمْتُ نياما

تعالى لهم مصالح الدنيا ومراشد الدين ألا ترى ان أمة قد اجتمعت على ان عيسى عليه السلام هو الله وأمة قد اجتمعت على انه ابن الله وأمة اجتمعت على ان الآلهة ثلاثة عيسى أحدها ومنهم من يتذبذب ومنهم من يتدهر ومنهم من يقول نسطوريا بعدان كان يعقوبيا ومنهم من أسلم بعد ان كان نصرانيا ولست واجد هذه الأمة مع اختلاف مذاهبها وكثرة تنقلها انتقلت مرة

ولذت لياذا وعذت عياذا وقال عوين القوافي شعرا يرثي سليمان بن عبد الملك ويذكر عمر بن عبد العزيز رحمة الله هذا ما اخترنا منه

لاح سحاب فرأينا برقه * ثم تدانى فسمعنا صعقه

وراحت الريح تزجي بلقه * ودهمه ثم تزجى ورقه

ذاك سقى ودقا فروى ودقه * قبر امرئ أعظم ربى حقه

قبر سليمان الذى من نقه * وجد الخير الذى قد بقه

فى العالمين جله ودقه * لما ابتلى الله بخير خلقه

وكادت النفس تساوى خلقه * ألقى الى خير قريش وسقه

يا عمر الخير الملقى وفقه * سميت بالفاروق فافرق فرقه

وارزق عيال المسلمين رزقه * واقصد الى الخير ولا توقه

بحرك عذب الماء ما أعقه * ربك والمحروم من لم يسقه

يقال لاح البرق اذا بدا واذا تلألأ وهذا البيت ينشد ❁ من هاجه الليلة برق الاح ❁ ويقال شرقت الشمس اذا بدت واشرقت اذا أضاءت وصفقت ويقال صاعقة وصاقعة وبنو تميم تقول صاقعة والصعق شدة الرعد يعنى به فى أكثر ذلك ما يعترى من يسمع صوت الصاعقة وقوله تزجى يقول تسوقه وتضمه والابلق من السحاب ما فيه سواد وبياض وفى الخيل كل لون يخالطه بياض فهو بلق والأورق الذى بين الخضرة والسواد وهو الأم ألوان الابل ويقال ان لحم البعير الأورق أطيب لحمان الابل والودق المطر يقال ودقت السماء يا فتى تدق ودقا قال الله جل وعز فترى الودق يخرج من خلاله وقال عامر بن جوين الطائى

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

وأصل العق القطع فى هذا الموضع وللعق مواضع كثيرة يقال عقه والديه يعقهما اذا قطعهما وعققت عن الصبى من هذا وقالوا بل هو من العقيقة وهى الشعر الذى يولد الصبى به يقال فلان بعقيقته اذا كان بشعر الصبا لم يحلقه ويقال سيف كأنه عقيقة أى كأنه لمعة برق يقال رأيت عقيقة البرق يا فتى أى اللمعة منه فى السحاب ويقال فلان عقت نعمته ببلد كذا أى قطعت عنه فى ذلك

واختلفت مرة متعمدة أو ناسية فى يوم واحد فجعلته وهو الجمعة يوم السبت ولم تخطب فى يوم جمعة بخطبة يوم خميس ولا غلطت فى كانون الأول فجعلته كانون الآخر ولا بين الصوم والافطار لان الباب الأول فى باب الامكان وتعديل الأسباب والامتحان والباب الثانى داخل فى باب الامتناع وتسخير النفوس وطرح الامتحان وقد زعم ناس من الجهال ونفر من

الموضع قال الشاعر ألم تعلمي يادار ريا لجاء أنني • اذا أخصبت أوكان جدبا جنابها

أحب بلاد الله ما بين مشرف • الي وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها عق الشباب تميمتي • وأول أرض مس جلدي ترابها

وقوله وجحد الخير الذي قد بقه يقال بق فلان في الناس خيرا كثيرا وبق ولدا كثيرا وأبق كلاهما كثيرا وقوله ألقى الى خير قريش وسقه فهذا مثل يريد قلده أمره والوسق الحمل وقوله الملقى وقفه يقال لقى فلان خيرا أي جعل يلقاه والوسق من الكيل مقدار خمسة أقفزة بقفيز البصرة وهو قفيزان ونصف بقفيز مدينة السلام وقوله ليس في أقل من خمسة أوسق صدقة انما بلغ ذلك خمسة وعشرون قفيزا بقفيز البصري والوفق التوفيق وقوله سميت بالفاروق فتأويل الفاروق هو الذي يفرق بين الحق والباطل وكذلك قال المفسرون في الفرقان وقد أبان ذلك بقوله فافرق فرقه وقوله وارزق عيال المسلمين رزقه يقال رزقه يرزقه رزقا والاسم الرزق وقوله يحرك عذب الماء ما أعقه مقلوب انما هو ما أقعه ربد يقال ماء قعاع وماء حران فالقعاع الشديد الملوحة يقول ما أملحه ربد والحران الذي يحرق كل شئ بملوحته والماء العذب يقال له النقاخ وما دون ذلك شيأ يقال له المسوس أنشد أبو عبيدة

لو كنت ماء كنت لا • عذب المذاق ولا مسوسا

يقال ماء عذب وماء فرات وهو أعذب العذب ويقال ماء ملح ولا يقال ماء ملح وسمعت ملوح وملياح ولا يقال مالح وأشد الماء ملوحة الأجاج قال الفرزدق

ولو أسقيتهم عسلا مصفى • بماء النيل أو ماء الفرات

لقالوا انه ملح أجاج • أراد به لنا أحدى الهنات

وقوله ذاك سقى ودقا فروى ودقه يقال فيه قولان أحدهما فروى الغيم ودقه هذا القبر يريد من ودقه فلما حذف حرف الجر عمل الفعل والآخر كقولك روينت زيدا ماء وروى أكثر من أروى لان روى لا يكون الا مرة بعد مرة يقول فروى الله ودقه أي جعله روا فأضمر العلم المخاطب لأن قوله لاح صحاب انما معناه ألاحه الله فالفاعل كالمذكور لان المعنى عليه ونظيره قوله جل وعز انى أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ولم يذكر الشمس وكذلك ما ترك على ظهرها

الشكاك ممن يزعم ان الشك واجب في كل شئ الا في العيان ان أهل المنصورة وافوا مصلاهم يوم خميس على انه يوم الجمعة في زمن منصوري وان أهل البصرين جلسوا عن مصلاهم يوم الجمعة على انه يوم خميس في زمن أبي جعفر فبعث اليهم وقومهم وهذا لا يجوز ولا يمكن في أهل الامصار ولا في العدد الكثير من أهل القرى لان الناس من بين صانع لا يأخذ أجرته ولا راحة

من دابة ولم يذكر الارض وقال قوم وَدْقَهُ يريد وَدْقَةً واحدة وهذا ردى في المعنى ليس بمبالغ قال ابن الموصلي

لَعَمْرِي لئن حُلْتُ عن مَنْهَلِ الصبا • لقد كنتُ وَرَّادًا لمَنْهَلِهِ العَذْبِ

لَيالَيَ أمشي بين بُرْدَيَّ لاهِيًا • أميسُ كغُصْنِ البانةِ الناعمِ الرَّطْبِ

سلامٌ على سيرِ القلاصِ مع الرَّكْبِ • ووَصْلِ الغَوانِي والمُدامةِ والشَّرْبِ

سلامُ امرئٍ لم تَبْقَ منه بَقِيَّةٌ • سوى نظرِ العينين أو شَهْوةِ القلبِ

قوله والشرب يريد جمع شارب يقال شاربٌ وشَرْبٌ وراكب ورَكْبٌ وتاجر وتَجْرٌ وزائر وزَوْرٌ قال الطِّرِمَّاحُ

حَبَّ بالزَّوْرِ الذي لا يُرَى • منه الا صَفْحةٌ عن لِمام

وهذا باب متصل كثير قال العَجّاجُ

بواسطِ أكْرُمِ دارِ دارا • واللهُ سَمَّى نَصْرَكَ الأنصارا

يريد أنصارَكَ فأخرجه على ناصر ونَصْر وقوله سلام امرئ على البدل من قوله سلام على سير القلاص وان شئت نصبتَ بفعل مضمر كأنك قلت أُسَلِّمُ سلامَ امرئ لانك ذكرتَ سلاما أولا ومثل ذلك له صوتٌ صوتَ حمار لانك لما قلت له صوت دللت على أنه يصوّت كأنك قلت يصوّتُ صوتَ حمار وكذلك له حَنِينٌ حَنِينَ ثَكْلَى وله صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْوِ بالمَسَدِ أي يصرف صريفا فما كان من هذا نكرة فنصبه على وجهين على المصدر وتقديره يَصْرِفُ صريفا مثل صريف جَمَلٍ وان شئتَ جعلته حالا وتقديره يخرجه في هذه الحال وما كان معرفة لم يكن حالا ولكن على المصدر فان كان الاول في غير معنى الفعل لم يكن النصب البتّةَ ولم يصلح الا الرفع على البدل تقول له رأسُ رأسُ ثور وله كفٌّ كفُّ أسدٍ فالمرتفع الثاني اذا كان نكرة كان بدلا أو نعتا واذا كان معرفة كان بدلا ولم يكن نعتا لان النكرة لا تَنْعَتُ بالمعرفة وكذلك اذا كان الاول ابتداء لم يجز الا الرفع لان الكلام غير مُسْتَغْنٍ وانما يجوز الاضمار بعد الاستغناء تقول صوتُهُ صُوتُ الحمار وغِناؤُهُ غناءُ المُجيدين وكذلك ان خَبَّرْتَ بأمرٍ مستقرٍّ فيه اختير الرفعُ تقول له عِلْمُ عِلْمِ الفقهاء وله رأيُ رأيِ القضاة لانك انما قصدته بان هذا قد استقر له وليس الابلغُ في مدحه ان تخبر بانك رأيته في حال تَعَلُّمٍ ويجوز النصب على انك رأيته في حال تَعَلُّمٍ فاستدللتَ بذلك على علمه فهذا يَصْلُحُ والاجودُ الرفع فاذا قلت له صوتُ صوتَ حمار فانما خَبَّرْتَ أنه يُصَوِّتُ فهذا سوّى ذلك المعنى ومما يُخْتارُ فيه الرفعُ

له دون الجمعة وبين نجار قد اعتادوا الدعة في الجمع والجلوس عن الاسواق ومن معلم كتاب لا يصرف غلمانه الا في الجمع وبين معنى بالجمع يتلاقى هناك مع المعارف والاخوان والجلساء وبين معنى بالجمع حرصا على الصلاة ورغبة في الثواب ومن رجل عليه موعد ينتظره ومن صيرفي يصرف ذلك اليوم سفاتجه وكتب أصحابه ومن جندي فهو يعرف بذلك نوبته وبعض

قولك عليه نوح نَوْحَ الحمام وانما اختير الرفع لان الهاء فى عليه اسم المفعول له والهاء فى له اسم الفاعل ويجوز النصب على انك اذا قلت عليه نوح دل النوح على أن معه ناحوا فكانك قلت ينوحون نوح الحمام فهذا تفسير جميع هذه الابواب وقال ابن الخَيَّاط المَدِينِيُّ يعنى مالك بن أنس

يأبى الجواب فما يراجع هيبة ● والسائلون نواكس الاذقان

هَدْيُ التقى وعِزُّ سلطان النهى ● فهو العزيز وليس ذا سلطان

أراد له هدى التقى أو معه هدى التقى

كالسؤال والمساكين والقصاص الذين يعدون أعناقهم للجمعة انتظارا للصدقة والفائدة فى أمور كثيرة وأسباب مشهورة ولو جاز ذلك فى أهل البصرة والمنصورة لجاز ذلك على أهل البصرة والكوفة ولو جاز ذلك فى الايام لكان فى الشهور أجوز ولو جاز ذلك فى الشهور لكان فى السنين أجوز ولو جاز ذلك فساد الحج والصوم والصلاة والزكاة والاعياد ولو كان ذلك جائزا لجاز

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس نذكر فى هذا الباب من كل شئ شيأ لتكون فيه استراحة للقارئ وانتقال يَنْفِى المَلَلَ لحسن مَوْقع الاستطراف وتَخَلُّط ما فيه من الجد بشئ يسير من الهزل ليستريح اليه القلب وتسكن اليه النفس قال أبو الدرداء رحمه الله انى لأَسْتَجِمُّ نفسى بالشئ من الباطل ليكون أقوى لها على الحق وقال على بن أبى طالب رحمه الله القلب اذا أُكْرِهَ عَمِيَ وقال ابن مسعود رحمه الله القلوب تَمَلُّ كما تَمَلُّ الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة وقال ابن عباس رضى الله عنه العلم أكثر من أن يُوفَى على آخره فخذ من كل شئ أحسنه وليس هذا الحديث من الباب الذى ذكرنا ولكن نذكر الشئ بالشئ اما لاجتماعهما فى لفظ واما لاشتراكهما فى معنى وقال الحبيس ليس من هذا الباب حادثوا هذه القلوب فانها تسأم كما تسأم الابدان وافدعوا هذه الانفس فانها طُلَعَةٌ وانكم ان لا تَرْفُقُوا بها تَنْزِع بكم الى شر غاية وقد مضى تفسير هذا الكلام وقال أَرْدَشِيرُ بن بابك ان للاذان مُحَبَّة وللقلوب مَلَالًا فَفَرِّقُوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماما وكان أنشر وان يقول القلوب تحتاج الى أقواتها من الحكمة كاحتياج الابدان الى أقواتها من الغذاء ويروى انه أُصيب فى حكمة آل داود لا ينبغى للعاقل ان يُخلى نفسه من واحدة من أربع من عُدَّة لمعاد أو اصلاح لمعاش أو فكر يَقِفُ به على ما يُصْلِحُه مما يفسده أو لذة فى غير مُحَرَّم يستعين بها على الحالات الثلاث وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لابيه يوما يا أبت انك تنام نوم القائلة وذو الحاجة على بابك غير نائم وقال له يا بُنَىَّ ان نفسى مَطِيَّتى فان حملتُ عليها فى التَّعَب حَسَرْتُها تأويل قوله حسرتها بَلَغْتُ بها أقصى غاية الاعياء قال الله جل وعز ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وأنشد أبو عبيدة

ان العسير بها داءٌ مُخامِرُها • فشَطْرَها نظرُ العينين مَحْسورُ

قوله فشطرها يريد قصدها ونحوها قال الله جل وعز فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجد الحرام قال الشاعر

لَهُنَّ الوَجا لمّا كُنَّ عَوْناً على النَّوى • ولا زالَ منها ظالعٌ وحَسِيرُ

يعني الابل يقول هي المفرّقة كما قال الآخر

ما فرَّقَ الأُلّافَ بعدَ الله الّا الابلُ • ولا اذا صاحَ غرابٌ البَيْنِ الا ناقةٌ أو جَمَلُ

(قال أبو الحسن وزاد في فيه غيرُ أبي العباس

والناسُ يلحَوْنَ غُرابَ البَيْنِ لما جَهِلوا • والبائسُ المسكينُ ما تُطْوَى عليه الرِحَلُ

(ويقال انه لابي الشيص) قال أبو العباس من قال آلافٌ للواحد قال للجميع آلافٌ كعامل وعُمّال وشارب وشُرّاب ومن قال أُلُفٌ قال للجميع آلافٌ وتقديره عِدْلٌ وأعْدال وحِمْلٌ وأحمال ونَقْلٌ وانقال وقد أنصفَ الابلَ الذي يقول

ألا فَرَعَى اللهُ الرَواحِلَ انها • مَطايا قلوبِ العاشقينَ الرواحلُ

على انهنَّ الواصلاتُ عُرى النَوى • اذا ما رأى بالآلفين التَواصُلُ

وقال الآخر أقول والهَوجا تَمْشي والفُضُلُ • قَطَّعْتُ الاحْداجَ أعناقَ الابلِ

الهوجاء التي تجدّ في السير وتَرْكَبُ رأسَها كأنّ بها هَوَجاً كما قال * لله دَرُّ اليَعْمَلاتِ الهُوجِ *

وكما قال الاعشى وفيها اذا ما هَجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ • اذا خلتْ حِرْباءَ الوَدِيقةِ أصْيَدا

والفضل مشيةٌ فيها اختيال كأنّ مشيتها تخرج عن خطامها فتَفْضُلُ عليه والاصل في ذلك ان يمشي الرجل وقد أفضلَ من ازاره وتمشي المرأة وقد أفضلتْ من ذَيْلها وانما يفعل ذلك من الخُيَلاء ولذلك جاء في الحديث فَضْلُ الازار في النار وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأبي تَميمةَ الهُجَيْمي وأبالَكَ والخيلةَ فقال يا رسول الله نحن قومٌ عَرَبٌ فما الخيلةُ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبْلُ الازار وقال الشاعر (ويقال انه لقَيْس ابن الخَطيم)

ولا يَنْسِيَنّي الحَدْثانُ عِرْضي • ولا أُرخي من المَرَح الازارا

يتفق الشعراء على قصيدة واحدة والخطباء على خطبة واحدة والكتاب على رسالة واحدة بل جميع الناس على لفظة واحدة وانما تزلت لك حالات الناس وخبرتك عن طبائعهم وفسرت لك عللهم لتعلم ان العدد الكثير لا يتفقون على تحرص الخبر الواحد في المعنى الواحد في الزمن الواحد على غير التشاعر فيكون باطلا وسأبين لك موضع اختلافهم واتفاقهم وانه لم يخالف بينهم في

وقال أبو قيس بن الأسلت الانصارى

تَمْشِى الهُوَيْنَا اذا مَشَتْ فُضُلاَ ٭ كأنها عودُ بانةٍ قَصِفُ

(قال أبو الحسن على بن سليمان ما نعرف هذا البيت الا لقيس بن الخطيم الانصارى أعنى تمشى الهوينا) وقال أبو العباس وقال الوليد بن يزيد

أنا الوليدُ الامامُ مُفْتَخِرًا ٭ أُنْمِى بالى وأتبعُ العَزَلا

أنقُلُ رِجْلى الى مجالسها ٭ ولا أبالى مقال مَنْ عَذَلا

غَرَّاءُ فَرْعاءُ يُسْتضاءُ بها ٭ تمشى الهُوَيْنا اذا مشت فُضُلاَ

ثم نعود الى الباب قال الراجز يعنى ابلاً أو ناقته

انَّ لها لَسَاقَا خَدَلَّجَا ٭ لم يُدْلِجِ الليلةَ فيمن أدْلَجَا

الخَدَلَّجُ المُدْمَجُ الساقين وانما عَنَى المرأة التى ساقه حبسه اليها والكلام يجرى على ضروب فمنه ما يكون فى الاصل لنفسه ومنه ما يكنى عنه بغيره ومنه ما يقع مَثَلاً فيكون أبلغَ فى الوصف والكنايةُ تقع على ثلاثة أضرب أحدها التعميةُ والتغطيةُ كقول النابغة الجعدى

أكنى بغير اسمها وقد عَلِمَ الله خَفِيَّاتِ كلِّ مُكْتَتِمِ

وقال ذو الرمة استراحة الى التصريح من الكناية

أحبُّ المكانَ القَفْرَ من أجل أننى ٭ به أتغنَّى باسمها غيرَ مُعْجَمِ

وقال أحد القرشيين هو محمد بن عُمَيْر الثقفى

وقد أرسلتْ فى السِّرِّ أن قد فَضَحْتنى ٭ وقد بُحْتَ باسمى فى النسيب وما تكنى

ويروى ان عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة قال شعرا وكتب به بحضرة ابن أبى عتيق الى امرأة محرمة وهو

أمَّا بذات الخال فاستَطْلعالنا ٭ على العَهْد باقى وُدِّها أم تصرَّما

وقولا لها انَّ النوى أجنبيةٌ ٭ بنا ربكم قد خفتُ ان تتيمما

قال فقال له ابن أبى عتيق ماذا تريد الى امرأة مسلمة محرمة تكتب اليها بمثل هذا الشعر قال فلما كان بعد مُدَيْدَة قال له ابن أبى ربيعة أما علمتَ أن الجواب جاء نا من عند ذلك الانسان فقال له ما هو فقال كتبتْ أضحى قريضُك بالهوى غَمَّاما ٭ فاقصد هُديتَ وكُنْ له كتَّاما

واعلم

بعض الوجوه الآرها صا لمصلحتهم ولتصح أخبارهم ألا ترى ان أحدا لم يبع قط سلعة بدرهم الا وهو يرى ان ذلك الدرهم خير له من سلعته ولم يشتر أحد قط سلعة بدرهم الا وهو يرى ان تلك السلعة خير له من درهمه ولو كان صاحب السلعة يرى فى سلعته ما يرى فيها صاحب الدرهم لكان صاحب الدرهم يرى فى الدرهم ما يرى فيه صاحب السلعة ما اتفق بينهما شراء أبدا ولا بيع أبدا وفى هذا

واعلم بان الحال حين ذكرته • قعد العدو به عليك وقاما

ويكون من الكناية وذلك أحسنها الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش الى مايدل على معناه من غيره قال الله وله المثل الاعلى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم وقال أو لامستم النساء والملامسة في قول أهل المدينة مالك وأصحابه غير كناية انما هو اللمس بعينه يقولون في الرجل يقع يده على امرأته أو على جاريته بشهوة ان وضوءه قد انتقض وكذلك قولهم في قضاء الحاجة جاء فلان من الغائط وانما الغائط الوادي وكذلك المرأة قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي

فكم من غائط من دون سلمى • قليل الانس ليس به كنيع

وقال الله جل وعز في المسيح بن مريم وأمه صلى الله عليهما كانا يأكلان الطعام وانما هو كناية عن قضاء الحاجة وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا وانما هي كناية عن الفروج وهذا كثير والضرب الثالث من الكناية التفخيم والتعظيم ومنه اشتقت الكنية وهو ان يعظم الرجل ان يدعي باسمه ووقعت في الكلام على ضربين وقعت في الصبي على جهة التفاؤل بان يكون له ولد ويدعى بولده كناية عن اسمه وفي الكبير ان ينادى باسم ولده صيانة لاسمه وانما يقال كني عن كذا بكذا اي ترك كذا الى كذا البعض ماذكرنا وكان خالد بن عبد الله القسري لعنه الله يلعن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه ورضوانه على المنبر فيقول فعل الله على علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة وأبي الحسن والحسين ثم يقبل على الناس فيقول أكنيت فهذا تأويل هذا قال أبو العباس ونرجع الى الباب الذي قصدناه قال اعرابي

وحقة مسك من نساء لبستها • شبابي وكاس باكرتني شمولها

جديدة سربال الشباب كانها • اباءة برد سقتها غيولها

محملة باللحم من دون خصرها • تطول القصار والطوال تطولها

قوله باكرتني شمولها زعم الاصمعي ان الخمر انما سميت شمولا لان لها عصفة كعصفة الريح الشمال وقوله اباءة قفر دي الاباءة القصبة وجمعها الاباء قال كعب بن مالك الانصاري

من سره ضرب يعجل بعضه • بعضا كمعمعة الاباء المحرق

جميع المفسدة وغاية الهلكة فسبحان الذي حبب الينا ما في أيدي غيرنا وحبب الى غيرنا ما في أيدينا ليقع التبايع واذا وقع التبايع وقع التزاوج واذا وقع التزاوج وقع التعايش وبذلك أيضا على اختلاف طبائعهم وأسبابهم انك تجد الجماعة وبين أيديهم الفاكهة والرطب فلا تجد بين تلتقيان على رطبة بعينها وكل واحد من الجميع يرى ما حواه الطبق غير ان شهوته

المعمعة صوت احتراقه يقال سمعت معمعة القصب والقوصرة في النار أي صوت احتراقها وانما شبه المرأة بالبردية والقصبة لنقاء اللون المستتر منها وماوالاه ورقته قال حميد بن ثور الهلالي

لم أنس عمرة بعد اذ هي ناشئ ٭ خرجت معطفة عليها مئزر

(العطاف الوشاح من النساء)

برزت عقيلة أربع هادينها ٭ بيض الوجوه كأنهن المعقر

(المعقر أصول القصب يقال عقر وعقر) وفي هذا الشعر

ذهبت بعقلك ربطة مطوية ٭ وهي التي تهدي بها لو تنشر

(قال أبو الحسن أنشدنيه ثعلب في قوله لو تنشر تشعر)

فهممت أن أغشى اليها مخجرا ٭ ولمثلها يغشى اليه المخجر

وقوله سقتها غيولها الغيل ههنا الأجمة ومن هذا قولهم أسد غيل قال طرفة

أسد غيل فاذا ما شربوا ٭ وهبوا كل أمون وطمر

وقد أملينا جميع ما في الغيل والغيل وقوله تطول القصار والطوال تطولها طال يكون على ضربين أحدهما تقديره فعل وهو ما يقع في نفسه انتقالا لا يتعدى الى مفعول نحو ما كان كريما فكرم وما كان وضيعا ولقد وضع وما كان شريفا ولقد شرف وكان الشيء صغيرا فكبر وكذلك كان قصيرا فطال وأصله طول وقد أخبرنا بقصة الياء والواو اذا انفتح ما قبلهما وهما متحركتان وعلى ذلك يقال في الفاعل فعيل نحو شريف وكريم وطويل فاذا قلت طاولني فطلته أي فعلته طولا فتقديره فعل نحو خاصمني فخصمته وضاربني فضربته وفاعله طائل كقولك ضارب وخاصم وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الربعة واذا مشى مع الطوال طالهم وقال رياح ابن سنبح الزنجي مولى بني ناجية وكان فصيحا يجيب جريرا لما قال جرير

لا تطلبن خولة في تغلب ٭ فالزنج أكرم منهم اخوالا

فتحرك رياح فذكر أكثر من ولدته الزنج من اشراف العرب في قصيدة مشهورة معروفة يقول فيها

والزنج لولا قينهم في صفهم ٭ لاقيت ثم حجاجحا أبطالا

ما بال كلب بني كليب سبهم ٭ ان لم يوازن حاجبا وعقالا

وقعت على واحدة غير التي أمرها صاحبه ولربما سبق الرجل الى الواحدة وقد كان صاحبه يريدها في نفسه غير ان ذلك لا يكون الا في الفرط ولو كانت شهواتهم ودواعيهم تتفق على واحدة بعينها لكان في ذلك التمانع والتجاذب والمبادرة وسوء المحالطة والمؤاكلة وكذلك هو في شهوة النساء والاماء والمراكب والكسى وهذا كثير والعلم به قليل وبأقل مما قلنا يعرف العاقل صواب

ان الفرزدقَ صخرةٌ عاديّةٌ • طالتْ فليس تنالها الاجبالا

يريد طالت الاجبالَ فليس تنالها ثم نعود الى ذكر الباب وقال مَرْوانُ بن أبي حَفْصةَ وهو مروان ابن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة واسم أبي حفصة يَزيدُ

انَّ الغَوانيَ طالما قَتَلْنَنا • بعُيونهنَّ ولا يَدِينَ قَتيلا

من كلِّ آنسةٍ كانَّ حِجالَها • ضُمِّنَّ أحْوَرَ في الكِناسِ كَحيلا

أرْدَينَ عُرْوةَ والمُرَقِّشَ قبلَه • كلٌّ أُصيبَ وما أطاقَ ذُهولا

ولقد تَرَكْنَ أباذُؤَيْبٍ هائما • ولقد تَبَلْنَ كُثَيِّرًا وجَميلا

وتَرَكْنَ لابنِ أبي رَبيعةَ مَنْطِقًا • فيهنَّ أصبحَ سائرًا مجهولا

الا أكُنْ مِمَّن قَتَلْنَ فانَّني • مِمَّن تَرَكْنَ فُؤادَهُ مَخْبولا

قوله ولا يدين قتيلا يقال وَدَى يَدِي وكل ما كان من فَعَلَ مما فاؤه واو ومضارعه يَفْعِلُ فالواو ساقطة منه لوقوعها بين ياء وكسرة وكذلك ما كان منه على فَعِلَ يَفْعَلُ لان العلة في سقوط الواو كسرة العين بعدها وقد مضى تفسير هذا ولكن في يدين علة أخرى وهي ان الياء التي هي لام الفعل بعد كسرة فهي تَعْتَلُّ اعتلال آخر يَرْمِي وأوله يعتل اعتلال واو يَعِدُ واجْتَمَلَ علتين لان بينهما حاجزا ومثل ذلك وَعَى يَعِي ووَفَى يَفِي ووَفَى بَنِي ووَشَى يَشِي ووَنَى في أمره يَنِي وما أشبهه ذلك ويقع في فَعَلَ نحو وَلِيَ الامرَ الآن يَلِي فاذا أمرتَ كان الفعل على حرف واحد في الوصل لاتصاله بما بعده تقول يا زَيْدُ عِ كلامَ وشٍ ثوبا وتقول لِ عمرًا يا زيدُ من وَلِيتُ فاذا وقفتَ قلتَ له وشْهْ وقفْ لا يكون الا ذلك لان الواو تسقط فتبتدئ بمتحرك فلا يحتاج الى ألف وصل فاذا وقفتَ احتجتَ الى ساكن تَقِفُ عليه فأدخلتَ الهاء لبيان الحركة في الاول ولم يجز الا ذلك ومن قال لك الفظ لي بحرف واحد غير موصول فقد سألك محالا لانك لا تبتدئ الا بمتحرك ولا تقف الا على ساكن فقد قال لك الفظ لي بساكن متحرك في حال وقوله ضُمِّنَ يقول ضُمِّنَ القبرُ زيدًا وضُمِّنَ القبرَ زيدٌ كل صحيح فمن قال ضُمِّنَ القبرُ زيدًا فانما أراد جُعِلَ القبرُ ضَمِينَ زيد ومن قال ضُمِّنَ زيدٌ القبرَ فانما أراد جُعِلَ زيد في ضِمْنِ القبر ويُنْشَدُ هذا البيت على وجهين (لأبي حَيَّةَ النُمَيْرِيّ)

وما غائبٌ مَن غابَ يُرْجَى إيابُهُ • ولكنَّهُ مَن ضُمِّنَ اللَحْدَ غائبُ

مذهبنا والله تعالى نسأل التوفيق وهو الذي خالف بين طبائعهم وأسبابهم حتى لا يتفق على تخرص خبر واحد لان في اتفاق طبائعهم وأسبابهم في جهة الاخبار فساد أمورهم وقلة فوائدهم واعتبارهم وفي فساد أخبارهم فساد صنائعهم والعلم بما غاب عن أبصارهم وبطلان المعرفة بأنبيائهم ورسلهم عليهم السلام ووعدهم ووعيدهم وأمرهم ونهيهم وزجرهم ورغبتهم

ومن روى مَنْ ضُمِّنَ الحدُ فغائبٌ يريد من ضُمِّنَهُ الحدُ وحذفَ الهاءَ من صلة مَنْ وهذا من الواضح الذى لا يحتاج الى تفسير وقوله أحورَ يعنى ظَبْيًا وأهلُ الغريب يذهبون الى أن الحَوَرَ فى العين شدةُ سوادِ سوادِها وشدةُ بياضِ بياضِها والذى عليه العرب انما هو نقاء البياض فعند ذلك يتضح السواد وقد فسرنا الحَوَرَ والحَوارِىَّ والكِناسَ حيث تَكْنِسُ البقرةُ والظَبيةُ وهو أن تختفى النجرة العادِيَّة كالبيت تأوى اليه وتَبْعُرُ فيه فيقال ان رائحته أطيب رائحة اطيب ما تَرْتَعِى قال ذو الرمة

اذا استَهَلَّتْ عليه غَيْبَةٌ أَرِجَتْ ... مَرَابِضُ العِينِ حتى يأرجَ الحُشُبُ

كأنه بيتُ عَطّارٍ يُضَمِّنُهُ ... لَطائمُ المِسْكِ يحويها وتُنْتَهَبُ

قوله غيبة هى الدُفْعَةُ من المطر وعند ذلك تفوح الرائحة والأَرِجُ تَوَهُّجُ الريح وانما يستعمل فى الريح الطيبة والعِينُ جمع عَيْناءَ يعنى البقرة الوحشية وبها شُبِّهَتِ المرأة فقيل حورُ عِينٌ واللطيمةُ الابل التى تحمل العطر والبز لا تكون لغير ذلك فيقول ضُمِّنَ ظَبْيًا أحورَ العين أكحلَ وجعل الجمالَ كالكِناس وقال ابن عباس فى قول الله جل وعز فلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ الجوارِ الكُنَّسِ قال أُقْسِمُ ببقر الوحش لانها تَخْنِسُ الأنوف والكُنَّسُ التى تَلْزَمُ الكِناس وقال غيره أُقْسِمُ بالنجوم التى تجرى بالليل وتَخْنِسُ بالنهار وهو الاكثر وقوله أَرْدَيْنَ يقول أَهْلَكْنَ والرَدَى الهلاكُ والموت من ذا والذهول الانصراف يقال ذَهَلَ عن كذا وكذا اذا انصرف عنه الى غيره (قال الله عز وجل يوم تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كلُّ مُرْضِعَةٍ عما أَرْضَعَتْ أى تَسْلَى وتَنْسَى عنه الى غيره) قال كُثَيِّرٌ

صَحَا قَلْبُهُ يا عَزُّ أو كاد يَذْهَلُ ... وأَضْحَى يريد الصَرْمَ أو يَتَبَدَّلُ

وقوله ولقد تَبَلْنَ كُثَيِّرًا وجَمِيلًا أصل التَبْلِ الترةُ يقال تَبَلَى عند فلان قال حَسَّانُ بن ثابت

تَبَلَتْ فُؤادَكَ فى المنامِ خُرَيدةٌ ... تَسْقِى الضَجِيعَ ببارِدٍ بَسَّامِ

والخُرَيدةُ الحَيِّيَّةُ وقوله ممن ترکن فؤاده مخبولا يريد الخَبَلَ وهو الجنون ولو قال مَخْبُولًا لكان حسنا يريد مصيدا واقعا فى الحبالة كما قال الاعشى

فَكُلُّنَا هائمٌ فى أثرِ صاحبِه ... دانٍ وناءٍ ومَخْبُولٌ ومُحْتَبِلُ

وخُبِّرْتُ أن رجلا جافيا عَشِقَ قَيْنَةً حَضَرِيَّةً فكلمها يوما على ظَهْرِ الطريق فلم تكلمه فظن أن ذلك حياء منها فقال يا خُرَيدةُ قد كنتُ أَحْسِبُنِى عَرِيًّا فاليومَ قد وتَشَنَّيْتُ فقالت يا ابن الخبيثة

وحدودهم وفصاصهم الذى هو حياتهم والذى يعدل طبائعهم ويسوى أخلاقهم ويقوى أسبابهم والذى به يتمانعون من توائب السباع وقلة احتراس البهائم واضاعة الاعمار وبه تكثر خواطرهم وتفكيرهم ويحسن معرفتهم ولم نقل ان العدد الكثير لا يجتمعون على الخبر الباطل كالتكذيب والتصديق ونحن قد نجد اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة والدهرية وعباد المبدرة

أتجمشني بالهمز الخريدة الحيية والعروب الحسنة التبعل وفسر في القرآن على ذلك في قول عربا أترابا فقيل هن المحبات لازواجهن قال أوس بن حجر (ويقال عبيد بن الأبرص

وقد لهوت بمثل الرئم آنسة ٭ تصبي الحليم عروب غير مكلاح

وذكر الليثي أن رجلا أحب جارية ولم يكن يحسن مما يتوصل به الى النساء شيأ الا أنه كان يحفظ القرآن فكان يتوصل اليها بالآية بعد الآية فكان ان وعدته فاخلفته تحين وقت مرورها فقال يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون وان خرجت خرجة ولم يعلم بها فينتظر تحينها في أخرى فتلا ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وان وشى به اليها واش كتب اليها يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ٭ وذكروا أن أبا القماقم من بحر السقاء عشق جارية مدينية فبعث اليها ان اخوانك زارونى فابعثى الى برؤس حتى نأكلها ونصطبح على ذكرك ففعلت فلما كان اليوم الثاني بعث اليها ان القوم مقيمون لم نفترق فابعثى الى بقلية جزورية وبقرية قديدة حتى نتغدأها ونصطبح على ذكرك فلما كان في اليوم الثالث بعث اليها انا لم نفترق فابعثى الى بسنبوسد حتى نصطبح اليوم على ذكرك فقالت لرسوله انى رأيت الحب يحل في القلب ويفيض الى الكبد والاحشاء وان حب صاحبنا هذا ليس يجاوز المعدة وخبرت أن أبا العتاهية كان قد استأذن في أن يطلق له أن يهدى الى أمير المؤمنين المهدى في النيروز والمهرجان فأهدى في أحدهما برنية فضمنها فيها ثوب ناعم مطيب قد كتب في حواشيه

نفسي بشيء من الدنيا معلقة ٭ الله والقائم المهدي يكفيها

اني لأيأس منها ثم يطمعني ٭ فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهم بدفع عتبة اليه فجزعت وقالت يا أمير المؤمنين حرمني وخدمني أتدفعني الى رجل قبيح المنظر بائع جرار ومكتسب بالعشق فأعفاها وقال املؤا هذه البرنية مالا فقال الكتاب أمر لي بدنانير فقالوا ما ندفع ذلك ولكن اذا شئت أعطيناك دراهم الى أن يفصح بما أراد فاختلف في ذلك حولا فقالت عتبة لو كان عاشقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول في التمييز بين الدراهم والدنانير وقد أعرض عن ذكري صفحا ودعت أبا الحرث جمازا واحدة كان يحبها فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام فلما طال ذلك به قال جعلني الله فداك لا أسمع للغداء ذكرا قالت أما تسقى أما في وجهي ما يشغلك

يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم وينكرون آياته وأعلامه ويقولون لم يأت بشيء ولا بان بشيء وانما قلنا ان العدد الكثير لا يتفقون على نفي مثل أخبارهم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب التهامي الابطحي عليه السلام خرج بمكة ودعا الى كذا وأمر بكذا ونهى عن كذا وأباح كذا وجاء بهذا الكتاب الذي نقرؤه فوجب العمل بما فيه وانه تحدى البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه

عن ذا قال لها جعلني الله فداك لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لايأكلان شيأ لتبرق كل واحد منهما في وجه صاحبه وافترقا وأنشدت لاعرابي

وقد رابني من زهدم أن زهدما ... يشد على خبزي ويبكي على بعلي
فلو كنت عذري العلاقة لم تكن ... سمينا وأنساك الهوى كثرة الاكل

وقال أعرابي

ذكرتك ذكرة فاضطدت ضبا ... وكنت اذا ذكرتك لا أخيب

وقال ذو الرمة

ألم تعلمي يامي أنا وبيننا ... مهاو لطرف العين فيهن مطرح
ذكرتك ان مرت بنا أم شادن ... أمام المطايا تشرئب وتسنح
من المؤلفات الرمل أدماء حرة ... شعاع الضحى في لونها يتوضح
هي الشمس أعطاها وجيدا ومقلة ... وميتة أبهى بعد منها وأملح
كان البرى والعاج عجن متونه ... على عشر نهي به السيل أبطح
لئن كانت الدنيا علي كما أرى ... تباريح من ذكراك للموت أروح

وتأليفه في المواضع الكثيرة والمحافل العظيمة فلم يرم ذلك أحد ولا تكلفه ولا أتى ببعضه ولا شبيه منه ولا ادعى انه قد فعل فيكون ذلك الخبر باطلا وليس قول جمعهم انه كان كاذبا معارضة لهذا الخبر الا ان يسموا الانكار معارضة وانما المعارضة مثل الموازنة والمكابلة فتى قابلونا باخبار في وزن أخبارنا ومخرجها مخرجها فقد عارضونا وواثبونا وقابلونا وقد تكافينا وتدافعنا فاما الانكار

قوله مها وواحدتها مهاة وهو الهواء بين الشيئين ويقال لفلان في داره مطرح اذا وصفها بالسعة يقال فلان يطرح بصره كذا مرة وكذا مرة وأنشد سيبويه

نظارة حين تعلو الشمس راكبها ... طرحا بعيني لياح فيه تحديد

اللياح من البياض واللوح العطش واللوح الهواء والشادن الذي قد شدن أي تحرك وقوله تشرئب يقال اذا وقف ينظر كالمتحير قد اشرأب نحوي ويقال هو يشرح في المرعى وقوله من المؤلفات يقال آلفت المكان أولفه ايلافا ويقال ألفته ألفا وفي القرآن لايلاف قريش ايلافهم وقرئ الفهم على القصر وقوله الرمل النصب فيه أجود بالفعل ويجوز الخفض على نعت ذكره بعد الفراغ من هذا الباب ان شاء الله وأصل الهجان الابيض والعطف ما انثنى من العنق قال ثاني عطفه ويقال للاردية العطف لانها تقع على ذلك الموضع وفي الحديث ان قوما يزعمون أنهم من قريش أتوا عمر بن الخطاب رحمه الله وكان قائفا ليثبتهم في قريش فقال اخرجوا بنا الى البقيع فنظر الى أكفهم ثم قال اطرحوا العطف واحدها عطاف ثم أمرهم فأقبلوا وأدبروا ثم أقبل عليهم فقال ليست بأكف قريش ولا شمائلها فاعطاهم فهن هم منه والجيد العنق والبرى

الخلاخيل واحدتها بُرَةٌ وهي من الناقة التي تقع في مارن الانف والذي يقع في العظم يقال له الحشاش والعاج كان يتخذ مكان الأسورة قال جرير

تَرَى العَبْسَ الحَوْلِيَّ جَوْنًا بِكُوعِها ● لَهَا مَسَكًا مِن غَيْرِ عَاجٍ وَلَا ذَبْلِ

العبس ما يتعلق من الأبعار والبول باذناب الابل والوذح الذي يتعلق باطراف ألاء الشاء ويكون العبس في أذناب الابل من البول اذا خثر والجون ههنا الاسود وهو الاغلب فيه والكوع رأس الزند الذي يلي الابهام والكرسوع رأسه الذي يلي الخنصر والمسكة السوار والذبل شئ يتخذ من القرون كالاسورة ويقال سوارٌ وسُوارٌ واسْوارٌ قالت الخنساء ● كانه تحت طَيِّ البُرْدِ اسْوارُ

والعشر شجر بعينه والابطح ما انبطح من الوادي يقال أَبْطَحُ وبَطْحاء يافتى وأَبْرَقُ وبَرْقاء وأَمْعَزُ ومَعْزاء وهذا كثير والتبارح الشدائد يقال بَرَّحَ به وفي الحديث فأين أصحاب النهر قال لقوا بَرَحًا والعرب لا تعرفه الا ساكن الراء قال جرير

ما كنتُ أوَّلَ مَشْعوفٍ أضَرَّ بِهِ ● بَرْحُ الهوى وعَذابٌ غيرُ تَفْتِيرِ

(قال أبو الحسن وقد سمعناه من غير أبي العباس يقال لقيت منه بَرْحًا بالفتح ويقال لقي منه البُرَحِينَ أي الدواهي الشدائد التي تُبَرِّحُ) قال أبو العباس في المثل السائر قيل لرجل ما أخفى قال ما لم يكن وفي تفسير هذه الآية يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى قال ما حدَّثْتَ به نفسَكَ كما قال أو كنتم في أنفسكم وتقديره في العربية وأَخْفَى منه والعرب تحذف مثل هذا فيقول القائل مررت بالفيل أو أعظمَ وانه لكالبَقَّة أو أصغرُ ولو قال رأيت زيدا أو شبيها الجاز لان في الكلام دليلا ولو قال رأيتُ الجمل أو راكبا وهو يريد عليه لم يجز لانه لا دليل فيه والاول انما قَرَّبَ شيأ من شئ وههنا انما ذكر شيأ ليس من شكل ما قبله فاما قوله جل ثناؤه وهو أَهْوَنُ عليه ففيه قولان أحدهما رد والمرضي عندنا انما هو وهو عليه هَيِّنٌ لان الله جل وعز لا يكون عليه شئ أَهْوَنَ من شئ آخر وقد قال معن بن أوس

لَعَمْرُكَ ما أدري وإني لأَوْجَلُ ● على أينا تَغْدو المَنِيَّةُ أوَّلُ

أراد وإني لَوَجِلٌ وكذلك يُتَأَوَّلُ ما في الاذان الله أكبر أي الله أكبر لانه انما يُفاضَلُ بين الشيئين اذا كانا من جنس يقال هذا أكبر من هذا اذا شاكله في باب فأما الله أَجْوَدُ من فلان والله أعلم بذلك منذ فوجهه بَيِّنٌ لانه من طريق العلم والمعرفة والبَذْل والاعطاء وقوم يقولون الله

فليس بحجة كما ان الاقرار ليس بحجة ولا تصديقنا النبي صلى الله عليه وسلم حجة على غيرنا ولا تكذيب غيرنا له حجة علينا وانما الحجة في المجيء الذي لا يمكن في الباطل مثله فان قلت وأي مجيء أثبت خبرا النصارى عن عيسى ابن مريم عليه السلام وذلك انك لو سألت النصارى مجتمعين ومتفرقين لخبروك بعيني أسلافهم ان عيسى قد قال اني اله قلنا قد علمنا ان نصارى عصرنا لم

أكبر من كل شئ وليس يقع هذا على محض الرؤية لانه تبارك وتعالى ليس كمثله شئ وكذلك قول الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا ٭ بيتا دعائمه أعز وأطول

جائز أن يكون قال للذى يخاطبه من بيتك فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرى من المخاطبة والمفاخرة وجائز أن تكون دعائمه عزيزة طويلة قال الراجز

قبحتم يا آل زيد نفرا ٭ ألأم قوم أصغرا وأكبرا

يريد صغارا وكبارا فأما قول مالك بن نويرة فى ذؤاب بن ربيعة حيث قتل عتيبة بن الحرث بن شهاب وفخر بنى أسيد بذلك مع كثرة من قتلت بنو يربوع منهم

فخرت بنو أسيد بقتل واحد ٭ صدقت بنو أسيد عتيبة أفضل

فانما معناه أفضل ممن قتلوا على ذلك يدل الكلام وقد أبان ما قلنا فى بيته الثانى بقوله

فخروا بقتله ولا يوفى به ٭ منى سراتهم الذين تقتل

والقول الثانى فى الآية وهو أهون عليه عندكم لان اعادة الشئ عند الناس أهون من ابتدائه حتى يجعل شيأ من لا شئ ثم نعود الى الباب قال زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ٭ وان خالها تخفى على الناس تعلم

فهذا مثل المثل الذى ذكرناه وقال عمرو بن العاص اذا أنا أفشيت سرى الى صديق فأذاعه فهو فى حل فقيل له وكيف ذاك قال أنا كنت أحق بصيانته وقال امرؤ القيس

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه ٭ فليس على شئ سواه بخزان

وأحسن ما سمع فى هذا ما يعزى الى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقائل يقول هو له ويقول آخرون قاله مقتلا ولم يختلف فى أنه كان يكثر انشاده

فلا تفش سرك الا اليك ٭ فان لكل نصيح نصيحا

وانى رأيت غواة الرجا ٭ ل لا يتركون أديما صحيحا

وذكر العتبى أن معاوية أسر الى عثمان بن عنبسة بن أبى سفيان حديثا قال عثمان فجئت الى أبى فقلت ان أمير المؤمنين أسر الى حديثا أفأحدثك به قال لا انه من كتم حديثه كان الخيار اليه ومن أظهره كان الخيار عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد ان كنت مالكا فقلت له أو يدخل هذا بين الرجل

يكذبوا على القرن الذى كان قبلهم والذين كانوا بلونهم ولكن الدليل على ان أصل خبرهم ليس كفرعه ان عيسى عليه السلام لو قال انى اله لما أعطاه الله تعالى احياء الموتى والمشى على الماء على ان فى عيسى عليه السلام دلالة فى نفسه انه ليس بالله وانه عبد مدبر ومقهور ميسر وليس خبرهم هذا الا كاخبار النصارى عن آبائهم والقرن الذى يليهم ان بولس قد كان جاء بالآيات

وأبيه فقال لا ولكني أكره أن تذل لسانك بافشاء السر قال فرجعت الى معاوية فذكرت ذلك له فقال معاوية أعتقل أخي من رق الخطأ وقال معاوية أعنت على علي رحمه الله بأربع كنت رجلا أكتم سره وكان رجلا مظهرة وكنت في أطوع جند وأصلحه وكان في أخبث جند وأعصاه وتركته وأصحاب الجمل وقلت ان ظفروا به كانوا أهون علي منه وان ظفروا بهم اعتددت بها عليه في دينه وكنت أحب الى قريش منه فيالك من جامع الى ومفرق عنه وعون لي وعون عليه وقال أرذ شيء الداء في كل مكتوم وقال الاخطل

ان العداوة تلقاها وان قدمت ... كالعرق يكمن حينا ثم ينتشر

وقال جميل

ولا يجمع سري وسر ثالث ... الا كل سر جاوز اثنين شائع

وقال آخر وهو مسكين الدارمي

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم ... على سر بعض غير أني جماعها
يظنون في الارض القضاء وسرهم ... الى صخرة أعيا الرجال انصداعها
(لكل امرئ شعب من القلب فارغ ... وموضع نجوى لا يرام اطلاعها)

وقال آخر

سأكتم سري وأحفظ سره ... ولا غرو أني عليه كريم
حليم فينسى أو جهول يضيعه ... ولا الناس الا جاهل وحليم

وكان يقال أصبر الناس من صبر على كتمان سره ولم يبده لصديقه فيوشك أن يصير عدوا فيذيعه

وقال آخر

ولي صاحب سري الكتم عنده ... مخارين ذيران بليل تحرق
عطفت على أسراره فكسوتها ... ثيابا من الكتمان لا تتخرق
فمن تكن الاسرار تطفو بصدره ... فأسرار صدري بالاحاديث تغرق
فلا تودعن الدهر سرك أحمقا ... فانك ان أودعته منه أحمق
وحسبك في ستر الاحاديث واعظا ... من القول ما قال الاريب المروق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر أضيق

وقال كعب بن سعد الغنوي

ولست بعبد للرجال سريرتي ... وما أنا عن أسرارهم بسؤل

والعلامات وكانجلو المانوية عن القرن الذي كان بإيهم منهم أن مانى قد كان جاءهم بالآيات والعلامات وكاخبار المجوس عن آبائهم الذين كانوا يلونهم ان زرادشت قد جاءهم بالآيات والعلامات وقد علمنا ان هؤلاء النصارى لم يكذبوا على القرن الذي كان بإيهم ولا الزنادقة ولا المجوس ولكن الدليل على أبطل خبرهم ليس كفرهم لأن الله تعالى جل وعز لا يعطي العلامات من

(ولا أنا بوما للحديث سمعته • الى ههنا من ههنا بنقول)

وقد ذكرنا قول العباس بن عبد المطلب رحمه الله لابنه عبد الله ان هذا الرجل قد اختصك من دون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظ عني ثلاثا لا يجرّبن عليك كذبا ولا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده أحدا فقيل لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف دينار فقال كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف وقال بعض المحدثين

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيله • من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليله

وقال آخر (قال أبو الحسن هو أبو العباس المبرد)

ان النموم أغطي دونه خبري • وليس لي حيلة في مفتري الكذب

وقال بعض المحدثين

كتمت الهوى حتى اذا نطقت به • بوادر من دمع تسيل على خدي

وشاع الذي أضمرت من غير منطق • كأن ضمير القلب يرشح من جلدي

وقال جميل بن عبد الله بن معمر العذري

اذا جاوز الاثنين سر فانه • بنث وافشاء الحديث قمين

وتأويل قمين وحقيق وجدير وخليق واحد أي قريب من ذلك هذه حقيقته يقال قمن وقمن في معنى قال الحرث بن خالد المخزومي

من كان يسأل عنا أين منزلنا • فالأقحوانة منا منزل قمن

وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من باع دارا أو عقارا فلم يرد ثمنه في مثله فذلك مال قمن الا يبارك فيه وقال الرقاشي

اذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق • كلاما تكلمنا بأعيننا سرا

فنقضي ولم يعلم بنا كل حاجة • ولا تكشف البوى ولا نهتك الستر

وقال معاوية لعياش بن ضحار العبدي ما أقرب الاختصار قال لحظة دالة وقيل خير الكلام ما أغنى اختصاره عن اكثاره وقيل التمائم سهم قاتل وقال بعض المحدثين

لا أكتم الاسرار لكن أنمها • ولا أدع الاسرار تغلي على قلبي

لا يعرفه لان بولس ان كان عنده أن عيسى عليه السلام اله فهو لا يعرف الله تعالى بل لا يعرف الربوبية من العبودية والبشرية من الالهية ﴿فصل منه﴾ وللنصارى خاصة رياء عجيب وظاهر زهد والناس أبطأ شيء عن التصفح وأسرع شيء الى تقليد صاحب السن والسمت وظاهر العمل أعمى لهم من العلم ﴿فصل منه على ذكرهم﴾ وكل قوم بنوا على حب الاشكال وشد الرحال

وان أحقّ الناس بالعفو لامرؤ • تُقلّبُهُ الأسرارُ جنبًا الى جنبِ

وقال آخر

• وامنعْ جارتي من كل خيرٍ • وامشي بالهميمة بين صحبي

ويقال للنمام القتّات وفي الحديث لا يُراح القتّاتُ رائحةَ الجنة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لعنَ اللهُ المُثلّثَ فقيل يا رسول الله ومَنِ المُثلّثُ فقال الذي يَسْعَى بصاحبه الى سُلطانه فيُهلكُ نفسه وصاحبه وسلطانه وقال معاوية للأحنف بن قيس في شيءٍ بلغه عنه فانكر ذلك الاحنف فقال له معاوية بلّغني عنك الثقةُ فقال له الاحنف يا أمير المؤمنين ان الثقة لا يُبلّغُ وقال أحد الماضين (وهو طريح بن اسمعيل الثقفي)

ان يسمعوا الخيرَ يخفوه وان سمعوا • شرًّا أذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

وقال المُهلّب بن أبي صُفرة أدنى أخلاق الشريف كتمانُ السر وأعلى أخلاقه نسيانُ ما أُسرّ اليه ويقال للنكاح السرُّ على غير وجهه وليس هذا من الباب الذي كنا فيه ولكن يُذكرُ الشيءُ بالشيءِ وهذا حرف يُغلطُ فيه لان قوما يجعلون السرَّ الزنى وقوم يجعلونه الغشيان وكلا القولين خطأ انما هو الغشيان من غير وجهه قال الله تبارك وتعالى ولكن لا تواعدوهن سرًّا الا ان تقولوا قولا معروفا فليس هذا موضع الزنى وقال الحطيئة

ويحرمُ سرَّ جارتهم عليهم • ويأكلُ جارهم أُنُفَ القصاع

وقال الأعشى لسلامة ذي فائش الحميري

وقومٌ ان يَضمّنوا جارةً • وكانوا بموضع أضدادها

فان يَطلبوا سرَّها للغنى • وان يُسلموها لأزهادها

في هذا قولان أحدهما انهم لا يطلبون اغترارها اليهم على رَغْمٍ أوليائها من أجل مالها غَصْبا للجوار ولا يُسلمونها اذا انقطع رجاؤهم من الثواب والمكافأة والآخر أنهم لا يرغبون في ذوات الاموال وانما يرغبون في ذوات الأحساب اختيارا للاولاد وصيانة للاصهار ان يَطمَعَ فيهم مَن لا حَسَبَ له وقول الحطيئة • ويأكل جارهم أنف القصاع • انما يريد المستأنف الذي لم يؤكل قبلُ منه شيء يقال رَوضةٌ أُنُفٌ اذا لم تُرْعَ وكأسٌ أُنُفٌ اذا لم يُشرَبْ منها شيءٌ قبل قال لَقيطُ بن زُرارة

ان الشواءَ والنَّسيلَ والرُّغُفْ • والقَينةَ الحسناءَ والكأسَ الأُنُفْ

• للطاعنين الخيلَ والخيلُ خُنُفْ •

يشتد وجدهم به وجدا حتى ينقلب الحب عشقا والوجد صبابة للاشاكلة التي بين الطبائع والمناسبة التي بين النفوس وعلى قدر ذلك يكون البغض والحقد لان النصارى حين جعلوا ربهم انسانا مثلهم بخعت نفوسهم بالاهيته له لتوهمهم الربوبية وسمحت بالمودة لتوهمهم البشرية فلذلك قد روا من اعتبادة على ما لم يقدر عليه سواهم وبمثل هذا السبب صارت المشبهة منا أعبد

قال أبو العباس وهذا باب اشترطنا ان نخرج فيه من حزن الى سهل ومن جد الى هزل ليستريح اليه القارئ ويدفع عن مسمعه الملال ونحن ذاكرون ذلك ان شاء الله تعالى قال بكر بن النطاح في كلمة له يمدح فيها مالك بن علي الخزاعي

عرضت عليها ما أرادت من المنى ... لترضى فقالت قم فجئنا بكوكب
فقلت لها هذا التعنت كله ... كمن يتمنى لحم عنقاء مغرب
فلو انني أصبحت في جود مالك ... وعزته ما نال ذلك مطلبي
فتى شقيت أمواله بسماحه ... كما شقيت قيس بأرماح تغلب

وقال الخليع في كلمة يمدح بها عاصم الغساني

أقول ونفسي بين شوق وحسرة ... وقد غصصت عيني ودمعي على خدي
أريحي بقتل من تركت فؤاده ... يلحظه بين التأسف والجهد
فقالت عذاب في الهوى قبل ميتة ... وموت اذا أفرحت قلبا من بعدي
لقد فطنت للجور فطنة عاصم ... لصنع الايادي الغر في طلب الحمد
سأشكرك في الاشعار غير مقصر ... الى عاصم ذي المكرمات وذي المجد
لعل فتى غسان يجمع بيننا ... فتأمن نفسي منكم لوعة الصد

وقال اسمعيل بن القاسم

ان الكلام وان البشر من رجل ... في مثل ما أنت فيه ليس يكفيني
هذا زمان أطع الناس فيه على ... زهو الملوك وأخلاق المساكين
أما علمت جزاك الله صالحة ... عني وزادك خيرا يا ابن يقطين
اني أريدك للدنيا وعاجلها ... ولا أريدك يوم الدين للدين

وقال يزيد بن محمد بن المهلب المهلبي في كلمة يمدح بها اسحق بن ابراهيم

ان أكن مهديا لك الشعر اني ... لابن بيت تهدى له الاشعار
غير اني أراك من أهل بيت ... ما على الحر ان يسود وعار

وقال أيضا في كلمة أخرى ... واذا جددت فكل شيء نافع ... واذا حددت فكل شيء ضائر

ممن ينفي التشبيه حتى ربما أيسه يتنفس من الشوق اليه ويشهق عند ذكر الزيارة ويبكي عند ذكر الرؤية ويغشى عليه عند ذكر رفع الحجب وما ظنك بشوق من طمع في مجالسة ربه جل جلاله ومحادثة خالقه عز ذكره ولقد غالت القوم غول ودهاهم أمر فانظر ما هو وان سألتني عنه خبرتك انما هو تشبيه أحد أمرين اما تقليد الرجال واما طلب تعظيمهم ولذلك السبب لم ترض اليهود

واذا أتاكَ مُهَلَّبِيٌّ فى الوغى • والسيفُ فى يده فنعمَ الناصرُ

وقال عبد الله بن الزُّبَير لما أتاه قتلُ مُصْعَب بن الزبير أشهدَهُ المُهَلَّبُ بن أبى صُفْرَةَ قالوا لا كان المهلب فى وجوه الخوارج قال أفَشَهِدَهُ عَبّادُ بن الحُصَين الحَبَطِىُّ قالوا لا قال أفشهده عبد الله بن خازم السُّلَمِىُّ قالوا لا فتمثّل عبد الله بن الزُّبَير فقال

فقلتُ لها عينى جَعارٌ وجَرّرى • يَلَحْمِ امرئٍ لم يَشْهَدِ اليومَ ناصرُهْ

جَعار اسم من أسماء الضَّبُع وهى صفة غالبة لانه يقال لها جاعرة فهذا فى بابه كفَسَاق ولَكاع وحَلاق للمنية وقد فسرنا هذا الباب مُسْتَقْصًى على وجوهه الاربعة ويروى ان ابنة جارية لهَمّام بن مُرَّة بن ذُهْل بن شَيْبان قالت له يوما

أهَمّامَ بنَ مُرَّةَ حنّ قلبى • الى اللّاتى يَكُنّ مَعَ الرجال

فقال يا فَسَاق أردتِ صفيحةً ماضيةً فقالت

أهمام بن مرة حن قلبى • الى صَلْعاءَ مُشرفةِ القَذال

فقال يا فجار أردتِ بيضةً حصينة فقالت

أهمام بن مرة حن قلبى • الى أبْرَ أسُدٍ به مَبالى

قال فقتلها قال أبو العباس قال أبو الشَّمَقْمَق وهو مَرْوان بن محمد وزعم التَّوَّزِىُّ عن أبى عبيدة قال أبو الشمقمق ومنصور بن زياد ويحيى بن نَاجِيَة الكاتبُ من أهل خُراسان من بُخارية عبيد الله ابن زياد (وبُخارية اسم قرية من قرى خراسان وبها كان عبيد الله بن زياد) وكان أبو الشمقمق ربما لحَن ويَهْزِل كثيرا يُجِدُّ فيكثر صوابه قال يمدح مالك بن على الخُزاعِىَّ ويَذُمُّ سَعيدَ بن سَلْم الباهلىَّ

قد مَرَرْنا بمالك فوجَدْنا • جُوادًا الى المكارم يَنْمى

ما يُبالى أناه ضَيْفٌ مُخِفٌّ • أم أتته يأجوجُ من خَلْفِ رَدْمِ

فانتهينا الى سَعيد بن سَلْم • فاذا ضَيْفُه من الجوع يَرْمى

واذا خُبْزُه عليه سَيَكْفيـ • ـكَهُمُ اللهُ مابدا ضَوْءُ نَجْمِ

واذا خاتَمُ النبىِّ سُلَيْما • نَ بن داود قد علاه بُخَتَّمِ

فارتحلنا من عنده فذا بمحمد • وارتحلنا من عند هذا بذَمِّ

من انكار حقه بتكذيبه حتى طلبت قتله وصلبه والمثلة به ثم لم ترض بذلك حتى زعمت انه لغير رشدة فلو كانت دون هذه المنزلة منزلة لما انتهت اليهود دون بلوغها ولو كانت فوق ما قالت النصارى منزلة لما انتهت دون غايتها وبذلك السبب صارت الرافضة أشد صبابة وتحرقا وأفرط غضبا وأدوم حقدا وأحسن تواصلا من غيرهم أضاورب خبر قد كان فاشيا فدخل عليه

وقال عبد الصمد بن المعذّل يرثي سعيد بن سَلْم

كم صغير جبرتَه بعد يُتْم • وفقير نعشتَه بعد عُدْم

كلّما عضّت الحوادث نادى • رضي الله عن سعيد بن سَلْم

وقال سعيد بن سلم عرَض لي اعرابيٌّ فمدحني فبلّغ فقال

الا قُلْ لساري الليل لا تخشَ ضلّةً • سعيدُ بن سَلْم ضوءُ كلّ بلاد

الناسُ أزبى على كل سيد • جوادٌ حنا في وجنه كل جواد

قال فتأخرت عن بره قليلا فهجاني فبلّغ فقال

أكل أخي مدح ثوابٌ يعدُّه • وليس لمدح الباهلي ثوابُ

مدحت ابن سَلْم والمديح مهرّةٌ • فكان كصفوان عليه تُرابُ

وقال أبو الشمقمق قال لي الناسُ زُر سعيد بن سَلْم • قلت للناس لا أزور سعيدا

وأمير فيّ خزاعة بالبصـ ـرة قد عمّها سماحا وجودا

ولئن فاتني سعيدٌ ولكن • مالكٌ أكرمُ البريّة عودا

فقال سعيد لو ددتُ انه لم يكن ذكرني مع مالك وانه أخذ مني أمنيّته وقال أبو الشمقمق أيضا

يا ليتَ نَصْرِبُ في حديد بارد • ان كنتَ تطمع في نوال سعيد

والله لو مَلَكَ البحارَ بأسرها • وأتاه سَلْمٌ في زمان مُدود

ينعيه منها شَرْبةً لظهوره • لأبى وقال تيمّمن بصعيد

(ومثله قول الآخر لو أنّ قصرك يا ابن يوسف كلّه • أرٌ يضيق بها فضاء المنزل

وأتاك يوسفُ يستعيرك إبرةً • ليخيط قد قميصه لم تفعل)

وقال مُسْلِم بن الوليد دُبونٌ لا يقضي الزمانَ غريمُها • وبُخْلٌ بُخْلُ الباهلي سعيد

سعيد بن سَلْم الأمُ الناس كلّهم • وما قومه من بُخْله ببعيد

يزيدُ له فضلٌ ولكنّ مزيدا • تدارك منا مجدَه بيزيد

خزيمةُ لا بأسٌ به غير انه • لطبّخه قُفْلٌ وباب حديد

وقال عبد الصمد بن المعذّل يرثي عمرو بن سعيد بن سَلْم وكان عمرو هلك بعد سعيد بيسير

حسن العلل ما منعه من الشهرة رب خبر ضعيف الأصل واهن المخرج قد تهيأ له من الاسباب ما يوجب الشهرة

(فصل منه) واعلم ان لاكثر الشعر طعما وحظوظا كالبيت يحظى وييسر حتى يحظى صاحبه بحظه وغيره من الشعر أجود منه وكالمثل يحظى ويسير وغيره من الامثال أجود وما ضاع من كلام الناس وضل أكثر مما حفظ وحكى واعتبر ذلك من نفسك ورصد بعقلك

رُزِينَا أبا عَمْرٍو فقلنا لناعمرو • سَيَكْفِيكَ ضَوْءُ البَدْرِ غَيْبوبةَ البَدْرِ

وكان أبو عمرو مُعارًا حَيَاتُهُ • بعمرو فلما مات مات أبو عمرو

وقال أمير المؤمنين الرشيد يوما لسعيد بن سَلْم يا سعيد من بيت قَيْس فى الجاهلية قال يا أمير المؤمنين بنو فَزارة قال فمن بيتهم فى الاسلام قال يا أمير المؤمنين مَنْ شَرَّفوه قال صدقت أنت وقومك وحدثنى على بن القاسم بن على بن سليمان الهاشمى قال حدثنى رجل من أهل مكة قال رأيت فى مُنامى سعيد بن سَلْم فى حياته وفى نعمته وكثرة عَدَد ولده وحُسْن مذهبه وكمال مُروءته قال فقلت فى نفسى ما أَجَلَّ ما أُعْطِيَه سعيدُ بن سَلْم فقال لى قائل وما ذَخَره الله له فى الآخرة أكثر وكان سعيد بن سلم اذا استقبل السَّنَةَ التى يَسْتأنف فيها عدد سنيه أعتق نَسَمَةً وتصدق بعشرة آلاف درهم فقيل لَمَدْيَنِ ان سعيد بن سلم يشترى نفسه من ربه بعشرة آلاف درهم فقال اذا لا يَبِيعَه وقال أحمد بن يوسف الكاتب لولد سعيد بن سلم

أبنى سعيد انكم من مَعْشَر • لا يَعْرِفون كرامةَ الأَضْياف

قوم لباهلةَ بن يَعْصُرَ انهُمُ • نُسِبوا حَسِبتُهُمُ لعبد مَنَاف

قَرَنوا العداء الى العَشاء وقَرَّبُوا • زاداً لَعَمْرُ أبيك ليس بكاف

وكأننى لما خَطَطْتُ اليهمُ • رَحْلى نَزَلْتُ بأبْرَقِ العَزَّاف

بينا كذاكَ أتاهمُ كُبَراؤُهُمْ • يَلْحَوْنَ فى التبذير والاسراف

وأنشدنى المازنى

سَلِ اللهَ ذا المَنِّ من فَضْله • ولا تسألنَّ أبا واثلَه

فما سأل اللهَ عبدٌ له • فخاب ولو كان من باهلَه

(قال أبو الحسن وزادنى بعض أصحابنا

تَرَى الباهِلِىَّ على خُبْزِه • اذا رامه آكلٌ آكلَه)

وأنشد أبو العباس لرجل من عبد القيس

أباهِلَ يَنْبُحُنى كلبكم • وأُسْدُكُم كالكلاب العَرَب

ولو قيل للكلب يا باهلى • عَوَى الكلبُ من لُؤْم هذا النَّسَب

وحدثنى على بن القاسم قال حدثنى أبو قلابة الجَرْمى قال حججنا مع أبى جَزْء بن عمرو بن سعيد

رجليه وأمر الأسباب عجيب ومن ذلك قتل على بن أبى طالب من السادة والقادة والحماة ما عسى لو ذكرته لاستكبرته واستعظمته فاضرب الناس عن ذكرهم وجهلت العوام مواضعهم وأخذوا فى ذكر عمرو بن عبدود فرفعوه فوق كل فارس مشهور وقائد مذكور وقد قرأت على العلماء كتاب الفجار الأول والثانى والثالث وأمر المطيبين والأحلاف ومقبل أبى أزيهر ومجى

قال وكنا في ذراه وهو ذاك بهي وضي فجلسنا في المسجد الحرام إلى أقوام من بني الحرث بن كعب لم نر أفصح منهم فرأوا هيئة أبي جزء واعظا منا إياه مع جماله فقال قائل منهم له أمن أهل بيت الخليفة أنت قال لا ولكن رجل من العرب قال ممن الرجل قال رجل من مضر قال أعرض ثوب الملبس من أيها أفاك الله قال رجل من قيس قال أين يراد بك صرا إلى فصيلتك التي تؤويك قال رجل من بني سعد بن قيس قال اللهم غفرا من أيها أفاك الله قال رجل من بني نصر قال من أيها قال رجل من باهلة قال قم عنا قال أبو قلابة فاقبلت على الحارثي فقلت أتعرف هذا قال ذكر أنه باهلي فقلت هذا أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير قال حتى عددت خمسة ثم قلت هذا أبو جزء أمير ابن عمرو وكان أمير ابن سعيد وكان أمير ابن سلم وكان أمير ابن قتيبة وكان أمير فقال الحارثي الأمير أعظم أم الخليفة فقلت بل الخليفة قال أفالخليفة أعظم أم النبي قلت بل النبي قال والله لو عددت له في النبوة أضعاف ما عددت له في الامارة ثم كان باهليا ما عبأ الله به شيأ قال فكادت نفس أبي جزء تخرج فقلت انهض بنا فان هؤلاء أسوأ الناس آدابا (قال أبو الحسن يقال للرجل اذا سئل عن شئ فأجاب عن غيره أعرض ثوب الملبس أي أبدى غير ما يراد منه) وحدثت أن أعرابيا لقي رجلا من الحاج فقال له ممن الرجل قال باهلي قال أعيذك بالله من ذلك قال اي والله وأنا مع ذلك مولى لهم فأقبل الاعرابي يقبل يديه ويتمسح به قال له الرجل وما تفعل ذاك قال لاني أتقي بان الله عز وجل لم يبتلك بهذا في الدنيا الا وأنت من أهل الجنة ويزعم الرقاشي أن قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند أفضى الى أثاث لم ير مثله والى آلات لم يسمع بمثلها فاراد أن يرى الناس عظيم ما فتح الله عليه ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم فأمر بدار ففرشت وفي صحنها قدور تزتي بالسلالم فاذا بالحضين بن المنذر بن الحرث بن وعلة الرقاشي قد أقبل والناس يلوشون على مراتبهم والحضين شيخ كبير فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لقتيبة ائذن لي في معاتبته قال لا أردك فانه خبيث الجواب فأبى عبد الله الا أن يأذن له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسور حائطا الى امرأة فبلغ ذلك فأقبل على الحضين فقال أمن الباب دخلت يا أباساسان قال أجل أسن عمد فعن تسور الحيطان قال أرأيت هذه القدور قال هي أعظم من أن لا نرى قال ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل ولا عيلان ولو كان رآها لسمى شبعان ولم يسم عيلان قال له عبد الله يا أباساسان أتعرف الذي يقول

الفيل وكل يوم جمع كان لقريش فاسمعت لعمرو هذا في شئ من ذلك ذكرا فان قلت ان نبل القائل زيادة في نبل المقتول فكل من قتله علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه أنبل منه وأحق بالشهرة ولكن أشعار ابن ود ومناقلة الصبيان في الكتاب هما اللتان أورثتاه ما ترى وتسمع

﴿فصل منه في أمر الاخبار﴾

وانما ذكرت هذا لتعلم ان الخبر قد يكون أصله

عَزَلْنا وأَمَّرْنا وبَكْرُ بنُ وائلٍ ● تَجُرُّ خُصاها تُبْتَغَى من مُحالِفُ

قال أعرفه وأعرف الذى يقول

وخَيْبَةَ مَنْ يَخِيبُ على غَنِيٍّ ● وباهِلَةَ بنَ يَعْصُرَ والرِّكابِ

(يريد ياخيبة من يخيب) قال أفتعرف الذى يقول

كَأَنَّ فِقاحَ الأَزْدِ حَوْلَ ابنِ مِسْمَعٍ ● وقد عَرِقَتْ أفواهُ بَكْرِ بنِ وائلِ

قال أعرف هذا وأعرف الذى يقول

قَوْمُ قُتَيْبَةَ أُمُّهُمْ وأَبُوهُمُ ● لولا قُتَيْبَةُ أَصْبَحُوا فى مَجْهَلِ

قال أما الشعر فأراك تَرْوِيه ولكن هل تقرأ من القرآن شيأ قال أقرأ منه الا كثر الأطيب هل أتى على الانسان حينٌ من الدهر لم يكن شيأ مذكورا قال فاغضبه فقال والله لقد بلغنى أن امرأة الخُضَيْن حُمِلَتْ اليه وهى حُبْلى من غيره قال فما تحرك الشيخ عن هيئته الاولى ثم قال على رِسْلِه وما يكون تَلِدُ غلاما على فراشى فيقال فلان بن الخضين كما يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبةُ على عبد الله فقال لا يُبْعِدُ اللهُ غيرَكَ هذا الخُضَيْن بن المنذر بن الحرث بن وعلة وكان الخضين بيده لواءُ على بن أبى طالب رحمه الله على ربيعة وله يقول القائل

لِمَنْ رايةٌ سَوْداءُ يَخْفِقُ ظِلُّها ● اذا قيل قَدِّمْها خُضَيْنُ تَقَدَّما

وللحرث بن وعلة يقول الأعشى وكان قَصَدَهُ فلم يَحْمَدْهُ وعَرَّجَ عنه الى هَوْذَةَ بن علي ذى التاج وهوذةُ من بنى حنيفة بن لُجَيْم بن صَعْب بن علي بن بَكْر بن وائل والحرثُ بن وَعْلَةَ من بنى رَقاش وهى امرأة وأبوهم مالك بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثَعْلبةَ بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل فقال الاعشى يذكر الحرث بن وعلة وهوذةَ بن علي

أَتَيْتَ حُرَيْثًا زائرا عن جَنابةٍ ● فكان حُرَيْثٌ عن عَطائى جامدا

اذا مارَأَى ذا حاجةٍ فكأنما ● يَرَى أَسَدا فى بيته وأَساوِدا

لَعَمْرُكَ ما أَشْبَهْتَ وعلةَ فى النَّدَى ● شمائلَهُ ولا أباه مُجالِدا

وانَّ امْرَأً قد زُرْتَهُ قبل هذه ● بَحَوْلٍ لَحِرٌّ منك نفسا ووالدا

تَضَيَّفْتَهُ يوما فقرب مجلسى ● وأَصْفَدَنى على الزمانة قائدا

ضعيفا ثم يعود فيموت ويكون أصله قويا فيعود ضعيفا للذى يعتريه من الأسباب ويحل به من الاعراض من لدن مخرجه وفصوله الى أن يبلغ مدته ومنتهى أجله وغاية التدبير فيه والمصلحة عليه فلما كان هذا مخوفا وكان غير مأمون على المتقادم منه وضع الله تعالى لنا على رأس كل فترة علامة وعلى غاية كل مدة أمارة ليعيد قوة الخبر ويجدد ما قد هم بالدروس من أنباء

وأمتعى على العشا بوليدة • فأبت بخير منك ياهوذ حامدا

فتى لو يباري الشمس ألقت قناعها • أو القمر الساري لألقى المقالدا

يرى جمع مادون الثلاثين قصرة • ويعدو على جمع الثلاثين واحدا

وهى كلمة قوله أنيت حريثا يريد الحرث وتصغيره على لفظه حويرث وهذا التصغير الآخر يقال له الترخيم وهو أن تحذف الزوائد من الاسم ثم تصغر حروفه الاصلية فتقول فى تصغير أحمد حميد لانه من الحمد وفى الحرث حريث لانه من الحرث وفى غضبان غضيب لانه من الغضب لان الالف والنون زائدتان وكذلك ذوات الاربعة تقول فى تصغير قنديل على لفظه قنيديل فان صغرته مرخما حذفت الياء فقلت قنيدل وعلى هذا تجرى الباب وقوله عن جنابة يقول عن غربة وبعد يقال هم نعم الحى لجارهم جار الجنابة أى الغربة يقال رجل جنب ورجل جانب أى غريب قال الله جل وعز والجار الجنب وقال الحطيئة

والله ما معشر لامرا امرأ جنبا • فى آل لأى بن ثمامس باكياس

وقال علقمة بن عبدة فلا تحرمنى نائلا عن جنابة ❁ فانى امرؤ وسط القباب غريب

فمن قال للواحد جنب قال للجميع أجناب كقولك عنق وأعناق وطنب وأطناب ومن قال للواحد جانب قال للجميع جناب كقولك راكب وركاب وضارب وضراب قالت الخنساء

ابكى أخاك لايتام وأرملة ❁ وابكى أخاك اذ جاورت أجنابا

وان كان من الجنابة التى تصيب الرجل قلت رجل جنب ورجلان جنب وكذلك المرأة والجميع وقد يجوز وليس بالوجه رجلان جنبان وامرأة جنبة وقوم أجناب وقوله يرى أسدا فى بيته وأسودا يريد جمع أسود سالخ وأسود ههنا نعت ولكنه غالب فلذلك جرى ههنا مجرى الاسماء لانه يدل على الجملة وأفعل اذا كان نعتا بنفسه فجمعه فعل نحو أحمر وحمر وأسود وسود واذا كان نعتا فاجرى مجرى الاسماء فجمعه أفاعل نحو أساود وأجادل وأداهم اذا أردت القيد لانه نعت غالب يجرى مجرى الاسماء وان أردت أدهم الذى هو نعت محض قلت دهم قال الأشهب بن رميلة

أسود شرى لاقت أسود خفية ❁ تساقوا على حرد دماء الأساود

فاجراه مجرى الاسماء نحو الاصاغر والأكابر والأحامد وقوله لعمرك ما أشبهت وعلة فى الندى

المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين لان نوحا عليه السلام هو الذى جدد الاخبار التى كانت فى الدهر الذى بينه وبين آدم عليهما السلام حتى منعها الخلل وحماها النقصان بالشواهد الصادقة والامارات القائمة وليس ان أخبارهم وحجهم قد كانت درست وأخلت بل حين همت بذلك وكادت بعثه الله عز وجل بآياته التى لا تخلو الارض من حجه ولذلك سموا آخر الدهر الفترة وبين

شمائله فانه جعل شمائله بدلا من وعلة والتقدير ما أشبهت شمائل وعلة والبدل على أربعة أضرب فواحد منها أن يبدل أحد الاسمين من الآخر اذا رجعا الى واحد ولا تأتى أمعرفتين كانا أم معرفة ونكرة وتقول مررت بأخيك زيد لان زيدا هو الاخ وكذلك مررت برجل عبد الله فهذا واحد وآخر أن يبدل بعض الشئ منه نحو ضربت زيدا رأسه لما قلت ضربت زيدا أردت أن تبين موضع الضرب منه فمثل الاول قول الله تبارك وتعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم وقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله ولنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة ومثل البدل الثانى قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا من فى موضع خفض لانها بدل من الناس ومثله الا أنه أعيد حرف الخفض قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم والبدل الثالث مثل ماذكرنا فى البيت أبدل شمائله منه وهى غيره لاشتمال المعنى عليها ونظير ذلك أسألك عن زيد أخره لان السؤال عن الامر وتقول على هذا سلب زيد ثوبه فالثوب غيره ولكن به وقع السلب كما وقعت المسئلة عن خبر زيد ونظير ذلك من القرآن يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه لان المسئلة انما كانت عن القتال هل يكون فى الشهر الحرام قال الشاعر (وهو الاخطل)

ان السيوف غدرتها ... وفرائها ... تركت هوازن مثل قرن الاعضب

وبدل رابع لا يكون مثله فى القرآن ولا فى الشعر وهو أن يغلط المتكلم فيدرك غلطه أو ينسى فيذكر فيرجع الى حقيقة ما يقصده وذلك قولك مررت بالمسجد دار زيد أراد أن يقول مررت بدار زيد فاما نسى واما غلط فاستدرك فوضع الذى قصده فى موضع الذى غلط فيه وقوله بجو فهى قصبة اليمامة وقوله تضيفته يوما انما هو تفعلته من الضيافة يقال ضفت الرجل أى نزلت به وأضافنى أى أنزلنى وقوله وأصفدنى يقول أعطانى وهو الاصفاد والصفد الاسم والاصفاد المصدر قال النابغة ... فلم أعرض أبيت اللعن بالصفد ... ويقال صفدت الرجل فهو مصفود من القيد ولا يقال فى القيد أصفدت ولكن صفدته صفدا واسم القيد الصفد قال الله جل وعز مقرنين فى الاصفاد كقولك جمل وأجمال وصنم وأصنام وقوله فتى لو يبارى الشمس يقول يعارض يقال انبرى لى فلان أى اعترض لى فى هذا المعنى وفلان يبارى الريح من

الفترة والقطعة فرق فاعرف ذلك ثم بعث الله جل وعز ابراهيم عليه السلام على رأس الفترة الثانية التى كانت بينه وبين دهر نوح وانما جعلها الله تعالى أطول فترة كانت فى الارض لان نوحا كان لبث فى قومه يحتج ويخبر ويؤكد ويبين ألف سنة الا خمسين عاما ولان آخر آياته كانت أعظم الآيات وهى الطوفان الذى أغرق الله تعالى به جميع أهل الارض غيره وغير شيعته وانما

هذا أي يعارض الريح بجوده فهذا غير مهموز فاما بارأ الكريّ فهو مهموز لانه من أبرأني وأبرأته ويقال بَرَأَ فلان من مرضه وبَرِئَ يبرأ فهو بارئ والمصدر منهما البُرْء فاعلم وبَرَيْتُ القلم غير مهموز والله البارئ المُصَوِّر ويقال ما بَرَأَ اللهُ مثل فلان مهموز وقولك البَرِيَّة أصله من الهمز ويُختار فيه تخفيف الهمز ولفظ التخفيف والبدل واحد وكذلك يُختار في النبي التخفيف ومن جعل التخفيف لازما قال في جمعه أنبياء كما يفعل بذوات الياء والواو وتقول وَصِيٌّ وأوصياء وتَقِيٌّ وأتقياء وشَقِيٌّ وأشقياء ومن همز الواحد قال في الجميع نُبَآء لانه غير معتل كما تقول حكيم وحكماء وعليم وعلماء وأنبياء لغة القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم وقال العباس بن مرداس السُّلَمِيُّ

يا خاتَمَ النُّبَآءِ إنَّكَ مُرْسَلٌ ● بالحقِّ كُلَّ هُدَى السَّبيلِ هُدَاكا

وقوله أو القمرَ الساري لَأَنِّي المقالدا فأسكن الياء ضرورة وانما جاز ذلك لان هذه الياء تسكن في الرفع والخفض فاذا احتاج الشاعر الى اسكانها في النصب قاس هذه الحركة على الحركتين الضمة والكسرة الساقطتين فشبهها بهما فجعلها كالالف التي في مُنَّى التي هي على هيئة واحدة في جميع الاعراب قال النابغة

رَدَّتْ عليه أقاصيه ولَبَّدَهُ ● ضَرْبُ الوَلِيدةِ بالمِسْحاةِ في الثَّأَدِ

فأسكن الياء في أقاصيه وقال رُؤْبَةُ

كأنَّ أيديهنَّ بالقاعِ القَرِقْ ● (أيدي جَوارٍ يتعاطَيْنَ الوَرِقْ)

وقال ● سَوَّى مَسَاحِيهنَّ تَقْطِيطُ الحُقَقْ ● (وروى تقطيطَ بالنصب وهو أجود لان بعده

● تَقْليلُ ما قارَعْنَ مُمْرَ الطُّرُقْ ● والطُّرُقْ جمع طُرْقة) وقال آخر

كفى بالنأي من أسماءَ كافٍ ● وليس لحبها ما عِشْتُ شافِ

وأما قوله وأمتعني على العشا بوليدة ● فابت بخير منك يا هوذ حامدا

فانه كان يتحدث عنه ثم أقبل عليه يخاطبه وترك تلك المخاطبة والعرب تَتْرُكُ مخاطبةَ الغائب الى مخاطبة الشاهد ومخاطبةَ الشاهد الى مخاطبة الغائب قال الله جل وعز حتى اذا كنتم في الفُلْكِ وجَرَيْنَ بهم بريح طَيِّبة كانت المخاطبةُ للأمة ثم انصرفت الى النبي صلى الله عليه وسلم اخبارا عنهم وقال عَنْتَرَةُ

شَطَّتْ مَزَارُ العاشقينَ فأصبحتْ ● عَسِرًا عليَّ طِلابُكِ ابنةَ مَخْرَمِ

فكان يتحدث عنها ثم خاطبها ومثل ذلك قول جرير

فار الماء من جوف تنور ليكون أعجب للآية وأشهر للقصة وأثبت للحجة ثم مازالت الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين بعضهم على أثر بعض في الدهر الذي بين ابراهيم وبين عيسى عليهما السلام فلتوارد حججهم وتظاهر أعلامهم وكثرة أخبارهم واستفاضة أمورهم ولشدة ما تأكد ذلك في القلوب ورسخ في النفوس وظهر على الألسنة لم يدخلها الخلل والنقص والفساد في

وترى العواذل يبتدرن ملامتى • فاذا أردن سوى هواك عصينا

وقال الآخر • فدى لك والدى وعمراة قومى • ومالى انه منه أتانى

وهذا كثير جدا وقوله يرى جمع مادون الثلاثين قصرة أى قليلا من الاقتصار ويروى ويغدو ويغد وجميعا وكان هوذة بن على ذا قدر حال وكانت له خرزات تنظم فتجعل على رأسه تشبها بالملوك وحدثنى التوزى عن أبى عبيدة قال ماتزوج معدى قط انما كانت التبان للين قال فسألته عن قول الاعشى

من يرهوذة يبتغ غير مثيب • اذا تعمم فوق التاج أو وضعا

قال انما كانت خرزات تنظم له وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة كما كتب الى الملوك وكانت بنو حنيفة بن لجيم أصحاب اليمامة ويقول بعض النسابين ان عبيد بن حنيفة كان أتى اليمامة وهى صحراء فاختطها فجعل يركض حوالها ويخط برمحه فى الأرض على ما أصاب من النخل وأنهم أكلوا ما أصابوا تحته من التمر فلما طلع لهم التمر بعد لم يهتدوا الصعود النخل فأقبلوا يجدونه حتى فكروا فاعدوا له السلام فلما عمرت اليمامة جعلت العرب تنتجعهم لموضع التمر فيجاورون العزيز منهم وكان يقال لمن دخلها من هؤلاء السواقط ممن كانوا ويقال ان اليمامة والبحرين والقريتين ومواضع هناك كانت لطسم وجديس والخبر فى ذلك مشهور بزرقاء اليمامة وقد ذكر ذلك الأعشى فى قوله

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها • حقا كما نطق الذئبى اذ سجعا

قالت أرى رجلا فى كفه كتف • أو يخصف النعل لهفى أية صنعا

وكذبوها بما قالت فصبحهم • ذو آل غسان يزجى الموت والشرعا

وحدثنى التوزى عن أبى عبيدة والأصمعى عن أبى عمرو قال قال لى رجل من أهل القريتين أصبت ههنا دراهم وزن الدرهم ستة دراهم وأربعة دوانيق من بقايا طسم وجديس خفت السلطان فاخفيتها وقد ذكر ذلك زهير فى قوله

عهدى بها يوم باب القريتين وقد • زال الهمالج بالفرسان واللجم

فاستبدلت بعدنا دارا يمانية • ترعى الخريف فادنى دارها ظلم

الدهر الذى كان بين النبى عليه الصلاة والسلام وبين عيسى عليه الصلاة والسلام فحين همت بالضعف وكادت تنقص عن التمام وانتهت فورتها بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فجدد أقاصيص آدم ونوح وموسى وهارون وعيسى ويحيى عليهم السلام وأمورا بين ذلك وهو الصادق بالشواهد الصادقة وأن الساعة آتية وانه ختم الرسل عليهم السلام به فعلمنا

وقال جرير يهجو بني حنيفة هجاني الناس من أحياء كلهم * حتى حنيفة تفسو في مناخيها

(تعيّر بنو حنيفة باليمامة بلادهم بلاد نخل فيأكلونه ويحدث في أجوافهم الرياح والقراقير)

أصحاب نخل وحيطان ومزرعة * سيوفهم خشب فيها مساحيها

ذلّت وأعطت يداً للسلم صاغرة * من بعدما كاد سيف الله يفنيها

صارت حنيفة أثلاثاً فثلثهم * أضحوا عبيداً وثلث من موإليها

قوله مناخيها المناخة مقام السانية على الحوض والحائط البستان وقوله من بعدما كاد سيف الله يفنيها يعني خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم في وقعته بمسيلمة الكذاب والناس بعد هذا قول منكر وقال جرير

أبني حنيفة نهنهوا سفهاءكم * اني أخاف عليكم أن أغضبا

أبني حنيفة انني ان أهجكم * أدع اليمامة لا تواري أزنبا

وقال عمارة بن عقيل

بل أيها الراكب الماضي لطيته * بلّغ حنيفة وانشر فيهم الخبرا

أكان مسلمة الكذاب قال لكم * ان تدركوا الجدح تغضبوا مضرا

هلا حنيفة ان الحرب ان طرحت * عليكم بركها أمرغتم الشجرا

البرك الصدر اذا فتحت الباء ذكرت وان أردت التأنيث كسرت الباء قلت بركة قال الجعدي

ولو حاذراعين في بركة * الى جؤجؤ رهل المنكب

وزعم الاصمعي أن زياداً كان يقال له أشعر بركا لانه كان أشعر الصدر وغير الاصمعي يزعم أن هذا كان يقال للوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية وذكروا أن عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي قال يوما ألا تعجبون لهذا أشعر بركا يولى مثل هذا المصر والله ما يحسن أن يقضي في تمرتين فبلغ ذلك الوليد فقال على المنبر أنشد الله رجلا حمّاني أشعر بركا الا قام فقام عدي بن حاتم فقال أيها الامير ان الذي يقوم فيقول أنا حميتك أشعر بركا لجرىء فقال اجلس يا أباطريف فقد برّأك الله منها فجلس وهو يقول والله ما برّأني الله منها وكانت أم الوليد بن عقبة أم عثمان بن عفان رحمهما الله وهي أروى بنت كريز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها البيضاء

عند ذلك ان حجته ستتم الى مدتها وبلوغ امر الله عز وجل فيها

﴿فصل منه﴾ ثم رجع الكلام الى القول في الأخبار فأقول ان الناس موكلون بحكاية كل عجيب وميسرون للاخبار عن كل عظيم وليسوا للحسن أحكى منهم للقبيح ولا لما ينفع أحكى منهم لما يضر وعلى قدر كبر الشيء تكون حكايتهم له واستماعهم ألا ترى ان رجلا من الخلفاء لو ضرب عنق رجل من العظماء

بنت عبد المطلب بن هاشم ومن ثَمَّ قال الوليد لعلى بن أبى طالب رحمه الله أنا أتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمى من حيث تلقاه بأبيك وكان يقال للبيضاء بنت عبد المطلب قُبَّةُ الديباج واسمها أم حكيم ولذلك قيل لعثمان أو للوليد يا ابن أروى ويا ابن أم حكيم وقال الوليد لبنى هاشم لهذا السبب حين قُتِلَ عثمان رحمه الله

بنى هاشم رُدُّوا سلاحَ ابنِ أختكم ● ولا تنهبوه لا تحلُّ مَناهبُه

بنى هاشم كيف الهوادةُ بيننا ● وعثمان على درعُه ونجائبُه

هُمُ قتلوه كى يكونوا مكانه ● كما غدرت يوما بكسرى مَرازبُه

وهذا القول باطل وكان عُرْوَةُ بن الزبير اذا ذكر مقتل عثمان يقول كان على أتقى الله من أن يعين فى قتل عثمان وكان عثمان أتقى الله من أن يعين فى قتل على وقال الوليد بن عقبة

ألا انَّ خيرَ الناس بعد ثلاثة ● قتيلُ النجوبى الذى جاء من مصر

ومالى لا أبكى وتبكى أقاربى ● وقد نُجِبَتْ عنا فضول أبى عمرو

وقالت ليلى الأخيلية أنشد نيه الرياشى عن الأصمعى

أبعد عثمان تَرْجو الخيرَ أمتُه ● وكان آمنَ من يمشى على ساف

خليفةُ الله أعطاهم وخوَّلهم ● ما كان من ذَهَبٍ جمٍّ وأوراق

فلا تُكَذِّبْ بوعد الله وارضَ به ● ولا توكَّلْ على شئ بإشفاق

ولا تقولنَّ لشئ سوف أفعلُه ● قد قدَّر الله ما كلُّ امرئ لاق

وقال آخر ألا قُلْ لقوم شاربى كأسِ علقم ● بقتل امام بالمدينة محرم

قتلتم أمينَ الله فى غير ردَّة ● ولا حدَّ احصان ولا قتلَ مُسْلم

تعالَوا فقاتِلونا ان كان قتلُه ● لواحدة منها فحلَّ لكم دمى

والَّا فاعظموا بالذى قد أتيتمُ ● ومن يأتِ مالم يرضَه الله يظلم

فلا يهنئنَّ الشامتين مُصابُه ● فحظُّهمُ من قتله حربُ وجوههم

وأنشدنى الرياشى عن الاصمعى (قال أبو الحسن هذا الشعر لابن الغريرة الضبّى)

لعمرُ أبيكَ فلا تذهلان ● لقد ذهب الخيرُ الا قليلا

لما أمسى وفى عسكره وبلدته جاهل ولا عالم الا وقد استقر ذلك عنده وثبت فى قلبه لان الناس بين حاسد فهو يحكى ذلك الذى دخل عليه من الشكل وقلة العدد وبين واجد يعجب الناس وبين واعظ معتبر وبين قوم شأنهم الأراجيف بالفاسد والاصالح ولو كان ضرب عنقه فى يوم عيد أو حلية أو استطار أو موسم لكان أشد لاستفاضته وأسرع لظهوره ولو جاز ان يكتم الناس هذا

وقد فُتِنَ الناسُ فى دينهم • وخلّى ابنُ عفّانَ شرًّا طويلا

ومثله قول الراعى قتلوا ابنَ عفّانَ الخليفةَ محرمًا • ودعا فلم أرَ مثلَه مخذولا

فتفرّقتْ من بعدذاك عصاهُمُ • شِقَقًا وأصبح سيفُهم مفلولا

قوله محرما يريد فى الشهر الحرام وكان قُتِلَ فى أيام التشريق رحمه الله وقال أيمنُ بنُ خُرَيْمِ بن فاتكٍ الأسدىُّ وكانت له صُحْبةٌ

تفاقدَ الذابحو عثمانَ ضاحيةً • أىَّ قتيلِ حرامٍ ذبّحوا ذبحوا

صحّوا بعثمانَ فى الشهر الحرام ولم • يخشَوْا على مَطْمَحِ الكفِّ الذى طمحوا

فأىَّ سُنّةِ جَوْرٍ سنَّ أوّلُهم • وبابِ جَوْرٍ على سُلطانِهم فتحوا

ماذا أرادوا أضلَّ اللهُ سعيَهمُ • من سفحِ ذاك الدمِ الزاكى الذى سفحوا

فاستوردتْهم سيوفُ المسلمين على • تمام ظُلْمٍ كما يُستوردُ النَّضَحُ

ان الذين تولّوْا قتلَه سَفَهًا • لاقَوْا أثامًا وخُسرانًا فما ربحوا

الظمء ما بين الشربتين وقوله ضحوا بعثمان انما أصله فعل فى الضحى قال زهير

ضَحَّوْا قليلا على كُثبانِ أسْنُمةٍ • ومنهمُ بالقَوامِيّاتِ مُعْتَرَكُ

أى نزلوه ضحى ويقال بيّتوا ذاك أى فعلوه ليلا قال الله جل وعز اذ يُبَيِّتُون مالا يَرْضَى من القول وأنشد أبو عبيدة

أتَوْنى فلم أرضَ ما بيّتوا • وكانوا أتَوْنى بأمرٍ نُكُرْ

لأنكحَ أيّمَهم منذرًا • وهل يُنكِحُ العبدُ حُرًّ لحُرْ

وقوله فى سفح ذاك الدم الزاكى الذى سفحوا أى فى صب ذاك الدم يقال سَفَحْتُ دمَهُ وسَفَكْتُ دمه قال الله تبارك وتعالى الا أن يكون مَيْتةً أو دمًا مَسْفوحا وقوله على تمام ظلم فهذا مَثَلٌ وأصل الظمء أن تشرب الابل يوما ثم تُغِبّ يوما لا تَرِدُ الماء فما بين الشربتين ظمء فيكون الظمء يومين فيقال له الربع كما يقال فى الحُمّى لانهم يَعُدّون بيومَىْ شربها والخمس أن تظمأ ثلاثة أيام والنَّضَحُ الحوض والآثامُ الهلاك قال الله عزّ ذكره ومَن يفعل ذلك يلق أثاما ثم فسر فقال يُضاعَفْ له العذابُ يوم القيامة ويَخْلُدْ فيه مُهانًا فجزم يُضاعفْ لانه بدل من قوله يلق أثاما اذ كان اياه فى المعنى وأنشدنى أبو عبيدة

وشبهه على الايثار للكتمان وعلى جهة النسيان لكنا لا ندرى لعله قد كان فى زمن صفين والجمل والنهروان حرب مثلها أو أشد منها ولكن الناس أثروا الكتمان واتفقوا على النسيان فاذا كان قتل الملك للرجل من العظماء بهذه المنزلة من قلوب الأعداء ومن قلوب الحكماء والغوغاء فلاحظ بمن لو أبصروا رجلا قد أحياه بعد أن ضرب عنقه وأبان رأسه من جسده أليس يكون

جَزَى اللهُ ابنَ عُروةَ اذ خَذَلنا • عُقوقًا والعُقوقُ من الاثام

وقوله على مَطامِحِ الكف يقول على رفعها وابعادها يقال طَمَحَ بصرُه اذا ارتفع فأبعَدَ النظرَ

قال امرؤ القيس

لقد طَمَحَ الطَّمّاحُ من بُعدِ أرضه • ليُلبِسَني من دائه ما تَلَبَّسا

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس وهذا باب طريفٌ نَصِلُ به هذا الباب الجامع الذى ذكرناه وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب والمحدثين بعدهم فاحسنُ ذلك ما جاء باجماع الرواة مما مَرَّ لامرئ القيس فى كلام مختصر أى بيت واحد من تشبيه شئ فى حالتين بشيئين مختلفين وهو قوله

كأنَّ قلوبَ الطير رَطْبًا ويابسا • لَدَى وَكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالى

فهذا مفهوم المعنى فان اعترض معترض فقال فهلّا فَصَلَ فقال كانه رَطْبًا العُنّابُ وكأنّه يابسًا الحَشَفُ قيل له العربىُّ الفصيحُ القطنُ اللقنُ يَرْمِى بالقول مفهوما ما يَرَى ما بعد ذلك من التكرير عيًّا قال الله جل وعز وله المَثَلُ الأعلى ومن رحمته جَعَلَ لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله علمًا بان المخاطبين يعرفون وقت السكون ووقت الاكتساب ومن تمثيل امرئ القيس العجيب قوله

كأنَّ عُيونَ الوحشِ حَولَ خِبائنا • وأرحُلَنا الجَزْعُ الذى لم يُثَقَّبِ

ومن ذلك قوله

اذا ما الثُّرَيّا فى السماء تَعَرَّضَتْ • تَعَرُّضَ أثناءِ الوشاحِ المُفَصَّلِ

وقد أكثرَ الناسُ فى الثريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ولا بما يقارب هو وله هذه الالفاظ ومن أعجب التشبيه قول النابغة

فانكَ كاللّيلِ الذى هو مُدرِكى • وان خِلْتُ أنَّ المُنتَأَى عنكَ واسِعُ

وقوله

خَطاطيفُ حُجْنٌ فى حبالٍ مَتينةٍ • تَمُدُّبها أيدٍ اليكَ نَوازِعُ

وقوله

فانكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ • اذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ

ومن عجيب التشبيه قولُ ذى الرُّمَّة

وَرَدْتُ اعتِسافًا والثُّرَيّا كأنها • على قُنَّةِ الرأسِ ابنُ ماءٍ مُحَلِّقُ

وقوله

فجاءت بِمِسْحٍ العَنكبوتُ كأنه • على عَصَوَيْها سابِرِىٌّ مُسَبَّرُ

وتأويل هذا أنه يَصِفُ ماء قديمًا لا عَهْدَ له بالواردة فقد اصْفَرَّ واسْوَدَّ فقال

يكون تعجبهم من احيائه أشد من تعجبهم من قتله وكان يكون اخبارهم من خافوا فى منازلهم ومن ورد عليهم عن القتل ليكون سببا للاخبار عن الاحياء. اذ كان الأول صغيرا فى جنب الثانى فهذا يدل على ان اعلام الرسل عليهم الصلاة والسلام وآياتهم أحق بالظهور والشهرة والقهر للقلوب والايماع من مخارجهم وشرائعهم بل قد علم ان موسى عليه السلام لم يذكر ولم يشهر

وماء قديم العهد بالانس آجن • كأن الدبى ماء الغضا فيه تبصق

وقد أجاد علقمة بن عبدة الفحل فى وصف الماء الآجن حيث يقول

اذا وردت ماء كأن جمامه • من الآجن حنّاء معا وصيب

فقال ذو الرمة فى وصف هذا الماء فقرن بتغيره بعد مطله به

فأدلى غلامى دلوه يبتغى بها • شفاء الصدى والليل أدهم أبلق

يريد أن الفجر قد تنفس فيه فجاء يعنى الدلو بنسيج العنكبوت كأنه على عصوبها ساجرى مشبرق والساجرى الرقيق من الثياب والدرع والمشبرق المعرّق وأنشد أبو زيد

لهونا بسربال الشباب ملاوة • فأضحى سربال الشباب شبارقا

ومن التشبيه العجيب قول ذى الرمة فى صفة الظليم

شثن الجزارة مثل البيت سائره • من المسوح خدبّ شوقب خشب

الشثن الضئيل اليابس الضعيف والجزارة القوائم وقوله مثل البيت سائره من المسوح يعنى اذا مدّ جناحيه وانما أخذه من قول علقمة بن عبدة

صعل كان جناحيه وجؤجؤه • بيت أطافت به خرفا مهجوم

الصعل الصغير الرأس والخرفا التى لا تحسن شيأ وهى تفسد ما عرضت له قال الحطيئة

هم صنعوا الجار هم وليست • يد الخرفا مثل يد الصناع

والمهجوم المهدوم وفى الخبر أنه لما قتل بسطام بن قيس لم يبق بيت فى بكر بن وائل الا هجم أى هدم والخدب الضخم والشوقب الطويل والخشب الذى ليس يلين على من نزل به ومن التشبيه المصيب قوله فى صفة روضة

فرحاء حوّاء أشراطيّة وكفت • فيها الذهاب وحفتها البراعيم

فرحاء يريد الأنوار وقوله حواء يقول تضرب الى السواد لشدة ريّها وخضرتها وكذلك المفسرون يقولون فى قول الله جل وعز مدهامتان تضربان الى الدهمة لشدة خضرتهما وريّهما وقوله أشراطية ليس مما قصد له ولكنه مما يجرى فيفسّر ومعناه أنها مطرت بنوء الشرطين وحدثنى الزيادى قال سمعت الاصمعى وسئل بحضرتى أو سألته عن قوله أشراطية فقال باستنه واستن عرسه وذلك أن الاصمعى كان لا ينشد ولا يفسّر ما كان فيه ذكر الأنواء لقول رسول الله صلى الله عليه

الا لأعاجيبه ولآياته وكذلك عيسى عليه السلام ولولا ذلك لما كانا الا كغيرهما ممن لا يشعر بموته ولا مولده وكيف تتقدم المعرفة بهما المعرفة باعلامهما وأعاجيبهما وأنت تسمع بذكرهما قط دون ماذكر من اعلامهما فاذا كان شأن الناس الاخبار عن كل عجيب وحكاية كل عظيم والاطراف بكل طريف وايراد كل غريب من أمور دنياهم فما لا يمتنع فى طبائعهم ولا

عليه وسلم اذا ذكرت النجوم فامسكوا الان الخبر في هذا بعينه مطرنا بنوء كذا وكذا وكان لا يفسر ولا ينشد شعرا فيه هجاء وكان لا يفسر شعرا بوافق تفسيره شيأ من القرآن هكذا يقول أصحابه وسئل عن قول النمّاخ

طوى طمأها في بيضة الصيف بعدما ٭ جرى في عنان الشعرين الأماعز

فابى أن يفسر في عنان الشعرين وأما قوله الذهاب فهي الأمطار اللينة الدائمة ويقال انها أنجع المطر في النبت وكذلك المعهاد وأنشد الاصمعي

أمير عمّها بالنعماء حتى ٭ كأنّ الارض جلّلها المعهاد

والبراعيم واحدتها براعومة وهي أكمة الروض قبل أن تتفتق يقال لواحدها كم وكام فمن قال كام فجمعه أكمة مثل صمام وأصمة وزمام وأزمة ومن قال كم فالجمع أكمام قال الله عز وجل والنخل ذات الأكمام ومن ذلك قول الآخر أحسبه توبة بن الحمير (قال أبو الحسن يقال انه لمجنون بني عامر وهو الصواب)

كأنّ القلب ليلة قيل يُغدى ٭ بليلى العامريّة أو يُراح
قطاة عزّها شرك فباتت ٭ تعالجه وقد عاق الجناح
(لها وكران قد غالقا بوكر ٭ فعشّهما تصفقه الرياح
فلا بالليل نالت ما ترجّى ٭ ولا بالصبح كان لها براح)

ويروى تجاذبه فهذا غاية الاضطراب وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار وقال الشيباني للحجّاج

هلا برزت الى غزلة في الوغى ٭ بل كان قلبك في جناحي طائر

فهذا يجوز أن يكون في الخفقان وفي الذهاب البتّة ومن التشبيه المحمود قول الشاعر

طليق الله لم يمنن عليه ٭ أبو دارد وابن أبي كثير
ولا الحجّاج عيني بنت ماء ٭ تقلّب طرفها حذر الصقور

وهذا غاية في صفة الجبان ونصب عيني بنت ماء على الذم وتأويله أنه اذا قال جاءني عبد الله الفاسق الخبيث فليس يقول الا وقد عرفه بالخبث والفسق فنصبه بأعني وما أشبهه من الافعال نحو أذكر وهذا أبلغ في الذم أن يقيم الصفة مقام الاسم وكذلك المدح وقول الله تبارك وتعالى والمقيمين الصلاة بعد قوله لكن الراسخون في العلم منهم انما هو على هذا ومن زعم أنه أراد ومن

يخرج من قوى الخليقة في البطش والحيلة أحق بالاخبار والاذاعة وبالاظهار والافاضة هذا على ان يترك الطباع وما تولد عليه والنفوس وما تنتج والعلل وما يضر فكيف ان كان الله عز وجل قد خص اعلام أنبيائه وآيات رسله عليهم السلام من تهييج الناس على الاخبار عنها ومن تحضير للاسماع لحفظها بخاصة لم يجعلها لغيرها

﴿ فصل منه ﴾ فان قال

المقيمين الصلاة فخطئ فى قول البصريين لانهم لا يعطفون الظاهر على المضمر المخفوض ومن أجازه من غيرهم فعلى قبح كالضرورة والقرآن انما يحمل على أشرف المذاهب وقرأ حمزة الذى تساءلون به والأرحام وهذا مما لا يجوز عندنا الا أن يضطر اليه شاعر كما قال

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا ● فاذهب فما بك والايام من عجب

وقرأ عيسى بن عمر وامرأته حمالة الحطب أراد وامرأته فى جيدها حبل من مسد فنصب حمالة على الذم ومن قال ان امرأته مرتفعة بقوله سيصلى نارا ذات لهب فهو يجوز وليس بالوجه أن يعطف المظهر المرفوع على المضمر حتى يؤكد نحو اذهب أنت وربك فقاتلا واسكن أنت وزوجك الجنة فاما قوله لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانه لما طال الكلام وزادت فيه لا احتمل الحذف وهذا على قبحه جائز أعنى ذهبت وزيد وأذهب وعمرو قال جرير

ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه ● مام يكن وأب له لينالا

وقال ابن أبى ربيعة قالت اذا أقبلت وزهر تهادى ● كنعاج الملا تعسفن رملا

ومما ينصب على الذم قول النابغة

لعمرى وما عمرى على هين ● لقد نطقت بطلا على الأقارع

أقارع عوف لا أحاول غيرها ● وجوه قرود تبتغى من تخادع

وقال عروة بن الورد العبسى سقونى الخمر ثم تكنفونى ● عداة الله من كذب وزور

والعرب تنشد قول حاتم الطائى رفعا ونصبا

ان كنت كارهة معيشتنا ● هاتا فحلى فى بنى بدر

الضاربين لدى أعنتهم ● والطاعنين وخيلهم تجرى

وانما خفضوهما على النعت وربما رفعوهما على القطع والابتداء وكذلك قول الخرنق بنت هفان القيسية من بنى قيس بن ثعلبة

لا يبعدن قومى الذين هم ● سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معتـرك ● والطيبين معاقد الأزر

وكل ما كان من هذا فعلى هذا أكثر انشاده وان لم يرد مذهبا ولا ذما قد استقر له فوجهه النعت

قائل ان الجنة لا تكون حقة حتى تجز الخليقة وتخرج من حد الطاقة كاحياء الموتى والمشى على الماء وكشقاق البحر وكاطعام الثمار فى غير أوان الثمار وكانطاق السباع واشباع الكثير من القليل وكلما كان جسما مخترعا وجرما مبتدعا وكالذى لا يجوز ان يقولا الا الخالق ولا يقدر عليه الا الله عز وجل ذكره فاما الاخبار التى هى أفعال العباد وهم تولوها وبهم كانت وبقولهم حدثت

وقرأ بعض القراء فتبارك الله أحسن الخالقين وأكثر ما تنشد العرب بيت ذي الرمة نصبا لانه لما ذكر ما يحن اليه ويصبو الى قربه أشاد بذكر ما قد كان يبغي فقال

ديار مية اذ مي تساعفنا • ولا يرى مثلها عجم ولا عرب

وفي هذه القصيدة من التشبيه المصيب قوله

بيضاء في دعج صفراء في نعج • كأنها فضة قد مسها ذهب

وفيها من التشبيه المصيب

تشكو الحشاش ومجرى النسعتين كما • أن المريض الى عواده الوصب

الحشاش ما كان في عظم الانف وما كان في المارن فهو برة يقال أبريت الناقة فهي مبراة قال النمر

فقربت مبراة تخال ضلوعها • من الماشيات القسي الموترا

وماشية من بني نصر من الازد واليهم نسبت القسي الماشية وأحسن ما قيل في صفة الضلوع واشتباكها قول الراعي وكأنما انتطحت على أنيابها • قدر بشابة قد تمشن وعولا

الفادر المسن من الوعول وذو الرمة أخذ ذلك المعنى من قول المثقب العبدي

اذا ما قمت أرحلها بليل • تأوه آهة الرجل الحزين

ومن التشبيه المستحسن قول علقمة بن عبدة

كأن ابريقهم ظبي على شرف • مفدم بسبا الكتان ملثوم

فهذا حسن جدا وقال أبو الهندي وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي الرياحي من بني رياح بن يربوع وكان شبث سيد بني يربوع بالكوفة

مفدمة قزا كأن رقابها • رقاب بنات الماء أفزعها الرعد

وكان أبو الهندي قد غلب عليه الشراب على كرم منصبه وشرف أسرته حتى كاد يبطله وكان عجيب الجواب فجلس اليه رجل مرة يعرف ببيرزين المناقير وكان أبوه صلب في خرابة والخرابة عندهم مرعى الابل خاصة فأقبل يعرض لابي الهندي بالشراب فلما أكثر عليه قال أبو الهندي أحدهم يرى القذاة في عين أخيه ولا يرى الجذع في انسية أبيه وفي الخرابة يقول الراجز

فلا يجوز ان يكون حجة اذ كان لا حجة الا ما لا يقدر عليه الخليقة وما لا يتوهم من جميع البرية قلنا انا لم نزعم ان الاخبار حجة فيحتجوا علينا بها وانما زعمنا ان مجيئها حجة والمجيء ليس هو أمر يتكلفه الناس ويختارونه على غيره ولو كان كذلك لكانوا متى أرادوه فعلوه وتهيؤا له ولفعلوه في الباطل كما يجيء لهم في الحق والمجيء أيضا ليس هو فعلا قائما فيستطيعوه أو يعجزوا عنه وانما

والحارب اللص يحب الحاربا • وذلك قربى مثل أن تناسبا • ان تشبه الضرائب الضرائبا

وقال الآخر

ائت الطريق واجتنب أرماما • انّ بها أكّالة أو زاما • خوّارتين ينتفان الهاما

(زاد أبو الحسن • لم يترك المسلم طعاما •) نصب خوارتين على أعني لا يكون غير ذلك لانه انما أثبت أحدهما بقوله أو ومر نصر بن سيار الليثي بأبي الهندي وهو يميل سكرا فقال له أفسدت شرف فقال أبو الهندي لو لم أفسد شرفي لم تكن أنت والي خراسان وحجّ به نصر بن سيار مرة فلما ورد الحرم قال له نصر انك بفناء بيت الله ومحل وفوده فدع الشراب حتى ينفر الناس واحتكم علي ففعل فلما كان يوم النفر أخذ الشراب فوضعه بين يديه وأقبل يشرب ويبكي ويقول

رضيع مدام فارق الراح روحه • فظل عليها مستهل المدامع

أديرا علي انما كأس ابنتي فقدتها • كما فقد الفطوم درّ المراضع

وكان يشرب مع قيس بن أبي الوليد الكناني وكان أبو الوليد ناسكا فاستعدى عليه وعلى ابنه فهربا منه وقال أبو الهندي قل للسريّ أبي قيس أتوعدنا • ودارنا أصبحت من داركم صددا

أبا الوليد أما والله لو عملت • فيك الشمول لما حرّمتها أبدا

ولا نسيت حُميّاها ولذّتها • ولا عدلت بها مالا ولا ولدا

ثم نرجع الى التشبيه وربما عرض الشيء والمقصود غيره فيذكر للفائدة تقع فيه ثم يعاد الى أصل الباب قال أبو العباس وقال عُروة بن حزام العُذري

كأنّ قطاة علقت بجناحها • على كبدي من شدة الخفقان

ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فآية ذلك أن تكون عند قربه منها مُرتدّة النظر عنه كما تنظر الى انسان من ورائه واذا كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه واذا نهض نظرت من ورائه الى نهضه حتى يزول عنها فقال رجل أردت أن أعلم كيف حالي عند امرأتي فالتفتُّ وقد نهضت من بين يديها فاذا هي تُكاتح في قفاي وقال الفرزدق في هذا المعنى والنوار تخاصمه عند عبد الله بن الزبير

قد ونكتها يا ابن الزبير فانها • مُواتعةٌ يُوهي الجارة قيلها

اذا جلست عند الامام كأنها • ترى رفقة من خلفها تستحيلها

هو ان الانسان يعلم انه اذا اتى البصريين فأخبروه انهم قد عابوا عليه شيأ ثم اتى الكوفيين فأخبروه بمثل ذلك انهم قد صدقوا اذ كان مثلهم لا يتواطؤ على مثل خبرهم على جهلهم بالغيب وعلى اختلاف طبائعهم وهممهم وأسبابهم فليس بين هذا وبين احياء الموتى والمشي على الماء فرق اذ كان الناس لا يقدرون عليه ولا يطمعون فيه والمجيء انما هو معنى معقول

قوله

قوله مولعة يقول مولعة بالنظر مرة ههنا ومرة ههنا وقوله ترى رفقة يقال رفقة ورفقة ومعنى تستحيلها انتبين حالاتها قال حميد بن ثور

مروعة تستحيل الشخوص • من الخوف تسمع مالا ترى

(قوله مروعة يقول كل شئ يدنيني من الظفر بها يروعها وينفرها)

ومن عجيب التشبيه قول جرير فيما يكنى عن ذكره

ترى الصبيان ما كفة عليها • كعنفقة الفرزدق حين شابا

ويقال ان الفرزدق حين أنشد النصف الاول ضرب بيده الى عنفقته توقعا لعجز البيت ومن التشبيه الحسن قول جرير فى صفة الخيل

يتشففن للنظر البعيد كأنما • ارنانها ببوائن الاشطان

قوله يتشففن ويتشوفن فى معنى واحد وقوله كأنما ارنانها ببوائن الاشطان أراد شدة صهيلها يقول كأنما يصهلن فى آبار واسعة تبين أشطانها عن نواحيها ونظير ذلك قول النابغة الجعدى

ويصهل فى مثل جوف الطوى • صهيلا يبين للمعرب

المعرب العالم بالخيل العراب ومن حسن التشبيه قول عنترة

غادرن نضلة فى معرك • يجرى الاسنة كالمخضب

يقول طعن وغودرت الماح فيه فظل يجرها كأنه حامل حطب ومن التشبيه المتجاوز المفرط قول الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به • كأنه علم فى رأسه نار

فجعلت المهتدى يأتم به وجعلته كنارفى رأس علم والعلم الجبل قال جرير • اذا قطعن علما بدا علم •

وقال الله جل ثناؤه وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام ومن هذا الضرب من التشبيه قول العجاج • تقضى البازى اذا البازى كسر • والتقضى الانقضاض وانما أراد سرعتها والعرب تبدل كثيرا الياء من أحد التضعيفين فيقولون تظنيت والاصل تظننت لانه تفعلت من الظن وكذلك تقصيت من الانقضاض أى تقضضت وكذلك تسريت ومثل هذا كثير ومن تشبيه المحدثين المستطرف قول بشار

كأن فؤاده كرة تنزى • حذار البين ان نفع الحذار

(يروعه السرار بكل أمر • مخافة أن يكون به السرار)

وشئ موهوم اذا كان كيف يكون ومعلوم ان الناس لا يمكنهم ان يقدروا عليه ولا يستطيعون فعله وانما مدار أمر الحجة على عجز الخليقة فمتى وجدت أمرا ووجدت الخليقة عاجزة عنه فهى حجة ثم لا علم جوهرا كان أو عرضا أو موجودا أو متوهما معقولا ألا ترى أن فلق البحر ليس هو من جنس اختراع الثمار لان الفلق هو انفراج أجزاء والثمار أجرام حادثة وكذلك لو ادعى رجل ان

وفى هذه القصيدة جَفَتْ عينى عن التغميض حتى ٭ كأنّ جفونها عنها قصارُ
أقولُ وليلتى تزدادُ طولاً ٭ أما لليل بعدهمُ نهارُ

وقال الحسن بن هانئ فى صفة الخمر

فاذا ما لمستها فهباءٌ ٭ تمنع اللمس ما تبيح العيونا
درس الدهرُ ما تجسّم منها ٭ وتبقّى لُبابها الممكنونا
فهى بكرٌ كانها كلّ شئ ٭ يتمنّى مخبّرٌ أن يكونا
فى كؤوس كأنهنّ نجومٌ ٭ جاريات بروجها أيدينا
طالعاتٌ مع السُقاة علينا ٭ فاذا ما غربن يغربن فينا

فهذه قطعة من التشبيه غاية على صُنف كلام المحدثين وقال الخفى وهو اسحق بن خَلَف فى صفة السيف

ألقى بجانب خَصْره ٭ أمضى من الأجل المُتاح
فكانما ذرّ الهبا ٭ ء عليه أنفاسُ الرياح

وقال مُسلم بن الوليد الانصارى فى مدحه يزيد بن مَزْيد

تمضى المنايا كما تمضى أسنّتُه ٭ كأنّ فى سرجه بدراً وضرغاما

وقال دِعبِل بن علىّ فى صفة مصلوب

لم أرَ صَفّا مثل صَفّ الزطّ ٭ تسعين منهم صُلبوا فى خطّ
من كل عالٍ جذعُه بالشطّ ٭ كأنه فى جذعه المُشَطّ
أخو نُعاسٍ جدّ فى التمطّى ٭ قد حامَ النومَ ولم يغطّ

(وقال آخر فى صفة مصلوب وهو يزيد المُهلّبىّ

قام ولمّا يستتمّ بساقه ٭ ألفٌ مَثْواه على فراقه ٭ كانما يخطُبُ فى أشداقه

أراد بياض الشريط فى فيه) وقال أعرابى فى صفة مصلوب (وهو الاخطل قال أبو الحسن الاخطل الذى يعنى رجل مُحدَث من أهل البصرة ويعرف بالأُخَيطِل ويُلقّب ببَرْقوقا وذكر أبو الحسن أن أبا العباس كان يُدلّس به)

كأنه عاشق قد مدّ صفحتَه ٭ يوم الفراق الى توديع مُرتحِل

الله عز وجل أرسله فجعل حجته علينا لاخبار عما أكلنا وادخرنا وأضمرنا لكان قد احتج علينا فان قلت ان المنجمين ربما أخبروا بالضمير وبالأمر المستور وببعض ما يكون قلنا هناك فرق فان خطأ المنجمين كثير وصوابهم قليل بل هو أقل من القليل وأنتم لا تقدرون ان تقفون من أخبار المرسلين عليهم السلام فى كثير أخبارهم على خطأ واحد والذى سهل قليل المنجمين

أوقائم من نعاس فيه لو نثته • مواصل لتمطيه من الكسل

(وقال مسلم بن الوليد وصفته حيث تراب الرياح به • ويحسد الطير فيه أضبع البلد)

وقال حبيب بن أوس (قال أبو الحسن يعني به اسحق بن ابراهيم الطاهري)

قد قلصت شفتاه من حفيظته • بخيل من شدة التعبيس مبتسما

وقال أيضا في رجل ينسبه الى الدعوة (وهو اسحق بن ابراهيم الطاهري)

وتنقل من معشر في معشر • فكان أمدا وآبالا الزئبق

يقال زئبق وزئبر مهموزان ودرهم مزأبق وثوب مزأبر ومن افراط التشبيه قول أبي خراش الهذلي يصف سرعة ابنه في العدو

كأنهم يسعون في اثر طائر • خفيف المشاش عظمه غير ذي نحض

يبادر وجه الليل فهو مهابذ • يحث الجناح بالتبسط والقبض

وقال أوس بن حجر (قال أبو الحسن أهل الكوفة يرونها العبيد بن الأبرص)

كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت • من ماء أدكن في الحانوت نضاح

أو من معتقة وزهاء نشوتها • أو من أنابيب رمان وتفاح

وقال ابن عبدل يهجو رجلا بالبخر

نكهت على نكهة أخذ بها • شتيم شابيب الأنياب وزد

وفي هذا الشعر فما يدنو الى فيه ذباب • ولو طالت مشافره بقند

يرين حلاوة ويخفن موتا • وشيكا ان هممن له يرد

الذباب الواحد من الذبان وأدنى العدد فيه أذبة والكثير الذبان ولكنه ذكر واحدا ثم خبر عن سائر الجنس والاسد أنثى السباع فما كما أن الصقر أنثى الطير فما قال بعض المحدثين في رجل يهجوه والمهجو داود بن بكر وكان ولي الاهواز وفارس والشعر لابي الشمقمق

وله لحية تيس • وله منقار نسر وله نكهة ليث • خالطت نكهة صقر

وقال عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن ابن عائشة

من يكن ابطه كباط ذا الخلـ ـق فابطاي في عداد الفقاح

ظرافة ذلك منهم لانهم لو قالوا فأخطأوا أبدا لما كان عجبا لانه ليس يجب ان يكون الناس لا يعلمون ما يكون قبل ان يكون ومن أعجب العجب ان يوافق قولهم بعض ما يكون وقد نجد المنجمين يختلفون في القضية الواحدة ويخطئون في أكثرها وقد نجد الرسول يخبرونهم عما يأكلون ويشربون ويدخرون ويضمرون في الامور الكثيرة المعاني والمختلفة في

لي ابطان يرميان جليسي • بشبيه السلاح أو بالسلاح

فكأني من بينهما وهذا • جالس بين مصعب وصباح

يعني مصعب بن عبد الله الزبيري وصباح بن خاقان المنقري وكانا جليسين لا يكادان يفترقان وصديقين متواصلين لا يكادان يتصارمان فحدثت أن أحمد بن هشام لقيهما يوما فقال أما سمعتما ما قال فيكما هذا يعني اسحق بن الموصلي فقالا ما قال فينا الا خيرا قال قال

لام فيها مصعب وصباح • فعصينا مصعبا وصباحا

وأبينا غير سعي اليها • فاسترحنا منهما واستراحا

قالا ما قال الا خيرا والمكروه ما قال فيك اذ يقول

وصافية تغشى العيون رقيقة • رهينة عام في الدنان وعام

أدرناها الكأس الريقة موهنا • من الليل حتى انجاب كل ظلام

فما زر قرن الشمس حتى كأننا • من الحي نحكي أحمد بن هشام

واعلم أن للتشبيه حذاقا لاشياء تتشابه من وجوه وتتباين من وجوه فانما ينظر الى التشبيه من حيث وقع فاذا شبه الوجه بالشمس فانما اراد الضياء والرونق ولا يراد العظم والاحراق قال الله جل وعز كأنهن بيض مكنون والعرب تشبه النساء ببيض النعام تريد نقاء من نعمة لونه قال الراعي

كأن بيض نعام في ملاحفها • اذا اجتلاهن قيظ ليله برد

وقيل للدوسية وهي امرأة حكيمة من العرب بحضرة عمر بن الخطاب رحمه الله أي منظر أحسن فقالت قصور بيض في حدائق خضر فأنشد عمر بن الخطاب لعدي بن زيد

كدمى العاج في المحاريب أو كالبيض في الروض زهره مستنير

وقال الآخر كالبيض في الأدحي يلمع بالضحى • فالحسن حسن والنعيم نعيم

وقال جرير ما استوصف الناس عن شيء برقهم • الا رأوا أم نوح فوق ما وصفوا

كأنها مزنة غراء رائحة • أودية لا يواري لونها الصدف

المزنة السحابة البيضاء خاصة وجمعها مزن قال الله جل وعز أأنتم أنزلتموه من المزن فالمرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مرها قال الأعشى

الوجوه حتى لا يخطئ في شيء من ذلك وليس في الارض منجم ذكر شيأ أو رافق ضميرا الا وأنت واجد بعض ما يزجر قد يجيء بمثله وأكثر منه فان قلت ان الناس يكذبون في الأخبار عن الاعراب والكهان من كل جيل قلنا فهم في أخبارهم عن المنجمين أكذب وبعد فالناس غير مستعظمين لكثرة كذب المنجمين وخطئهم وخدعهم والناس يستقطعون البيمرس المرسلين عليهم

كأنَّ مشيتَها من بيت جارتها • مَرُّ السحابة لا ريثٌ ولا عَجَلُ

الريثُ الابطاء فهذا ما تلحقُهُ العينُ منها فاما الخفَّةُ فهى كمرع مارّ وان خفى ذلك على البصر قال الله جل وعز وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرُّ مرَّ السحاب والعرب تُشبِّهُ المرأة بالشمس والقمر والغُصن والغزال والبقرة الوحشية والسحابة البيضاء والدُّرَّة والبيضة وانما تقصدُ من كل شئ الى شئ قال ذو الرُّمَّة

وميَّةُ أحسنُ الثقلين جيدًا • وساقًا وأحسنُهم قذالا

فلم أرَ مثلها نظرا وعينًا • ولا أمَّ الغزال ولا الغزالا

تريكَ بياضَ غُرَّتها ووجهًا • كقرن الشمس أفتقَ ثم زالا

أصابَ خصاصةً فبدا كليلاً • كلا وانثلَّ سائرُهُ انثلالا

الجيد العنق والساقة ناحية العنق والقذال ناحيتا القفا من الرأس وقوله أفتق ثم زال يقال أفتقَ السحاب اذا انكشف انكشافة فكانت فيه فُرجةٌ يسيرة بين السحابتين تقول العرب دامَ علينا الغيمُ ثم أفتقنا واذا نُظر الى الشمس والقمر من فَتْق السحاب فهو أحسن ما يكون وأشدُّه استنارة وقوله كلا يريد فى سرعة مابدا ثم غاب وقال الله عز وجل كأنَّهنَّ الياقوتُ والمرجانُ وقال تبارك وتعالى كأمثال اللؤلؤ المكنون والمكنون المصونُ يقال كَنَنْتُ الشئ اذا صُنْتَهُ وأكننتُهُ اذا أخفيتَهُ وهذا المعروف قال الله تبارك وتعالى أو أكننتم فى أنفسكم وقد يقال كننتُهُ أخفيتُهُ وقد قال جرير فى يزيد بن عبد الملك وأمُّه عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان

الحزمُ والجودُ والايمانُ قد نزلوا • على يزيدَ أمين الله فاختلفوا

ضخمُ الدسيعة والايمان غرتُهُ • كالبدر ليلة كاد الشهرُ ينتصفُ

وقال ذو الرُّمَّة فياظبيةَ الوعساء بين جُلاجل • وبين النقا آأنتِ أم أمُّ سالم

وقال ابن أبى ربيعة أبصرتُها ليلةً ونسوتُها • يمشين بين المقام والحجر

يرفُلْنَ فى الريط والمروط كما • تمشى الهوينا سواكنُ البقر

فهذه تشبيهات غريبات مفهومة وقال أبو عبد الرحمن العطوىُّ

قد رأينا الغزالَ والغُصنَ والبد • رَ من شمس الضحى وبدرَ الظلام

السلام وكلما كان الرجل فى عينك أعظم وكان عن الكذب أزجر كان كذبه عندك أعظم وانما المنجم عند العوام كالطبيب الذى ان قتل المريض علاجه كان عندهم ان القضاء هو الذى قتله وان برأ كان هو برأه على ان صوابهم أكثر ودليلهم أظهر وقد صار الناس لا يقتصرون للمنجمين على قدر ما يسمعون منهم دون ان يولدوا لهم ويضعوا الاعاجيب عن

فوحق البيان يعضده البر * هان في مأقط ألد الخصام

ما رأينا سوى الملحمة شيئا * جمع الحسن كله في نظام

فهي تجري مجرى الاصالة في الرأ * ي ومجرى الارواح في الاجسام

البرهان الحجة قال الله عز وجل قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين أي حجتكم والمأقط موضع الحرب فضربه مثلا لموضع المناظرة والمحاجة والألد الشديد الخصومة قال الله تبارك وتعالى لتنذر به قوما لدا وقال وهو ألد الخصام وقالت ليلى الاخيلية

كأن فتى الفتيان توبة لم يخف * بغي ولم يطلع مع المتغور

ولم يقدع الخصم الالد لاحد * جفان سديف يوم نكباء صرصر

السديف شحم السنام والنكباء الريح بين الريحين لان الرياح أربع وما بين كل ريحين نكباء فهي ثمان في المعنى فما بين مطلع سهيل الى مطلع الفجر جنوب وانما تأتي الجنوب من قبل اليمن قال جرير

وحدثا نفحات من يمانية * تأتيك من قبل الريان احيانا

واذا هبت من تلقاء الفجر فهي الصبا تقابل القبلة فالعرب تسميها القبول قال الشاعر

اذا قلت هذا حين أسلو يهيجني * نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

واذا أتت من قبل الشام فهي شمال قال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام تضربنا * بحاصب كنديف القطن منثور

وهي تقابل الجنوب وكذلك قال امرؤ القيس

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب وشمأل

واذا جاءت من دبر البيت الحرام فهي الدبور وهي تهب بشدة والعرب تسميها المحوة عن أبي زيد لانها تمحو السحاب ومحوة معرفة لا تنصرف فاما الاصمعي فزعم ان محوة من أسماء الشمال وأنشدا جميعا

قد بكرت محوة بالعجاج * فدمرت بقية الرجاج

الرجاج حاشية الابل وضعافها وقال الاعشى

لها زجل كحفيف الحصا * د صادف بالليل ريحا دبورا

ولهذه الرياح أسماء كثيرة وأحكام في العربية لان بعضهم يجعلها انعوتا وبعضهم يجعلها أسماء

ألسنتهم وكل ملحد في الارض للرسول طاعن عليه عائب له يرى ان يصدق عليه كل كذاب يريد ذمه وان يكذب كل صادق يريد مدحه وبعد فلو كان خبر المخبرين في الصواب كخبر الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام الذي هو حجة لما كان خبر المخبرين حجة فان قلت ولم ذاك قلت لان من كثر صوابه على غير استدلال ومقايسة وعلى غير حساب وتجربة أو على نظر

وكذلك

وكذلك مصادرها تحتاج الى الشرح والتفسير ونحن ذاكرون ذلك في عقب هذا الباب ان شاء الله يقال جَنَبَتِ الريحُ جُنوبًا وشَمَلَتْ شُمولًا ودَبَرَتْ دُبورًا وصَبَتْ صَبًّا وسَمَتْ سُمومًا وحَرَّتْ حُرورًا مضمومات الاوائل فاذا أردتَ الاسماء فتحتَ أوائلها فقلت جَنوبٌ وشَمولٌ وسَمومٌ ودَبورٌ وحَرورٌ ولم يأت من المصادر شيءٌ مفتوح الاول الا أشياءُ يسيرة قالوا توضأتُ وَضوءًا حسنًا وتطهرت طَهورًا وأُولعتُ بالشيءِ ولوعًا وان عليه لقَبولًا ووقَدَتِ النارُ وَقودًا وأكثرهم يجعل الوَقودَ الحطب والوُقودَ المصدر ويقال الشَّمالُ على لغات ست يقال شَمالٌ وشَأْمَلٌ وشَأْمَلٌ وشَمَلٌ وشَمْلٌ وشامَلٌ غيرُ مهموز ويقال للشمال الجِرْبِياءُ قال ابن أحمر

يَحُومُ من قَسَا ذَفِرِ الحَزْمَى • تَدَاعَى الجِرْبِياءُ به الحَنِينا

ويقال للجنوب الأَزيبُ ويقال للصَّبا القَبولُ وبعضهم يجعله للجنوب وهو في الصَّبا أشهر بل هو القول الصحيح والأَرُ والهَبْرُ والأَرْوُ والهَبْرُ قال الشاعر • مَطاعيمُ أيسارًا اذا الهَبْرُ هَبَّتِ ❁

فهذا يدل على أنه الصَّبا وذلك أنهم انما يمتدحون بالاطعام في المَشْتاة وشِدَّة الزمان كما قال طَرَفَةُ

نحن في المَشْتاةِ نَدْعو الجَفَلَى • لا تَرَى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ

الجفلى العامة والنَّقْرى الخاصة والآدب صاحب المَأْدُبة يقال مَأْدُبة ومَأْدُبة للدعوة وفي الحديث ان القرآن مَأْدُبة الله قال أهل العلم معناه مَدْعاةُ الله وليس من الأَدَب وأكثر المفسرين قالوا القولَ الاول وكلاهما في العربية جائز ويدل على القول الاول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا والجَفْنةَ الغَرّاءَ أي التي يجتمع الناس عليها ويُدْعَوْنَ اليها ويقال في الدعوة أَدَبَه يَأْدُبُه أَدْبًا اذا دعاه قال الشاعر

وما أَهْجُ الضَّحّاكَ الا لِكَلْبِهِ • لُعاطًا فأَرْسَلْنا المَنِيَّةَ نَأْدُبُه

وقولنا في الرياح انها تكون أسماء ونعوتا نفسره ان شاء الله يقول أكثر العرب هذه ريح جَنوب وريح شَمال وريح دَبور فتجعل جنوبا وشمالا ودبورا وسائر الرياح نعوتا قال الاعشى

لها زَجَلٌ كتَفْيِيفِ الحَصا • دِصادِفُ بالليلِ ريحا دَبورا

وقال زُهَيرٌ

مَكَلَّلُ باصولِ النَّبْتِ تَسْحَبُهُ • ريحُ شَمالٍ لِضاحي مائِهِ حُبُكُ

وقال جرير ❁ ريحُ خَرِيقٍ شَمالٌ أو يَمانِيَةٌ ❁ فهذا يكون على النعت أجود لانه أوضحه بيمانية ولا تكون اليمانية الا نعتا لانها منسوبة فاما الخريق فهي الشديدة من كل ريح قال حُمَيْدُ بن ثَوْر

ومعاينة لم يكن الأمر من قبل الوحي لانك لو قلت قصيدة في نفسك فحدثك بها رجل وأنت تعلم انه ليس بمنجم وأنشدكها كلها لعلمت ان ذلك لا يكون الا بوحي ومثل ذلك رجل اشتد وجع عينه فعالجه طبيب فبرئ فلو جعل الطبيب ذلك حجة على نبوته لوجب علينا تكذيبه ولو قال رجل من غير ان يمسه أو يدنو اليه اللهم ان كنت صادقا عليك فاشفه الساعة فبرئ من

بمثوى حرام والمطيُّ كأنه ❁ قنا مسندهبت لهن خريق

والبليل الباردة من كل الرياح وأصل ذلك الشمال قال جرير يعير بني مجاشع بخذلانهم الزبير ابن العوام في كلمة يقول فيها

اني تذكرني الزبير حمامة ❁ تدعو بأعلى الأيكتين هديلا
يا لهف نفسي اذ يغرك حبلهم ❁ هلا اتخذت على القيون كفيلا
قالت قريش ما أذل مجاشعا ❁ جارا وأكرم ذا القتيل قتيلا
أفبعد مقتركم خليل محمد ❁ ترجو القيون مع الرسول سبيلا
أفنى الندى وفنى الطعان غمرتم ❁ وأخا الشمال اذا تهب بليلا

ويروى أن أحيحة بن الجلاح الانصاري وكان يبخل اذا هبت الصبا طلع من أطمه فنظر الى ناحية هبوبها ثم يقول لها هي هبوبك فقد أعددت لك ثلثمائة وستين صاعا من عجوة أدفع الى الوليد منها خمس تمرات فيرد علي منها ثلاثا أي اصلابها بعد جهد ما يلوك منها اثنتين وكان لبيد بن ربيعة ابن مالك بن جعفر بن كلاب شريفا في الجاهلية والاسلام قد نذر أن لا تهب الصبا الا نحر وأطعم حتى تنقضي فهبت بالاسلام وهو بالكوفة مقتر مملق فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان واليها لعثمان بن عفان وكان أخاه لامه وأمهما أروى ابنة كريز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس وأم أروى البيضاء بنت عبد المطلب فخطب الناس وقال انكم قد عرفتم نذر أبي عقيل وما وكد على نفسه وأعينوا أخاكم فنزل فبعث اليه بمائة ناقة (وأبيات يقول فيها

أرى الجزار تشحذ مدية ❁ اذا هبت رياح أبي عقيل
طويل الباع أبيض جعفري ❁ كريم المجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفري بمالديه ❁ على العلات والمال القليل

فلما أتته قال جزى الأمير خيرا قد عرف الأمير أني لا أقول شعرا ولكن اخرجي يا بنية فخرجت خماسية فقال لها أجيبي الأمير فأقبلت وأدبرت) وبعث الناس فقضى نذره في ذلك تقول ابنة لبيد

اذا هبت رياح أبي عقيل ❁ دعونا عند هبتها الوليدا

طويل

ساعته لعلمنا انه صادق فان قالوا وما علمنا ان محمدا عليه الصلاة والسلام لم يكن منجما قلنا ان علمنا بذلك كعلمنا بان العباس وحمزة وعليا وأبا بكر وعمر رضوان الله عليهم أجمعين لم يكونوا منجمين ولا أطباء متكهنين وكيف يجوز ان يصير انسان عالما بالنجوم من غير ان يختلف الى المنجمين أو يختلفوا اليه أو يكون علم النجوم فاشيا في أهل بلاده أو يكون في أهله واحد معروف به

(طويلَ الباعِ أبيضَ عَيْطَمِيًّا • أعانَ على مُرُوَّتِه لَبِيدا

بامثال الهضاب كأنَّ رَكْبًا • عليها من بنى حامٍ قُعودا

أبا وَهْبٍ جزاكَ الله خيرًا • نحرناها وأطعمنا الثريدا

فَعِدَّ انَّ الكريمَ له مَعادٌ • وظَنِّى بابن أَرْوَى أن يعودا

قال لها لبيد أحسنت يا بنيتى لولا أنك سألت فقالت ان الملوك لا يُسْتَحَى من مسئلتهم فقال لها يا بنيتى وأنت فى هذا الشعر) ومَنْ جعل الشمال والجنوب أسماء لم يَصْرِفها اذا سُمِّى بشئ منها رجلٌ لانك اذا سميت رجلا مذكرا باسم مؤنث على أربعة أحرف فصاعدا لاعلامة للتأنيث فيه لم تصرفه فى المعرفة وصرفته فى النكرة نحو عَناق وأتان وعقرب وان كان نعتا انصرف لانك اذا سميت رجلا مذكرا بنعت مؤنث لاعلامة فيه صرفته لانه مذكر نَعَتَّ به المؤنث نحو حائض وطالق ومُنْتِن ومُرْضِع واذا ذكرنا من الباب شيأ فلم نذكر منه فعلى مَجْراه ومنهاجه قال الشاعر فجعل ماوصفنا أسماء.

حالت وحيلَ بها وغَيَّرَ آيَها • طولُ البِلَى تَجْرِى به الريحان

ريحُ الشمال مع الجنوب ونارةً • رِهَمُ الربيع وصائبُ الهَتَّان

وقد أنشدوا بيت زهير • ريحُ الجنوب لضاحى مائه حُبُكُ • وقولنا لاعلامة فيه للتأنيث لتعرف كيف حكم علامات التأنيث لان ذلك انما يكون على ضربين فما كانت فيه ألف التأنيث مقصورة أو ممدودة فغير منصرف فى معرفة ولا نكرة لمذكر كان أو مؤنث فالمقصور نحو حُبْلَى وسَكْرَى وما أشبه ذلك والممدود نحو حمراء وصفراء وصحراء وما أشبه ذلك فان كانت ممدودة لغير التأنيث انصرف اذا كان لمذكر فى المعرفة والنكرة زائدا كان أو أصليا فالاصلى نحو سقاء وغذاء وحذاء وردا ء والزائدة نحو علباء وحِرْباء وقُوباء يا فتى ومن قال قُوبا يا فتى أنَّث ولم يصرف لان الاولى مُلْحَقَةٌ وهذه للتأنيث فأما الالف المقصورة التى لغير التأنيث فان كانت أصلية انصرفت فى المذكر نحو مَلْهًى ومَغْزًى ومُشْتَرًى وان كانت زائدة لغير التأنيث انصرفت فى النكرة ولم تنصرف فى المعرفة نحو أَرْطًى وعَلْقًى فمن جعل الواحدة عَلْقاةً وأما كانت فيه هاء التأنيث فهو منصرف فى النكرة وغير منصرف فى المعرفة لمذكر كان أو مؤنث عربيا كان أو أعجميا فهذه جملة هذا الباب فاما قياسه وشرحه فقد أتينا عليه فى الكتاب المقتضب ونقول فى أكثر

ولو بلغ انسان فى علم النجوم وليست معه علة من هذه العلل وكان ذلك يخفى لكان ذلك كبعض الآيات والعلامات ومتى رأينا حاذقا بالكلام أو بالطب أو بالحساب أو بالغناء أو بالنجوم أو بالعروض نخفى على الناس موضعه وسببه وجميع ماذكرنا فعناية الناس به وعداوتهم له وشهرته فى نفسه دون محمد صلى الله عليه وسلم وهل نسب أحد قط لأحد الادون مانسبه

الكلام هبّت جنوبا وهبت شمالا فاستغنى عن ذكر الريح وهذا مما يؤكدانها نعوت لان الحال انما يراد بها أن تقع فيما يكون نعتا قال جرير

هبّت شمالا فذكرى ما ذكرتكم • عند الصفاة التى شرقى حورانا

وقال الآخر فأى حى اذا هبّت شآميةٌ • واستقبلت بالمأسور ذى الذنب

المأسور يعنى قتبا وانما الأسر الشد بالقد حتى يحكم وانما قيل الاسير من ذا لانه كان يشد بالقد ثم قالت العرب لكل محكم شديد الأسر قال الله تبارك وتعالى نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وقوله ذى الذنب يعنى الفصل التى وسعته وأسبغته يقال غبيط مذنب أى ذو ذنب أى موسع والغبيط مركب من مراكب النساء وقال أوس بن حجر فى شدة البرد وغلبة الشمال يرثى

فضالة بن كلدة الاسدى والحافظ الناس فى قحوط اذا • لم يرسلوا قعت عائذ ربعا

وعرّت الشأم الرياح وقد • أمسى كميع الفتاة ملتفعا

وكانت الكاعب المنعمة السحساء فى زادها سبعا

تحوط وقحوط وكلول وبخرة أسماء السنة الجدبة والعائذ الحديثة النتاج فتضر أولادها فى السنة الجدبة ابقاء على ألبانها ونحوه والربيع الذى يفتح فى الربيع والهبيع الذى يفتح فى الصيف يقال ماله هبيع ولا ربيع وانما سمى ربيعا لان الربيع أسن منه فيمشى مع أمهاتها ولا يطقهن الهبيع الا باجتهاد فيستعين بعنقه فى المشى يقال اذا فعل ذلك هبع يهبع هبيع ويقال للريح الشمال نسع ومسع قال الهذلى

قد حال دون دريسه مأوية • نسع لها بعضاه الارض تهزيز

الدريسان ثوبان خلقان ومأوية مفعلة من التأويب وهو سير النهار لا تعريج فيه قال أبو عبيدة هو سير النهار والاسآد سير الليل لا تعريس فيه وأنشد لسلامة بن جندل

يومان يوم مقامات وأندية • ويوم سير الى الاعداء تأويب

وانما يعنى ريحا وقوله نسع أى شمال والعضاه شجر فضمة فبعض العرب يقول للواحدة عضاهة وللجميع عضاه على وزن دجاجة ودجاج وبعضهم يقول للواحدة عضة فيقول فى الجمع عضوات وعضهات فتكون من الواو ومن الهاء قال الشاعر

هذا طريق يأزم المآزما • وعضوات تقطع اللهازما

له رهطه وأدانى أهله ومن معه فى بيته وربعه وما أعرف برحمن الله المعاند والمسترشد والمصدق والمكذب ينكر أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان منجما ولا طبيبا واذا قال الجاهل انه قد كان يعلم الخط فخفى له ذلك وتعلم الاسباب والقضاء فى النجوم فخفى له ذلك وتعلم البيان وقدر منه على ما يعجز أمثاله عنه وخفى ذلك أليس مع قوله ما يعلم خلافه يعلم انه قد سلم له

ونظير عضة سنة على أن الساقط الهاء في قول بعض العرب والواو في قول بعضهم تقول في جمعها سنوات وسانيت الرجل و بعضهم يقول سنهات وأكريته مسانهة وهذا الحرف في القرآن يقرأ على ضروب فمن قرأ لم يتسنه وانظر فوصل بالهاء فهو مأخوذ من سانهت التي هي سنيهة ومن جعله من الواو قال في الوصل لم يتسنّ وانظر فاذا وقف قال لم يتسنّه فكانت الهاء زائدة لبيان الحركة بمنزلة الهاء في قوله فبهداهم اقتده وكتابيه وحسابيه والمعنى واحد وتأويله لم تغيره السنون ومن لم يقصد الى السنة قال لم يتأسن والآسن المتغير قال الله جل وعز فيها أنهار من ماء غير آسن ويقال اسن في هذا المعنى كما يقال رجل حاذر وحذر ويقال للريح الجنوب النعامى قال أبو ذؤيب

مرته النعامى فلم يعترف * خلاف النعامى من الشأم ريحا

ومعنى مرته استدرّته وفي الحديث ما هبت الريح الجنوب الا سأل الله بها واديا قال رجل يمدح رجلا

فتى خلقت اخلاقه مطمئنة * له نفحات ريحهن جنوب

يريد أن الجنوب تأتي بالمطر والندى والعرب تكره الدبور وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقلما يكون بالدبور المطر لانها تجفل السحاب ويكون فيها الرهج والغبرة ولا تهب الا أقل ذلك الا بشدة فتكاد تقلع البيوت وتأتي على الزروع وقال رجل يهجو رجلا

لو كنت ريحا كنت الدبورا * أو كنت غيما لم تكن مطيرا
أو كنت ماء لم تكن طهورا * أو كنت مخا كنت مخا يرا
* أو كنت بردا كنت زمهريرا *

الزير المخ الرقيق يقال مخ زير وراري، معنى واحد وقال السليك

* يصيدك قافلا والمخ راري * والشيء يذكر بالشيء وقال آخر

لو كنت ماء لم تكن بعذب * أو كنت سيفا كنت غير عضب
أو كنت لحما كنت لحم كلب * أو كنت عيرا كنت غير ندب

وأما قول السليك فانه يرتي فرسه وكان يقال له النعام فقال

كأن قوائم النعام لما * تحمل صهبتي أصلا محار
على قرماء عاليه شواه * كأن بياض غرته خمار

أعجوبة كاعجوبة ابراء الاكمه والابرص والمشي على الماء اذ كان ذلك لا يجوز ولا يمكن في الطبائع والعقل والتجربة وافهم يرحمك الله ما أنا واصفه لك هل يجد التارك لصديقه انه لا يدري بزعمه لعله كان أعلم الخلق بالنجوم ناظرا لنفسه غير معاند لحجة عقله وهو لم يجد أحد اقطع رع في صناعة واحدة يخفى على الناس موضعه بكل ما حكيناه فسرنا وأنت كيف تعلم انه ليس في

وما يُدْرِيكَ ما فَقْرِي اليه * اذا ما القَوْمُ رَلُّوا أو أغاروا

ويُحْضِرُ فوقَ جُهْدِ الحُضْرِ نَصًّا * يَصِيدُكَ قافلا والمِخْوارِ

قوله كانَ قوائم النعام محارا لحارة الصدفة يريد الملاسة وانه قد ارتفعت قوائمه لهرب والأُصُلُ جمع أَصِيل والاصيل العَشِيُّ يقال أَصِيلٌ وأُصُلٌ مثل قَضِيب وقُضُب وجمع أُصُل آصال وهو جمع الجمع وتقديره عُنُقٌ وأَعْنانٌ وطُنُبٌ وأَطْنابٌ ويقال في جمع أَصِيلة أَصائل مثل خَلِيفة وخَلائف قال الأَعْشَى * ولا بأَحْسَنَ منها اذ دنا الأُصُلُ * وقال أبو ذُؤَيْب

لَعَمْرِي لَأَنْتَ البَيْتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ * وأَقْعُدُ في أفيائه بالأَصائل

وقرماء ممدودة اسم موضع وشواه قوائمه وقد فسرناه قبل هذا وقوله ولوا أو أغاروا اذا طَلَبُوا أو هَرَبُوا وقوله يصيدك أي يصيد لك يقال صدت لك ظَبْيًا قال الله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يُخْسِرُونَ أي كالوا لهم أو وزنوا لهم يقال كِلْتُ لك ووَزَنْتُ لك وقد قال تعالى أَوَلَا اذا اكتالوا على الناس يَسْتَوْفُونَ فاما ما جاء في الحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهبوب اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فان العرب تقول لا تَلْقَحُ السحاب الا من رياح وتصديق ذلك قول الله عز وجل الله الذي يُرْسِلُ الرياح فَتُثِيرُ سحابا وقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا هَبَّتْ بَحْرِيَّةٌ ثم تَذَاءَبَتْ قال الشاعر * تَعُجُّ اذا تَذَاءَبَتِ الرياحُ * يقول اذا تقابلت يقال تذاءبت الرياح وتَناوَحَتْ أي تقابلت وتناوح الشجر اذا قابل بعضه بعضا وانما سميت الناحية ناحية لانها تُقابِلُ صاحبتها فاذا خَلَصَتِ الريح عندهم دَبُورًا فهي من جنس البوار واذا خَلَصَتْ شمالا شَمْأَلَةً فهي من آيات الجذب ومن ثم تقول العرب فلان يُطْعِمُ في الشمال كما تقول يُطْعِمُ في المَحْل قال أَوْسُ بن حَجَر * وعَزَّتِ الشَّمْأَلُ الرياحَ * أي غلبتها فكانت أقوى منها فلم تَدَعْ لها موضعا وقوله تعالى وعَزَّنِي في الخطاب أي غلبني في المخاطبة والخصومة ومن أمثال العرب من عَزَّ بَزَّ وتأويله من غَلَبَ سَلَبَ قالت الخنساء

كأَنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقَى * اذ الناسُ اذ ذاك مَنْ عَزَّ بَزَّا

قال أبو العباس وحدثني عمرو بن بحر الجاحظ قال رأيت رجلا من عَنِيٍّ يُفاخِرُ رجلا من بني فَزارة ثم أحدَ بني بَدْرِ بن عمرو وكان العَنَوِيُّ متكلما من لسانه وكان الفَزارِيُّ بَكِيًّا فقال العنوي

اخوانك من ليس بمنجم وان فيهم من ليس بطبيب الا بمثل ما يعرف به رهط النبي صلى الله عليه وسلم وآله منه وكيف لم يشتهر ذلك ولم يحتج به عليه ولقد بلغ من اسرافهم في شتمه وافراطهم عليه ان نافقوا وأحالوا الا نهم كانوا يقولون له أنت ساحر وأنت مجنون وانما يقال للرجل ساحر لحلابته وحسن بيانه ولطف مكائده ووجودة مداراته وتحببه ويقال مجنون

ماؤنا ما بين الرقم الى كذا وهم جيراننا فيه فنحن أقصر منهم رشاء وأعذب منهم ماء لنا ريف السهول ولمعاقل الجبال وأرضهم سبخة ومياههم أملاح وأرشيتهم طوال والعرب اذ ذاك بمن عز بز فيعزنا ما تخيرنا عليهم ويدلهم مارضوا عنا بالضيم قوله كان الفزارى بكيا يقول غير قادر على الكلام وأصل ذلك فى الحلب يقال ناقة غزيرة وناقة بكئ وهى ضد الغزيرة أى قليلة اللبن ردهين وضمير فى معنى يقال بكأت الشاة والناقة وبكئت قال للشاعر

فاذا ما عاردت أو بكئت * قص عن خاتم أخرى طبتها

وقال سلامة بن جندل الطهوى

يقول لمحبسها أدنى لمرتعها * وان تناعى ببكل كل محلوب

يقول ان تحبس الابل على ضر ونقائل عنها فهو أدنى بأن تعز فترتع فيما تستقبل وان ذهبت ألبانها الا ان طردناها وهو بنا طمع فينا واستدللنا ويقال فى الكلام رجل عى بكئ قال أبو العباس وهذا الغنوى اذا حاول بقبيلته آل بدر فقد أعظم الفرية وبلغ فى البهت وأسمت العدو بجمعهم ورقيس وصاريهم الى ما قال الاخطل

وقد سرنى من قيس عيلان أننى * رأيت بنى النجلان سادوا بنى بدر

وكان زياد يقول وهو الغاية فى السياسة أوصيكم بثلاثة بالعام والشريف والشيخ فوالله لا أوتى بوضيع سب شريفا أو شاب رتب شيخا أو جاهل أمتهن عالما الا عاقبت وبالغت وقال عمارة لبنى أسد بن خزيمة

يا أيها السائلى عمدا لأخبره * بذات نفسى وأيدى الله فوق يدى

ان تسألونا نسد ترشدوا ان شغبت * فلا يلم لائم الا بنى أسد

انى رأيتكم يعصى كبيركم * وتجمعون الى ذى الفجرة النكد

فباعد الله كل البعد داركم * ولا شفاكم من الاضغان والحسد

فرأى عصيانهم الكبير من أقبح العيب وأدله على ضغن بعضهم لبعض وحسد بعضهم بعضا والوضيع ينقلب الى الشريف لانه يرى مقاولته فخرا والاجتراء عليه ربحا كما أن مقاولة الشريف للئيم ذل وضعة وقال الشاعر

اذ أنت قاولت اللئيم فانما * يكون عليك العتب حين تقاوله

اضد ذلك كله

﴿ فصل منه ﴾ وليس ينتفع الناس بالكلام فى الاخبار الا مع التصادق ولا تصادق الا مع كثرة السماع والعلم بالاصول لان رجلا لو نازع فى الاخبار وفى الوعد والوعيد والخاص والعام والناسخ والمنسوخ والفريضة والنافلة والسنة والشريعة والاجتماع والفرقة ثم حسنت نيته وناصح عن نفسه لما عرف حقائق باطل دون ان يكون قد

ولستَ كمن يَرضى بما عَيَّرُهُ الرِضا * ويمسح رأسَ الذئبِ والذئبُ آكلُهُ

وسنُشبِعُ فى هذا المعنى ان شاء الله فى هذا الشعر بيتٍ يُقدَّمُ فى باب القتل وهو

فلا تَقْرَبَنْ أمرًا الصَريمةُ بامرئٍ * اذا رام أمرًا عوَّقَتْهُ عَوازِلُهْ

(وقل للفؤاد ان تَرَى بدَ تَزْوَةً * من الرَوْعِ أفرخ أكثرُ الروعِ باطله)

الصَريمةُ العَزيمةُ وقد امتنع قومٌ من الجواب تَنَبُّلًا وتواضعهم تُنبئُ عن ذلك وامتنع قوم عيًّا بلا اعتلال وامتنع قوم عجزوا واعتلوا بكراهة السقَه وبعضهم مُعتَلٌّ برفعة نفسه عن خصمه وبعضهم كان يسبُّه الرجلُ الركيكُ من العشيرة فيَعرِضُ ويسُبُّ سيدَ قومه وكانت الجاهلية ربما فعلته فى الذحول قال الراجز

ان بجيلًا كلَّما هجانى * ملتُ على الأغطش او آبانى

أو طلحةَ الخيرَ فتى الفتيان * أو لاكَ قومٌ شأنُهم كشانى

ما نِلْتُ من أعراضهم كفانى * وان سكتُّ عرفوا احسانى

عرف الوجوه وسمع الجمل وعرف الموازنة وما كان فى الطبائع وما يمتنع فيها وكيف أيضا يقول فى التأويل من لم يسمع بالتنزيل وكيف يعرف صدق الخبر من لم يعرف سبب الصدق واعلم ان من عود قلبه التشكك اعتراه الضعف والنفس عزوف لما عودتها من شئ جرت عليه والمخبر الى تقوية قلبه ورد فونه عليه وافهامه موضع رأيه وتوفيقه على الأمر الذى أشغل صدره

وقال أحد المحدثين انى اذا هرَّ كلبُ الحى قلتُ له * اسلم وربُّكَ محفوظٌ على الجررِ

قوله اسلم فاستأنف بألف الوصل لان النصف الاول موقوف عليه قال الشاعر

ولا يبادرُ فى الشتاء وليدُها * القِدرَ تُنزِلُها بغير جمال

الجمالُ الذى يوضع فيه البُرمةُ وربما نُوقِيَت به حرارتها قال الراجز

لا تَسْبَ اليرمَ ولا خِلَّهُ * اتَّسَعَ الخَرقُ على الراقعِ

وهذا كثير غير معيب وفى مثل اختيار الخليل لتشكافأ الأعراض قولُ الاخطل

شَفَى النفسَ قتلى من سُلَيم وعامر * ولم يَشْفِها قتلى غَنِىٍّ ولا جَسْرِ

ولا جُشَمٍ شرِّ القبائل انها * كبيضِ القطا الا بسودٍ ولا حُمْرِ

ولو بَنِى ذُبيانَ بُلْتَ رماحُنا * لَقَرَّتْ بهم عينى وباتوا بموترِ

وقال رجل من المحدثين وهو حمدان بن آبان اللاحقى

أليس من الكبائر أن وغدًا * لآلِ مُعَلِّلٍ بهجو سدوسا

هجا عِرْضًا لهم غَضًّا جديدا * وأهدَفَ عِرْضَ والده اللبيسا

وقال آخر

اللؤمُ أكرمُ من بَرٍ ووالده * واللؤمُ أكرمُ من بَرٍ وما وَلَدا
قومٌ اذا اجترحَ جانى قومِهم أمنوا * من لؤمِ أحسابهم أن يقتلوا فقدا
اللؤمُ داءٌ لو بَرٍ يُقتلون به * لا يقتلون بداءٍ غيرِه أبدا

قال أحد المحدثين (هو دعبل)

أما الهجاء فدونَه عرضى دونه * والمدحُ عندى كما علمتَ جليلُ
فاذهب فأنتَ عتيقُ عرضى انه * عرضٌ عززتَ به وأنت ذليلُ

وقال آخر

نُبِّئتُ كلباً هاب رَمْيى له * يُنبِحُنى من موضع نائى
لو كنتَ من شئ هجوناك أو * لو نالك الشاتم والرائى
فعُدْ عن شتمى فانى امرؤٌ * حلَّمنى قِلَّةُ أكفائى

وقال آخر (هو دعبل)

فيا لَوانى بُليتُ بهاشمى * خُزِلتْه بنو عبد المدان
صبرتُ على عداوته ولكن * تعالى فانظرى بمن ابتلانى

ووقف رجل عليه مُقَطَّعاتٌ على الاحنف بن قيس بسببه وكان عمرو بن الأهتم جعل له ألف درهم على أن يسفه الاحنف فجعل لا يألو أن يسبه سبا يغضب والاحنف مُطرِقٌ صامت فلما رآه لا يكلمه أقبل الرجل يعض ابهامه ويقول ياسوأتاه والله ما يمنعه من جوابى الا هوانى عليه وفعل ذلك آخرا فأمسك عنه الأحنف فأكثر الرجل الى أن أراد الأحنف القيام للغداء فأقبل على الرجل فقال له ياهذا ان غداءنا قد حضر فانهض بنا اليه ان شئت فانك مذ اليوم تحدو بحمل ثقال والثقال من الابل البطئ الثقيل الذى لا يكاد يلبعث وعُدَّتْ على الاحنف سقطةٌ فى هذا الباب وهو أن عمرو بن الأهتم دَسَّ اليه رجلا ليسفه فقال أبا بحر ما كان أبوك فى قومه قال كان من أوسطهم لم يَسُدْهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانية فقال ما كان مالُ أبيك فقال كانت له ضرمةٌ يَمنَح منها ويقرى ولم يدَّخر منها سِلَّاعا ولا جُعِلَ لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه ولم تكن فى موضع مَرْضِىٍّ فأتاه الرجل وهو بمصر أمير عليها فقال أردت أن أعرف أمَّ الأمير فقال نعم كانت من عَنَزَة ثم من بنى جِلَّانَ تُسمَّى لَيْلَى وتُلقَّبُ النابغة اذهب وخُذ ما جُعِلَ لك وقال له مرة المنذرُ بن الجارود أى رجل أنت لولا أمُّك

أخرج منه الى المنازعة فى فرق ما بين المجبى الذى يكذب مثله والمجبى الذى لا يكذب مثله وسنتكلف من علاج دائه وترتيب ادهامه ان أعان على نفسه بما لا يبقى سببا للشك ولا علة للضعف والله تعالى المعين على ذلك والمحمود عليه

﴿ فصل منه ﴾ ومتى سمعنا نبى الله عليه السلام اتكل على عدالة وعلى معرفة قومه بقديم طهارته وقلة كذبه دون ان جاءهم بالعلامات

قال قلت أحمد الله الذي فكرت في هذه البارحة فأقبلت أنقلها في قبائل العرب فما خطرت لي عبد القيس على بال ردخل عمرو مكة فرأت قوما من قريش قد جلسوا حلقة فلما رأوه رموه بأبصارهم فعدل اليهم فقال أحسبكم كنتم في شيء من ذكري قالوا أجل كنا نفضل بينك وبين أخيك هشام أيكما أفضل فقال عمرو ان لهشام على أربعة أمه ابنة هشام بن المغيرة وامي من قد عرفتم وكان أحب الي أبيه مني وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد وأسلم قبلي واستشهد وبقيت وقد أكثر الناس في الباب الذي ذكرناه وانما نذكر من الشيء وجوهه ونوادره قال رجل لرجل من آل الزبير كلاما أقذع له فيه فأعرض الزبيري عنه ثم دار كلامه فسب الزبيري علي بن الحسين وأعرض عنه فقال له الزبيري ما منعك من جوابي فقال علي ما منعك من جواب الرجل وقد روي قول القائل لو قلت واحدة لسمعت عشرا فقال له الرجل ولكنك لو قلت عشرا ما سمعت واحدة وقال الشاعر

ولقد أمر على اللئيم يسبني ... فأجوز ثم أقول لا يعنيني

وقال رجل لرجل رسبه فوبانفت اليه يا أعمى فقال له الرجل وعمدا أعرض فأما قول الشعبي للرجل ما زال في عزهذا الباب راغما تخرجه لديانة وذلك أن رجلا سب الشعبي بأمور قبيحة نسبه اليها فقال الشعبي ان كنت كذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي وقال أبو العباس قال رجل لابي بكر الصديق رحمه الله لأسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك الله يدخل لا معي (ويحدث ابن عائشة عن أبيه أن رجلا من أهل الشام دخل المدينة فقال رأيت رجلا على بابك لم أر أحسن وجها ولا أحسن لباسا ولا أوفر مركبا منه فسألت عنه فقيل لي الحسن بن علي بن أبي طالب فامتلأت له غضبا فسرت اليه فقلت أنت ابن أبي طالب فقال أنا ابن ابنه فقلت له فيك وبأبيك أسبهما فقال أحسبك غريبا قلت أجل فقال ان لنا منزلا واسعا ومعونة على الحاجة وما لا نواسي منه فانطلقت وما أجد على وجه الأرض أحب الي منه) ويتصل بهذا الباب ذكر من رغب برجل عن ارث رجل لا يشاكله ولا يقرب رجل لا يشابهه قال الشاعر

بكت دار بشر شجوها أن تبدلت ... هلالا بن قعقاع بشر بن غالب

وما هي الا كالعروس تنقلت ... على رغمها من هاشم في محارب

وقيل الفرزدق حين ولي العراق عمر بن هبيرة الفزاري يعقب مسلمة بن عبد الملك

والبرهانات ولعمري لو لم نجد الحافظ ينسى والصادق يكذب والمؤمر يبدل لقد كان ما ذهبوا اليه وجها

﴿ فصل منه في ذكر دلائل النبي صلى الله عليه وسلم وباب آخر يعرف به صدقه وهو اخباره عما يكون واخباره عن ضمائر الناس وما يأكلون وما يدخرون ولدعائه المستجاب الذي لا تأخير فيه ولا خلف له وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حين لقي من قريش

راحت بسلمة البغال عشية * فارعى فزارة لا هناك المرتع
ولقد علمت اذا فزارة أمرت * أن سوف يطمع في الامارة أشجع
ذأرى الأمور تنكرت أعلامها * حتى أمية عن فزارة تنزع
عزل بن بشر وابن عمرو قبله * وأخو هرا قلما يتورقع

فلما ولي خالد بن عبد الله القسري على عمر بن هبيرة قال رجل من بني أسد يعجب الفرزدق

عجب الفرزدق من فزارة أن رأى * عنها أمية بالمشارق تنزع
فلقد رأى عجبا وأحدث بعده * أمر تضيق له القلوب وتفزع
بكت المنابر من فزارة شجوها * فاليوم من قسر تذوب وتجزع
وملوك خندف أسامونا للعدى * لله درهم لوكما ما تصنع
كانوا كتاركة بنيها جانبا * سفها وغيرهم تصون وترضع

قال أبو العباس وكان الفرزدق هجا عمر بن هبيرة عند ولايته العراق وفي ذلك يقول ليزيد بن عبد الملك بن مروان

أمير المؤمنين وأنت برٌّ * أمين لست بالطبع الحريص
ألطعمت العراق ورافديه * فزارياً أحذ القميص
تفقه بالعراق أبو المثنى * وعلم قومه أكل الخبيص
ولم يبن قباها راعي مخاض * ليأمنه على وركي فلوص

قوله لست بالطبع الحريص فالطبع الشديد الطمع الذي لا يفهم لشدة طمعه وانما أخذ هذا من طبع السيف يقال طبع السيف بافتي وهو سيف طبع اذا ركبه الصدأ حتى يغطى عليه والمثل من هذا في الذي طبع على قلبه انما هو تغطية وحجاب يقال طبع الله على قلب فلان كما قال جل وعز طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم هذا الوقف ثم قال وعلى أبصارهم غشاوة وكذلك رين على قلبه وغين على قلبه فالرين يكون من أشياء تألف عليه فتغطيه قال الله جل وعز كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وأما غين على قلبه فهي غشاوة تعتريه والغيمة القطعة من الشجر الملتف تغطي ما تحتها قال الشاعر

كأني بين خافيتي عقاب * أصاب حمامة في يوم غين

والعرب ما لقي من شدة أذاهم له وتكذيبهم اياه واستعانتهم عليه بالاموال والرجال دعا الله عز وجل ان يجدب بلادهم وان يدخل الفقر في بيوتهم فقال صلى الله عليه وآله اللهم سنين كسني يوسف اللهم اشدد وطأتك على مضر فامسك الله عز وجل عنهم المطر حتى مات الشجر وذهب الثمر وقلت المزارع وماتت المواشي وحتى اشتووا القدد والعلهز فعند ذلك وفد حاجب بن

وقال بعضهم أراد فى التفاف من الظلمة وقال آخرون أراد فى يوم غيم فأبدل من الميم نونا لاجتماع الميم والنون فى الغنة كما يقال للحية أَيْمٌ وأَيْنٌ واستجازت الشعراء أن تجمع الميم والنون فى القوافى لما ذكرت لك من اجتماعهما فى الغنة قال الراجز

بُنِّيَ ان البرشمىَّ هَيْن • المَنْطِقُ اللَّيِّنُ والطَّعِيْم

وقال آخر

ما تَنْقِمُ الحربُ العَوانُ منى • بازِلُ عامَيْن حديثٌ سِنِّى

• لمِثْلِ هذا وَلَدَتْنى أُمِّى •

زيارة على كسرى يشكو اليه الجهد والأزل ويستأذنه فى رعى السواد وهو حين ضمنه عن قومه وأرهنه قوسه فلما أصاب مضر خاصة الجهد ونهكهم الازل وبلغت الجهد مبلغها وانتهت الموعظة منتهاها عاد بفضله صلى الله عليه وسلم على الذى بدأهم به فسأله ربه الخصب وادرار الغيث فأتاهم منه ماهدم بيوتهم ومنعهم حوائجهم فكلموه فى ذلك فقال اللهم حوالينا

والعرلتان البصرة والكوفة والرافدان دجلة والفرات وقوله أحذيذ القميص الأحذ الخفيف قال طَرَفَهُ • وأَثْلَعَ نَهَّاضُ أَحَذُّ مُلَمْلَمُ • وانما نسبه بالخفة فى يده الى السرق وقوله تفهق أى امتلأ ماء يقال بئر تَفْهَقُ وغدير يَفْهَقُ اذا امتلأ ماء قال الراجز

لا دَرَّ لى قد قلتُ للقوم استقوا • والقَوْمُ فى عُرْضِ غدير يَفْهَقُ

وقال الاعشى فى مدحه المُحَلَّقَ بن حَنَتَم أحد بنى أبى بكر بن كلاب

نَفَى الذَّمَّ عن رَهْطِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ • كجابية الشيخ العراقى تَفْهَقُ

هكذا رواية أبى عبيدة وقوله

ولم يَدْرِ قبلها راعى مَخاضٍ • ليأمَنَهُ على وَرَكٍ فَلُوص

كانت بنو فزارة ترعى بغشيان الابل ولذلك قال ابن دارة

لا تأمَنَنَّ فزاريًّا خَلَوْتَ به • على فَلوصِكَ واكْنُنْهَا بأسْيار

فلما عُزِلَ ابن هُبَيْرَةَ وحبسه خالد بن عبد الله القَسْرِىُّ قال الفرزدق

لعمرى لئن نابتْ فَزارةَ نَوْبَةٌ • لمَنْ حَدَثُ الايام تَحْسِبُها قَسْرُ

لقد حَبَسَ القسرىُّ فى سجن واسطٍ • فَتًى شَيْظَمِيًّا ما يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ

فَتًى لم تُرِبْهُ النصارى ولم يكن • غِذاءً له لحمُ الخنازير والخَمْرُ

الشيظمى الطويل قال ذو الرمة

اذا مارَمَيْنا رَمْيَةً فى مَفازَةٍ • عَراقيبَها بالشَّيْظَمِىِّ المُواشِكِ

يريد حادياً يسوقها وقوله ما ينهنهه الزجر يقول ما يُحَرِّكه وقوله فتى لم تربه النصارى يُقَيِّسُه به على

أم خالد وكانت نصرانية رومية وكان أبوه استلبها في يوم عيد للروم فاولدها خالدا وأسدا ولذلك يقول الفرزدق

ألا قطع الرحمن ظهر مطيتي * أتتنا تهادى من دمشق بخالد

وكيف يؤم الناس من كانت أمه * تدين بان الله ليس بواحد

بنى بيعة فيها النصارى لأمه * وهدم من كفر منارا المساجد

وقال عليّ أمير المؤمنين بخالد * وأصحابه لا طهّر الله خالدا

بنى بيعة فيها الصليب لامه * وهدم من بغض الصلاة المساجدا

وكان سبب هدم خالد منارا المساجد حتى حطّها عن دور الناس أنه بلغه شعر لرجل من الموالي موالي الانصار وهو

ليتني في المؤذنين حياتي * انهم يبصرون من في السطوح

فيشيرون أو تشير اليهم * بالهوى كل ذات دل ملوح

فحطها عن دور الناس ويروى عنه فيما روى من عتوه أنه استعفى من بيعة بناها لامه فقال للامين المسلمين قبّح الله دينهم ان كان شرّا من دينكم وقال الفرزدق لابن هبيرة حيث نقب له السجن وهرب وسار تحت الأرض هو وابنه حتى نفذا

لما رأيت الارض قد سدّ ظهرها * ولم يبق الا بطنها لك مخرجا

دعوت الذي ناداه يونس بعدما * ثوى في ثلاث مظلمات ففرّجا

فأصبحت تحت الأرض قد سرت سيرة * وما سار سار مثلها حيث أدلجا

خرجت ولم يمنن عليك طلاقة * سوى رهبة التقريب من آل أعوجا

فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجاني أميرا ومدحني أسيرا فوله حيث أدلجا تقول أدلجت اذا سرت من أول الليل وادّلجت اذا سرت من آخره في السحر قال زهير

بكرن بكورا وادّلجن بسحرة * فهن لوادي الرس كاليد للفم

وأعوج فرس كان لغني وقالوا كان لبني كلاب ولا ينكر هذا لان حبيبة بنت رياح الغنوية ولدت بني جعفر بن كلاب فلعله أن يكون صار الى بني جعفر بن كلاب من غني والعرب تنسب الخيل الجياد الى أعوج والى الوجيه ولاحق والغراب والصموم وما أشبه هذه الخيل من المتقدمات قال زيد الخيل

جلبنا الخيل من أجإ وسلمى * تحب نزائعا حبب الذئاب

ولا علينا فأمطر الله عز وجل ماحولهم وأمسك عنهم وكتب الى كسرى يدعوه الى نجاته وتخليصه من كفره فبدأ باسمه على اسمه فأنف من ذلك كسرى لشقوته وأمر بتمزيق الكتاب فلما بلغه صلى الله عليه وسلم قال اللهم مزق ملكه كل ممزق فمزق الله جل وعز ملكه وجد أصله وقطع دابره لان كل ملك في الأرض وان كان قد أخرج من معظم ملكه فهو مقيم على بقية منه

جلبنا كلَّ طرفٍ أعوجيٍّ * وسَلْهَبَةٍ تكافيه العُقاب

ثم نرجع الى التشبيه المصيب قال امرؤ القيس فى طول الليل

كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فى مَصامِها * بأمْراسِ كَتَّانٍ الى صُمِّ جَنْدَلِ

فهذا فى ثبات الليل واقامته والمصام المقام وقيل للممسك عن الطعام صائم لثباته على ذلك ويقال صام النهار اذا قامت الشمس قال امرؤ القيس

فَدَعْها وسَلِّ الهَمَّ عنكَ بِجَسْرَةٍ * ذَمُولٍ اذا صامَ النهارُ وهَجَّرا

وقال النابغة خَيْلٌ صِيامٌ وخَيْلٌ غيرُ سائمةٍ * تحتَ العَجاجِ وخيلٌ تَعْلُكُ اللُّجُما

والأمْراس جمع مَرَسٍ وهو الحبل قال أبو زُبَيْدٍ يرثى غلاما وتعرض للحرب فقُتل

أمَا تَعَلَّقَ بالرِّماحُ فلا * أبكيكَ الا للذَّلولِ والمَرَسِ

وقال فى ثبات الليل فيالَكَ من ليلٍ كأنَّ نجومَهُ * بكلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بيَذْبُلِ

المغار الشديد الفتل يقال أغَرْتُ الحبلَ اذا شددت فتله ويذبل جبل بعينه وقال أيضا

كأنَّ أبانًا فى أفانينِ وَدْقِهِ * كبيرُ أناسٍ فى بِجادٍ مُزَمَّلِ

أبانٌ جبل وهما أبانان أبان الاسود وأبان الأبيض قال مُهَلْهِلٌ وكان نزل فى آخر حربهم حرب البَسوس فى جنب بن عمرو بن عُدَلَةَ بن جُلْدِ بن مالك وهو مَذْحِجُ وجَنْبٌ حى من أحيائهم وضيعٌ خُطِبَتْ ابنته ومُهِرَتْ أدما فلم يقدر على الامتناع فزوجها وقال

أنْكَحَها فَقُدِّها الاراقِمُ فى * جَنْبٍ وكان الحَيُّ من أدَمِ

لو بأبانَيْنِ جاء يخطبها * ضُرِّجَ ما أنْفُ خاطبٍ بدمِ

وقوله فى أفانين ودقه يريد ضروبا من ودقه والوَدْقُ المطر قال الله تبارك وتعالى فترى الودقَ يخرج من خلاله وقال عامر بن جُوَيْنٍ الطائىُّ

فلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها * ولا أرضَ أبْقَلَ ابْقالَها

وقوله كبير أناس فى بجاد مزمل يريد مزملا بثيابه قال الله تبارك وتعالى يا ايها المُزَّمِّلُ قُمِ الليلَ الا قليلا وهو والمُتَزَمِّلُ والتاء مدغمة فى الزاى وانما وَصَفَ امرؤ القيس الغيثَ فقال قوم أراد أن المطر قد خَنَقَ الجبلَ فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل وقال آخرون انما أراد ما كساه المطرُ

وذلك ان الاسلام لم يترك ملكا بحيث تناله الحوافر والاخفاف والاقدام الا أزاله عنه وأخرجه منه الى عقاب يعتصم بها ومعاقل يأوى اليها أو طرده الى خليج منيع لا يقطعه الا السفن فهم من بين هارب قد دخل فى وجار واختفى فى غيضة أو مقيم على فم شعب ورأس مضيق قد سخت نفسه عن كل سهل وأسلم كل مرج أو ملك لا قرار له وليس بذى مدر فيوتى وانما أصحابه اكراد

من خضرة النبت وكلاهما حسن وذكر الودق لان تلك الخضرة من عمله وقال الراجز يصف غيما

أقبل في المستن من رَبابه * أسنمة الآبال في سحابه

أراد أن ذلك السحاب ينبت ما تأكله الابل فتصير شحومها في أسنمتها والرباب سحاب دون المعظم من السحاب قال المازني كأن الرباب دون السحاب * نعام يعلق بالأرجل

وقوله جل وعز إنا أرانا أعصر خمرا أي أعصر عنبا فيصير الى هذه الحال وقال زهير

كأن فتات العهن في كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم

الفنا شجر بعينه يثمر ثمرا أحمر ثم يتفرق في هيئة النبق الصغار فهذا من أحسن التشبيه وانما وصف ما يسقط من أغاطهن اذا نزلن والعهن الصوف الملوّن في قول أكثر أهل اللغة وأما الأصمعي فقال كل صوف عهن وكذلك قال أهل اللغة الحَنْتَم الخزف الاخضر وقال الأصمعي كل خزف حنتم قال القرشي

من مبلغ الحسناء أن حليلها * بميسان يسقى في زجاج وحنتم

وقال جرير

ما في مقام ديار تغلب منعدٌ * وبها كنائس حنتم ودنان

والتشبيه جار كثير في كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد قال الله عز وجل وله المثل الأعلى في الزجاجة كأنها كوكب دري وقال طلعها كأنه رؤس الشياطين وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدين في هذه الآية فقال انما يمثل الغائب بالحاضر ورؤس الشياطين لم نرها فكيف يقع التمثيل بها وهؤلاء في هذا القول كما قال الله جل وعز بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وهذه الآية قد جاء تفسيرها في ضربين أحدهما أن شجرا يقال له الأستن منكر الصورة يقال لثمره رؤس الشياطين وهو الذي ذكره النابغة في قوله * تحيد من أستن سود أسافله *

وزعم الأصمعي أن هذا الشجر يسمى الصوم والقول الآخر وهو الذي يسبق الى القلب أن الله جل ذكره شنع صورة الشياطين في قلوب العباد وكأن ذلك أبلغ من المعاينة ثم مثل هذه الشجرة بما تنفر منه كل نفس وحدث في اسناد متصل أن أبا النجم العجلي أنشد هشام بن عبد الملك

* والشمس قد صارت كعين الأحول * لما ذهب به الروي عن الفكر في عين هشام فأغضبه فأمر بطرده فأمهل أبو النجم رجعته وكان يأوي المساجد فأرق هشام ليلة فقال لحاجبه ابغني رجلا عربيا فصيحا يحادثني ويُنشدني فطلب له ما طلب فوقف على أبي النجم فأتى فلما دخل به اليه قال

يطلبون النجعة أو كالخوارج يطلبون الغرة فاما ان يكون ملك يصهرهم ويقيم بازائهم ويغاديهم الحرب ويماسيهم ويساجلهم الطفر ويناهضهم كما كانت ملوك الطوائف وكالذي كان بين فارس والروم فلا وذلك لقوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله الى قوله عز ذكره ولو كره المشركون فلم يرض ان أظهر دينه حتى جعل أهله الغالبين

أين تكون منذ أقصيناك قال بحيث ألفتني رسلك قال فمن كان أبا مثواك قال رجلين كلبيا وتغلبيا تغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر فقال له مالك من الولد قال ابنتان قال أزوجتهما قال زوجت احداهما قال فبم أوصيتها قال قلت لها ليلة أهديتها

سبي الحماة وابهتي عليها * وان أبت فازدلفي اليها
ثم اقرعي بالود مرفقيها * وجددي الحلف به عليها
* لا تخبري الدهر بذاك ابنيها *

قال أفأوصيتها بغير هذا قال نعم قلت

أوصيت من برة قلبا حرا * بالكلب خيرا والحماة شرا
لا تسأمي نهكا لها وضرا * والحي كلهم بشر طرا
وان كنوك ذهبا ودرا * حتى يروا حلوا الحياة مرا

فقال هشام ما هكذا أوصى يعقوب ولده قال أبو النجم ولا أنا كيعقوب ولا بنتي كولده قال فما حال الاخرى قال قد درجت بين بيوت الحي ونفعتني في الرسالة والحاجة قال فما قلت فيها قال قلت

كان ظلامة أخت شيبان * يتيمه ووالداها حيان
الرأس قمل كله وصئبان * وليس في الرجلين الا خيطان
* فهي التي يذعر منها الشيطان *

قال فقال هشام لحاجبه ما فعلت الدنانير المختومة التي أمر تك بقبضها قال ماهي عندي ووزنها خمسمائة قال فادفعها الى أبي النجم ليجعلها في رجل ظلامة مكان الخيطين أفلا تراه قال

* فهي التي يذعر منها الشيطان * وان لم يره لما قرر في القلوب من تكاربه وشنآنه وقال آخر

وفي البقل ان لم يدفع الله شره * شياطين يعدو بعضهن على بعض

وزعم أهل اللغة أن كل متمرد من جن أو انس يقال له شيطان وأن قولهم تشيطن انما معناه تخبث وتنكر وقد قال الله جل وعز شياطين الانس والجن قال الراجز

أبصرتهم اذ لثمهم الثعبانا * شيطانة تزوجت شيطانا

وقال امرؤ القيس

أتوعدني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

والغول لم يخبر صادق قط أنه رآها ثم نرجع الى تفسير قول أبي النجم قوله سبي الحماة واجهتي عليها

بالقدرة والطاهرين بالمنعة والاخذين الاتاوة وكتب كسرى الى فيروز ابن الديلمي وهو من بقية أصحاب سيف بن ذي يزن ان احمل الى هذا العبد الذي يدأ باسمه قبل اسمي واجترأ علي ودعاني الى غير دينه فأتاه فيروز فقال ان ربي أمرني ان أحملك اليه فقال صلى الله عليه وآله ان ربي أخبرني انه قد قتل ربك البارحة فأمسك على دينك ما يأتيك الخبر فان تبين لك صدقي والا فأنت على

انما يريد اجتهيا فوضع اجتهى فى موضع اكذبى فمن ثم وصلها بعلى والذى يستعمل فى صلة الفعل اللام لانها الام الاضافة تقول لزيد ضربت ولعمرو أكرمت والمعنى عمرا أكرمت فانما تقدره اكرامى لعمرو وضربى لزيد فأجرى الفعل مجرى المصدر وأحسن ما يكون ذلك اذا تقدم المفعول لان الفعل انما يجئ وقد عملت اللام كما قال الله جل وعز ان كنتم للرؤيا تعبرون وان أخر المفعول فعربى حسن والقرآن محيط بكل اللغات الفصيحة قال الله جل وعز وأمرت لان أكون أول المسلمين والنحويون يقولون فى قوله جل ثناؤه قل عسى أن يكون ردف لكم انما هو ردفكم وقال كثير

أريد لأنسى ذكرها فكأنما * تمثل لى ليلى بكل سبيل

وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض اذا وقع الحرفان فى معنى فى بعض المواضع قال الله جل ذكره ولأصلبنكم فى جذوع النخل أى على ولكن الجذوع اذا أحاطت دخلت فى لانم الوعاء يقال فلان فى النخل أى قد أحاط به قال الشاعر

هم صلبوا العبدى فى جذع نخلة * فلا عطست شيبان الا بأجدعا

وقال الله جل وعز أم لهم سلم يستمعون فيه أى عليه وقال تبارك وتعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله أى بأمر الله وقال ابن الطثرية

غدت من عليه بعد ما تم خمسها * تصل وعن قيض بزيزاء مجهل

وقال الآخر

غدت من عليه بعد ما تم خمسها * تصل وعن قيض بزيزاء مجهل

أى من عنده وقال العامرى

اذا رضيت على بنو قشير * لعمر الله أعجبنى رضاها

وهذا كثير جدا وقوله وان أبت فازدلفى اليها يقول تقربى ومن ذا سميت المزدلفة قال العجاج

ناج طواه الأين مما وجفا * طى الليالى زلفا فزلفا * سماوة الهلال حتى احقوقفا

تقول زلفة وزلف كقولك غرفة وغرف وقوله بالكلب خبرا والحمامة شرا كلام معيب عند النحويين وبعضهم لا يجيزه وذلك أنه عطف على عاملين بالباء وعلى الفعل ومن قال هذا قال ضربت زيدا فى الدار والحجرة عمرا وكان أبو الحسن الأخفش يراه ويقرأ واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات فعطف

أمرك فراع ذلك فيروز وهاله وكره الاقدام عليه والاستخفاف به فاذا الخبر قد أتاه ان شيرويه قد وثب عليه فى تلك الليلة فقتله فأسلم وأخلص ودعا من معه من بقية الفرس الى الله عز ذكره فأسلموا

﴿فصل منه فى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم﴾

ثم ان الذى تقدمه صلى الله عليه وآله من البشارات فى الكتب المتقادمة فى الازمان المتباعدة والبلدان

على انّ وعلى فى وقال عدىّ بن زيد

أكلّ امرئ تحسبين امرأ * ونار توقّد بالليل نارا

فعطف على كلّ وعلى الفعل وأما قوله غدت من عليه بعد ما تم خمسها فالخمس ظمء من أظمائها وهو أن ترد تم ثم تغب ثلاثا ثم ترد فيعتدّ بيوم ورودها مع ظمئها فيقال خمس والربع كحمّى الربع وقوله تصلّ أى تسمع لاجوافها صليلا من يبس العطش يقال المسمار يصلّ فى الباب اذا أكره فيه قال جرير يخاطب الزبير بمرثيته فى هجائه الفرزدق

لو كنت حين غررت بين بيوتنا * لسمعت من وقع الحديد صليلا

ويقال للحمار المصلصل اذا أخرج صوته من جوفه حادّا خفيا قال الأعشى

عنتريس تعدو اذا حرك السو * ط كعدو المصلصل الجوّال

وقال المفسرون فى قول الله عز وجل من صلصال من حمإ مسنون قالوا هو الطين الذى قد جفّ فاذا قرعته شئ كان له صليل وتفسير ذلك عند العرب النقن الذى يذهب عنه الماء فى الغدران فيتشقق ثم يبس والنقيض قشر البيضة الاعلى والذى يلى اليبس البيضة فيكون ما بينها وبين قشرها الأعلى يقال له الفرقئ يقال ثوب كأنه غرقئ بيض والزبراء ما ارتفع من الأرض وهو ممدود منصرف فى المعرفة والنكرة اذا كان للذكر كالعلياء والحرباء وسنذكر هذا فى غير هذا الموضع مفسّرا ان شاء الله تعالى على أنا قد استقصيناه فى الكتاب المقتضب والمجهل الصحراء التى يجهل فيها فلا يهتدى لسبيلها ويقال للشئ اذا غبّ وتغيرت رائحته صلّ وأصلّ فهو صالّ ومصلّ ويقال نتن وأنتن ويقال خمّ وأخمّ وذاك اذا كان مستورا حتى يفسد ويقال اذا عتق اللحم فتغير خثر وخزن وبيت طرفة أحسن ما أنشد عليه

ثم لا يخثر فينا لحمها * انما يخثر لحم المدّخر

ويقال لرب البيت وربّة البيت اللذين ينزل بهما الضيف هى أم مثواه وهو أبو مثواه وأنشد أبو عبيدة

من أمّ مثوى كريم فد نزلت بها * انّ الكريم على علّاته يسع

وفى كتاب الله جل وعز أكرمى مثواه معناه عند العرب اضافته ومن التشبيه المطّرد على ألسنة العرب ما ذكروا فى سير الناقة وحركة قوائمها قال الراجز

الموجودة بكل مكان على شدة عداوة أهلها وتعصب حاملها ومع قوة حسدهم وشدة بغيهم وماذلك ببديع منهم ومن آبائهم على انهم أشبه بآبائهم منهم بأزمانهم وكل الناس أشبه بأزمانهم منهم بآبائهم وآبائهم الذين قتلوا أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام وتعنتوا رسلهم صلى الله عليهم حتى خلاهم الله عز وجل من يده وأفقدهم عصمته وتوفيقه ولم استدل على ذكره فى التوراة

كأنها بالليل غب الأزرق * وقد مددنا باعها للسوق * خرقاء بين السلمين ترتقي

قوله ليلة غب الازرق انما يعني موضعا وأحسبه ماء لانهم يقولون نطفة زرقاء وهي الصافية قال زهير

فلما وردنا الماء زرقا جمامه * وضعن عصي الحاضر المتخيم

وقال آخر

فألقت عصاها التسيار عنها وخيمت * بأرجاء عذب الماء زرق محافره

وقوله وقد مددنا باعها للسوق يقول استفرغنا ما عندها من السير يقال تبوعت وانباعث اذا مددت باعها وقوله خرقاء بين السلمين ترتقي يقول لكثرة حركة الخرقاء رفلة حذقها بالصعود وقال الآخر

كأنها نائحة تفجع * تبكي لنجوى سواها الموجع

وقال الشماخ

كأن ذراعيها ذراعا مدلة * بعيدا السباب حاولت أن تعذرا

من البيض أعطافا اذا اتصلت دعت * فراس بن غنم أو لقيط بن معمرا

بها أشرق من زعفران وعنبر * أطارت بمن الحسن الرداء المحبرا

تقول وقد بل الدموع خمارها * أبي عفتي ومنصبي أن أعيرا

كأن بذفراها مناديل فارقت * أكف رجال يقصرون الصنوبرا

كأن ابن آري موثق تحت غرضها * اذا هو لم يكلم بنابيه ظفرا

شبه يديها بيدي مدلة بجمال ومنصب قد سابت وأقبلت تعتذر وتشير بيديها فوصف جمالها الذي به تدل ومنصبها المتصل بمن ذكرته وقوله أطارت من الحسن الرداء المحبرا يقول هي مدلة بجمالها فلا تختمر فتستر شيأ عن الناظر لانها تبتهج بكل ما في وجهها ورأسها وقد كشف هذا المعنى عمر بن أبي ربيعة المخزومي حيث يقول

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت * وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما عرفتني * وقلن امرؤ باغ أكل فأرضعا

وقربن أسباب الهوى لمقتل * يقيس ذراعا كلما قست اصبعا

(فقلت لمطريهن ويحكن انما * ضربت نهل تستطيع نفعا فتنفعا)

قوله كأن بذفراها مناديل فارقت * أكف رجال يقصرون الصنوبرا

يقول اسواد الذفرى وهذا من كرمها قال أوس بن حجر

والانجيل والزبور وعلى صفته والبشارة به في الكتب الا أنك متى وجدت النصراني واليهودي يسلم بارض الشام وجدته يعتل بأمور ويحتج بأشياء مثل الامور التي يحتج بها من أسلم بالعراق وكذلك من أسلم بالحجاز ومن أسلم من اليمن من غير تلاق ولا تعارف ولا تشاعر وكيف يتلاقون ويتراسلون وهم غير متعارفين ولا متشاعرين ولو كانوا كذلك لظهر

كأنّ كُحيلاً مُعقَدًا أو عَنيّةً * على رَجْعِ ذِفراها من اللِّيتِ واكِفُ

(الكحيل القطران والعنية ضرب منه) وهذا معنى يسئل عنه لان اللِّيتين صفحتا العنق والذفرى فى أعلى القفا فكيف يكف على الذفرى من الليت والمعنى انما هو كأنّ كُحيلاً مُعقَدًا أو عنيةً واكف على رجع ذفراها وقوله من الليت كقولك كوضع رجله من بغداد انما هو للحد بينهما الا أنه وكف من شئ على شئ وأما قوله

كأنّ ابن آوى موثقٌ تحت غَرْضها * اذا هو لم يكلم بنابيه ظفّرا

يقول ليست تستقر فكأن ابن آوى يكلمها بنابيه أو يجلبها بظفره فهى لا تستقر وقال أوس ابن حجر

كأن هِرًا جَنيبًا تحت غُرْضتها * والتفّ ديدُ بحقويها وخنزير

والغَرْضُ والغُرْضةُ واحد وهو حزام الرحل وقال آخر

كأن ذراعيها ذراعا بَذِيّةٍ * مُفَجَّعةٍ لاقتْ خلائل عن عُفْرِ

سَمِعْنَ لها واستفرغتْ فى حديثها * فلا شئ يَفرى باليدين كما تَفرى

(قال أبو العباس أنشدنيها عبد الصمد بن المُعذّل وأنشدنيها سعيد بن سَلْم) ولو قيل ان هذا من أبلغ ما قيل فى هذا الوصف ما كان ذلك بعيدا وصفها بأنها بذية وقد فُجِعَتْ بما أُسْمِعَتْ ونيل منها ولقيت خلائلها بعد زمان وتلك الشكوى كامنة فيها وأَصْغَيْنَ اليها يتسمعن والفرى الشق يقال فَرَى أَوْداجَهُ أى قطع وفَرَيْتُ الأديم واذا قلت أفريتُ فمعناه أصلحتُ وقول الحجاج انى والله ما أَهُمُّ الا مَضَيْتُ ولا أَخْلُقُ الا فَرَيْتُ يقول اذا قَدَّرتَ قطعت يقال فريت القِربةَ والمَزادةَ فهما مَفْرِيّتان قال ذو الرمة

كأنه مِن كُلَى مَفْرِيّةٍ سَرِبٌ * وقال امرؤ القيس

كأن الحَصَى من خلفها وأمامها * اذا نَجَلَتْهُ رِجْلُها خَذْفُ أَعْسَرا

كأن صَلِيلَ المَرْوِ حين تُشِدُّهُ * صَلِيلُ زيوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرا

قوله خذف أعسر يريد أنه يذهب على غير قصد وقوله صليل زيوف يقال ان الزَّيْف شديد الصوت صافيه وقال آخر

كأن بَذِيّها بَدَنًا مَاتِحٍ * أتى يوم وِرْدٍ لغِبْنَ زُرُودَا

يخاف العقابَ وفى نفسه * اذا هو أَنْهَلَ ألا يَعودا

يقول هذا الساقى يخاف العقاب ان قَصَّر ولا عَوْدَ له اليه ثانية فهى تُسْقَى سَقْيَةً فى مرة واحدة

وقد

ذلك ولم يتكلم كما حكينا قبل هذا ولو قابلت بين أخبارهم واحتجاجهم مع كثرة الالفاظ واختلاف المعانى لوجدتها متساوية

(فصل منه) فان قال قائل لم كانت اعلام موسى عليه السلام فى كثرتها مع غى بنى اسرائيل ونقصان أحلام القبط فى وزن أعلام محمد صلى الله عليه وسلم وفى قدرها مع أحلام قريش وعقول العرب ومتى أحببت أن تعرف

وقد أكثروا فى هذا فمن الافراط فى السرعة قول ذى الرمة

كأنه كوكب فى إثر عفرية * مسوَّم فى سواد الليل منقضب .

يقال عفريت وعفرية فى معنى واحد والتاء فى عفريت زائدة وهو ملحق بقنديل يقال فلان (عفريةٌ زِبنيةٌ والزبنية المنكر وجمعه زبانيةٌ وأصله من الحركة يقال زَبَنَه اذا دفعه ويقال) عفرية نفريةٌ على التوكيد (وعفريتٌ نفريتٌ ويقال عُفارية ولم يُتبَع بنُفارية) ومن الافراط قول الحُطَيئة . وان نظرت يوماً بُؤخر عينها * الى عِلْم بالغَور قالت له ابعُد

ومن الافراط قوله بأرض تَرَى قَرْخَ الحُبارى كأنه * جهارا كُمَيتٌ مُوف على ظهر قَرْدَدِ

ومن ذلك قوله

وكادَتْ على الأَطواء أَطواء ضارج . * تُساقُطنى والرَحْلَ من صوت هُدْهُد

وقال آخر مَروحٌ رِجليها اذا هى هَجَّرَتْ * ويمنعها من أن تَطير زِمامُها

وقال الشَّماخ مَروحٌ تَغَتَلى فى البيدِ خَرْفٌ * تكاد تَطيرُ من رَأْى القَطيع

وكذلك الاعرابى الذى يقول * لو تُرسَل الريحُ لَجْنَا قبلها * وقد مضى خَبَرُه وأَمْلَحُ ما قيل فى هذا المعنى وأَجْوَدُه قول امرئ القيس

وقد أَغتدى والطَيرُ فى وُكُناتها * بمُنْجَرِدٍ قَيدِ الأَوابِدِ هَيْكَلِ

فجعله الوحش كالقيد وحُدِّثْتُ أن رجلا نظر الى ظبية تَرُود فقال له أعرابى أتحب أن تكون لك قال نعم قال فأعطنى أربعة دراهم حتى أَرُدَّها اليك ففعل فخرج يَفْحَص فى أثرها فَجَدَّتْ وجَدَّ حتى أخذ بقَرْنَيها فجاء بها وهو يقول .

وهى على البُعد تُلوى خَدَّها * تُريغُ شَدِّى وأُريغُ شَدَّها * كيف تَرَى عَدْوَ غلام رَدَّها

قال أبو العباس ومن حلو التشبيه وقريبه وصريح الكلام قول ذى الرُمَّة

ورَمْلٍ كأوراكِ العَذارَى قطعته * وقد جَلَّلَتْه الظُلْمَاتُ الحَنادِسُ

الحَنْدَسُ اشتداد الظلمة وهو توكيد لها يقال ليل حِنْدِسٌ وليلٌ أَلْيَلُ مظلم وقال الشماخ فى صفة الفرس مُفَجُّ الحَوامى عن نَسورٍ كأنها * نَوَى القَسْبِ تَرَّتْ عن جَرِيمٍ مُلَجْلَجِ

قوله مفج الحوامى يريد مُفَرِّق الحوامى فالحوامى نواحى الحافر والنُسور واحدها نَسْرٌ وهى نكتة

غى بنى اسرائيل ونقص أحلام القبط ورجحان عقول العرب وأحلام كنانة فانظر بواديهم وربا عهم وانظر الى بنيهم وبقاياهم كما نظرت الى بنى اسرائيل من اليهود وغى بنى من مضى من القبط تعتبر ذلك وتعرف ما أقول ثم أنظر فى الاشعار الصحيحة والخطب المعروفة والامثال المضروبة والالفاظ المشهورة والمعانى المذكورة مما نقلته الجماعات عن الجماعات وكلام العرب ومعانيهم فى الجاهلية ثم تفقد وسل أهل العلم والخبرة عن بنى اسرائيل فان

في داخل الحافر ويُحمَدُ الفرس اذا صَلُبَ ذلك منه ولذلك شُبِّهَ بنوى القسب وتَرَتْ سقطت والجريم المصروم والملجاج الذى قد لُجْلِجَ مَضْغًا في الفم ثم قُذِفَ لصلابته وقوله مفج ليس يريد الذى هو شديد التفرقة ولكن الانفصال عن التَّشَرِّ فانه ان اتسع واستوى أسفله فذلك الرَّحُّ وهو مذموم في الخيل وكذلك ان ضاق وصَغُرَ قيل له مُضْطَرٌّ وكان عيبا فيها قال حُمَيْدٌ الأَرْقَطُ

لا رَحٌّ فيها ولا اضطرارُ * ولم يُقَهِّلْ أرضَها البَيْطارُ

(* ولا لحَبْلَيْهِ بها حَبارُ *

الحَبارا الأثَرُ) ويروى ولم يُقَلِّبْ وتأويل ذلك أن حوافرها لا تتشعث فيقلمها البيطار لانها اذا كانت كذلك ذهب منها شئ بعد شئ فحقها وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ

لا في شَظاها ولا أرساغِها عَنَثٌ * ولا السَّنابِكُ أفناهنَّ تَقْلِيمُ

وانما يحمَدُ الحافر المُقَعَّبُ وهو الذى هيئته كهيئة القَعْبِ وان كان كذلك قيل حافر وأَبٌ قال ابن الخرع

لها حافرٌ مثلُ قَعْبِ الوليـ * ـدِ يَتَّخِذُ الفأرُ فيه مَغارا

يريد لو دخل الفأرُ فيه لَصَلُحَ كقول القائل فأتى بجفنة يقعد عليها عشرةٌ أى لو قعد عليها عشرة لَصَلُحَ وقال الراجز * وأَبٌ حَمِدْتُ نُسورُهُ الأوقارا * (يقال حافر مَوْقورٌ وهو أن يصيبه داء يشبه الرَّهصَةَ) وفي كل حافر حاميتان وهما حرفاه عن يمين وشمال ومُقَدَّمُهُ البُسْفُلُ ومُؤَخَّرُهُ الدابرةُ ومثل قوله عن جريم ما لجلج قولُ عَلْقَمَةَ بن عبدة

سُلَّاءةٌ كعصا النَّهْدِيِّ غُلَّ بها * ذو فَيْئَةٍ من نَوَى قُرَّانَ مَحْمُومُ

شبهها اما لشوكة من شوك النخل لان الفرس الانثى يُحْمَدُ منها أن يَدِقَّ صدرُها ثم يَنْحَطَّ على امتلاء الى مؤخرها والحمام يحمد منهنَّ أن يَعْرُضَ الصدرُ ثم ينحط الى ذَنَبِهِ ضُمورا فيقال في صفته كأنه جَمَلٌ وقوله كعصا النهدى يريد في الصلابة قال * وكلُّ كُمَيْتٍ كالهراوة صَلْدَمِ * وقوله ذو فيئة من نوى قران يقول ذو رَجْعَةٍ يقول مَضَغَتْهُ الابل فلم تكسره ثم بَعَرَتْهُ صحاحا ومجم ممضوغ يقال عَجَمْتُهُ أَعْجِمُهُ اذا مضغته فالعَجَمُ المَضْغُ ويقال للنوى من كل شئ العَجَمُ متحرك العين قال الاعشى

* وجُذْعانها كَلَقيطِ العَجَمْ * وقال النابغة

وظَلَّ يَعْجُمُ أعلى الرَّوقِ مُنْقَبِضًا * في حالكِ اللونِ صَدْقٍ غيرِ ذى أَوَدِ

وجدت لهم مثلا سائرا كما تسمع للقبط والفرس فضلا عن العرب فقد أبطلنا فيما قلنا وقد كان الرجل من العرب يقف المواقف وينشئ عدة أمثال كل واحد منها ركن يبنى عليه وأصل يتفرع منه أو هل تسمع لهم بكلام شريف أو معنى يستحسنه أهل النجربة وأصحاب التدبير والسياسة أو حكم أو حكمة أو حذق في صناعة مع تراد الملك فيهم وتظاهر الرسالة في رجالهم وكيف لا تقضى عليهم بالغى والجهل ولم تسمع لهم بكلمة فاخرة أو معنى نبيه لا ممن كان في المبدأ ولا ممن كان في

ومثل البيت الاول قول عُقبة بن سابق العَنبري

له بين حوامية * نُسور كُنوى القَسْب

فهذا تشبيه مقارب جدا ومن التشبيه الحسن قول الشاعر (هو الشَّمّاخ)

كأنَّ المَتْنَ والشَّرْخَين منه * خلافَ النَّصل سيط به مَشيجُ

يريد سهما رُمِيَ به فأنفذ الرَّمِيَّة وقد اتصل به دَمُها والمتن متن السهم وشرخ كل شيء حَدُّه فأراد شَرْخَي الفُوق وهما حرفاه والمشيج اختلاط الدم بالنطفة هذا أصله قال الشماخ

طَوَتْ أحْشاءُ مُرْتجة لوقت * على مَشْجٍ سُلالَتُه مَهينُ

وقال الله جل وعز من نُطفة أمشاج نَبْتَليه وفي الحديث اقتلوا مسانَّ المشركين واستبقوا شَرْخَهم أي الشباب لان الشرخ الحدث قال حسّان

انَّ شَرْخَ الشباب والشَّعَرَ الأسـ * ـودَ ما لم يُعاصَ كان جنونا

وأنشدنا عمرو بن مرزوق قال أنشدنا شُعبة قال أنشدنا سماك بن حَرْب في هذا الحديث

ان شَرْخَ الشباب تألَفُه البيـ * ـضُ وشَيْبُ القَذال شيءٌ زَهيدُ

فأما قول الشَّنْفَرى كأنَّ لها في الأرض نِسْيا تَقُصُّه * على أمها وان تحدّثكَ تَبْلت

فانما أراد شدة استحيائها يقول لا ترفع رأسها كأنها اطلب شيأ في الأرض والنَّسْيُ على ضربين أحدهما ما تقادم عهده حتى يُنْسَى والآخر ما أضلّه أهله فيطلبُ ويُطمَعُ فيه وتَقُصُّه تَتْبَعُه قال الله جل وعز وقالت لاخته قُصّيه أي اتبعي أثَرَه والأمّ القصد وقوله وان تحدثكَ تبلت تَقْطَعُ الحديثَ لاستحيائها وأنشد بشّار بن بُرْد الاعمى قول كُثَيِّر

ألا انما لَيْلَى عَصاةٌ خَيْزُرانة * اذا عمزوها بالأكُفّ تلين

قال فقال لله أبوه ضَرِجعلها عصا ثم يعتذر لها والله لو جعلها عصا من مُخّ أو زُبْد لكان قد هَجَّنها بالعصا الا قال كما قلتُ وبَيْضاء المحاجر من مَعَدّ * كأنّ حديثها قَطْعُ الجُمان

اذا قامت لسُبْحتها تَثَنَّتْ * كأنّ عظامها من خَيْزُران

والخيزرانة كل غصن لين يتثنى ويقال للمُرْدي خيزرانة اذا كان يتثنى اذا اعتُمِدَ عليه قال النابغة

يَظَلُّ من خوفه المَلّاحُ مُعْتمدا * بالخَيْزُرانة بعد الأين والنَّجَدِ

المحضر ولا من قاطن السواد ولا من نازلي الشام ثم انظر الى أولادهم مع طول لبثهم فينا وكونهم معنا هل غير ذلك من أخلاقهم وشمائلهم وعقولهم وأحلامهم وآدابهم وفطنهم فقد صلح بنا كثير من أمور النصارى وغيرهم وليس النصارى كاليهود لان اليهود كلهم من بني اسرائيل الا القليل وبعد فلم يضرب فيهم غيرهم لان منا كلهم مقصورة فيهم ومحبوسة عليهم قصورا ولهم مودات الى آخره وعقول أسلافهم مردودة على أخلافهم ثم اعتبر بقولهم لنبيهم

الاين الاعياء والنجدا العرق وقد عاب بعض الناس قول كثير

فبارَوضَةٌ بالحَزْنِ طيبةُ الثرى * يَمُجُّ الندى جَنْباتُها وعرارُها

يُمنخرق من بطن وادٍ كأنما * تلاقتْ به عَطّارةٌ ونجارُها

بأطيبَ من أردانِ عزّةَ موهنًا * وقد أُوقدتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُها

وحكى الزبيريون أن امرأة مدينية عرضت الكثير فقالت أنت القائل هذين البيتين قال نعم قالت فضّ الله فاكَ أرأيت لو أن زنجيةً تخترت أردانها بمندل رطب أما كانت تطيب ألا قلت كما قال امرؤ القيس

ألم ترَانى كُلَّما جِئْتُ طارقًا * وَجَدْتُ بها طيبًا وان لم تَطَيَّبِ

قوله جنباتها وعرارها الجنبات ريحانة طيبة الريح بريّة من أحرار البقل قال جرير يهجو خالد عَيْنَيْنِ العَبْدِيَّ كم عمّةٍ لك يا خُلَيْدُ وخالةٍ * خُضْرٍ تواجُذُها من الكُرّاثِ

نَبَتَتْ بمَنْبِتِهِ فطاب لريحها * ونَأَتْ عن القَيْصومِ والجَنْباثِ

وانما هجاه بالكراث لان عبد القيس يسكنون البحرين والكراث من أطعمتهم والعامة يسمونه الزَّنْل والزَّكّال قال أحد العَبْدِيّين

أَلا حَبّذا الأحساءُ طيبُ تُرابِها * وزَكّالُها غادٍ علينا ورائحُ

وقول كثير وعرارها فالعرار البهار البَرّيّ وهو حسن الصفرة طيب الريح قال الاعشى

بيضاءُ ضَحْوَتُها وصَفْراءُ العَشِيَّةِ كالعَرارَهْ

وقوله موهنا ير يد بعد هَدْءٍ يقال أتانا بعد هدء من الليل وبعد وَهْنٍ أى بعد دخولنا فى الليل وأنشد أبو زيد

هَبّتْ تلومُكَ بعد وَهْنٍ فى الندى * بَسْلٌ عليكَ ملامتى وعتابى

والمندل العود يقال له المَنْدَلُ والمَنْدَلِىُّ قال الشاعر

أمِنْ زينب ذى النارُ * قُبَيْلَ الصبح ما تَخْبو

اذا ما خَمَدَتْ يُلْقَى * عليها المَنْدَلُ الرَّطْبُ

قال أبو العباس ذى معناه ذه يقال ذا عبد الله وذى أَمَةُ الله وذه أَمَةُ الله وتا أمة الله فاذا قلت هذا عبد الله فالاسم ذا وها للتنبيه وعلى هذا تقول هذى أمة الله وان شئت أسكنت فى الوصل فقلت هَذْ أمةُ الله واذا قلت هَذِهِ أمة الله فالياء زائدة لان هذه الهاء لما كانت فى لفظ

عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة حين مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها وكقولهم أرنا الله جهرة وكعكوفهم على عجل صنع من حليهم يعبدونه من دون الله بعد ان أراهم من الآيات ما أراهم وكقولهم اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون فكان الذى جاء به موسى عليه السلام مع نقض بنى اسرائيل والقبط مثل الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم مع رجحان قريش والعرب وكذلك وعد محمد عليه السلام بنار الأبد كوعيد موسى

المضمر شبهوها به فى زيادة الياء نحو مررت بهى يافتى لا يجوز أن تضم الهاء فى هذه على قول من قال مررت بهو لان هاء الاضمار أصلها الضم تقول رأيتهو يافتى ورأيتهم يافتى وهذه الهاء ليست من هذه انما هى مشبهة وتقول هانه هندُوها فتى هندُوها تا هند على زيادة ها التنبيه قال جرير

هذى التى جدعت تيما معاطسها * ثم اقعُدى بعدها يا تيمُ أو قومى

وقال عمران بن حطان

وليس لعيشنا هذا مهاهُ * وليست دارُنا هاتا بدار

قال أبو العباس النحويون يثبتون الهاء فى الوصل فيقولون مَهاهُ وتقديره فَعالٌ ومعناه اللمعُ والبهاء يقال وجه له مهاء يافتى والأصمعى يقول مهاة تقديرها حَصاةٌ يجعل الهاء زائدة وتقديرها فى قوله فَعَلةٌ والمَهاةُ البَلُّورَةُ والمَهاة البقرة الوحشية وجمعها المَها (حكى يعقوب بن السكيت مَهاة من أسماء الشمس وأنشد

ثم يجلوا الظلام ربٌّ رحيمٌ * بمَهاة ضياؤُها منشور)

فاذا صغرت ذه قلت تيّا كأنك صغرت تا ولا تصغرذه على لفظها لانك اذا صغرت ذا قلت ذيّا فلو صغرت ذى فقلت ذيّا لالتبس المؤنث بالمذكر فصغروا ما يخالف فيه المؤنث المذكر وهذه المبهمة يخالف تصغيرها تصغير سائر الاسماء وسنذكر ذلك فى باب نفرده له ان شاء الله تعالى ﴿ عاد القول الى التشبيه أنشدنى أمُّ الهيثم فى صفة جمل

كأنَّ صوتَ نابِهِ بنابِهِ * صَريرُ خُطّافٍ على كُلّابِهِ

أرادت الصريف وهو أن يَحُكَّ أحدنابَيْه بالآخر وقوله صرير خطاف على كلابه فالخطاف ما تدور عليه البَكَرةُ والكلاب ما وليه وقد قال النابغة

مقذوفة بدخيس النَّحْض بازلُها * له صَريفٌ صَريفَ القَعْوِ بالمَسَدِ

القعو ما تدور عليه البكرة اذا كان من خشب فان كان من حديد فهو خطاف وان دارت على حبل فذاك الحبل يسمى الدَّرَكَ وقوله مقذوفة يقول مرمية باللحم والدخيس الذى قد ركب بعضُه بعضا والنحض اللحم وبازلها ناجها ومعنى بزل وفطر واحد وهو أن ينشق الناب قال ذو الرمة

كأنَّ على أنيابها كلَّ سُدْفَةٍ * صباحَ البَوازى من صَريف اللوائدِ

يقول مما تلوكه ويقال فى الغضب تركت فلانا يَصرِفُ نابُه عليه ويَحرِفُ ويَحرُفُ ورأيته يَعَضُّ

بنى اسرائيل بالقاء الهلاس على زروعهم والهم على أنفسهم وتسليط المونان على ماشيتهم وباخراجهم من ديارهم وان يظفر بهم عدوهم فكان تعجيل العذاب الأدنى فى استدعائهم واستمالتهم وردعهم عما يريد بهم وتعديل طبائعهم كتأخير العذاب الشديد على غيرهم لان الشديد المؤخر لا يزجر الأصحاب النظر فى العواقب وأصحاب العقول التى تذهب فى المذاهب فسبحان من خالف بين طبائعهم وشرائعهم ليتفقوا على مصالحهم

عليه الأرم قال زهير فى مدحه حصن بن حذيفة (ابن بدر الفزارى)

أبى الضيم والنعمان يحرق نابه * عليه فأفضى والسيوف معاقله

وقال آخر

نبئت أحماء سليمى أنما * ظلوا غضابا يعلكون الأرما

وقال بعض النحويين يعنى الشفاه وقال بعضهم يعنى الأصابع فأما قولهم عض على ناجذه وهو آخر الاسنان فيكون على وجهين أحدهما انه قال قد احتنك وبلغ والآخر ان يكون للاطراق والتشدد ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه كان يقول اذا لقيتم القوم فاجمعوا القلوب وعضوا على النواجذ فان ذلك ينفى السيوف عن الهام ● ثم نعود الى التشبيه قال الراجز (وهو أبو النجم)

كأنها حين تناهى الباس * جنية فى رأسها أمراس

بها سكون وبها اشماس * يخرج منها الجمر الكباس

بمر لا يحبسه حباس * لا نافذ الطعن ولا تراس

بصف المنجنيق والامراس الحبال الواحد مرسة والكباس الضخم يقال هامة كباس يافتى ورأس أكبس والحباس الذى من شأنه ان يحبس يقال رجل ضارب للذى يضرب كثيرا كان منه ذلك أو قليلا فاذا قلت ضراب وقتال فانما يكثر الفعل ولا يكون للقليل قال الراجز

أخضر من معدن ذى قساس * كأنه فى الحيد ذى الاضراس

* يرمى به فى البلد الدهاس *

يصف معولا وذو قساس معدن للحديد الجيد وهو بقرب من بلاد بنى أسد والحيد ما أشرف من الجبل أو غير ذلك يقال للطنف حيد وهو الذى يسميه أهل الحضر الافريز يقال طنف حائط ويقال للناتئ وسط الكتف حيد وعير وكذا الناتئ فى القدم وقوله ذى الأضراس يريد الموضع الضرس الخشن ذا الحجارة فيقول هذا المعول لحدته يقع فى الخشونة فيهدمها كما يهدم الدهاس والدهاس مالان من الرمل قال دريد بن الصمة فى يوم حنين ابن محتلد القوم فقالوا بأوطاس فقال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا ابن دهس وقال العجاج يصف حمارا

كأن فيه اذا ما صعجا * عودا دوين اللهوات موجا

فى دنياهم ومراشدهم فى دينهم مع ان محمدا صلى الله عليه وسلم مخصوص بعلامة لها فى العقل موقع كموقع فالق البحر من العين وذلك قوله لقريش خاصة وللعرب عامة مع مافيها من الشعراء والخطباء والبلغاء والدهاء والحلماء وأصحاب الرأى والمكيدة والتجارب والنظر فى العاقبة ان عارضتموني بسورة واحدة فقد كذبت فى دعوى وصدقتم فى تكذيبى ولا يجوز ان يكون مثل العرب فى كثرة عددهم واختلاف علله بالكلام كلامهم وهو سيد عملهم فدفاض بيانهم وجاشت

هذا يوصف به العَيْرُ الوحشى اذا أسَنَّ تراه لا يشتد نهيقُه وكأنه يعالجه علاجا قال الشَّمَّاخ

اذا رَجَّعَ التعشيرَ عَجَّا كأنه * بناجذه من خَلْفِ قارحه شَجِى

فأما قول عَنْتَرَة

بَرَكَتْ على ماء الرِّداع كأنما * بركت على قَصَبٍ أَجَشَّ مُهَضَّم

فانما يصف الناقة ويذكر حنينها يقال انه يخرج منها كأشجى صوت فانما شبهه بالزَّمير وأراد القصب الذى يُزْمَرُ به قال الأصمعى هو الذى يقال له بالفارسية نائ قال الراعى يصف الحادى

زَجِلُ الحُدَاءِ كأنَّ فى حَيْزُومِه * قَصَبًا ومُقْنِعَةَ الحَنِينِ عَجولا

المُقْنِعُ الرافع رأسه فى هذا الموضع ويقال فى غير هذا الذى يحط رأسه استخذاء وندما قال الله جل وعز مُقْنِعى رؤسهم ومن قال هو الرافع رأسه فتأويله عندنا أنه يتطاول فينظر ثم يطأطئ رأسه فهو بعْدُ يرجع الى الاغضاء والانكسار والبعير يحن كاشدا الحنين الى الأُفه اذا أُخِذَ من القطيع قال وأكثر ما يَحِنُّ عنده العطش قال الشاعر

(وتفرقوا بين الجميع لِنِيَّةٍ * لابُدَّ أن يتفرق الجيرانُ)

لا تصبرُ الابلُ الجلادَ تفرقتْ * بين الجميع ويصبر الانسانُ

وقال آخر

وهل رِيبةٌ فى أن تَحِنَّ نَجِيبةٌ * الى الْفِها أو أن يَحِنَّ نَجِيبُ

واذا رَجَّعَتِ الحنين كان ذلك أحسن صوت يهتاج له المغارقون كما يهتاجون لنوح الحمام ولا تباح البَرُوق وقال عَوْفُ بن مُحَلِّم وسمع نوح حمامة

ألا ياحَمامَ الأَيْكِ الْفُدْ حاضرٌ * وغصنك مَيَّالٌ ففيم تنوح

أَفِقْ لا تَنُحْ من غير شَىْءٍ فانني * بكيتُ زمانا والفؤادُ صحيح

ولو عَفَّشَتْ غَرْبَةُ دارُ زينب * فهاأنا أبكى والفؤادُ قَرِيحُ

وكل مُطَوَّقة عند العرب حمامةٌ كالدُّبسى والقُمرى والوَرَشان وما أشبه ذلك قال حُمَيْدُ بن ثَوْر

وماهاج هذا الشوقَ الا حمامةٌ * دَعَتْ ساق حُرٍّ ترحةً وترنُّما

اذا شئتُ غَنَّتنى بأجراع بيشة * أوالنَّخل من تَثْليثَ أو بيلملما

مُطَوَّقةٌ خطباءُ تسجع كلما * دنا الصيفُ وانجال الربيع فأنجما

مُحَلَّأةُ طَوْقٍ لم يكن من تميمة * ولا ضَرْبِ صَوَّاغٍ بكفَّيه درهما

به صدورهم وغلبتهم قوتهم عليه عند أنفسهم حتى قالوا فى الحيات والعقارب والذئاب والكلاب والخنافس والجعلان والحمير والحمام وكل ما دب ودرج ولاح لعين وخطر على قلب ولهم بعد أصناف النظم وضروب التأليف كالقصيد والرجز والمزدوج والمجانس والاسماع والمنثور وبعد فقد هجوه من كل جانب وهاجى أصحابه شعراءهم ونازعوا خطباءهم وحاجوه فى المواقف وخاصموه فى المواسم وبادروه العداوة وناصبوه الحرب فقتل

تَغَنَّتْ على غصن عشاءً فلم تَدَعْ ● لنائحةٍ فى شَجْوِها مُتَكَلَّمَا
اذا حركته الريحُ أو مال مَيْلةً ● تغنت عليه مائلا ومُقَوَّمَا
عجبتُ لها أنَّى يكون غِناؤُها ● فصيحا ولم تَفْغَرْ بمَنْطِقها فما
فلم أرَ مثلى شاقَهُ صوتُ مثلها ● ولا عربيًّا شاقَهُ صوتُ أعجما

منهم وقتلوا منه وهم أثبت الناس حقدا وأبعدهم مطلبا واذكرهم لخير واشر وأنفاهم له وأهجاهم بالعجز وأمدحهم بالقوة ثم لا يعارضه معارض ولم يتكلف ذلك خطيب ولا شاعر ومحال فى التعارف ومستنكر فى التصادق ان يكون الكلام أخصر عندهم وأيسر مؤنة عليهم وهو أبلغ فى تكذيبهم وأنقض لقوله وأجدر أن يعرف ذلك أصحابه فيجتمعوا على ترك استعماله والاستغناء به وهم يبذلون مهجهم وأموالهم ويخرجون من ديارهم فى اطفاء أمره

وقال ابن الرقاع وذكر حمامة

(ومما شجانى أننى كنتُ نائما ● أُعَلَّلُ من بَرْدِ الكَرَى بالتَنَسُّمِ
الى أن بكت ورقاءُ فى غصن أيكةٍ ● تردد مَبْكاها بحسن الترنم)
فلو قبل مَبْكاها بكيتُ صَبابةً ● بسُعْدَى شفيتُ النفسَ قبل التَنَدُّمِ
ولكنْ بكت قبلى فهاج لى البكا ● بُكاها فقلتُ الفَضْلُ للمتقدم

اما قول حميد دعت ساق حرفا فما حكى صوتها ويقال للواحد ذكرا كان أو أنثى حمامة والجمع الحمام والحمامات فاذا كان ذكرا قلت هذا حمامة واذا كانت أنثى قلت هذه حمامة وكذلك هذا بَطَّةٌ وهذه بَطَّةٌ ويقال بقرة للذكر والأنثى ودجاجة لهما فاذا قلت ثور أو ديك بَيَّنْتَ الذكر واستغنيت عن تقديم التذكير ويقال للحمامة تَغَنَّتْ وناحت وذلك أنه صوت حسن غير مفهوم فيُشَبَّهُ مرة بهذا ومرة بهذا قال قَيْسُ بن مُعاذ

ولولا يُشَقِّينى الظاعنونَ لَشَاقَنى ● حمائمُ وُرْقٌ فى الديار وُقوعُ
نجاوَبْنَ فاستَبْكَيْنَ من كان ذا هَوًى ● نوائحَ ما تجرى لهنَّ دموع

وقوله وانجال الربيع يقال انجال عنا أى أقلع ومثل ذلك أنجم عنا وان قلت أنجم فمعناه لزم ووقع فهو خلاف أنجم وان قلت انجاب فمعناه انشقَّ يقال انجوبُ الحديدة التى يُثْقَبُ بها العَسِيبُ ويقال جُبْتُ البلاد أى دخلتها وطوفتها وفى القرآن وثمودَ الذين جابوا الصخر بالواد أى شقوه وقوله لم يكن من غَمِيمة القَيْمةُ المَعاذةُ وقد مضى هذا وقوله ولم تَفْغَرْ بمنطقها فما يقول لم تفتح يقال فَغَرَفاه اذا فتحه (حكى ثعلب فَغَرَفاه وفَغَرَ نفسه وكذلك شَحَا فاه وشَحَا نفسه) وقوله ولا عربيا شاقه صوت أعجما يقول لم أفهم ما قالت ولكنى استحسنت صوتها واستحزنته فحنت له ويروى أن بعض الصالحين كان يسمع الفارسية تنوح ولا يدرى ما تقول فيبكيه ذلك ويرفقه ويذكره غير

ماقصدت له وحُدِّثتُ أن بعض المحدثين سمع غناء بخراسان بالفارسية فلم يدر ماهو غير أنه شوَّقه لشجاه وحسنه فقال فى ذلك حمدتُ ليلة شرفتْ وطابتْ • أقام سُهادها ومضى كراها

سمعتُ بها غناءً كان أولى • بأن يقتاد نفسى من غناها

الغناء الأول المدود من الصوت والذى ذكره بعد فى القافية من المال مقصور

ومُسمِعةٍ يحار السمعُ فيها • ولا تُصمِمْه لا يَصْمَمْ صداها

مرَتْ أوتارها فشفَفْتَ وشاقتْ • فلو يستطيعُ حاسُدها فداها

ولم أفهم معانيها ولكن • وَرَتْ كبدى فلم أجهلْ شجاها

فكنتُ كأننى أعمى مُغنًّى • بحب الغانيات وما يراها

(وقال عَبْدُ بنى الحَسْحاس

وراهنَّ ربى مثلَ ما قد وَرَيْننى • وأحمى على أكبادهنَّ المكاويا)

قال أبو العباس والشئ يذكر بالشئ وان كان دونه فنجرى لاحتواء الباب والمعنى عليهما وفى شعر عَبْدِ هذا ما هو أحكمُ مما ذكرنا وأوعظ وأجرى ان يقبل به الأشرافُ وتُسوَّد به الصحفُ وهو قوله

أرى بَصَرى قد رابنى بعد صحة • وحَسْبُكَ داءً أن تصحَّ وتَسْلَما

ولا بِلْتُ العصران يومٌ وليلة • اذا طلبا أن يُدركا ما تيمَّما

ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كَفَى بالسلامة داءً ۞ ثم نرجع الى التشبيه والعرب تُشَبِّهُ على أربعة أضرب فتشبيه مُفْرِط وتشبيه مُصيب وتشبيه مقارب وتشبيه بعيد يحتاج الى التفسير ولا يقوم بنفسه وهو أخشنُ الكلام فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسَّيِّد هو كالبَحْر وللشجاع هو كالاسد وللشريف سَماحتى بَلَغَ النجمَ ثم زادوا فوق ذلك فمن ذلك قولُ بعضهم (وهو بَكْرُ بن النَّطَّاح يقوله لابى دُلَف القاسم بن عيسى)

له هِمَمٌ لا مُنْتَهى لكبارها • وهِمَّتُهُ الصُّغرى أجلُّ من الدهر

له راحةٌ لو أن مِعْشارَ جُودها • على البَرِّ صار البَرُّ أندى من البحر

ولو أنَّ خَلْقَ الله فى مِثْلِ فارس • وبارَزَهُ كان الخَلِىَّ من العُمْرِ

وقد قيل ان امرأة عِمْرانَ بن حِطَّانَ قالت له أما زعمتَ أنك لم تكذب فى شعرٍ قَطُّ قال أو فعلتُ قالت

وفى توهين ماجاء به ولا يقولون بل لا يقول واحد من جماعتهم لم تقتلون أنفسكم وتستهلكون أموالكم وتخرجون من دياركم والحيلة فى أمره يسيرة والمأخذ فى أمره قريب ليؤلف واحد من شعرائكم وخطبائكم كلاما فى نظم كلامه كاقصر سورة يختارلكم بها وكاصغر آية دعاكم الى معارضتها بل لو نسوا ماتركهم حتى يذكرهم ولو تغافلوا ماترك ان ينبههم بل لم يرض بالتنبيه دون التوقيف فدل ذلك العاقل على ان أمرهم فى ذلك لا يخلو من أحد

أنت القائل فهناك مَجْزَأَةُ بن ثَوْر * وكان أشجع من أسامه

أفيكون رجل أشجع من الاسد قال فقال أنا رأيت مجزأة فتح مدينة والأسد لا يفتح مدينة ومن عجيب التشبيه فى افراط غير أنه خرج فى كلام جيد وعُنِىَ به رجل جليل فخرج من باب الاحتمال الى باب الاستحسان ثم جُعِلَ لجودة ألفاظه وحسن رَصْفِه واستواء نظمه فى غاية ما يُسْتَحْسَنُ قول النابغة يعنى حِصْنَ بن حُذَيْفَةَ (بن بَدْر بن عمرو الفَزَارِىَّ)

يقولون حِصْنٌ ثم تأبى نفوسهم * وكيف بحِصْنٍ والجبالُ جُنوحُ

ولم تَلْفِظ المَوْتَى القُبورُ ولم تَزُلْ * نجومُ السماء والأديمُ صحيحُ

فعَمَّا قليلٍ ثم جاء نَعِيُّه * فَظَلَّ نَدِىُّ الحَىِّ وهو يَنُوحُ

ومن تشبيههم المتجاوز الجيد النَّظْم ماذكرناه وهو قول أبى الطَّمَحان

أضاءت لهم أحسابُهم ووجوهُهُمْ * دُجَى الليل حتى نَظَّمَ الجِزْعَ ثاقِبُهْ

ويروى عن الأصمعى أنه رأى رجلا يختال فى أُزُرٍ فى يوم قُرٍّ فى مشْيَته فقال له ممن أنت يا مَقْرُورُ فقال أنا ابن الوَحِيد أمشى الخَيْزَلَى وبُدْفِئُنى حَسَبى وقيل لآخر فى هذه الحال أما يوجِعُكَ البَرْدُ فقال بَلَى والله ولكنى أذكر حسبى فأَدْفَأُ وأصوب منهما قول العريان الذى سُئِلَ فى يوم قُرٍّ هما يجد فقال ما علىَّ منه كبيرُ مؤنة وقيل وكيف فقال دامِى العُرْىُ فاعتاد بدنى ما تعتاده وجوهكم ومن التشبيه القاصد الصحيح قولُ النابغة

وعيدُ أبى قابوسَ فى غير كُنْهِه * أتانى ودونى راكِسٌ فالضواجعُ

فَبِتُّ كأنى ساورَتْنى ضَئِيلَةٌ * من الرُّقْشِ فى أنيابها السُّمُّ ناقعُ

يُسَهِّدُ من نوم العشاء سَلِيمُها * لِحَلْىِ النساء فى يَدَيْه قَعاقِعُ

تَنَاذَرُها الراقون من سُوءِ سُمِّها * تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وطَوْرًا تُراجِعُ

فهذه صفة الخائف المهموم ومثل ذلك قول الآخر

تَبِيتُ الهُمُومُ الطارقاتُ يَعُدْنَنى * كما تَعْتَرِى الأَوْصابُ رأسَ المُطَلِّقِ

والمطلق هو الذى ذكره النابغة فى قوله * تطلقه طورا وطورا تراجع * وذلك أن المنهوش اذا أَلَحَّ الوجعُ به تارة وأَمْسَكَ عنه تارة فقد قارب أن يؤاس من بُرْئِه وانما ذَكَرَ خوفه من النعمان

أمرين اما أن يكونوا عرفوا عجزهم وأن مثل ذلك لا يتهيأ لهم فرأوا أن الاضراب عن ذكره والتغافل عنه فى هذا الباب وان قرعهم به أمثل لهم فى التدبير واجدران لا ينكشف أمرهم للجاهل والضعيف واجدران يجدوا الى الدعوى سبيلا والى اختداع الانبياء سبيلا فقد ادعوا القدرة بعد المعرفة بعجزهم عنه وهو قوله عز ذكره واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وهل يذعن الاعراب وأصحاب الجاهلية للتقريع بالعجز والتوقيف على

ومايعتريه من لوعة فى أثر لوعة والفترة بينهما والخائف لاينام الاغرارا فلذلك شبهه بالملدوغ المُسَهَّد وقوله لحلى النساء فى يديه قعاقع لانهم كانوا يعلقون حُلِيَّ النساء على الملدوغ يزعمون أن ذلك من أسباب البرء لانه يسمع تَقَعْقُعَها فيمنعه النوم فلاينام فَيَدِبُّ فيه السَّمُّ ويُسَهَّدُ لذلك وقال الآخر

كأنَّ فِجاجَ الأرض وهى عريضةٌ ... على الخائف المطلوب كُفَّةُ حابِلِ

يُوَفِّى اليه أن كل ثَنِيَّةٍ ... تَيَمَّمَها ترمى اليه بقاتل

يقال لكل مستطيل كُفَّةٌ يقال كُفَّةُ الثوب لحاشيته وكُفَّةُ الحابل اذا كانت مستطيله ويقال لكل شئ مستدير كِفَّةٌ ويقال ضَعْهُ فى كِفَّةِ الميزان فهذه جملة هذا وكُفَّةُ الحابل يعنى صاحب الحبالة التى ينصبها للصيد وأما التشبيه البعيد الذى لايقوم بنفسه فكقوله

بل لورأتنى أُخْتُ جيرانِنا ... اذأنافى الدار كأنى حمار

فانما أراد الصحة فهذا بعيد لان السامع انما يستدل عليه بغيره وقال الله جل وعز وهذا البين الواضح كَمَثَلِ الحمار يَحْمِلُ أسفارا والسفر الكتاب وقال مَثَلُ الذين حُمِّلُوا التوراة ثم لم يحملوها كَمَثَلِ الحمار فى أنهم قد تعامَوْا عنها وأَضربوا عن حدودها وأَمرها ونهيها حتى صاروا كالحمار الذى يحمل الكتب ولا يعلم مافيها وهجا مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حَفْصَةَ قوما من رواة الشعر بأنهم لا يعلمون ماهو على كثرة استكثارهم روايته فقال

زَوامِلُ للاشعار لاعِلْمَ عندهم ... بجيِّدِها الا كعِلْمِ الاباعِرِ

لَعَمْرُكَ مايَدْرِى البعيرُ اذاغدا ... بأوساقه أوراحَ ما فى الغرائر

والتشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس وقد وقع على ألسن الناس من التشبيه المستحسن عندهم وعن أصل أخذوه أن شبهوا عين المرأة والرجل بعين الظبى أو البقرة الوحشية والأنف بحَدِّ السيف والفَمَ بالخاتم والشعر بالعناقيد والعنق بابريق فضة والساق بالجُمَّارِ فهذا كلام جار على الألسن وقد قال سُراقة بن مالك بن جُعْشُم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وساقاه بادِيتان فى غَرْزِه كأنهما مُجَّارتان فَأَرْدْتُه فوقعت فى مقْتَبٍ من خيل الانصار فقَرَّعونى بالرماح وقالوا أين تُريدُ وقال كعب بن مالك الانصارى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سُرَّ تَبَلَّجَ وجهُه فصار كأنه البَدْرُ وعينُ الانسان مشبهة بعين الظبى والبقرة فى كلامهم المنثور

النقص ثم لايبذلون مجهودهم ولا يخرجون مكنونهم وهم أشد خلق الله أنفة وأفرط حمية وأطلبه بطائلة وقد سمعوه فى كل منهل وموقف والناس موكلون بالخطابات مولعون بالبلاغات فمن كان شاهدا فقد سمعه ومن كان غائبا فقد أتاه به من لم يزوده واما ان يكون غير ذلك ولا يجوز ان يطبقوا على ترك المعارضة وهم يقدرون عليها الا انه لا يجوز على العدد الكثير من العقلاء والدهاة والحكماء مع اختلاف عللهم وبعدهم منهم وشدة عداوتهم الاطباق على بذل الكثير وصون

وشعرهم المنظوم من جارى ما تكلمت به العرب وكثر فى أشعارها قال

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاها وجِيدُكِ جِيدُها ✽ ولكنَّ عظمَ الساقِ منكِ دقيقُ

(وقال ذو الرمة

أرى فيكِ من خَرْقاءَ يا ظَبْيَةَ اللِّوَى ✽ مَشابِهَ جُنِّبْتِ اعْتلاقَ الحبائلِ

فعيناكِ عيناها وجِيدُكِ جِيدها ✽ ولونُكِ الا انها غيرُ طاملِ)

وقال الآخر فلم ترَ عيني مثلَ سِرْبٍ رأيتُه ✽ خَرَجْنَ علينا من زُقاقِ ابنِ واقفِ

طَلَعْنَ بأعناقِ الظباءِ وأعينِ الـ ـمَهَا آذِرٍ وامْتَدَّتْ بهنَّ الرَّوادفِ

ويقال للخطيب كأن لسانه مِبْرَدٌ فهذا الجارى فى الكلام كما يقال للطويل كأنه رُمْحٌ ويقال للمهتزّ للكرم كأنه غصن تحت بارح ومن مليح التشبيه قول القائل

لَعَيْنَيْكِ يومَ البَيْنِ أسْرَعُ وَاكِفاً ✽ من الفَنَنِ المطرورِ وهو مَرُوحُ

وذلك أن الغصن يقع المطر فى وَرَقِه فيصير منها فى مثل المَداهن فاذا هَبَّتْ به الريح لم تُلَبِّثْه ان تُقَطِّرَه ✽ ثم نذكر بعد هذا طرائف من تشبيه المحدثين ومَلَاحِنهم فقد شرطنا فى أول الباب ان شاء الله قال أبو العباس ومن أكثرهم تشبيها الاتساعه فى القول وكثرة تَفَنُّنِه واتساع مذاهبه الحسن بن هانئ قال فى مَدِيحه الفضل بن يحيى بن خالد بن بَرْمَكَ

وكنا اذا ما الحائنُ الجَدُّ غَرَّهُ ✽ سَنَى بَرْقِ غارٍ او صَهِيلُ رِعادِ

تَرَدَّى له الفضلُ بن يحيى بن خالد ✽ بماضى الظُّبَى أزهاه طولُ نجادِ

أمامَ خميسٍ أرْجُوانٍ كأنه ✽ قَمِيصٌ مَحُولٌ من قَنَا وجيادِ

فما هو الا الدهرُ يأتى بصَرْفِه ✽ على كلِّ مَنْ يَشْقَى به ويُعادِى

قوله الحائن الجد يقال حانَ الرجلُ اذا دنا موته ويقال رجل حائنٌ والمصدر الحَيْنُ والجَدُّ الحَظُّ والجَدُّ والجَدَّةُ مفتوحان فاذا أردتَ المصدر من جَدَدْتُ فى الأمر قلتَ أَجُدُّ جَدًّا مكسور الجيم ويقال جَدَدْتُ النخل أَجُدُّهُ جَدًّا اذا صرمتَه ويقال جَذَذْتُه جَذًّا وتركت الشئ جُذاذًا اذا قطعته قِطَعًا ويُرْوَى هذا البيتُ لجرير على وجهين

آلُ المُهَلَّبِ جَدَّ اللهُ دابرهم ✽ أضْحَوْا رَمادًا فلا أصْلٌ ولا طَرَفُ

اليسير وهذا من ظاهر التدبير ومن جليل الأمور التى لا تخفى على الجهال فكيف على العقلاء وأهل المعارف فكيف على الاعداء لان تحبير الكلام أهون من القتال ومن اخراج المال ولم يقل ان القوم قد تركوا مسائلته فى القرآن والطعن فيه بعد ان كثرت خصومتهم فى غيره ويدلك على ذلك قوله عز وجل وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وقوله عز ذكره واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا

ويروى جَذَّ وقرأ بعض القراء عطاء غير مجذوذ فأما قوله فجعلهم جذاذا فلم يقرأ بغيره ويقال كم جذاذ نخلك أى كم تصرم منها ويروى فى قول الله جل وعز وأنه تعالى جَدَّ ربنا عن أنس بن مالك غنى ربنا وقرأ سعيد بن جبير جَدَّار بُنَا ولو قرأ قارئ جِدَّار بِنَا على معنى جِدّ رَبِّنَا لم يقرأ به لتغيير الخط وكذا قراءة سعيد مخالفة الخط وهذا الشعر يُنْشَدُ بالكسر

أَجِدَّكَ لم تَغْتَمِضْ ليلةً ... فتَرْقُدَها مع رُقَّادِها

ومثله (قول الأعشى)

أَجِدَّكَ لم تَسْمَعْ وَصَاةَ محمدٍ ... رسولِ الاله حين أَوْصَى وأَشْهَدا

لان معناه أَجِدًّا منك على التوقيف وتقديره فى النصب أتجدُّ جِدًّا ويقال امرأة جَدَّاءُ اذا كانت لا ثَدْىَ لها فكأنه قُطِعَ منها الان أصل الجَدّ القطع ويقال بلدة جَدَّاءُ اذا لم تكن بها مياهٌ قال الشاعر

وجَدَّاءَ ما يُرْجَى بها ذو هَوَادةٍ ... لِعُرْفٍ ولا يَخْشَى السُّماةَ رَبِيبُها

(القَرابةُ والهَوادةُ فى المعنى واحد قال أبو الحسن السُّماةُ هم المصادةُ نصفَ النهار وروى عن بعض أصحابنا عن المازنى قال انما سُمِّىَ سامياً بالسِّماة وهو خف يَلْبَسُه لئلا يسمع الوحشُ وَطْأَه وهو عندى من سَمَا للصيد) ويُنْشَدُ هذا البيت

أَبَى حِبُّ سُلْمَى أن يَبِيدا ... وأَصْبَحَ حَبْلُها خَلَقاً جديدا

يقول أصبح خَلَقاً مقطوعا لان جديدا فى معنى مَجْدُود أى مقطوع كما تقول قتيل ومقتول وجَرِيحٌ ومجروح ويقال فى غير هذا المعنى رجل مَجْدُودٌ اذا كان ذا خَطَر أى حظ وفى الدعاء ولا يَنْفَعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ أى مَنْ كان له حظ فى دنياه لم يَدْفَعْ ذلك عنه ما يريد الله به ولو قال قائل ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجِدُّ يريد الاجتهاد لكان وجها وقوله سنى برقه يذهب بالابصار والسَّناءُ من المَجْد ممدود وقال الشاعر

وهم قومٌ كِرامُ الحَىِّ طُرًّا ... لهم خَوَلٌ اذا ذُكِرَ السَّناءُ

وضرب به الحسن ههنا مَثَلا وجمع الرَّعْد فقال رِعادٌ كقولك كَلْبٌ وكِلابٌ وكَعْبٌ وكِعاب وقوله بماضى الظُّبَى ظُبَةُ كل شئ حَدُّه يقال وَخَزَه بظبة السيف يراد بذلك حَدَّ طَرَفه وقوله أزهاه طول نجاد النجاد حَمائلُ السيف وأزهاه رفعه وأعلاه والرجل يُمْدَحُ بالطول فلذلك يُذْكَرُ طولُ حمائله قال مَرْوانُ بن أبى حَفْصَةَ يمدح المَهْدِىَّ

أو بدله وقوله تعالى ذكره وقال الذين كفروا ان هذا الا أفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون وبذلك كثرة هذه المراجعة وطول هذه المناقلة على ان التفريع لهم بالعجز كان فاشيا وان عجزهم كان ظاهرا ولو لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم تحداهم بالنظر والتألف ولم يكن أيضا أزاح علتهم حتى قال تعالى (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) وعارضونى بالكذب لقد كان فى تفصيله له وتركيبه وتقديمه له واحتجاجه ما يدعو الى معارضته ومغالبته وطلب مساويه

قَصُرَتْ حمائلُه عليه فقلَّصتْ • ولقد تأنَّقَ قَيْنُها فأطالها

وقال الحسن بن هانئ يمدح محمدا الأمين

سَبْطُ البنان اذا احتبَى بنجاده • عَمْرَ الجماجم والسماطُ قيامُ

وقال جرير للفرزدق تعالَوْا فقاتِلُونا فى الحكم مَقْنَعٌ • الى الغُرِّ من أهل البطاح الأكارم

فانى لأرضَى عبدَ شمس وما قضَتْ • وأرضَى الطوالَ البيضَ من أهل هاشم

وقال الآخر لما التَقَى الصفَّان واختلَفَ القَنا • نهالا وأسبابُ المَنايا نهالُها

تبيَّنَ لى أن القَماءَةَ ذِلَّةٌ • وأن أشدَّاءَ الرجال طوالُها

وقوله أمام خميس الخميسُ ههنا الجيش وكذلك قال ربيئةُ أهل خيبرَ لما أطلَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليهم محمدٌ والخميسُ أى والجيشُ وقال الشاعر وهو طَرَفةُ

وأىُّ خميسٍ لا أفأنا نهابُه • وأسيافُنا يقطُرْنَ من كبشِه دما

أفأنا رددنا يقال أفاءَ يُفِئ اذا رَدَّ والأرجوانُ الاحمرُ قال الشاعر

عَشِيَّةَ غادرتْ خيلى حميدًا • كأنَّ عليه حُلَّةَ أرجوانِ

والجيادُ الخيلُ وفى القرآن اذ عُرِضَ عليه بالعَشِيِّ الصافناتُ الجيادُ ومن تشبيهه الجيد فى هذا الشعر الذى ذكرنا قوله

تَرَى الناسَ أفواجا الى باب داره • كأنهمُ رِجْلادَبَى وجَرادِ

فيومٌ لإحْنَاقِ الفقيرِ بذى الغِنَى • ويومُ رِقابٍ بُوكِرَتْ لحَصادِ

ومن التشبيه الجيد قوله (أى أبى نُواس الحسن بن هانئ)

فكأنى بما أُزِرْنَ منها • قَعَدِىٌّ يُزِينُ الضَّكِيما

وكان سبب هذا الشعر ان الخليفة تَشَدَّدَ عليه فى شرب الخمر وحبسه من اجل ذلك حبسا طويلا فقال

أيُّها الرائحان باللَّوْمِ لُوما • لا أذوقُ المُدامَ الا شميما

نالَنى بالمَلام فيها امامٌ • لا أرى لى خلافَهُ مُستقيما

فاصْرِفاها الى سواىَ فانى • لستُ الّا على الحديث نديما

كُبِّرَ حظّى منها اذا هى دارَتْ • أن أراها وأن أشمَّ النسيما

ولو لم يكن تحداهم من كل ما قلنا وقرعهم بالعجز عما وصفنا وهل هذا الا تمديحه له واكثاره فيه لكان ذلك سببا موجبا لمعارضته ومغالبته وطلب تكذيبه اذ كان كلامهم وهو سيد عملهم والمؤنة فيه أخف عليهم وقد بذلوا النفوس والأموال وكيف ضاع منهم وسقط على جماعتهم نيفا وعشرين سنة مع كثرة عددهم وشدة عقولهم واجتماع كلمتهم وهذا أمر جليل الرأى ظاهر التدبير

﴿ فصل منه فى كراهة امتناعهم عن معارضة القرآن لعجزهم عنها ﴾

فكأنى بما أُزَيِّنُ منها • قعدىَ يزين الكعبيما

لم يُطِق حَمْلَهُ السلاحَ الى الحَرْ • بِ فأَوْصى المُطيقَ الأَيُقيما

فهذا المعنى لم يسبقه اليه أحد قال وحُدِّثْتُ ان العُمانىَّ الراجز أنشد الرشيد فى صفة فرس

كأنَّ أُذُنَيْهِ اذا تَشَوَّفا • قادمةً أو قلماً مُحَرَّفا

فعلم القوم كلهم انه قد لحن ولم يهتد منهم أحد لاصلاح البيت الا الرشيدُ فانه قال له قل

• تخالُ أُذنيه اذا تشوفا • والراجز وان كان لحن فقد أحسن التشبيه ويروى أن جريرا دخل الى الوليد ابنُ الرقاع العاملىُّ عنده يُنشِدُهُ القصيدة التى يقول فيها

غَلَبَ المَسامِيحَ الوليدُ سَماحةً • وكَفَى قُرَيْشَ المُعْضِلاتِ وَسادَها

قال جرير فحسدته على أبيات منها حتى أنشد فى صفة الظبية • تُزْجِى أَغَنَّ كأن ابرةَ رَوْقِه • قال فقلت فى نفسى وقع والله ما يقدر أن يقول أو يُشَبِّه به قال فقال • قَسَّمُ أصاب من الدواة مِدادَها • قال فما قدرت حسدا له أن أقيم حتى انصرفت ومن تشبيهه الحسن الذى نستطرفه قوله

تُعاطيكَها كَفٌّ كأنَّ بَنانَها • اذا اعْتَرَضَتْها العينُ صَفُّ مَدارى

ومن التشبيه المليح قوله وكأن سُعْدَى اذ تُوَدِّعُنا • وقد اشْرَأَبَّ الدمعُ أن يكفا

يَشْأَوْا صَنِينَ القِبانِ به • حتى عَقَدْنَ بأُذْنِهِ شُنُفا

(يقال اشْرَأَبَّ لان يكلمنى اذا تهيأ للكلام واشْرَأَبَّ الدمعُ اذا تهيأ للوكف) وفى هذا الشعر من التشبيه • خَبِّرْ فُؤادَكَ أو سَخِّرْهُ • قَسَماً لَتَفْتَهِنَّ أو حَلِفا

الحبُّ ظَهْرٌ أنت راكبُهُ • فاذا صرفتَ عِنانَهُ انْصَرَفا

ومن التشبيه الجيد قوله البذَرَمَتْ بالقوم خوصٌ كأنما • جَماجِمُها فوقَ الجِماحِ قُبورُ

وله أيضا سَأَرْحَلُ من قُودِ المَهارى شِملَّةً • مُسَخَّرَةً ما تُسْتَمَعْ بحادى

مع الريح ما راحتْ فان هى أعْصَفَتْ • نَهورٌ برأس كالعَلاةِ وهادى

العلاة السندان قال جرير أيَفْخَرُ بالحَمِيمِ قَيْنُ لَيْلَى • وبالكِيرِ المُرَقَّعِ والعَلاةِ

وقال الحسن بن هانئ فى صفة السفينة

بُنِيَتْ على قَدَرٍ ولا أَمَ بينها • طَبَقانِ من قِيرٍ ومن أَلْواحِ

والذى منعهم من ذلك هو الذى منع ابن أبى العوجاء واسحاق بن طالوت والنعمان بن المنذر وأشباههم من الارجاس الذين استبدلوا بالعز ذلا وبالايمان كفرا والسعادة شقوة وبالجنة شبهة بل لا شبهة فى الزندقة خاصة فقد كانوا يصنعون الآثار ويولدون الاخبار ويبثونها فى الأمصار ويطعنون فى القرآن ويسألون عن متشابهه وعن خاصه وعامه ويضعون الكتب على أهله وليس شئ مما ذكرنا يستطيع دفعه جاهل غبى ولا معاند زكى

﴿ فصل منه ﴾ ولما كان

فكأنها والماء يقطع صدرها * والخيزرانة في يد الملاح

" جون من العقبان يبتدر الضحى * يهوي بصوت واصطفاق جناح

وقال في شعر آخر يصف الخمر ويذكر صفاءها ورقتها وضياءها واشراقها

اذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل في داج من الليل كوكبا

فأما قوله بنينا على كسرى سماء مدامة * جوانبها محفوفة بنجوم

فلو رد في كسرى بن ساسان روحه * اذا لاصطفاني دون كل نديم

فانما كانت صورة كسرى في الاناء وقوله جوانبها محفوفة بنجوم فانما يريد ما تطوق به من الزبد وقد قال في أخرى (أول الشعر من غير الأم

ودار ندامى خلفوها وأدلجوا * بها أثرهم جديد ودارس

مساحب من جر الزقاق على الثرى * وأضغاث ريحان جني ويابس

حبست بها صحبي فألفت شملهم * وإني على أمثال تلك لحابس)

أقضيها يوما ويوما وليلة * ويوماله يوم الترحل خامس

تدار علينا الراح في عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها * مهاتذريها بالقسي الفوارس

فللخمر ما دارت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس

العسجدية منسوبة الى العسجد وهو الذهب وقال المثقب العبدي

قالت ألا لا تشترى ذا كم * الا بما شئنا ولم يوجد

الا بدرى ذهب خالص * كل صباح آخرا المسند

من مال من يحيي ويحيى له * سبعون قنطارا من العسجد

وقوله تذريها أي تختتلها يقال ذريت الصيد اذا ختلته قال الاخطل

وان كنت قد أقصدتني اذ رميتني * بسهمك والرامي بصيد ومايذري

وقال الحسن بن هانئ ما حط ذا الواشون من رتبة * عندي ولا ضرك ما اغتابوا

كأنهم أثنوا ولم يعلموا * عليك عندي بالذي عابوا

أعجب الامور عند قوم فرعون السحر ولم يكن أصحابه قط في زمان أشد استحكاما فيه منهم في زمانه بعث الله موسى عليه السلام على ابطاله وتوهينه وكشف ضعفه واظهاره ونقض أصله لردع الاغبياء من القوم ولمن نشأ على ذلك من السفلة والطغام لانه لو كان أتاهم بكل شئ ولم يأتهم بمعارضة السحر حتى يفصل بين الحجة والحيلة لكانت نفوسهم الى ذلك منطلعة ولا عتل به أصحاب الاشغال ولشغلوا به بال الضعيف ولكن الله تعالى جده أراد حسم الداء وقطع المادة وان

وهذا

وهذا المعنى عندى مأخوذ من قول النعمان بن المنذر لجُلْهُمة بن نَضْلة وقد ذكر معاوية بن بَكْر فقال أَبَيْتَ اللعن انه لَقَعُ الأَليتين مُقْبِل النعلين فَحِجُ الفَخِذَيْن مَشَّاء بأفراه تَبَّاع اماء فقال ظباء فقال النعمان ان أردت أن تذيعه فَدَهْدِهْ قوله مقبل النعلين يقول لنعله قبالٌ يَنْسُبُه الى التَرَفُّه وتباع اماء وقتال ظباء من ذلك والقعو ما تدور فيه البَكَرة اذا كان من خشب وقوله تذيعه معناه تذمّه يقال ذَمَّه يَذُمُّه ذَمًّا وذامه يَذِيمُه ذَيْمًا وذَأَمَه يَذْأَمُه ذَأْمًا والمعنى واحد قال الله تبارك وتعالى اخْرُجْ منها مَذْؤُما مَدْحُورا وقال الحَرِث بن خالد المخزومى لعبد الملك

صَحِبْتُكَ اذ عَيْنى عليها غِشاوةٌ * فلما انجلت قَطَّعْتُ نفسى أَذِيمُها

وقوله فدهده يريد مدحته فأبدل من الحاء هاء لقرب المخرج وبنو سَعْد بن زيد مَنَاة بن تميم كذلك تقول وتَحْمُ ومن قاربهما قال رُؤْبة

لله دَرُّ الغانيات المُدَّه * سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ من تَأَلُّهى

يريد المَدْح وفى هذه الأرجوزة * بَرَّانى أَصْلاد الجَبِين الأَجْلَه * يريد الاجلح والعرب تقول جَلِح الرجل يَجْلَح جَلَحًا وجَلِه يَجْلَه جَلَهًا وجَلِى يَجْلَى جَلًى والمعنى واحد قال العجاج

* مَعَ الجَلا ولائح القَتِير * ومثل بيت الحسن وكلام النعمان قول عمرو بن معديكرب

كَأَنَّ مُحَرِّشًا فى بيت سَعْدى * يُعَلُّ بعيبها عندى شَفِيعُ

وفى قصيدة الحسن هذه

ان جئتُ لم تأب وان لم أجئ * جئتَ فهذا مندلى دَأْبُ

كأنما أنت وان كنت لا * تَكْذِبُ فى الميعاد كَذَّابُ

وهذا كلام طريف ومن حَسَن تشبيه المُحْدَثين قولُ بَشَّار

وكأنَّ تحت لسانها * هاروت يَنْفُثُ فيه سِحْرا

وتخالُ ما جَمَعَتْ عليه بنانها ذَهَبًا وعِطْرا

وهذا التشبيه الجامع ونظيره فى جمع شيئين لمعنيين ماذكرتُ لك من قول مسلم بن الوليد

* كأنَّ فى سَرْجه بَدْرًا وضِرْغامًا * ومن حَسَن التشبيه من قول المُحْدَثين قولُ عباس بن الاحنف

أُحَرِّمُ منكم بما أقول وقد * نالَ به العاشقون مَنْ عَشِقوا

صِرْتُ كأنى ذُبالةٌ نُصِبَتْ * تُضِى للناس وهى تَحْتَرِقُ

لا يجد المبطلون متعلقا ولا الى اختداع الضعفاء سبيلا مع ما أعطى الله موسى عليه السلام من سائر البرهانات وضروب العلامات وكذلك زمن عيسى عليه السلام كان الاغلب على أهله وعلى خاصة علمائه الطب وكانت عوامهم تعظم على خواصهم فأرسله الله عز وجل باحياء الموتى اذ كانت غايتهم علاج المرضى وابراء الاكمه اذ كانت غايتهم علاج الرمد مع ما أعطاه الله تعالى عز وجل من سائر العلامات وضروب الآيات لان الخاصة اذا نجعت بالطاعة وقهرتها الحجة

فهذا حسن في هذا جدًّا ومن حسن ما قالوا في التشبيه قول اسمعيل بن القاسم أبي العتاهية للرشيد

أمين الله أنت خير أمين * عليك من التقى فيه لباس
تُساس من السماء بكل فضل * وأنت به تسوس كما تُساس
كأن الخلق ركب فيه روح * له جسد وأنت عليه راس

وقد أخذ هذا المعنى علي بن جبلة فقال في مدح حميد بن عبد الحميد وزاد في الشرح والترتيب فقال

يرتق ما يفتق أعداؤه * وليس يأسو فتقه آسي
فالناس جسم وإمام الهدى * رأس وأنت العين في الراس

والعرب تختصر في التشبيه وربما أومأت به ايماءً قال أحد الرجّاز

بقنا يحسّان رمعزاء نَمِط * مازلت أمشي بينهم وأتبط
حتى اذا كان الظلام يختلط * جاؤا بعذق هل رأيت الذئب قط

يقول في لون الذئب واللبن اذا جُهِد وخُلط بالماء ضرب الى الغبرة وأنشد الاصمعي

وتشرب مُحضًا ونسقى عيالها * سجاجا كأقراب الثعالب أورقا

السجاج الرقيق الممذوق والقُربان الجنبان والواحد قُرب من ذلك قول عمر بن الخطاب رحمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شاور في رجل جنى جناية وجاء قومه يشفعون له فشفع له قوم آخرون فقال له عمر يا رسول الله أرى أن توجع قُرْبَيْه فقال القوم يا رسول الله انك لن تشتد على أمتك بقول عمر فنزل اليه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال له ثلاثا يا محمد القول قول عمر شُدَّ الاسلام بعمر فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب الرجل والاورق لون بين الخضرة والسواد يقال جَمَلٌ أورق بين الورقة وهو ألأم ألوان الابل عند العرب وأطيبها لحما ومن مليح التشبيه قول عبد الصمد بن المعذّل في صفة العقرب

تُبرز كالقرنين حين تطلعه * تزحله مرًّا ومرًّا ترجعه
في مثل صدر السيف خلقٌ تقطعه * أعصل خطّار نلوح شُعْبَه
أسود كالسُبْحة فيه مبضَعه * لا تصنع الرقشاء ما لا يصنعه

وفي هذه الارجوزة أيضا

وعرفت موضع العجز والقوة وفصل ما بين الآية والحيلة كان أنجح للعامة واجدران لا يبقى في أنفسهم بقية وكذلك دهر محمد صلى الله عليه وسلم كان أغلب الأمور عليهم وأحسنها عندهم وأجلها في صدورهم حسن البيان ونظم ضروب الكلام مع علمهم له وانفرادهم به فحين استحكمت فيهم وشاعت البلاغة فيهم وكثر شعراؤهم وفاق الناس خطباؤهم بعثه الله عز وجل فقداهم بما كانوا لا يشكون انهم يقدرون على أكثر منه فلم يزل يقرعهم بعجزهم

بات بها حين حبيش يقبعه • وبات جذلان وثيرا مضجعه
ذا سنة آمن ما يروعه • حتى دنت منه لحتف ترمعه
فاظت نجم شمها وتجمعه • يا بؤس للمودعه ما يودعه
فشرعت أم الحمام اصبعه • أنحت عليه كالشهاب تلذعه
عطلك سربال حرير تخلعه • فكل خل ظاهر تفجعه
يزداد من بغت الحمام جزعه • واليأس من تيسيره توقعه

وكذلك قال يزيد بن ضبة (أو العرجم قال أبو الحسن شد أبو العباس في أنه لاحدهما أعني هذا البيت) ولكنهم بانوا ولم أدر بغتة • وأقطع شيء حين يفجؤك البغت

ومن أحسن التشبيه وملحه قول رجل يصور جلا رزانة الحال

يأتيد في جبة محرفة • أطول أيمار مثلها يوم
وطيلسان كالاتل يلبسه • على قميص كأنه عيم

والتشبيه كثير وهو باب كأنه لا آخر له وانما ذكرنا منه شيأ لئلا يخلو هذا الكتاب من شيء من المعاني ونختم ما ذكرنا من أشعار المحدثين ببيتين أو ثلاثة من الشعر الجيد ثم نأخذ في غير هذا الباب ان شاء الله قال طفيل تقريبه المرطى والجون معتدل • كأنه سبد بالماء مغسول

السبد طائر بعينه وقد قالوا الخصفة التي توضع عند البئر وهو بالطائر أشبه وانما أراد العرقي في هذا الوقت وخير الخيل ما لم يسرع عرقه ولم يبطئ فاذا جاء في وقته فعله قال الراجز

كأنه والطرف منه سام • مشعل جاء من الحمام

وقال الأعشى يعادي النحوص ومشعلها • وعفوهما قبل أن يسنحم

النحوص جماعها النحص وهي التي لم تحمل في عامها والمسحل العير والعفو الولد وجمعه عفاء فاعلم وهو أسمى له اذا لم يكن لعامه ويستحم يعرق وفي حديث أم زرع مضجعه كمسل الشطبة وتكفيه ذراع الجفرة ومعناه أنه خميص البطن وهذا مما تمدح به العرب وتستحسنه فأما قول مقيم بن نويرة

• فتى غير مبطان العشيات أورعا • فانما أراد انه لا يستعجل بالعشاء لانتظاره الضيف كما قال

وضيف اذا أرغى طروقا بعيره • وعان ناه الوفد حتى تكنعا

وينقصهم على نقصهم حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم كما تبين لاقويائهم وخواصهم وكان ذلك من أعجب ما آتاه الله نبيا فاط مع سائر ما جاء به من الآيات ومن ضروب البرهانات ولكل شيء باب ومأتى واختصار وتقريب فمن أحكم الحكمة ارسال كل نبي بما يفحم أعجب الأمور عندهم ويبطل أقوى الأشياء في ظنهم

﴿فصل منه في ذكر أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام﴾

وآية أخرى لا يعرفها الا الخاصة ومتى ذكرت الخاصة فالعامة في ذلك

وقالوا فى قول الخنساء

يُذَكِّرُنى طلوعُ الشمسِ صَخْرًا • وأذكُرُهُ لكلِّ غُروبِ شمسِ

قالوا أرادت بطلوع الشمس وقتَ الغارة وبغروب الشمس وقتَ الاضياف وقال رجل لابن له والله ما أنتَ بعظيم الرأس فتكون سيدًا ولا بأرْسَحَ فتكونَ فارسا وقال رجل من بنى أسد لرجل من قَيْس والله ما أفتقتَ فَتْقَ السادة ولا مُطِلْتَ مَطَلَ النُّرسان فهذه كلها نعوت قد عُرِقَتْ لقوم حتى كأنها سِمَاتٌ لهم ينبغى للفارس أن يكون مُهَفْهَفَ الحَصْرِ بْنِ مُتَوَقِّدَ العينين حَمْشَ الذراعين وأنشد الاصمعى • كأنما ساعداه ساعدا ذيب • قالوا ومن نعت السيد أن يكون لحيما ضخم الهامة جهير الصوت اذا خطأ أبعد واذا تُوُمِّلَ مَلأ العين لان حقه أن يكون فى صدر مجلس اوذروة منبر أو منفردا فى مَوْكِب وكانوا يقولون فى نعت السيد يملأ العين جمالا والسمع مَقالا وقال أبو على دَعْبَلٌ فى رجل نسبه الى السودد يقوله لمُعاذ بن جَبَل بن سعيد الحِمْيرى وهو من ولد حُمَيْد بن عبد الرحمن الفقيه

فاذا الْتَقَتْهُ صَدْرَتُهُ • وتَنَصَّبَتْ له فى الحاشيهْ

واذا سايرتَهُ قَدَّمَتْهُ • وتأخَّرتَ مع المُسْتَانِيهْ

واذا ياسَرتَهُ صادَفْتَهُ • سَلِسَ الخُلْقِ سليمَ الناحيهْ

واذا حاسرتَهُ صادفتَهُ • شَرِسَ الرأى أبيَّ الداهيهْ

فاحمدِ اللهَ على صحبتِهِ • واسألِ الرحمنَ منه العافيهْ

وهذا المعنى قد أجله جرير فى قوله

بِشْرٌ أبو مَرْوانَ ان ياسرتَهُ • عَسِرٌ وعند يساره مَيْسور

﴿ باب ﴾

تجتمع فيه طرائف من حَسَن الكلام وجيد الشعر وسائر الأمثال ومأثور الأخبار ان شاء الله

• كان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد بن عمرو العَتَكِىَّ فلما أثنت الوُفودُ على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك والحجاجُ حاضرٌ قال زياد بن عمرو يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفُكَ الذى لا يَنْبُو وسَهْمُكَ الذى لا يَطيشُ وخادمُكَ الذى لا تأخذه فيك لَوْمَةُ لائم فلم يكن أحد بَعْدُ أخَفَّ على قلب الحجاج منه ولزياد يقول ابن قَيْس الرُّقَيَّات فى معاتبته المُهَلَّبَ بن أبى صُفْرَةَ

أبلغا جارِىَ المُهَلَّبَ عنى • كُلُّ جارٍ مُفارِقٌ لامحالهْ

مثل الخاصة وهى الاخلاق والافعال التى لم تجتمع لبشر قط قبله ولا تجتمع لبشر بعده وذلك انا لم نر ولم نسمع لأحد قط كصبره ولا كحلمه ولا كوفائه ولا كزهده ولا كجوده ولا كنجدته ولا كصدق لهجته وكرم عشيرته ولا كتواضعه ولا كعلمه ولا كحفظه ولا كصمته اذا صمت ولا كقوله اذا قال ولا كحبيب منشئه ولا كقبله تلونه ولا كعفوه ولا كدوام طريقته وقلة امتنانه ولم نجد شجاعا قط الا وقد جال جولة وفر فرة وانحاز مرة من معدودى شجعان

أنَّ جارانَكَ اللواتي بتكريـ * ـتَ لتنبيذِ رحلهنَّ مقالَهْ

لو تعلَّقْنَ من زيادِ بنِ عمرو * بحبالٍ لَمَادَ مَنْ حبالَهْ

غلبتْ أمُّهُ أباه عليه * فهو كالكابليِّ أشبهَ خالَهْ

ولقد غالني يزيدُ وكانتْ * في يزيدٍ خيانةٌ ومَغالَهْ

عَتَكِيٌّ كأنه ضوءُ بدرٍ * يحمدُ الناسُ قولَهُ وفعالَهْ

وقال أسماء بن خارجة الفزاريُّ لا أشائم رجلا ولا أردُّ سائلا فأغاثه وكريم أسدٌ خلَّتَهُ أو لئيم أشترى عرضي منه وقال سَهْل بن هرون يجب على كل ذي مقالة أن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها كما يُدئ بالنعمة قبل استحقاقها وكان يقول عند التعزية التهنئة بأجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة وأراد رجل الحج فأتى شُعبة بن الحجاج يودِّعُهُ فقال له شعبة أما أنك ان لم تر الحلم ذلاًّ والسفه أنفاسلم لك حجٌّ وقال أويس القرنيُّ ان حقوق الله لم تترك عند مسلم درهما وقال دِعبلُ ابن علي الخزاعي يذم رجلا

رأيتُ أبا عمران يبذلُ عرضَهُ * وخُبْزُ أبي عمران في أحرزِ الحرزِ

يحنُّ الى جارانه بعد شبعه * وجاراته غرثى تحنُّ الى الخبزِ

وقال آخر قومٌ اذا أكلوا أخفوا كلامَهُمُ * واستوثقوا من رتاج الباب والدارِ

لا يقبسُ الجارُ منهم فضلَ نارهمُ * ولا تكفُّ يدٌ عن حرمةِ الجارِ

أظن تمامه) حتى اذا استنبح الاضيافُ كلبهم * قالوا لأمِّهمُ بُولي على النارِ

قامت بأحرزها تندى مشافرُهُ * كأنه رئةٌ في كفِّ جزَّارِ)

وقال رجل من طيئ وكان رجلٌ منهم يقال له زيد من ولد عُروة بن زيد الخيل قَتَلَ رجلا من بني أسد يقال له زيد ثم أُقيد به بعدُ

عَلازيدُنا يومَ النقا رأسَ زيدكم * بأبيضَ مصقولِ الغرارِ يمانِ

فان تقتلوا زيدًا بزيدٍ فانما * أقادكمُ السلطانُ بعد زمانِ

(قال أبو الحسن وأنشدنا غيره

علازيدُنا يومَ النقا رأسَ زيدكم * بأبيضَ من ماءِ الحديدِ يمانِ)

الاسلام مشهوري فرسان الجاهلية كفلان وفلان وبعد فقد نصر النبي صلى الله عليه وسلم وهاجر معه قوم ولم نر كنجدتهم نجدة ولا كصبرهم صبرا وقد كانت لهم الجولة والفرة كما قد يلغ عن يوم أحد وعن يوم حنين وغير ذلك من الوقائع والايام فلا يستطيع منافق ولا زنديق ولا دهري ان يحدث ان محمدا صلى الله عليه وسلم جال جولة قط ولا افر فرة قط ولا حام عن غزوة ولا هاب حرب من كان ثبته الله بالحجة وحصن دينه من كل شبهة

قال كلّم النّعمانيّ عبد الملك كلاما لم يرضه فرماه عبد الملك بالجرز فخدش وهشم فقال شعل

أمن جذية بالرجل مني تباشرت ... عداتي فلا عيب عليّ ولا عذر

فان أمير المؤمنين وسيفه * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وقال الحجاج البخل على الطعام أقبح من البرص على الجسد وقال زياد كفى بالبخيل عارا ان اسمه لم يقع في حمد قط وكفى بالجواد مجدا ان اسمه لم يقع في ذم قط وقال آخر

ألا ترين وقد قطعتني عذلا ... ماذا من الفضل بين البخل والجود

لا يعدم السائلون الخير أفعله * امّا نوالا واما حسن مردود

ألا يكن ورق يوما أراح به ... للخابطين فاني آبن العود

قوله الا يكن ورق يريد المال وضربه مثلا ويقال أتى فلان فلانا يختبط ما عنده والاختباط ضرب الشجر ليسقط الورق فجعل الخابط الطالب والورق المال كما قال زهير

وليس ما نال ذي قربى ولا رحم * يوما ولا معدما من خابط ورقا

ويروى أن ضيفا نزل بالحطيئة وهو يرعى غنما له وفي يده عصا فقال الضيف يا راعي الغنم فأومأ اليه الحطيئة بعصاه وقال عجزا ممن سلم فقال الرجل اني ضيف فقال الحطيئة للضيفان أعددتما

وقال دعبل وابن عمران يبتغي عربيا * ليس يرضى البنات الا كفاء

ان بدت حاجة له ذكر الضيـ ... ـف وبناه عند وقت الغداء

وقال أيضا أضياف لم ذا خفض وذا دعة * وفي شراب ولحم غير ممنوع

وضيف عمرو عمرو يشهران معا * عمرو لبطنته والضيف للجوع

وقال دعبل ما رحل الضيف عني بعد تكرمة * الا بوعد وتشييع ومعذرة

وقال أيضا لم يطيقوا أن يسمعوا وسمعنا * وصبرنا على رحى الاسنان

صوت مضغ الضيوف أحسن عندي * من غناء القيان بالعيدان

وقال الفرزدق من بني أمية

اذا ما ترنا لم تنم عن تراتنا * ولم نذ آرا لا نقيم البواكيا

ولكننا نمضي الجياد شوازبا * فنرمي بها الحوا والثغرات المراميا

وقال

وتوفي مسلما وجعلك من الشاكرين قد أعجبني حفظك الله اسهاد أول العلم وفهمك له وشغفك بالانصاف وميلك اليه وتعظيمك الحق وموالاتك فيه وعيبك عن التقليد ودرايتك عليه ومرارة كتبك على بعد دارك وتقطع أسبابك وصبرك الى أوان الامكان واتساعك عند تضايق العذر وفهمت حفظك الله كتابك الأول وما حثثت عليه من تبادل العلم والتعاون على البحث والتحاب في الدين والنصيحة لجميع المسلمين وذلك اكتب اليّ كتابا تقصد فيه لي حاجات النفوس

وقال جرير ان الذى حرم الخلافة تغلبا * جعل النبوة والخلافة فينا

مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم * يا خزر تغلب من أب كابينا

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الى قطينا

ان الفرزدق اذ تحنف كارها * أضحى لتغلب والصليب خدينا

ولقد جزعت الى النصارى بعدما * لقى الصليب من العذاب مهينا

هل تشهدون من المشاعر مشعرا * أو تسمعون من الاذان أذينا

قال أبو العباس حدثنى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال لما بلغ الوليد قوله

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الى قطينا

قال الوليد أما والله لو قال لو شاء ساقكم لفعلت ذلك به ولكنه قال لو شئت فجعلنى شرطيا له ويروى أن بلالا قعد يوما ينظر بين الخصوم ورجل منهم ناحية يتمثل قول الأخطل على غير معرفة

وابن المراغة حابس أعياره * مرمى القصية ما يذوق بلالا

فسمعه بلال فلما تقدم مع خصمه قال له بلال أعد انشادك فغمزه بعض الجلساء. فقال الرجل انى والله ما أدرى من قاله ولا فيمن قيل فقال بلال أجل هو أشعر من ذاك هلما فاحتجا وقال جرير

مررت على الديار فما رأينا * كدار بين تلعة والنظيم

عرفت المنتأى وعرفت منها * مطايا القدر كالحدأ الجثوم

وقال آخر لقد تبلت فؤادك اذ نأت * ولم تخش العقوبة فى التولى

عرفت الدار يوم وقفت فيها * بريح المسك تنفح فى المحل

﴿باب من أخبار الخوارج﴾

قال أبو العباس ذكر أهل العلم من الصفرية ان الخوارج لما عزموا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبى من الأزد تكرر ذلك فأبوا من سواه ولم يريدوا غيره فلما رأى ذلك منهم قال يا قوم استنيبتوا الرأى أى دعوه يغب وكان يقول نعوذ بالله من الرأى الدبرى قوله استنيبتوا الرأى يقول دعوا رأيكم تأت عليه ليلة ثم تعقبوه يقال بيت فلان كذا وكذا اذا فعله ليلا وفى القرآن اذ يبيتون مالا يرضى من القول أى أداروا ذلك ليلا بينهم وأنشد أبو عبيدة

والى صلاح القلوب والى معالجات الشكوك وخواطر الشبهات دون الذى عليه أكثر المتكلمين من التطويل ومن التعمق والتعقيد ومن تكلف مالا يجب واضاعة ما يجب وقلت كن كالمعلم الرفيق والمعالج الشفيق الذى يعرف الداء وسببه والدواء وموقعه ويصبر على طول العلاج ولا يسأم كثرة التردد وقلت اجعل تجارتك التى اياها تقول وصناعتك التى اياها تعتمد اصلاح الفاسد ورد الشارد وقلت ولابد من استجماع الأصول ومن استيفاء الفروع ومن حسم كل خاطر وقع

أتونى فلم أرض ما بيّتوا * وكانوا أتونى بأمر نُكُرْ

لأنكح أيّمهم منذرا * وهل ينكح العبد حرٌّ لحرّ

والرأى الدبرى الذى يعرض من بعد وقوع الشئ كما قال جرير

ولا يعرفون الشرّ حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمر الا تدبّرا

وكان عبد الله بن وهب ذا رأى وفهم ولسان وشجاعة وانما لجؤا اليه وخلعوا معدان الايادىّ لقول معدان

سلامٌ على من بايع الله شاريا * وليس على الحزب المقيم سلامُ

فبرئت منه الصفريّة وقالوا خالفت لانك برئت من القعد قال أبو العباس والخوارج فى جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذى المعصية الظاهرة وحدّثت ان واصل بن عطاء أبا حذيفة أفيل فى رفقة فأحسّوا الخوارج فقال واصل لأهل الرفقة ان هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعونى واياهم وكانوا قد أشرفوا على العطب فقالوا شأنك فخرج اليهم فقالوا ما أنت وأصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حدوده فقالوا قد أجرنا كم فان فعلمونا فجعلوا يعلمونه أحكامهم وجعل يقول قد قبلت أنا ومن معى قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال ليس ذلك لكم قال الله تبارك وتعالى وان أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه فأبلغونا مأمننا فنظر بعضهم الى بعض ثم قالوا ذاك لكم فساروا بأجمعهم حتى بلغوهم المأمن وذكر أهل العلم من غير وجه ان عليا رضى الله تعالى عنه لما وجّه اليهم عبد الله بن عباس رحمة الله عليه لينافرهم قال لهم ما الذى نقمتم على أمير المؤمنين قالوا قد كان للمؤمنين أميرا فلما حكّم فى دين الله خرج من الايمان فليتب بعد اقراره بالكفر نعُدْ له فقال ابن عباس لا ينبغى لمؤمن لم يشُكّ ايمانه شكّ بأن يقر على نفسه بالكفر قالوا انه قد حكّم قال ان الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم فى قتل صيد فقال عز وجل يحكم به ذوا عدل منكم فكيف فى امامة قد أشكلت على المسلمين فقالوا انه قد حُكّم عليه فلم يرض فقال ان الحكومة كالامامة ومتى فسق الامام وجبت معصيته وكذلك الحكمان لما خالفا بُذت أقاويلهما فقال بعضهم لبعض لا تجعلوا احتجاج فريش حجة عليكم فان هذا من القوم الذين قال الله عز وجل فيهم بل هم قوم خصمون وقال عز وجل وتُنذر به قوما لُدّا والشئ يذكر بالشئ وجاء فى الحديث ان رجلا اعرابيا أتى عمر بن الخطاب رضى الله

كل ناجم وصرف كل هاجس ودفع كل شاغل حتى تتمكن من الجملة وتنهنأ بالنعمة وتجد راحة الكفاية وتثلج ببرد اليقين وتفضى الى حقيقة الأمر وان كان لابد من عوارض العجز ولواحق التقصير فالبر لها أجل والضرر علينا فى ذلك أيسر وقلت ابدأ بالاخوف فالاخوف وبكل ما كان آنق فى السمع واحلى فى الصدور وبالباب الذى منه يؤتى المريض المتكلف والجسور المتعسف وبكلما كان أكثر علما وأنفذ كيدا وسألتنى بتفتح الاستداد والعجلة

عنه فقال انى أصبت ظبيا وأنا مُحرِمٌ فالتفت عمر الى عبد الرحمن بن عوف فقال قل فقال عبد الرحمن يُهدى شاةً فقال عمر أهدى شاة فقال الاعرابى والله ما دَرَى أميرُ المؤمنين ما فيها حتى استفتى غيرَهُ فخفقه عمر رضوان الله عليه بالدِّرَّة وقال أتقتلُ فى الحَرَم وتُعَمِّصُ الفُتيا ان الله عز وجل قال يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر بن الخطاب وهذا عبد الرحمن بن عوف وفى هذا الحديث ضروب من الفقه منها ما ذكروا ان عبد الرحمن بن عوف قال أوّلا ليكون قولُ الامام حُكْمًا قاطعا ومنها انه رأى ان الشاة مثل الظبية كما قال الله عز وجل فجزاءٌ مثلُ ما قتل من النعم وانه لم يسأله أخطأ قتله أم عمدا وجعل الأمرين واحدا ومنها انه لم يسأله أقتلت صيدا قبله وأنت مُحرِمٌ لان قوما يقولون اذا أصاب ثانية لم يُحْكَم عليه ولكنا نقول اذهب فاتق الله لقول الله تبارك وتعالى ومن عاد فينتقم الله منه قال أبو العباس من طريف أخبار الخوارج قول قَطَرِيّ ابن الفُجاءة المازنى لابى خالد القَنانى وكان من قعدة الخوارج

أبا خالد يا انفرْ فلستَ بخالد * وما جَعَلَ الرحمنُ عُذرَ القاعد

أتزعمُ ان الخارجىَّ على الهدى * وأنت مقيم بين لِصٍّ وجاحد

فكتب اليه أبو خالد

لقد زاد الحياةَ الىَّ حُبًّا * بناتى انهنَّ من الضعاف

احاذرُ أن يرين الفقرَ بعدى * وأن يَشْرَبْنَ رَنْقًا بعد صاف

وان يَعْرَيْن ان كسىَ الجوارى * فتَنْبو العينُ عن كَرَمٍ عجاف

ولولا ذاك قد سَوَّمتُ مُهرى * وفى الرحمن للضعفاء كاف

(أبانا مَنْ لنا ان غِبْتَ عنا * وصار الحىُّ بعدكَ فى اختلاف)

وهذا خلاف ما قال عمران بن حطان أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذُهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب ابن على بن بكر بن وائل وقد كان رأس القَعَدة من الصُّفْرِيَّة وخطيبهم وشاعرهم قال لما قُتِل أبو بلال وهو مِرْداس ابن أُدَيَّة وهى جدته وأبوه حُدَيْر وهو أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قال عمران بن حطان

لقد زاد الحياةَ الىَّ بُغْضًا * وحُبًّا للخروج أبو بلال

أحاذرُ أن أموتَ على فراشى * وأرجو الموتَ تحت ذُرا العوالى

ولو أنى علمتُ بأن حَتْفى * كحَتْفِ أبى بلال لم أُبال

الى الاعتقاد وصفة الاناة ومقدارها ومقدمات العلوم ومنتهاها وزعمت أن من اللفظ ما لا يفهم معناه دون الاشارة ودون معرفة السبب والهيئة دون العبارة وركته وتحديده واحتيازه وقلت فان أنت لم تصور ذلك كله صورة تغنى عن المشافهة وتكتفى بظاهرها عن المراسلة أحوجتنا الى القائل على بعد دارك وكثرة أشغالك وعلى ما تخاف من الضيعة وفساد المعيشة فكتبت لك كتابا أجهدت فيه نفسى وبلغت منه أقصى ما يمكن مثلى فى الاحتجاج للقرآن والرد على كل طعان

فمن يَكُ همُّهُ الدنيا فانى * لها والله ربّ البيت قال

وفيه يقول أيضا

يا ابن بَكّى لمرداس ومَصْرَعِه * يا ربَّ مرداس اجْعَلْنى كمرداس

تركتنى هائما أبكى لمرزئتى * فى منزل موحش من بعد ايناس

أنكرتُ بعدك ما قد كنتُ أعرفُه * ما الناسُ بعدكَ يا مرداسُ بالناس

أما شربتَ بكاس دارَ أولُها * على القرون فذاقوا جرعةَ الكاس

فكلُّ من لم يَذُقْها شاربٌ عَجِلاً * منها بانفاس وزْد بعدَ أنفاس

قال أبو العباس وكان من حديث عمران بن خطاب فيما حدثنى العباس بن الفرج الرياشى عن محمد بن سلّام انه لما أطرد الحجاج كان ينتقل فى القبائل فكان اذا نزل فى حىّ انتسب نسبا يقرُبُ منه

فى ذلك يقول

نَزَلْنا فى بَنى سَعْدِ بن زيد * وفى عَدْىٍ وعامرِ عَوْ بَثان

وفى تَغْلِبَ وفى أُدَدِ بن عمرو * وفى بَكْرٍ وحَىِّ بنى العَدان

ثم خرج حتى نزل عند روح بن زِنباع الجُذامى وكان روح يَقْرِى الاضياف وكان مسامرا لعبد الملك ابن مروان أسيرا عنده فاتمى له من الازد وفى غير هذا الحديث ان عبد الملك ذكر وحافة فقال مَنْ أُعْطِىَ مثلَ ما أُعطِىَ أبو زُرعةَ أُعطِىَ فقهَ أهل الحجاز وَدِهاءَ أهل العراق وطاعةَ أهل الشام رجع الحديث وكان روح بن زنباع لا يسمع شعرا نادرا ولا حديثا غريبا عند عبد الملك فيسأله عنه عمران بن حطّان الا عرفه وزاد فيه فذكر ذلك لعبد الملك فقال ان لى جارا من الازد ما أسمع من أسير المؤمنين خبرا ولا شعرا الا عرفه وزاد فيه فقال خبّرنى ببعض أخباره فخبّره وأنشده فقال ان اللغة عدنانية وانى لأحسبه عمران بن حطان ثم تذاكروا الية قول عمران ابن حطان يمدح ابن مُلْجَم لعنه الله

يا ضربةً من تَقِىٍّ ما أراد بها * الا ليَبْلُغَ من ذى العرش رضوانا

انى لأذكره حينا فأحسبُه * أوفى البريّة عند الله ميزانا

(قلبه الفقيه الطبرى فقال

يا ضربةً من شَقِىٍّ ما أرادَ بها * الا ليَهدِمَ من ذى العرش بُنْيانا

انى لأذكره يوما فألعنُه * لعنا وأَلعنُ عمرانَ بن حطانا

فلم أدع فيه مسألة لرافضى ولا لحديثى ولا لحشوى ولا لكافر مباد ولا لمنافق مقموع ولا لأصحاب النظام ولمن نجم بعد النظام ممن يزعم أن القرآن حق وليس تأليفه بحجة وانه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة فلما ظننت انى قد بالغت أقصى مجتهد وأتيت على معنى صفة أنانى كتابا تذكر أنك لم تر الاحتجاج لنظم القرآن وانما أردت الاحتجاج لخلق القرآن وكانت مسألتك مبهمة ولم أك أن أحدثت لك فيها تأليفه فكتبت لك أشق الكتابين وأثقلهما وأغمضهما معنى وأطولهما

قال محمد بن أحمد الطبيب يَرُدُّ على عمران بن حطان

ياضربةً من غدورٍ صارضاربُها * أشقى البريّة عند الله انسلما
اذا تفكّرتُ فيه ظلتُ ألعنُهُ * وألعنُ الكلبَ عمران بن حطانا

فلم يدرِ عبدُ الملك لمن هو فرجع روح الى عمران بن حطان فسأله عنه فقال عمران هذا يقوله عمران ابن حطان يمدح به عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب فرجع روح الى عبد الملك فأخبره فقال له عبد الملك ضَيَّعْتَنا عمرانُ بن حطان اذْهَبْ فجئني به فرجع اليه فقال ان أمير المؤمنين قد أحب أن يراك قال عمران قد أردتُ أن أسألك ذلك فاستحييتُ منك فامضِ فانى بالأثر فرجع روح الى عبد الملك فأخبره فقال عبدُ الملك أمَا انك سترجع فلا تجده فرجع وقد ارتحل عمران وخلّف رُقعةً فيها

يا روحُ كم من أخٍ مَثْوًى نزلتَ به * قد ظنّ ظنّك من حِلم وغسّان
حتى اذا خفتَهُ فارقتَ منزلَهُ * من بعد ما قيل عمرانُ بن حطان
قد كنتُ جارَكَ حولًا ما تُروِّعُني * فيه روائعُ من انسٍ ومن جان
حتى أردتَ بي العظمى فأدركني * ما أدركَ الناسَ من خوف ابن مروان
فاعذرْ أخاكَ ابنَ زِنباعٍ فانّ له * في الحادثات خطوبًا ذاتَ ألوان
يوما بِمارِبَ اذ لا فيتُ ذا يَمَنٍ * وان لقيتُ معدّيًا فعدناني
لو كنتُ مستغفرا يوما لطاغيةٍ * كنتَ المقدَّمَ في سِرّي وإعلاني
لكن أبَتْ لي آياتٌ مطهّرةٌ * عند الولاية في طه وعمران

ثم ارتحل حتى نزل بزُفَر بن الحرث الكلابي أحد بني عمرو بن كلاب فانتسب له أو زاعيا وكان عمران يُطيلُ الصلاة وكان غلمان من بني عامر يضحكون منه فأتاه رجل يوما ممن رآه عند روح بن زنباع فسلم عليه فدعاه زُفَر فقال مَنْ هذا فقال رجل من الازد رأيته ضيفَ الروح بن زنباع فقال له زفر ياهذا أزديًا مرةً وأوزاعيًا مرةً ان كنت خائفا آمنّاك وان كنت فقيرا جبرناك فلما أمسى هرب وخلّف في منزله رُقعةً فيها

ان التي أصبحتُ يعيي بها زُفَر * أعيت عباءً على روح بن زنباع

قال أبو العباس أنشدنيه الرياشي * أعيا عياها على روح بن زنباع * وأنكره كما أنكرناه

ولولا ما اعتلت به من اعتراض الرافضة واحتجاج القوم علينا بمذهب معمر وأبي كلدة وعبد الحميد وثمامة وكل من زعم أن أفعال الطبيعة مخلوقة على المجازدون الحقيقة وان متكلمي الحشوية والنابتة قد صارلهم بمناظرة أصحابنا وبقراءة كتبنا بعض الفطنة لما كتبت لك رقعة بدّ عن أقدارهم وضنا بالحكمة عن اعتارهم وانما يكتب على الخصوم والاكفاء وللدولياء على الأعداء ولمن يرى للنظر حقا وللعلم قدرا وله في الانصاف مذهب والى المعرفة سبب

الممدود

لانه قصر الممدود وذلك فى الشعر جائز ولا يجوز مدّ المقصور

ماذال يسألنى حولا لأخبره * والناس من بين مخدوع وخدّاع
حتى اذا انقطعت عنى وسائله * كفّ السؤال ولم يولع باهلاع
فاكفف كما كفّ عنى انى رجل * أمّا صميم واما فقعة القاع
واكفف لسانك عن لومى ومسئلتى * ماذا تريد الى شيخ لأوزاع
أما الصلاة فانى غير تاركها * كلّ امرئ للذى يعنى به ساع
أكرم بروح بن زنباع وأسرته * قوم دعا أولهم للعلى داع
جاورتهم سنة فيما أسرّ به * عرضى صحيح ونومى غير هجاع
فاعمل فانك منجىّ بواحدة * حسب اللبيب بهذا الشيب من ناع

ثم ارتحل حتى أتى عمان فوجدهم ينظمون أمر أبى بلال ويظهرونه فأظهر أمره فيهم فبلغ ذلك الحجاج فكتب الى أهل عمان فارتحل عمران هاربا حتى أتى قوما من الأزد فلم يزل فيهم حتى مات وفى نزوله بهم يقول

نزلنا بحمد الله فى خير منزل * نسرّ بما فيه من الأنس والخفر
نزلنا بقوم يجمع الله شملهم * وليس لهم عود سوى المجد يعتصر
من الأزد ان الأزد أكرم معشر * يمانية طابوا اذا نسب البشر
فأصبحت فيهم آمنا لا كمعشر * أتونى فقالوا من ربيعة أو مضر
أم الحى قحطان فقلكم سفاهة * كما قال لى روح وصاحبه زفر
وما منهما الا يسرّ بنسبة * تقربنى منه وان كان ذا نفر
فنحن بنو الاسلام والله واحد * وأولى عباد الله بالله من شكر

قوله يا روح كم من أخى مثوى نزلت به قد مر تفسيره يقال هذا أبو مثواى وللانثى هذه أم مثواى ومنزل الضيافة وما أشبهها المثوى وكذلك قال المفسرون فى قول الله عز وجل أكرمى مثواه أى اضافته ويقال من هذا ثوى يثوى ثويا كقولك مضى يمضى مضيا ويقال ثواء ومضاء كما قال

طال الثواء على رسيم بمؤود * أودى وكل جديد مرة مودى

وقوله فيه روائع من انس ومن جان الواحدة رائعة يقال راعنى يروعنى روعا أى أفزعنى قال الله

وزعمت أنك لم ترفى كتب أصحابنا الا كتابا لا تفهمه أو كتابا وجدت اطبقه على واضع الكتاب فيه أثبت وقلت واياك أن تتكل على مقدار ما عندهم دون أن تعتصر قوى باطلهم وتوفيهم جميع حقوقهم واذا تقادت الأخبار عن خصمك فخطه كخياطتك للفساتين فان ذلك أبلغ فى التعليم وآيس للخصوم وقلت وزعموا انه يازمك ان تزعم ان القرآن ليس بمخلوق الا على المجاز كما ألزم ذلك لنفسه معمر وأبو كلدة وعبد الحميد وثمامة وكل من ذهب مذهبهم وقاس قياسهم

تعالى ذكره فلما ذهب عن ابراهيم الروع ويكون الرائع الجميل يقال جمال رائع يكون ذلك في الرجل والفرس وغيرهما وأحسب الاصل فيهما واحدا أنه يفرط حتى يروع كما قال الله جل ثناؤه يكاد سنى برقه يذهب بالابصار للافراط في ضيائه والرائع مهموز وكذلك كل فعل من الثلاثة مما عينه واو أو ياء اذا كانت معتلة ساكنة تقول قال يقول وباع يبيع وخاف يخاف وهاب يهاب يعتل اسم الفاعل فيهمز موضع العين نحو قائل وبائع وخائف وهائب فان صحت العين في الفعل صحت في اسم الفاعل نحو عور الرجل فهو عاور وصيد فهو صايد والصيداء يأخذ في الرأس والعينين والشؤن وانما صحت في عور وحول وصيد لانه منقول من احول واعور وقد أحكمنا تفسير هذا في الكتاب المقتضب وقوله

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدنانى

يريد أنا يوما يمان وانه لا أن الشعر لا يصلح بالنصب لكان النصب جائزا على معنى أتنقل يوما كذا ويوما كذا والرفع حسن جميل وهذا الشعر ينشد نصبا

أني السلم أعيار اجفار رغاطة * وفي الحرب أمثال النساء العوارك

العوارك هن الحوائض وكذلك قوله

أني الولائم أولادا لواحدة * وفي المحافل أولادا لعلات

قال العلات سميت لان الواحدة تعل بعد صاحبتها وهو من العلل وهو الشرب الثاني أي يختلفون ويتحولون في هذه الحالات ومن كلام العرب أتميميا مرة وقيسيا أخرى وكذلك ان لم تستفهم وأخبرت قلت تميميا مرة علم الله وقيسيا أخرى أي تنتقل ومن ثم قال له زفر بن الحرث أزدي مرة وأزرا عيا أخرى والرفع على أنت جيد بالغ وقوله * لو كنت مستغفرا يوما لطاغية * يكون على وجهين لنفس طاغية والآخر للذكر وزاد الهاء للتوكيد والمبالغة كما يقال رجل راوية وعلامة ونسابة وكلاهما وجه ويقال جاءت طاغية الروم يراد الجماعة الطاغية كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتلك الفئة الباغية وقوله عند الولاية اذا فتحت فهو مصدر الولي وفي القرآن العظيم مالكم من ولايتهم من شئ والولاية مكسورة نحو السياسة والرياضة والاباية وهي الولاية واصله من الاصلاح يقال آله يؤله أولا اذا أصلحه قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

فتفهم فهمك الله تعالى ما أنا واصفوه لك ومورد عليك اعلم ان القوم يلزمهم ما ألزموه أنفسهم وليس ذلك الا لعجزهم عن التخاص بحقهم والا لذهابهم عن قواعد قولهم وفروع أصولهم فليس لك ان تضيف العجز الذي كان منهم الى أهل مقالهم وتحمل ذلك الخطأ على غيرهم فرب قول شريف الحسب جيد المركب وافر العرض بري من العيوب سليم من الآفن قد ضيعه أهله وهجنه المفترون عليه فألزموه مالا يلزمه وأضافوا اليه مالا يجوز عليه ولو زعم القوم على

قد أنزل علينا تأويل ذلك قد ولينا وولي علينا وهذه كلمة جامعة يقول قد ولينا فعلنا ما يُصلح الوالي وولي علينا فعلنا ما يصلح الرعيّة وقوله * حتى اذا ما انقضت منى وسائله * الوسائل واحدها وسيلة وهي الذريعة والسبب يقال قد توسّلت الى فلان قال رؤبة بن العجّاج

والناس ان فصّلتهم فصائلا * كلٌّ الينا يبتغي الوسائلا

وقوله ولم يواع باهلاعي أي بافزاعي وترويعي والهَلَع من الجُبن عند ملاقاة الاقران يقال نعوذ بالله من الهَلَع ويقال رجل هَلُوع اذا كان لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل في كل واحد منهما غير الحق قال الله عز وجل ان الانسان خُلق هَلُوعًا اذا مسه الشر جزوعًا واذا مسه الخير منوعا وقال الشاعر

ولي قلبٌ سقيمٌ ليس يبغي * وتفسٌ ما تُفيق من الهُلاع

وقوله * اما صميم واما فقعة القاع * الصميم الخالص من كل شيء يقال فلان من صميم قومه أي من خالصهم وقال جرير لهشام بن عبد الملك

وتنزل من أُميّة حيث تلقى * شؤون الرأس مجتمع الصميم

وقوله واما فقعة القاع يقال لن لا أصل له هو فقعة بقاع وذلك لان الفقعة لا عروق لها ولا أغصان والفقعة الكمأة البيضاء ويقال حمام فقيع لبياضه ومن ذا قول الشاعر

قوم اذا نسبوا يكون أبوهم * عند المناسب فقعة في قرقر

وقال بعض القرشيين اذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تجعل خليلك من تميم

بلوت صميمهم والعبد منهم * فما أدنى العبيد من الصميم

وقوله نُسَر بما فيه من الأنس والخفر فاصل الخفر شدة الحياء يقال امرأة خفرة اذا كانت مستترة لاستحيائها قال ابن مُقبل

تضوّع مسكا بطن نعمان ان مشت * به زينب في نسوة خفرات

وقوله ان الازد أكرم أسرة يقول عصابة وقبيلة ويقال للرجل من أي أُسرة أنت وأصل هذا من الاجتماع يقال للقتب مأسور وقد مضى تفسيره وينشد * بمانية قُرّبوا اذا نُسب البشر * يريد قَرُبوا وهذا جائز في كل شيء مضموم أو مكسور اذا لم يكن من حركات الاعراب تقول في الاسماء في عَضُد عَضْد وتقول في الافعال كَرُم عبدُ الله أي كَرُم وقد علم الله أي علِم الله قال

أصل مقالتهم أن القرآن هو الجسم دون الصوت والتقطيع والنظم والتأليف وأنه ليس بصوت ولا تقطيع ولا تأليف اذ كان الصوت عندهم لا يخترع كاختراع الأجسام المصورة ولا يحتمل التقطيع كاحتمال الأجرام المتجسدة والصوت عرض لا يحدث من جوهر الا بدخول جوهر آخر عليه ومحال ان يحدث الا وهناك جسمان قد صدّ أحدهما صاحبه ولا بد من مكانين مكان زال عنه ومكان زال اليه ولا بد من هواء بين المصطكين والجسم قد يحدث وحده ولا شيء غيره

الاخطل فان أهجه يتجحر كما ضجر بازل * من الابل دبرت صفحتاه وكاهله

وقال آخر عجبت لمولود وليس له أب * وذى ولد لم يلده أبوان

ولا يجوز فى ضرب ولا فى جمل أن يسكن لخفة الفتحة وقوله أتونى فقالوا من ربيعة أم مضر يقول أمن ربيعة أم من مضر ويجوز فى الشعر حذف ألف الاستفهام لان أم التى جاءت بعدها تدل عليها قال ابن أبى ربيعة لعمرك ما أدرى وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

يريد أبسبع وقال التميمى

لعمرك ما أدرى وان كنت داريا * شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر

الرواية على وجهين أحدهما أمن ربيعة أم مضر أم الحى قحطان يريد أذا أم ذا والاصلح فى الرواية من ربيعة أومضر أم الحى قحطان لان ربيعة أخو مضر فأراد من أحد هذين أم الحى قحطان لانه اذا قال أزيد عندك أم عمرو فالجواب نعم أو لا لان أحد هذين عندك ومعنى الاول أيهما عندك ويروى وحدثنيه المازنى أن صفية بنت عبد المطلب أتاها رجل فقال لها أين الزبير قالت وما تريد اليه قال أريد أن أباطشه فقالت ها هو ذاك فصار الى الزبير فباطشه فغلبه الزبير فرجع متململا فقالت صفية كيف رأيت زبرا * أقطا أو تمرا * أم فرشيا صقرا

لم تشكك بين الاقط والتمر فتقول أيهما هو ولكنها أرادت أرأيته طعاما أم فرشيا صقرا أى أأحد هذين رأيته أم صقرا ولو قالت أأقطا أم تمرا كان محالا على هذا الوجه وقوله وما منهما الا يسر بنسبة معناه وما منهما واحد فحذف لعلم المخاطب قال الله جل اسمه وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته أى وان أحد ومعنى ان معنى ما قال الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

يريد فمنهما تارة وقوله فمن بنو الاسلام والله واحد * وأولى عباد الله بالله من شكر

يقول انقطعت الولاية الا ولاية الاسلام لان ولاية الاسلام قد قاربت بين الغرباء وقال الله عز وجل انما المؤمنون اخوة وقال عز وجل فباعد به بين القرابة انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح وقال نهار بن توسعة اليشكرى دعى القوم ينصر مدعيه * ليلحقه بذى الحسب الصميم

أبى الاسلام لا أب لى سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

والصوت على خلاف ذلك والعرض لا يقوم بنفسه ولا بد من أن يقوم بغيره والاعراض من أعمال الأجسام لا تكون الا منها ولا توجد الا بها وفيها والجسم لا يكون الا من جسم ولا يكون الا من مخترع الأجسام ولست لكون الجسم له علة توجبه ولا يحدث اذا حدث الا اختيارا والا ابتداعا واختراعا والصوت لا يكون الا عن علة موجبة ولا يكون الا تولدا ونتيجة ولا يحدث الا من جرمين كاصطكاك الجرمين وكقرع اللسان باطن الاسنان والا من هواء يتضاغط ويزيح تخلخل

و يقال فيما يُروَى من الأخبار أن أول مَن حَكَّم عَمْرَو بن أُدَيَّة وأُدَيَّة جد له جاهلية وهو عروة ابن حُدَير أحد بني ربيعة بن حنظلة وقال قوم بل أول مَن حَكَّم رجل يقال له سَعْد من بني مُحارِب بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر والمختلف واقي اجماعهم على عبد الله بن وهب الراسبي وأنه امتنع عليهم وأوى إلى غيره فلم يقنعوا الا به فكان امام القوم وكان يوصف بالرأي فأما أول سيف سُلَّ من سيوف الخوارج فسيف عروة بن أدية وذلك انه أقبل على الأشعث فقال ماهذه الذنيبة يا أشعث وماهذا التحكيم أشرطٌ أوثِقْ من شرط الله عز وجل ثم شهَرَ عليه السيف والاشعث مُوَلٍّ فضرب به عجز البغلة فثبتت البغلة فمَرَت اليمانية وكانوا جُلَّ أصحاب علي صلوات الله عليه فلما رأى ذلك الأشعث قَصَدَه وجاريةُ بن قُدامة ومسعود بن فَدَكي بن أعبد وشَبَث بن ربعي الرياحي ان الاشعث فسأوه الصفح ففعل وكان عروة ابن أدية نجا من حرب النهروان فلم يزل باقيا مدة من خلافة معاوية ثم أُتِيَ به زياد وهو والٍ له فسأله عن أبي بكر وعمر فقال خيرا ثم سأله فقال ما تقول في أمير المؤمنين عثمان بن عفان وأبي تراب علي بن أبي طالب فتولى عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر وفعل في أمر علي مثل ذلك الى أن حكَّم ثم شهد عليه بالكفر ثم سأله عن معاوية فسبه سبًّا قبيحا ثم سأله عن نفسه فقال أولُ لزنية وآخرك لدعوة وأنت بعد عاص لربك ثم أمر به فضربت عنقه ثم دعا مولاه فقال صِفْ لي أموره فقال أأُطنِبُ أم أختصر فقال بل اختصر فقال ما أتيته بطعام نهارا قط ولا فرشت له فراشا بليل قط وكان سبب تسميتهم الحرورية أن عليا لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله اياهم فكان مما قال لهم ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلتُ لكم ان هذه مكيدة ورَهْنٌ وانهم لو قَصَدوا الى حكم المصاحف لرأيتموني ثم سألوني التحكيم أفعلمتم انه كان منكم أحد أكره لذلك مني قالوا اللهم نعم قال فهل علمتم انكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم اليه فاشترطتُ أن حُكْمَهما نافذ ما حكما بحكم الله عز وجل فان خالفاه فلا ولا أنتم من ذلك بُرآء أو أنتم تعلمون أن حكم الله لا يَعْدوني قالوا اللهم نعم وفيهم في ذلك الوقت ابن الكوّاء وهذا من قبل أن تذبحوا عبد الله بن خَبّاب فالمذابحون يكسكر في الفُرقة الثالثة فقالوا حَكَّمْتَ في دين الله ولا رأي ونحن مقرّون بانا قد كفرنا ونحن تائبون فاقرر بمثل ما أقررنا وتُبْ نَنْهَض معك الى الشام فقال أما تعلمون ان الله جل ثناؤه قد أمر

بالتحكيم

ونار تلتهب والريح عندهم هواء تحرك والنار عندهم ريح حارة هكذا الأمر عندهم فلو قلت لهم لا يكون الشيء مخلوقا في الحقيقة دون المجاز على مجاز اللغة لأوقدت بالله عز وجل باختراعه وتولاه بابتداعه وكان منه على اختيار والابتداع الذي يمكن تركه وانشاء عقيبه بدلا منه على ما كان يولده من نتيجته من أجسام يستحيل أن يخالق من أوجدها ويحالها الله منها والقرآن على غير ذلك جسم وصوت وذو تأليف وذو نظم وتقطيع وخالق قائم بنفسه مستغن عن غيره ومسموع في الهواء

بالتحكيم فى شقاق بين رجل وامرأة فقال تبارك وتعالى فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وفى صيد أصيب فى الاحرام كأرنب يساوى ربع دينار فقال عز وجل يحكم به ذوا عدل منكم فقالوا ان عمر المأبى عليك أن تقول فى كتابك هذا ما كتب به عبد الله على أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة وكتبت على بن أبى طالب فقال لهم رضى الله عنه لى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حيث أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب هذا كتاب كتبه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو فقال لو أقررنا بأنك رسول الله ما خالفناك ولكنى أقدم لفضلك ثم قال اكتب محمد بن عبد الله فقال لى يا أخ رسول الله فقلت يا رسول الله لا تمحونفسى بمحو اسمك من النبوة فقال عليه السلام فمحاه بيده صلى الله عليه وسلم ثم قال اكتب محمد بن عبد الله ثم تبسم الى فقال يا على أما انك ستسأم مثلها فتعطى فرجع معه منهم ألفان من حرورا وقد كانوا تجمعوا بها فقال لهم على صلوات الله عليه ما نسميكم ثم قال أنتم الحرورية لاجتماعكم بحرورا والنسب الى مثل حرورا حرورى فاعلم وكذلك كل ما كان فى آخره ألف التأنيث الممدودة ولكنه نسب الى البلد بحذف الزوائد فقيل الحرورى وقال الصلتان العبدى فى كلمة له

أرى أمة شهرت سيفها * وقد زيد فى سوطها الاصبحى
بنجدية وحرورية * وأزرق يدعى والى أزرقى
قتلنا أئمتنا المسلمون * على دين صديقنا والنبى

وفى هذا الشعر مما يستحسن قوله

أشاب الصغير وأفنى الكبير * مر الليالى وكر العشى
اذا ليلة هرمت يومها * أتى بعد ذلك يوم فتى
نروح ونغدو لحاجاتنا * وحاجة من عاش لا تنقضى
تموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجة ما بقى

قوله وقد زيد فى سوطها الاصبحى فانه تسمى هذه السياط التى يعاقب بها السلطان الاصبحية وتنسب الى ذى أصبح الحميرى وكان ملكا من ملوك حمير وهو أول من اتخذها وهو جد مالك بن أنس الفقيه رضى الله عنه والنجدية تنسب الى نجدة بن عويمر وهو عامرى الحنفى وكان رأسا ذا مقالة

ومرمى فى الورق ومفصل وموصل ذو اجتماع وافتراق ويحتمل الزيادة والنقصان والفناء والبقاء وكلما احتمله الأجسام ووصفت به الاجرام كل ما كان كذلك فمخلوق فى الحقيقة دون المجاز وتوسع أهل اللغة فلو كانوا قالوا ذلك لكانوا أصابوا فى القياس ووافقوا أهل الحق وكانوا مع الجماعة ولم يضاهوا أهل الخلاف والفرقة ولم يفهموا أنفسهم بقول المشبهة اذ كان ظاهر قولهم على التشبيه أدل وبه أشبه ولا يجوز أن أذكر موضع موافقتى لهم ومخالفتى عليهم فى صدر

منفردة من مقالات الخوارج وقد بنى من أهلها قوم كثير وكان نجدة يصلى بمكة بحذاء عبد الله ابن الزبير فى جمعه فى كل جمعة وعبد الله يطلب الخلافة فهم كان عن القتال من أجل الحرم قال الراعى يخاطب عبد الملك

انى حلفت على يمين برة * لأكذب اليوم الخليفة قيلا
ما ان أتيت أباخبيب واقدا * بوما أريد بيعتى تبديلا
ولا أتيت نجيدة بن عويمر * أبغى الهدى فيزيدنى تضليلا
من نعمة الرحمن لا من حيلتى * أنى أعد له على فضولا

هذا الكتاب لان التدبير فى وضع الكتاب والسياسة فى تعليم الجهال أن يبدأ بالأوضح فالأوضح والأقرب فالأقرب وبالأصول قبل الفروع حتى يكون آخر الكتاب لا آخر القياس وآخر الكلام لا يفهم أرشدك الله تعالى ولا يتوهم الاعلى ترتيب الأمور وتقديم الأصول فاذا رتبنا الأمور وقدمنا الأصول صارت أواخر المعانى فى الفهم كأوائلها ورقيقها كجليلها وقد علمنا أن بعض ما فيه الاختلاف بين من ينتحل الاسلام أعظم فرية وأشد بلية

وفى هذه القصيدة أخذوا العريف فقطعوا حيزومه * بالأصبحية قائما ومقولا

قوله وأزارق يدعوا الى أزرقى يريد من كان من أصحاب نافع بن الأزرق الحنفى وكان نافع متقدما فى فقه الخوارج وله ولعبد الله بن عباس مسائل كثيرة وسنذكر جملة منها فى هذا الكتاب ان شاء الله وقوله على دين صدق يقنا والنهى فالعرب تفعل هذا وهو فى الواو جائز أن تبدأ بالشئ وغيره المقدم قال الله عز اسمه هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال يا معشر الجن والانس وقال واسجدى واركعى مع الراكعين وقال حسان بن ثابت

بها ليل منهم جعفر وابن أمه * على ومنهم أحمد المتخير

يعنى بنى هاشم ومن كلام العرب ربيعة ومضر وقيس وخندف وسليم وعامر وأصحاب نافع بن الازرق هم ذوو الحدد والجدوهم الذين أحاطوا بالبصرة حتى نزحل أكثر أهلها منها وكان الباقون على الترحل فقتلهم المهلب حربهم فهزمهم الى الفرات ثم هزمهم الى الأهواز ثم أخرجهم عنها الى فارس ثم أخرجهم الى كرمان وفى ذلك يقول شاعرهم فى هذه الحرب التى صاحبها صاحب الزنج بالبصرة يرثى البلد ويذكر المنقبة التى كانت لهم (قال الأخفش أنشدنيه يزيد المهلبى لنفسه)

سقى الله مصرا خف أهلوه من مضر * وما الذى يبقى على عقب الدهر
ولو كنت فيه اذ أبيح حريمه * لمت كريما أو صدرت على عذر
أبيح فلم أملك له غير عبرة * تحيب بها أن عاودتنى لوعة الصدر

وقعن

ونحن رددنا أهلها اذ ترحلوا * وقد نظمت خيل الازارق بالجسر
ومن يخش أطراق المنايا فاننا * لبسنا لهن السابغات من الصبر
فان كريه الموت عذب مذاقه * اذا ما مزجناه بطيب من الذكر
وما رزق الانسان مثل منيته * أراحت من الدنيا ولم تخزفي القبر

وفي هذا الشعر

لتشكر بنو العباس نعمى تجددت * فقد وعد الله المزيد على الشكر
لقد جنبتكم أسرة حسدتكم * فسلمت على الاسلام سيفا من الكفر
وقد نغصتهم جولة بعد جولة * يبيتون فيها المسلمين على ذعر

وقال عبد الله بن قيس الرقيات

ألا طرقت من أهل بيبة طارقه * على أنها معشوقة الدل عاشقه
تبيت وأرض السوس بيني وبينها * وسولاف رستاق حمته الازارقه
اذا نحن شئنا صادفتنا عصابة * حرورية أضحت من الدين مارقه

وكان مقدار من أصاب علي صلوات الله عليه منهم بالنهروان ألفين وثمانى مائة في أصح الاقاويل وكان عددهم ستة آلاف وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين ممن يسر أمره ولم يشهد الحرب فخرج منهم رجل بعد أن قال علي رضوان الله عليه ارجعوا اذ فعوا الينا قاتل عبد الله بن خباب فقالوا كلنا قتله وشركه في دمه ثم حمل منهم رجل على صف علي وقد قال علي لا تبدؤهم بقتال فقتل من أصحاب علي ثلاثة وهو يقول

أقتلهم ولا أرى عليا * ولو بدا أو جزنه الخطيا

فخرج اليه علي صلوات الله عليه فقتله فلما خالطه السيف قال خبذا الروحة الى الجنة فقال عبد الله ابن وهب ما أدري أالى الجنة أم الى النار فقال رجل من سعد انما حضرت اغترارا بهذا وأراه قد شد فانخزل بجماعة من أصحابه ومال ألف الى ناحية أبي أيوب الانصاري وكان رحمه الله على مقدمة علي وجعل الناس يتساقطون وقد قال علي وقيل له انهم يريدون الجسر فقال لن يبلغوا النطفة وجعل الناس يقولون له في ذلك حتى كادوا يشكون ثم قالوا قد رجعوا يا أمير المؤمنين فقال والله ما كذبت

وأشنع كفرا وأكبرا نما من كثير مما أجمعوا على أنه كفر وبعد فنحن لم نكفر الامن أوسعناه حجة ولم نحن الا أهل التهمة وليس كشف المتهم من التجسس ولا امتحان الظنين من هتك الاستار ولو كان كل كشف هتكا وكل امتحان تجسسا لكان القاضي أهتك الناس لستر وأشد الناس كشفا لعورة والذين خالفوا في العرش انما أرادوا نفي التشبيه فغلطوا والذين أنكروا أمر الميزان انما كرهوا أن تكون الأعمال اجساما واجراما غلاظا فان كانوا قد أصابوا فللسبيل

ولا كُذِبْتُ ثم خرج اليهم فى أصحابه وقد قال لهم انه والله ما يُقتَل منكم عشرة ولا يُفلت منهم عشرة فقُتِل من أصحابه تسعة وأفلت منهم ثمانية ۞ قال أبو العباس وقيل أول من حَكَّم رافع بالحكومة ولم يُشعر بها رجل من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم بن مُر من بنى صَريم يقال له الحَجَّاج بن عبد الله ويُعرَف بالبرك وهو الذى ضرب معاوية على أليته فانه لما سمع يذكر الحكمين قال أيحكّم فى دين الله لا حُكْمَ الا لله فسمعه سامع فقال طَعَن والله فأنفذ وأول من حكّم ابن الصفين رجل من بنى يَشكُر بن بكر بن وائل فانه كان فى أصحاب على فحمل على رجل منهم فقتله ثم مرق بين الصفين فحكّم رجلٌ على أصحاب معاوية فكفّروه فرجع الى ناحية على صلوات الله عليه فحمل على رجل منهم فخرج اليه رجل من هَمْدان فقتله فقال شاعر هَمْدان

ما كان أغنى اليَشكُرىّ عن التى * تَصلَى بها جَمْرًا من النار حاميا

غداة يُنادى والرماحُ تنوشُه * خَلَعْتُ عليًّا بادِيًا ومعاويا

وجاء فى الحديث أن عليا رضى الله عنه تلى بحضرته قل هل نُنَبِّئُكم بالأخسرين أعمالا الذين ضَلَّ سَعيُهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صُنعا فقال على أهل حَروراء منهم وروى عن على صلوات الله عليه أنه خرج فى غداة يوقظ الناس للصلاة فى المسجد فرَّ بجماعة تحدث فسلّم وسلّموا عليه فقال وقبض على لحيته ظننت أن فيكم أشقاها الذى يَخضِبُ هذه من هذه وأومأ بيده الى هامته ولحيته ومن شعر على بن أبى طالب الذى لا اختلاف فيه أنه قاله وانه كان يُردّده أنهم لمّا سامُوه أن يُقِرّ بالكفر ويتوب حتى يسيروا معه الى الشام فقال أبعد صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفقّه فى الدين أرجع كافرا يا شاهدا الله على فاشهد * أنى على دين النبى أحمد

* من شَذّ فى الله فانى مُهتدى *

ويروى * أنى تَوَلَّيتُ وَلِىَّ أحمد * ويروى أن رجلا أسود شديد بياض الثياب وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم خيبر ولم تكن الا لمن شهد الحديبية فأقبل ذلك الاسود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عَدَلْتَ منذ اليوم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رُؤِىَ الغضبُ فى وجهه فقال عمر بن الخطاب ألا أقتله يا رسول الله فقال رسول الله انه سيكون لهذا ولاصحابه نبأ وفى حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ويحك فمَن

عليهم وان كانوا قد أخطؤا فان خطأهم لا يتجاوز بهم الى الكفر وقولهم وخلافهم بعد ظهور الحجة تشبيه للخالق بالمخلوق فبين المذهبين أبين الفرق وقد قال صاحبكم للخليفة المعتصم يوم جمع الفقهاء والمتكلمين والقضاة والمخلصين اعذارا وانذارا امتحنتنى وأنت تعرف مافى المحنة ومافيها من الفتنة ثم امتحنتنى من بين جميع هذه الأمة قال المعتصم أخطأت بل كذبت وجدت الخليفة قبلى قد حبسك وقيدك ولو لم يكن حبسك على تهمة لأمضى الحكم فيك ولو لم يخفك على

يَعْدِلُ اذا لم أعدل ثم قال لابي بكر اقتله فمضى ثم رجع فقال يا رسول الله رأيته راكعا ثم قال لعمر اقتله فمضى ثم رجع فقال يا رسول الله رأيته ساجدا ثم قال لعلي اقتله فمضى ثم رجع فقال يا رسول الله لم أره فقال رسول الله لو قتل هذا ما اختلف اثنان في دين الله قال أبو العباس وحدثني ابراهيم ابن محمد التيمي قاضي البصرة في اسناد ذكره أن عليا رضي الله عنه وجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهبة من اليمن فقسمها بين أربعة فأعطى زيد الخيل الطائي وربعا العيينة بن حصن الفزاري وربعا العلقمة بن علاثة الكلابي فقام اليه رجل مضطرب الخلق غائر العينين ناتئ الجبهة فقال لقد رأيت قسمة ما أريد بها وجه الله فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توردخداه ثم قال أيأمنني الله عز وجل على أهل الارض ولا تأمنوني فقام اليه عمر فقال ألا أقتله يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم انه سيكون من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يرى شيأ وينظر في الرصاف فلا يرى شيأ ويتمارى في الفوق قوله صلى الله عليه وسلم من ضئضئ هذا أي من جنس هذا يقال فلان من ضئضئ صدق ومن محتد صدق وفي مركب صدق وقال جرير للحكم بن أيوب بن الحكم ابن أبي عقيل وهو ابن عم الحجاج وكان عاملا له على البصرة

أقبل من نهلان أو وادي خيم * على فلاص مثل خيطان السلم
اذا قطعن علما بدا علم * حتى أناخاها الى باب الحكم
خليفة الحجاج غير المتهم * في ضئضئ المجد ومجبوح الكرم

ويقال مرق السهم من الرمية اذا نفذ منها وأكثر ما يكون ذلك أن لا يعلق به من دمها شئ وأقطع ما يكون السيف اذا سبق الدم قال امرؤ القيس بن عابس الكندي

وقد أختلس الضربة لا يدمى لها نصلي

فاما ما وضعه الاصمعي في كتاب الاختيار فعلى غلط وضع وذكر الاصمعي أن الشعر لاسحق بن سويد الفقيه وهو لا عرابي لا يعرف المقالات التي يميل اليها أهل الاهواء أنشد الاصمعي

برئت من الخوارج لست منهم * من الغزال منهم وبن باب
ومن قوم اذا ذكروا عليا * يردون السلام على السحاب

الاسلام ما عرض لك فسؤالي اياك عن نفسك ليس من المحنة ولا من طريق الاعتساف ولا من طريق كشف العورة ان كانت حالك هذه الحال وسبيلك هذه السبيل وقيل للمعتصم في ذلك المجلس ألا تبعث الى أصحابه حتى يشهدوا اقراره ويعاينوا انقطاعه فينقض ذلك استبصارهم فلا يمكنه جحد ما أقر به عندهم فأبى أن يقبل ذلك وأنكره عليهم وقال لا أريد ان أوتى بقوم أنا تهمتهم بزت فيهم بسيرتي فيهم وان بان لي أمرهم أنفذت حكم الله فيهم رهم مالم أرث بهم

ولكنى أحبُّ بكل قلبى * وأعلمُ أن ذاكَ من الصواب

وسولَ الله والصدّيقَ حبًّا * به أرجو غداً حُسنَ الثواب

فان قوله من الغزال منهم يعنى واصل بن عطاء وكان يُكنى أبا حُذيفة وكان معتزليا ولم يكن غزالا ولكنه كان يلقب بذلك لانه كان يلزم الغزّالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن وكان طويل العُنُق ويروى عن عمرو بن عُبيد أنه نظر اليه من قبل أن يكلمه فقال لا يُفلح هذا ما دامت عليه هذه العنق وقال بشّار بن بُرد يهجو واصل بن عطاء

ماذا مُنيتُ بغزّال له عُنُقٌ * كنفقنى الدوآن ولّى وان مثلا

عُنق الزرافة ما بالى وبالكم * تُكفرون رجالا أكفروا رجلا

ويروى لا بل كانه لا يشك فيه ان بشّارا كان يتعصّب للنار على الأرض ويصوّب رأى ابليس لعنه الله فى امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ويُروى له

الأرض مُظلمةٌ والنارُ مُشرقةٌ * والنارُ معبودةٌ مُذ كانت النارُ

فهذا ما رويه المتكلمون وقتله المهدىّ على الالحاد وقد روى قوم أن كتبه فُتّشت فلم يُصب فيها شئ مما كان يُرمى به وأُصيب له كتاب فيه انى أردتُ هجاء آل سُليمان بن على فذكرتُ قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسكتُ منهم (الا انى قلتُ

دينارُ آل سُليمان ودرهمهم * كبابليّين حُفّا بالعقاريت

لا يُرجيان ولا يُرجى نوالهما * كما سمعتَ بهاروت وماروت)

وحدثنى المازنى قال قال رجل لبشّار أتأكل اللحم وهو مباين لديانتك تذهب الى أنه تنوىّ قال فقال بشّار ليس وايدرون أن اللحم يدفع عنى شرّ هذه الظلمة وكان واصل بن عطاء أحد الاعاجيب وذلك أنه كان ألثغ قبيح اللثغة فى الراء فكان يُخلّص كلامه من الراء ولا يقطن بذلك لاقتداره وسهولة ألفاظه فى ذلك يقول شاعرٌ من المعتزلة يمدحه باطالته الخُطب واجتنابه الراء على كثرة تردادها فى الكلام حتى كانها ليست فيه

عليمٌ بابدال الحروف وقامعٌ * لكل خطيب يغلب الحقّ باطله

وقال آخر ويجعل البرّ قمحا فى تصرّفه * ويخالف الراء حتى احتال للشعر

كسائر الرعية وكغيرهم من عوام الأمة وما شئ أحب الى من الستر ولا شئ أولى بى من الاناة والرفق ومازال به رفيقا وعليه رقيقا ويقول لان أستصيد بحق أحب الى من أن أقتلك بحق حتى رآه بعائد الحجة ويكذب صراحا عند الجواب وكان آخر ما عاند فيه وأنكر الحق وهو يراه أن أحمد بن أبى داود قال له أليس لا شئ الا قديم أو حديث قال نعم أوليس القرآن شيأ قال نعم قال أوليس لا قديم الا الله قال نعم قال فالقرآن اذا حديث قال ليس انا متكلم وكذلك كان يصنع فى

ولم يُطِقْ مَطَرًا والقولُ يُعْجِلُهُ * فعاذَ بالغَيْثِ اشفاقًا من المَطَرِ

ومما يُحكى عنه قوله وذكر بَشَّارًا أمامَ هذا الأعمى المُكْنَى بابى مُعاذ مَنْ يَقْتُلُهُ أما والله لولا أن الغيلةَ خُلُقٌ من أخلاق الغالية لَبَعَثْتُ اليه مَنْ يَبْعَجُ بطنه على مَضْجَعِه ثم لا يكون الا سَدُوسِيًّا أو عُقَيْلِيًّا فقال هذا الأعمى ولم يقل بَشَّارًا ولا ابن بُرْدٍ ولا الضَّرِيرَ وقال من أخلاق الغالية ولم يقل المُغيرِيَّة ولا المَنْصورية وقال لبعثت اليه ولم يقل لارسلت اليه وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه ولا مَرْقَدِه وقال يبعج ولم يقل يَبْقُرُ وذكر بنى عقيل لانه بشارا كان يَتَوالَى اليهم وذكر بنى سدوس لانه كان نازلا فيهم واجتنابُ الحروف شديدٌ قال ولما سقطت ثنايا عبد الملك قال والله لولا الخُطْبَةُ والنساءُ ما حَفَلْتُ بها قال وخطب الجُحَىُّ وكان مَنْزوعَ احدى الثَّنِيَّتَيْنِ وكان يَصْفِرُ اذا تكلم فأجاد الخُطْبَةَ وكانت لِسكاح فردَّ عليه زيد بن على بن الحسين كلاما جيدا الا أنه فَضَلَهُ بتمكن الحروف وحُسْنِ مَخارج الكلام فقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك

صَحَّتْ مَخارِجُها وتَمَّ حُروفُها * فلهذا لَهُ مَزِيَّةٌ لا تُنْكَرُ

المزية الفضيلة واما قوله وابن باب فانه عمرو بن عبيد بن باب وكان مَوْلَى بنى العَدَوِيَّة من بنى مالك ابن حَنْظَلَةَ فهذان مُعْتَزِليان وليسا من الخوارج ولكن قصدا سحق بن سويد الى أهل البِدَعِ والأهواء الا تراه ذكر الرافضة معهما فقال

ومن قَوْمٍ اذا ذُكِّروا عليا * أشاروا بالسلام على الصحاب

ويروى * يردون السلام على الصحاب ۞ ثم نرجع الى ذكر الخوارج قال فلما قَتَلَ علىٌّ أهلَ النَّهْرَوان كان بالكوفة زُهاءُ ألفين من الخوارج ممن لم يَخْرُجْ مع عبد الله بن وهب وقوم ممن اسْتَأْمَنَ الى أبى أيوب الانصارى فجمعوا وأَمَّروا عليهم رجلا من طَيِّئٍ فوَجَّه اليهم علىٌّ صلوات الله عليه رجلا وهم بالنُّخَيْلَة فدعاهم ورَفَقَ بهم فأَبَوْا فعاودهم فأَبَوْا فقتلوا جميعا فخرجت طائفة منهم نحو مكة فوجَّه معاوية من يُقيم للناس حَجَّهم فناوَشَهُ هؤلاء الخوارج فبلغ ذلك معاوية فوجه بُسْرَ بن أَرْطاةَ أحدَ بنى عامر بن لُؤَىٍّ فتوافقوا وتراضَوْا بعد الحرب بان يصلى بالناس رجلٌ من بنى شَيْبَةَ الى الليل فوتَ الناسَ الحجُّ فلما انقضى نَظَرَتِ الخوارجُ فى أمرها فقالوا ان عليا ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الأمة فلو قتلناهما لعاد الأمرُ الى حَقِّه وقال رجل من أشجع والله ما عمرو

جميع مسائله حتى كان يجيبه فى كل ما سأل عنه حتى اذا بلغ المخنق والموضع الذى ان قال فيه كلمة واحدة برئ منه أصحابه قال ليس انا متكلم فلا هو قال فى أول الأمر لا علم لى بالكلام ولا هو حين تكلم فبلغ موضع ظهور الحجة خضع للحق فقتله الخليفة وقال عند ذلك أفى لهذا الجاهل مرة والمعاند مرة وأما الموضع الذى فيه واجه الخليفة بالكذب والجماعة بالقحة وقلة الاكتراث وشدة التصميم فهو حين قال له أحمد بن أبى داود اتزعم ان الله تعالى رب القرآن قال

دينهما وانه لأصل هذا الفساد فقال عبد الرحمن بن مُلْجَم انا أقتل عليا فقالوا وكيف لك به قال أغتاله فقال الحجاج بن عبد الله الصريمي وهو البرك وأنا اقتل معاوية وقال زاذويه مولى بني العنبر ابن عمرو بن تميم وأنا أقتل عمرا فأجمع رأيهم على أن يكون قتلهم في ليلة واحدة فجعلوا تلك الليلة ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان فخرج كل واحد منهم الى ناحية فأتى ابن مُلْجَم الكوفة فأخفى نفسه وتزوج امرأة يقال لها قطام بنت علقمة من تيم الرباب وكانت ترى رأي الخوارج والأحاديث تختلف وانما يُؤثر صحيحها ويُروى في بعض الأحاديث أنها قالت لا أتمتع منك الا بصداق أُمهره لك وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وأمة وأن تقتل عليا فقال لها لك ما سألت فكيف لي به قالت ترصد ذلك غيلة فان سلمت أرحت الناس من شر وأنقذت مع أهلك وان أُصبت صرت الى الجنة ونعيم لا يزول فانعم لها وفي ذلك يقول

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب علي بالحسام المصمم

فلا مهر أغلى من علي وان غلا * ولا قتل الا دون قتل ابن ملجم

وقد ذكروا أن القاصد الى معاوية يزيد بن ملجم والقاصد الى عمرو آخر من بني ملجم وأن أباهم نهاهم فلما عصوه قال استعدوا للموت وأن أمهم حضتهم على ذلك والخبر الصحيح ما ذكرت لك أول مرة فأقام ابن ملجم فيقال ان امرأته قطام لامته وقالت ألا تمضي لما قصدت له أشد ما أحببت أهلك قال اني قد وعدت صاحبي وقتا بعينه وكان هنالك رجل من أشجع يقال له شبيب فواطأه عبد الرحمن ويروى أن الأشعث نظر الى عبد الرحمن متقلدا سيفا في بني كندة فقال يا عبد الرحمن أرني سيفك فأراه فرأى سيفا حديدا فقال ما تقلدك السيف وليس بأوان حرب فقال اني أردت أن أنحر به جزور القرية فركب الأشعث بغلته وأتى عليا صلوات الله عليه فخبره وقال له قد عرفت بسالة ابن ملجم وفتكه فقال علي ما فتاني بعد ويروى أن عليا رضوان الله عليه كان يخاطب مرة ويذكر أصحابه وابن ملجم تلقاء المنبر فسمع وهو يقول والله لأريحنهم منك فلما انصرف على صلوات الله عليه الى بيته أُتي به مُلببا فاشرف عليهم فقال ما تريدون فخبروه بما سمعوا فقال ما فتاني بعد فخلوا عنه ويروى أن عليا كان يمثل اذا رآه ببيت عمرو بن معدي كرب في قيس بن مكشوح المرادي والمكشوح هبيرة وانما سمي بذلك لانه ضرب على كشحه

لو سمعت أحدا يقول ذلك لقلت قال أفما سمعت ذلك قط من خالف ولا سائل ولا من قاص ولا في شعر ولا في حديث قال فعرف الخليفة كذبه عند المسألة كما عرف عناده عند الحجة راجع دين أبي داود حفظك الله تعالى أعلم بهذا الكلام وبغيره من أجناس العلم من أن يجعل هذا الاستفهام مسألة ويعتمد عليها في مثل تلك الجماعة ولكنه أراد أن يكشف لهم جرأته على الكذب كما كشف لهم جرأته في المعاندة فعند ذلك ضربه الخليفة وأية حجة لكم في امضائنا اياكم وفي اكفارنا لكم وزعم

أُريدُ حياءَه ويريدُ قتلي ❁ عذيرَكَ من خليلكَ من مُرادِ

فينتهي من ذلك حتى أُخبِرَ عليه فقال له المُرادي أن قُضِيَ شيءٌ كان فقيل لعلي كأنك قد عرفته وعرفتَ ما يريد بدأ فلا تقتله فقال كيف أقتل قاتلي فلما كان ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان خرج ابن مُلجَم وشبيبُ الأشجعي فاعتوروا الباب الذي يدخل منه علي رضي الله عنه وكان مُغلَّسا ويُوقظُ الناسَ للصلاة فخرج كما كان يفعلُ فضربه شبيبُ فأخطأه وأصاب سيفُه البابَ وضربه ابن مُلجَم على صلعته فقال علي فُزتُ ورب الكعبة شأنكم بالرجل فيروى عن بعض من كان بالمسجد من الانصار قال سمعتُ كلمةَ علي ورأيت بريقَ السيف فأما ابن ملجم فحمل على الناس بسيفه فأفرجوا له وتلقاه المُغيرةُ بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بقطيفة فرمى بها عليه واحتمله فضرب به الأرض وكان المغيرة أيدا فقعد على صدره وأما شبيب فانتزع السيف منه رجلٌ من حضرموت وصرعه وقعد على صدره وكثر الناس فجعلوا يصيحون عليكم صاحبَ السيف فخاف الحضرميُّ أن يكبُّوا عليه ولا يَسمعوا عذره فرمى بالسيف وانسلَّ شبيبُ بين الناس فدخل على علي رضوان الله عليه فأومر فيه فاختلف الناس في جوابه فقال علي ان أعشْ فالامر الى وان أُصَبْ فالأمر لكم فان آثرتم أن تقتصوا فضربة بضربة وان تعفوا أقربُ للتقوى وقال قوم بل قال وان أصبتُ فاضربوه ضربةً في مقتله فألحاح علي يومين فسمع ابن ملجم الرنةَ من الدار فقال له من حضره أي عدوَّ الله انه لا بأس على أمير المؤمنين فقال أعلى من تبكي أُمُّ كلثوم أعلى أما والله لقد اشتريتُ سيفي بألف درهم ومازلتُ أعرضُه فما يعيبه أحدٌ الا أصلحتُ ذلك العيب ولقد أسقيته السمَّ حتى لفظَه ولقد ضربتُه ضربة لو قُسمت على من بالمشرق لأتت عليهم ومات علي صلوات الله ورضوانه عليه ورحمته في آخر اليوم الثالث فدعا به الحسن رضي الله عنه فقال ان لك عندي سرا فقال الحسن رضوان الله عليه أتذرون ما يريد أن يقرب من وجهي فيعضُّ أذني فيقطعها فقال أما والله لو أمكنني منها لاقتلعتها من أصلها فقال الحسن كلا والله لأضربنَّه ضربةً تؤدي به الى النار فقال لو علمتُ أن هذا في يديك ما اتخذتُ الها غيرك فقال عبد الله بن جعفر يا أبا محمد اد فعه الي أشف نفسي منه فاختلفوا في قتله فقال قوم أحيى له مبلين وكله بهما فجعل يقول اندبا ابن أخي لتكحل عمد بملولين مضاضين وقال قوم بل قطع يديه ورجليه

يومئذ ان حكم كلام الله تعالى كحكم علمه فكما لا يجوز أن يكون علمه محدثا ومخلوقا فكذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقا ومحدثا فقال له أليس قد كان الله يقدر أن يبدل آية مكان آية وينسخ آية بآية وان يذهب بهذا القرآن ويأتي بغيره وكل ذلك في الكتاب مسطور قال نعم قال فهل كان يجوز هذا في العلم وهل كان جائزا أن يبدل الله علمه ويذهب به ويأتي بغيره قال لا وقال له رويناه في تثبيت ما تقول الآثار وتلونا عليك الآية من الكتاب وأريناك الشاهد من

وقال قوم بل قطع رجليه وهو فى ذلك يذكر الله عز وجل ثم عمد الى لسانه فشق ذلك عليه فقيل له لم تجزع من قطع يديك ورجليك وزاك قد جزعت من قطع لسانك فقال نعم أحببت أن لا أزال فى ذكر الله رطبا ثم قتله ويروى أن عليا رضى الله عنه أتى بابن ملجم وقيل له انا قد سمعنا من هذا كلاما فلا تأمن قتله لك فقال ما أصنع به ثم قال على رضوان الله عليه

اشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا ولا تجزع من الموت * اذا حل بواديكا

والشعر انما يصح بأن تحذف اشدد فتقول

حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا

ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما عليه المعنى ولا يعتدون به فى الوزن و يحذفون من من الوزن علما بان المخاطب يعلم ما يزيدونه فهو اذا قال حيازيمك للموت فقد أضمر اشدد فأظهره ولم يعتد به قال وحدثنى أبو عثمان المازنى قال فصحاء العرب ينشدون كثيرا

لسعد بن الضباب اذا غدا * أحب الينا منك فارس حمر

وانما الشعر * لعمرى لسعد بن الضباب اذا غدا * وأما الحجاج بن عبد الله الصريمى وهو البرك فانه ضرب معاوية مصلتا فأصاب مأكمته وكان معاوية عظيم الأوراك فقطع منه عرقا يقال عرق النساء فلم يولد لمعاوية بعد ذلك ولد فلما أخذ قال الامان والبشارة قتل على فى هذه الصيحة فاستوثق به حتى جاء الخبر فقطع معاوية يده ورجله فأقام بالبصرة فبلغ زيادا أنه قد ولد له فقال أو لد له وأمير المؤمنين لا يولد له فقتله هذا أحد الخبرين ويروى أن معاوية قطع يديه ورجليه وأمر باتخاذ المقصورة فقيل لابن عباس بعد ذلك ما تأويل المقصورة فقال يخافون أن يبهظهم الناس وأما ذو يه فانه أرصد لعمرو واشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة وخرج خارجة وهو رجل من بنى سهم بن عمرو بن هصيص رهط عمرو بن العاصى فضربه ذو يه فقتله فلما دخل به على عمرو فرآهم يخاطبونه بالامرة قال أو ما قتلت عمرا قيل لا انما قتلت خارجة فقال أردت عمرا والله أراد خارجة وقال أبو زبيد الطائى يرثى على بن أبى طالب صلوات الله عليه

ان الكرام على ما كان من خلق * رهط امرئ خاره للدين مختار

طب بصير بأضغان الرجال ولم * يعدل بحبر رسول الله أحبار

وقطرة قطرت اذ حان موعدها * وكل شئ له وقت ومقدار

العقول التى بها لزم الناس الفرائض و بها يفصلون بين الحق والباطل فعارضنا أنت الآن بواحدة من الثلاث فلم يكن ذلك عنده ولا استحزى من الكذب فى هذا المجلس لان عدة من حضره أكثر من أن يطمع أحد أن يكون الكذب يجوز عليه وقد كان صاحبكم هذا يقول لا تقية الا فى دار الشرك فلو كان ما أقربه من خلق القرآن كان منه على وجه التقية فقد أعملها فى دار الاسلام وقد أكذب نفسه وان كان ما أقربه على الصحة والحقيقة فلستم منه وليس منكم على

حتى تفصلها فى مسجد طهر * على امام هدى ان معشر جاروا

حمت ليدخل جنات أبو حسن * وأوجبت بعده للقاتل النارُ

قوله خاره انما هو اختاره وهو فعله واختاره افتعله كما تقول قدر عليه واقتدر عليه وقوله بصير باضغان الرجال فهى أسرارها ومخبآتها قال الله تعالى فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم والخبرُ العالم ويروى أن عليا رضوان الله عليه مر بيهودى يسأل مسلما عن شئ من أمر الدين فقال له علىٌّ اسألنى ودع الرجل فقال له يا أمير المؤمنين أنت خبرٌ أى عالم قال علىٌّ أن تسأل عالما أجدى لك وقوله حتى تفصلها يريد استخرجها وقوله حمت معناه قدرت قال الكميت.

والوصىُّ الذى أمالَ النجوبىُّ به عرشَ أمةٍ لانهدام

قتلوا يوم ذا لة اذ قتلوه * حكما لا كفابر الحكام

الامام الزكىُّ والفارس المعـ * ـلم تحت العجاج غيرَ الكهام

راعيا كان مسبحا ففقدنا * وفقدُ المسيحِ هُلْكُ السوام

قوله الوصى فهذا شئ كانوا يقولونه ويكثرون فيه قال ابن قيس الرقيات

نحنُ منا النبىُّ أحمدُ والصدّيقُ منا التقىُّ والحكماء

وعلىٌّ وجعفرٌ ذوالجناحيـ * ـن هُناكَ الوصىُّ والشهداء

وقال كُثيِّر لما حبس عبدُ الله بن الزبير محمد بن الحنفية فى خمسة عشر رجلا من أهله فى سجن عارم

تخيَّر من لاقيتَ انكَ عائذٌ * بل العائذُ المحبوسُ فى سجن عارم

وصىُّ النبىِّ المصطفى وابنُ عمه * وفكاكُ أعناق وقاضى مغارم

أراد ابن وصىِّ النبىِّ والعربُ تقيم المضاف اليه فى هذا الباب مُقام المضاف كما قال الآخر

صَبَّحْنَ من كاظمةَ الخُصَّ الخَرِبْ * يَحْملْنَ عبَّاسَ بن عبد المُطَّلِبْ

يريد ابن عباس رضى الله عنه وقال الفرزدق لسليمان بن عبد الملك

ورِثْتُم ثيابَ المجد فهى لبوسُكُمْ * عن ابنى مناف عبد شمس وهاشم

يريد ابنى عبد مناف وقال أبو الأسود

أحبُّ محمدا حبا شديدا * وعبَّاسا وحمزةَ والوصيَّا

أنه لم يرسيفا مشهورا
ولا ضرب ضربا كثيرا
ولا ضرب الابشلائين
سوطا مقطوعة الشمار
مشعبة الاطراف حتى
أفصح بالاقرار مرارا
ولا كان فى مجلس ضيق
ولا كانت حاله حال مؤيسة
ولا كان مثقلا بالحديد
ولا خلع قلبه بشدة الوعيد
ولقد كان ينازع بألين
الكلام ويجيب باغلظ
الجواب ويرزنون ويخف
ويخف ويحلمون
ويطيش ويعتم علينا
اكفارنا اياكم واحتجاجه
عليكم بالقرآن والحديث
وقلتم تكفروننا على
انكار شئ يحتمل التأويل
ويثبت بالأحاديث فقد

أحبهم لحب الله حتى * أجىء اذا بعثت على هويا

هوى أعطيته منذ استدارت * رحى الاسلام لم يعدل سويا

(السوى والسواء الذى قد سوى الله خلقه لا زمانة به ولا داء وفى القرآن بشرا سويا وتقول ساويت ذاك بهذا الامر أى جعلته مثلاله)

يقول الأرذلون بنو قشير * طوال الدهر ما تنسى عليا

بنو عم النبى وأقربوه * أحب الناس كلهم اليا

فان يك حبهم رشدا أصبه * وليس بمخطئ ان كان غيا

(ويروى ولست) وكان بنو قشير عثمانية وكان أبو الاسود نازلا فيهم فكانوا يرمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم والله لو كان الله يرمينى لما أخطأنى (قال وكان نقش خاتمه

يا غالبى حسبك من غالب * ارحم على بن أبى طالب)

وقوله غير الكهام فالكهام الكليل من الرجال والسيوف يقال سيف كهام وقوله

راعيا كان مسيحا ففقدنا * ووفقد المسيح هلك السوام

فالمسيح الذى يسيم ابله أو غنمه ترعى وكذلك كل شئ من الماشية فجعل الراعى للناس كصاحب الماشية الذى يسيمها ويسوسها ويصلحها ومتى لم يرجع أمر الناس الى واحد فلا نظام لهم ولا اجتماع لامورهم قال ابن قيس الرقيات

أيها المشتهى قناة قريش * بيد الله عمرها والفناء

ان تودع من البلاد قريش * لا يكن بعدهم لحى بقاء

لو تقنى ويترك الناس كانوا * غنم الذئب غاب عنها الرعاء

وقال الحميرى يعنى عليا رضوان الله عليه

كان المسيم ولم يكن الا لمن * لزم الطريقة واستقام مسيما

ولما سمع على صلوات الله عليه نداءهم لا حكم الا لله قال كلمة عادلة يراد بها جور انما يقولون لا امارة ولا بد من امارة برة أو فاجرة وروى أن عليا رضى الله عنه لما أوصى الى الحسن فى وقف أمواله

ينبغى لكم أن لا تحتجوا فى شئ من القدر والتوحيد بشئ من القرآن والحديث وان لا تكفروا واحدا خالفكم فى شئ وأنتم أسرع الناس الى اكفارنا والى عداوتنا والنصب لنا

(فصل) وأصحابنا حفظهم الله اذا قاسوا خطأهم ومراءاتى غلطهم فانما ينقضون به شيأ من العرض والجوهر وشيأ من قولهم فى المعلوم والمجهول فقط وهم قوم يكفيهم من التنبيه أقله ومن القول أيسره وخطأ النابتة وقول الرافضة تشبيه مصرح وكفر مجلح فليس هذا الجنس من ذلك الجنس والحمد

وأن يجعل فيها ثلاثة من مواليه وقف فيها عين أبي نيزر والبغيبغة وهذا غلط لان وقفه لهذين الموضعين لسنتين من خلافته حدثنا أبو محمد بن هشام في اسناد ذكره آخره أبو نيزر وكان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الاعاجم قال وصح عندي بعد أنه من ولد النجاشي فرغب في الاسلام صغيرا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وكان معه في بيوته فلما توفي رسول الله صار مع فاطمة وولدها عليه السلام قال أبو نيزر جاءني علي بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيعتين عين أبي نيزر والبغيبغة فقال لي هل عندك من طعام فقلت طعام لا أرضاه لامير المؤمنين قرع من قرع الضيعة صنعته بأهالة سنخة فقال علي به فقام الى الربيع وهو جدول فغسل يده ثم أصاب من ذلك شيأ ثم رجع الى الربيع فغسل يديه بالرمل حتى أنقاهما ثم ضم يديه كل واحدة منهما الى أختها وشرب بهما حسا من ماء الربيع ثم قال يا أبا نيزر ان الاكف أنظف الآنية ثم مسح ندى ذلك الماء على بطنه وقال من أدخله بطنه النار فأبعده الله ثم أخذ المعول وانحدر في العين فجعل يضرب وأبطأ عليه الماء فخرج وقد تفصد جبينه عرقا فانتكف العرق عن جبينه ثم أخذ المعول وعاد الى العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم فانثالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعا فقال أشهد الله أنها صدقة علي بدواتها وصحيفة قال فعجلت بهما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ليقي الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة لا تباعا ولا توهبا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين الا أن يحتاج اليهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما وليس لاحد غيرهما قال محمد بن هشام فركب الحسين رضي الله عنه دين فحمل اليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار فأبى أن يبيع وقال انما تصدق بها أبي ليقي الله بها وجهه حر النار ولست بائعها بشئ وتحدث الزبيريون أن معاوية كتب الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة أما بعد فان أمير المؤمنين أحب أن يرد الالفة ويسل السخيمة ويصل الرحم فاذا وصل اليك كتابي فاخطب الى عبد الله ابن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد بن أمير المؤمنين وارغب له في الصداق فوجه مروان الى عبد الله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية وأعلمه بما في رد الالفة من صلاح ذات البين واجتماع الدعوة فقال عبد الله ان خالها الحسين يتنبع وليس ممن يفتات عليه بأمر فأنظرني الى أن يقدم

لله وأما أخبارهم عن عيبنا اياهم حين لم يقولوا ان الله تبارك وتعالى رب القرآن وفينا من لا يقول ان الله تعالى رب الكفر والايمان فانا لم نسألهم عن ذلك من جهة ما يتوهمون وانما سألناهم عنه بجحدهم ما يرون بأبصارهم ويسمعون بآذانهم في الاشعار المعروفة وفي الخطب المشهورة وفي الابتهال عند الدعاء وعلى السنة العوام وعند العهود والايمان وعند تعظيم القرآن وما يسمعون من السؤال في الطرقات ومن القصاص في المساجد

وكانت أمها زينب بنت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبد الله
ابن جعفر فقام من عنده فدخل الى الجارية فقال يا بنية ان ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي
طالب أحق بك ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد تحللتك البغيبغات فلما حضر القوم الملك
تكلم مروان بن الحكم فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة فتكلم الحسين
فزوجها من القاسم فقال له مروان أغدرا يا حسين فقال أنت بدأت خطب أبو محمد الحسن بن
علي عليه السلام عائشة بنت عثمان بن عفان واجتمعنا لذلك فتكلمت أنت فزوجتها من عبد الله
ابن الزبير فقال مروان ما كان ذلك فالتفت الحسين الى محمد بن طلحة فقال أنشدك الله أكان ذلك
قال اللهم نعم فلم تزل هذه الضيعة في يدي بني عبد الله بن جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها حتى
ملك أمير المؤمنين المأمون فذكر ذلك له فقال كلا هذا وقف علي بن أبي طالب صلوات الله عليه
فانتزعها من أيديهم وعوضهم عنها وردها الى ما كانت عليه ۞ قال أبو العباس رجع الحديث
الى ذكر الخوارج وأمر علي بن أبي طالب قال يروى أن عليا في أول خروج القوم عليه دعا
صعصعة بن صوحان العبدي وقد كان وجهه اليهم وزياد بن النضر الحارثي مع عبد الله بن العباس
فقال اصعصعة بأي القوم رأيتهم أشد اطافة فقال بيزيد بن قيس الأرحبي فركب علي اليهم الى
حرورا فجعل يخللهم حتى صار الى مضرب يزيد بن قيس فصلى فيه ركعتين ثم خرج فاتكأ على
قوسه وأقبل على الناس ثم قال هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة أنشدكم الله أعلم أحد منكم
كان أكره للحكومة مني قالوا اللهم لا قال أفعلتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتها قالوا اللهم نعم قال فعلام
خالفتموني ونابذتموني قالوا انا أتينا ذنبا عظيما فتبنا الى الله فتب الى الله منه واستغفره نعد لك
فقال علي اني أستغفر الله من كل ذنب فرجعوا معه وهم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة
أشاعوا أن عليا رجع عن التحكيم ورآه ضلالا وقالوا انما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع
ويجبي المال فينهض الى الشام فأتى الأشعث بن قيس عليا عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين ان
الناس قد تحدثوا انك رأيت الحكومة ضلالا والاقامة عليها كفرا فخطب علي الناس فقال من
زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فهو أضل فخرجت الخوارج من
المسجد فكمنت فقيل لعلي انهم خارجون عليك فقال لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون فوجه

اليهم

لا يرون غائبا ولا يسمعون زاريا وليس انا جعلنا هذا مسألة على من أنكر خلق القرآن ولكنا أردنا أن نبين للضعفاء معاندتهم وفرارهم من البهت ومكابرتهم اذا سمعوا انهم لم يسمعوا الناس يقولون ورب القرآن ورب يس ورب طه وأشباه ذلك ولعمري أن لو سمعوا الناس يقولون عند ايمانهم وايتائهم الى ربهم على غير قصد الى خلاف ولا وفاق ورب الزنا والسرقة ورب الكفر والكذب كما سمعوهم وهم يقولون ورب القرآن ورب يس ورب طه ثم ألزمناهم خلق القرآن بمثل ما لهم علينا

اليهم عبد الله بن العباس فلما صار اليهم رحبوا به واكرموه فرأى منهم جباها فرحة لطول السجود وأيديا كثفنات الابل عليهم قمص مرحضة وهم مشمرون فقالوا ما جاء بك يا ابا العباس فقال جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه وأعلم بتأويله وسنته نبيه ومن عند المهاجرين والانصار قالوا انا أتيناكم عظيما حين حكمنا الرجال في دين الله فان تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا فقال ابن عباس نشدتكم الله الا ما صدقتم أنفسكم أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم وفي شقاق رجل وامرأته فقالوا اللهم نعم فقال فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية قالوا نعم ولكن عليا محا نفسه من امارة المسلمين قال ابن عباس ليس ذلك بمزيلها عنه وقد محا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة وقد أخذ علي على الحكمين أن لا يجورا وان يجورا فعلي أولى من معاوية وغيره قالوا ان معاوية يدعي مثل دعوى علي قال فأيهما رأيتموه أولى فولوه قالوا صدقت قال ابن عباس متى جارا الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما قال فاتبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف فصلى بهم صلاتهم ابن الكواء وقال متى كانت حروب قريش بن شبث بن ربعي الرياحي فلم يزالوا على ذلك يومين حتى أجمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي قال ومضى القوم الى النهروان وكانوا أرادوا المضي الى المدائن (قال الاخفش كذا كان يقول المبرد النهروان بكسر النون والراء وانما هو النهروان بالفتح وأنشد للطرماح

* قل في شط نهروان * قاضي) قال أبو العباس فمن طريف أخباره أنهم أصابوا مسلما ونصرانيا فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني فقالوا احفظوا ذمة نبيكم ولقيهم عبد الله بن خباب وفي عنقه مصحف ومعه امرأته وهي حامل فقالوا ان هذا الذي في عنقك يأمرنا أن نقتلك قال ما أحيا القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه فوثب رجل منهم على رطبة فوضعها في فيه فصاحوا به فلفظها فوثبوا وعرض لرجل منهم خنزير فضربه الرجل فقتله فقالوا هذا فساد في الارض فقال عبد الله بن خباب ما علي منكم بأس اني مسلم فقالوا له حدثنا عن أبيك قال سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسي مؤمنا ويصبح كافرا فكن عبد الله المقتول ولا تكن القاتل قالوا فما تقول في أبي بكر وعمر فأثنى خيرا فقالوا فما

في خلق الزنا لقد كان ذلك معارضة صحيحة وموازنة معروفة وما قولهم ان معنا العامة والعباد والفقهاء وأصحاب الحديث وليس معهم الا أصحاب الأهواء ومن يأخذ دينه من أول الرجال فأي صاحب تقوى يرحمك الله أبعد من الجماعة من الرافضة وهم في هذا المعنى أشقياؤهم وأولياؤهم لان ما خالفوهم فيه صغير في جنب ما وافقوهم عليه والذين سموهم أصحاب أهوائهم المتكلمون والمصلمون والمستصلمون وأصحاب الحديث والعوام هم الذين يقلدون

بياض بالاصل

تقول فى على قبل التحكيم وفى عثمان ستّ سنين فأثنى خيرا قالوا فما تقول فى الحكومة والتحكيم قال أقول ان عليا أعلم بكتاب الله منكم وأشدّ توقيا على دينه وأنفذ بصيرة قالوا انك لست تتبع الهدى انما تتبع الرجال على أسمائهم قرّبوه الى شاطئ النهر فذبحوه فامذقرّ دمه أى جرى مستطيلا على دقّة وسا مر رجلا نصرانيا بخلة له فقال هى لكم فقالوا ما كنا لنأخذها الا بثمن قال ما أعجب هذا أتقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا جنى نخلة ومن طريف أخبارهم أن غيلان بن خرشة الضبّى سمر ليلة عند زياد ومعه جماعة فذكر أمر الخوارج فأثنى عليهم غيلان ثم انصرف بعد ليل الى منزله فلقيه أبو بلال مرداس ابن أدية فقال له يا غيلان قد بلغنى ما كان منك الليلة عند هذا الفاسق من ذكرك هؤلاء القوم الذين شروا أنفسهم وابتاعوا آخرتهم بدنياهم ما يؤمنك أن يلقاك رجل منهم أحرص والله على الموت منك على الحياة فينفذ حضنيك برمحه فقال غيلان لن يبلغك أنى ذكرتهم بعد الليلة ومرداس تنفله جماعة من أهل الاهواء يقشفه ويصيرته وصحة عبادته وظهور ديانته وبيانه تنفله المعتزلة وتزعم أنه خرج منكرا الجور السلطان داعيا الى الحق وتحتج له بقوله لزياد حيث قال على المنبر والله لآخذنّ المحسن منكم بالمسىء والحاضر منكم بالغائب والصحيح بالسقيم فقام اليه مرداس فقال قد سمعنا ما قلت أيها الانسان وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه ابراهيم عليه السلام اذ يقول وابراهيم الذى وفّى ألّا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصى ثم خرج فى عقب هذا اليوم والشيع تنفله وتزعم أنه كتب الى الحسين بن على صلوات الله عليه انى لست أرى رأى الخوارج وما أنا الا على دين أبيك وهذا رأى قد استهوى جماعة من الأشراف يروى أن المنذر بن الجارود كان يرى رأى الخوارج وكان يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج بن يوسف يراه وكان صالح بن عبد الرحمن صاحب ديوان العراق يراه وكان عدّة من الفقهاء ينسبون اليه منهم عكرمة مولى ابن عباس وكان يقال ذلك فى مالك بن أنس ويروى الزبيريون أن مالك بن أنس المدينىّ كان يذكر عثمان وعليا وطلحة والزبير فيقول والله ما اقتتلوا الا على التريد الأعفر فأما أبو سعيد الحسن البصرىّ فانه كان ينكر الحكومة ولا يرى رأيهم وكان اذا جلس فتمكن فى مجلسه ذكر عثمان فترحّم عليه ثلاثا ولعن قتلته ثلاثا

ولا يحصلون ولا يتخيرون والتقليد مرغوب عنه فى حجة العقل منهى عنه فى القرآن فقد عكسوا الأمور كما ترى ونقضوا العادات وذلك انا لا نشك أن من نظر وبحث وقابل ووزن أحق بالتبين وأولى بالحجة وأما قولهم منا النساك والعباد فعباد الخوارج وحدهم أكثر عددا من عباد هم على قلة عدد الخوارج فى جنب عدد هم على أنهم أصحاب نية وأطيب طعمة وأبعد من التكسب وأصدق ورعا وأقل زيا وأدوم طريقة وأبذل للهجة وأقل جمعا ومنعا وأظهر زهدا وجهدا

ويقول لولم نلعنهم لم نعنا ثم يذكر عليا فيقول لم يزل أمير المؤمنين على رحمه الله يتعرفه النصر ويباعده الظفر حتى حكم فلم تحكم والحق معه لا يمضى قدما لا أبالك وأنت على الحق ۞ قال أبو العباس وهذه كلمة فيها جفاء والعرب تستعملها عند الحث على أخذ الحق والاغراء وربما استعملتها الجفاة من الاعراب عند المسئلة والطلب فيقول القائل للامير والخليفة انظر فى أمر رعيتك لا أبا لك وسمع سليمان بن عبد الملك رجلا من الاعراب فى سنة جدبة يقول

رب العباد ما لنا وما لكا * قد كنت تسقينا فما بدا لكا * أنزل علينا الغيث لا أبا لكا

فأخرجه سليمان أحسن مخرج فقال أشهد أنه لا أباله ولا ولد ولا صاحبة وأشهد أن الخلق جميعا عباده وقال رجل من بنى عامر بن صعصعة أبعد من هذه الكلمة لبعض قومه

أبنى عقيل لا أبا لابيكم * أبى وأى بنى كلاب أكرم

وقال رجل من طيئ أنشده أبو زيد الانصارى

يا قرط قرط حيى لا أبا لكم * يا قرط انى عليكم خائف حذر

أن رأى مرقس واضطاف أعنزه * من التلاع التى قد جادها المطر

فلم له اهج تميما لا أبا لكم * فى كف عبدكم عن ذاكم قصر

فان بيت تميم ذو سمعت به * فيه تنمت وأرست عزها مضر

قوله يا قرط قرط حيى نصبهما معا أكثر على السنة العرب وتأويلهما أنهم أرادوا يا قرط حيى فأقحموا قرطا الثانى توكيدا وكذلك الجرير

يا تيم تيم عدى لا أبا لكم * لا يلقينكم فى سوأة عمر

ومثله لعمر بن لجأ يا زيد زيدا اليعملات الذبل * تطاول الليل عليك فانزل

فان لم ترد التوكيد والتكرير لم يجز الا رفع الاول يا زيد زيد اليعملات ويا تيم تيم عدى كما تقول يا زيد أخا عمرو على النعت ومثل الاول فى التوكيد يا بؤس للحرب أراد يا بؤس الحرب فأقحم اللام توكيدا لانها توجب الاضافة وعلى هذا جاء لا أبالك ولا أبا زيد ولو لا الاضافة لم تثبت الالف فى الاب لانك تقول رأيت أباك فاذا أفردت قلت هذا أب صالح وانما كانت لا أبالك كما قال الشاعر

أبالموت الذى لا بد أنى * ملاق لا أبالك تخوفينى

ولعل عبادة عمرو بن عبيد تنى بعبادة عامة عبادهم واما قولهم ان للقرآن قلبا وسنانا ولسانا وشفتين وانه يقدس ويشفع ويحل فان هذا كله قد يجوز ان يكون مثلا ويجوز ان يجعله الله كذلك اذا كان جسما والله على ذلك قادر وهو له غير معجز ومنه غير مستحيل وكل فعل لا يكون عبثا ولا ظلما ولا بخلا ولا كذبا ولا خطأ فى التدبير فهو جائز والتعجب منه غير جائز

﴿فصل منه﴾ وما أكثر من يعجب فى المسائل ويؤلف الكتب على

وقال آخر وقدمات شَمَّاخٌ ومات مُزَرِّدٌ • وأيُّ كريمٍ لا أبالكَ يُخَلَّدُ

وقوله أأن رَوَى مِرْقَشٌ مرقش رجل ورَوَى اسْتَقَى لاهله يقال فلان راوية أهله اذا كان يستقى لاهله والتى على البعير والحمار مزادة فاذا كبرت وعظمت وكانت من ثلاثة آدمة فهى المُثَلَّثة وأصغرُ منها السَّطيحة وأصغرهنَّ الطَّبِيُّ وقوله واصطاف أعنز يريد أفتعلت من الصَّيف أى أصابت البقلَ فيه والتَّلْعةُ ما ارتفع من الأرض فى مُسْتَقَرِّ المَسيل اذا تجافى السيلُ عن مَتْنه وجمعه تِلاعٌ وقوله ذو سمعت به يريد الذى وكذلك تفعل طيئٌ تجعل ذو فى معنى الذى قال زَيْدُ الخَيْل لبنى فَزارة وذكر عامر بن الطُّفَيْل فقال • إنِّى أَرَى فى عامرٍ ذو تَرَوْنَ * وقال عارِقُ الطائىُّ

فان لم يُغَيِّرْ بعضُ ما قد فعلتُمُ • لَأَنْهَيَنْ للعظم ذو أنا عارِقُهْ

يريد الذى ومن ظُرَفاء المُحْدَثين اليَمانية مَنْ يعملُ هذا اعتمادًا للإيثار لغة قوم. قال الحسن بن هانئ الحَكَمِىُّ

حُبُّ المُدامة ذو سمعت به • لم يُبْقِ فى لُغَيرها فَضْلا

وقال حَبيبُ بن أَوْس الطائىُّ

أنا ذو عَرَفْتَ فان عَرَّفْتَنى جَهالةً • فأنا المُقيمُ قيامةَ العُذَّالِ

وقال الحسن بن وهب الحارثى

عَلَّلانى بذِكْرها عَلَّلانى * واسْقِيانى أَوْلا فَسَنْ تَسْقِيانِ

أنا ذو لم يَزَلْ يَهونُ على النَّدْ * مانِ أن عَزَّ جانبُ النَّدْمان

ويكونُ العزيزُ فى ساعة الرَّوْ • عِ بصَدْقِ الطِّعان يومَ الطِّعان

❁ عاد الحديثُ الى ذكر الخوارج قال أبو العباس وكان فى جملة الخوارج لَدَدٌ واحتجاجٌ على كثرة خُطبائهم وشُعَرائهم ونفاذ بصيرتهم وتوطين أنفسهم على الموت فمنهم الذى طُعِن فأنفذَه الرُّمْحُ فجعل يَسْعَى فيه الى قاتله وهو يقول وعَجِلْتُ اليكَ رَبِّ لِتَرْضَى وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما وصفهم قال سيماهم التَّحليقُ يقرؤن القرآن لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُم علامَتُهُم رجل مُخْدَجُ اليد وفى حديث عبد الله بن عمرو رجل يقال له عمرو ذو الخُوَيْصِرة أو الخُنَيْصرة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نظر الى رجل ساجد الى أن صلى النبى عليه السلام فقال ألا رجلٌ يقتله فحَسَر أبو بكر عن ذراعه وانتضى السيفَ وصَمَدَ نحوه ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ألا قتل

قدر ما يسنح له فى وهمه وعلى قدر ما يتصور له فى حاله تلك لا يعمل على أصله ولا يشعر بالذى انبنى عليه ذلك الأصل وان كان ممن يعمل على أصل وانما صار علماؤنا الى ما صاروا اليه لانهم لا يقفون من القول فى خلق القرآن على جواب مهذب ومذهب مصفى وعلى قول مفروغ منه وعلى جوابات بأعيانها فقد رددوا فيها النظر وامتحنوها بأغلاط المحن وقلبوها وتبطنوا معانيها بأبلغ التفكير وتعرفوا كل ما فيها واعتصروا جميع قواها وسهلوا سبلها وذبوا العناد عنها

رجلا يقول لا اله الا الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا رجل يفعل ففعل عمر مثل ذلك فلما كان في الثالثة قصده علي بن أبي طالب عليه السلام فلم يره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قتل لكان أول فتنة وآخرها ويروى عن أبي مريم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه ذكر الخدج عند النبي عليه السلام فقال أبو مريم والله ان كان معنا في المسجد وكان فقيرا وكان يحضر طعام علي اذا وضعه للمسلمين ولقد كسوته برنسا لي فلما خرج القوم الى حروراء قلت والله لانظرن الى عسكرهم فجعلت أتخللهم حتى صرت الى ابن الكواء وشبث بن ربعي ورسول علي تناشدهم حتى وثب رجل من الخوارج على رسول علي فضرب دابته بالسيف فحمل الرجل سرجه وهو يقول انا لله وانا اليه راجعون ثم انصرف القوم الى الكوفة فجعلت أنظر الى كثرتهم كأنما ينصرفون من عيد فرأيت الخدج وكان مني قريبا فقلت لو كنت مع القوم فقال أخذت سلاحي أريدهم فاذا بجماعة من الصبيان قد عرضوا لي فأخذوا سلاحي وجعلوا يتلاعبون بي فلما كان يوم النهر قال علي اطلبوا الخدج فطلبوه فلم يجدوه حتى ساء ذلك عليا وحتى قال رجل لا والله يا أمير المؤمنين ما هو فيهم فقال علي والله ما كذبت ولا كذبت فجاء رجل فقال قد أصبناه يا أمير المؤمنين فخر علي ساجدا وكان اذا أتاه ما يسره من الفتوح سجد وقال لو أعلم شيأ أفضل منه لفعلته ثم قال سيماه أن يده كالثدي عليها شعرات كشارب السنور يتونى بيده الخدجة فأتوه بها فنصبها ويروى عن أبي الجلد أنه نظر الى نافع بن الازرق الحنفي والى نظره وتوغله وتعمقه فقال اني لاجد لجهنم سبعة أبواب وان أشدها حرا للخوارج فاحذر أن تكون منهم قال وكان نافع بن الازرق يفتجع عبد الله بن العباس فيسأله عنه مسائل من القرآن وغيره قد رجع اليه في تفسيرها فقبله وانفصل ثم غلبت عليه الشقوة ونحن ذاكرون منها صدرا ان شاء الله حدث أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي النسابة عن أسامة بن زيد عن عكرمة قال رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الازرق وهو يسأله ويطلب منه الاحتجاج باللغة فسأله عن قول الله جل ثناؤه والليل وما وسق فقال ابن عباس وما جمع فقال أتعرف ذلك العرب قال ابن عباس أما سمعت قول الراجز

ان لنا قلائصا حقائقا * مستوسقات لو يجدن سائقا

هذا قول ابن عباس وهو الحق الذي لا يقدح فيه قادح ويعرض القول فيحتاج المبتدئ الى أن

احتقارا منهم لمن خالفهم واتكالا على طول السلامة منهم وثقة بطول الظفر بهم ومن تمام أمر صاحب الحق ان لا يتكل على عجز الخصم وان لا يجب بظهوره على من لاحظه في العلم وعلى العلماء ان يخافوا دول العلم كما يخاف الملوك دول الملوك وقد رأيت البكرية والجبرية والفضلية والشمرية وانهم لأحقر عند المعتزلة من جعل وما زالوا يستقون من علمائهم ويستمدون من كبرائهم ويدرسون كتبهم ويأخذون ألفاظهم في جميع أمورهم حتى رأيت شيبهم

يزداد فى التفسير قوله حقائقا اغا بنى الحقة من الابل وهى التى قد استحقت أن يحمل عليها على فعيلة مثل حقيقة ولذلك جمعها على حقائق ويقال استوسق القوم اذا اجتمعوا وروى أبو عبيدة فى هذا الاسناد وروى ذلك غيره وسمعناه من غير وجه أن سأله عن قوله عز وجل قد جعل ربك تحتك سريا فقال ابن عباس هو الجدول فسأله عن الشاهد فأنشده

سلما ترى الدالج منها آزورا * اذا يعج فى السرى هرهرا

السلم الدلو الذى له عروة واحدة وهو دلو السقائين وهو الذى ذكره طرفة فقال

لها مر فقان أفتلان كأنما * أمر ابسلمى دالج متشدد

والدالج الذى يمشى بالدلو بين البئر والحوض وأصحاب الحديث ينشدون ترى الدالى منه أزورا وهذا خطأ لا وجه له وروى أبو عبيدة وغيره أن نافعا سأل ابن عباس عن قوله عتل بعد ذلك زنيم ما الزنيم قال هو الدعى الملزق أما سمعت قول حسان بن ثابت

زنيم تداعاه الرجال زيادة * كما زيد فى عرض الأديم الاكارع

ويزعم أهل اللغة أن اشتقاق ذلك من الزنمة التى بحلق الشاة كما يقولون لمن دخل فى قوم ليس منهم زعنفة (الأم زعنفة بالكسر) والجمع زعانف والزعنفة الجناح من أجنحة السمك (قال أبو الحسن الاخفش كذا قال زعنفة والناس كلهم يقولون زعنفة بكسر الزاى وهو الوجه) ويروى عن غير أبى عبيدة أنه سأله عن قوله جل اسمه والتفت الساق بالساق قال الشدة بالشدة فسأله عن الشاهد فأنشده

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

قال أبو العباس وقرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قصيدة جرير التى يهجو فيها آل المهلب ابن أبى صفرة ويمدح هلال بن أحوز المازنى ويذكر الوقعة التى كانت لهم عليهم بالسند فى سلطان يزيد بن عبد الملك بسبب خروج يزيد بن المهلب عليه

أقول لها من ليلة ليس طولها * كطول الليالى أيت سحد نورا

أخاف على نفس ابن أحوز انه * جلا حممها فوق الوجوه فأسفرا

(قال الشيخ أبو يعقوب الذى رويت فى شعر جرير

ونابتيهم يدعون انهم اكفاء ويجمع بينهم فى البلاء والنابتة اليوم فى التشبيه به مع الرافضة وهم دائبون فى التألم من المعتزلة لعددهم كثير ونصبهم شديد والعوام معهم والحشو يطيعهم الآن معك أمران السلطان وميلهم اليه وخوفهم منه والعاقبة للمتقين

(فصل من صدر كتابه فى الرد على النصارى)

الحمد لله الذى من علينا بتوحيده وجعلنا ممن ينفى شبهة خلقه وسياسة عباده وجعلنا لا نفرق بين أحد من رسله ولا نجحد كتابا أوجب

حذارًا على نفس ابن أحوزانه * جلا كلَّ وجه من مَعَدّ فأسفرا

وقوله عدى يعنى عدى بن أرطاة الفزارى قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط وكان عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله) جعلت لقبر الخيار ومالك * وقبر عدى فى المقابر أقبرا

(ويروى للخيار وواسط الخيار موضع بعمان فيه قبر الخيار بن سبرة الجاشعى وواسط بها قبر عدى ابن أرطاة الفزارى) وأطفأت نيران المزون وأهلها * وقد حاولوها فتنة أن تسعرا

(المزون عمان بالفارسية)

فلم تبق منهم رايةً يعرفونها * ولم تبق من آل المهلب عسكرا

ألا ربَّ سامى الطرف من آل مازن * اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

فهذا نظير ذلك والمزون عمان قال الكميت

فأما الأزد أزد أبى سعيد * فأكره أن أسميها المزونا

وقال آخر يعنى الحرب فان شمرت لك عن ساقها * فويها حذيف ولا تسأم

(تقول ويها لزيد اذا زجرته عن الشئ فأغريته به وواهاله اذا تعجبت منه وحذيف يريد حذيفة فرخم) ويروى عن أبى عبيدة من غير وجه أن نافع بن الازرق سأل ابن عباس فقال أرأيت نبى الله سليمان صلى الله عليه وسلم مع ما خوله الله وأعطاه كيف عُنِىَ بالهُدْهُد على قلته وضُؤولته فقال له ابن عباس انه احتاج الى الماء والهدهد يُقْنَأ الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فسأل عنه لذلك قال ابن الازرق فَيْفا وقافُ كيف يُبْصِر ما تحت الارض والفخُّ يُغَطَّى له بمقدار اصبع من تراب فلا يبصره حتى يقع فيه فقال ابن عباس ويحك يا ابن الازرق أما علمت أنه اذا جاء القدر عشى البصر وعما سأله عنه الم ذلك الكتاب فقال ابن عباس تأويله هذا القرآن هكذا جاء ولا أحفظ عليه شاهدا عن ابن عباس وأنا أحسبه أنه لم يقبله الا بشاهد وتقديره عند النحويين اذا قال ذلك الكتاب أنهم قد كانوا وُعِدُوا كتابا هكذا التفسير كما قال جل ثناؤه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به يعنى بذلك اليهود وقال يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فمعناه هذا الكتاب الذى كنتم تتوقعونه وبيت خفاف ابن ندبة على ذلك يصح معناه وكان من خبره أنه غزا مع معاوية بن عمرو أخى خنساء ثم غزارة فعمدا بناحرملة ذريد وهاشم المرقبان عمد معاوية فاستطرد له

علينا الاقرار به ولا نضيف اليه ما ليس منه انه حميد مجيد فعال لما يريد أما بعد فقد قرأت كتابكم وفهمت ما ذكرتم فيه من مسائل النصارى قبلكم وما دخل على قلوب أحداثكم وضعفائكم من اللبس والذى خفتموه على جواباتهم من العجز وما سألتم من اقرارهم بالمسائل ومن حسن معونتهم بالجواب وذكرتم انهم قالوا ان الدليل على ان كتابنا باطل وأمرنا فاسد أننا ندعى عليهم ما لا يعرفونه فيما بينهم ولا يعرفونه من أسلافهم لانا نزعم ان الله جل وعز

أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه وحمل الآخر على معاوية فطعنه فمكنا وكان صميم الخيل فلما تنادوا قتل معاوية قال خفاف ابن ندبة وهي أمه وكانت حبشية وأبوه عمير أحد بني سليم بن منصور قتلني الله ان رمت حتى أنا رب فحمل على مالك بن حمار وهو سيد بني شمخ بن فزارة فطعنه فقتله فقال خفاف ابن ندبة

ان تك خيلي قد أصيب صميمها * فعمدا على عيني تيممت مالكا

وقفت له علوى وقد خام صحبتي * لابني مجدا أولا تاركها الكا

أقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني أنا ذلكا

يريد انا ذلك الذي سمعت به هذا تأويل هذا رقوله يأطر متنه أي يثني يقال أطرت القوس آطرها أطرا وهي مأطورة وعلوى فرسه وعما سأله عنه قوله عز وجل لهم أجر غير ممنون فقال ابن عباس غير مقطوع فقال هل تعرف ذلك العرب فقال قد عرفه أخو بني يشكر حيث يقول

وترى خلفهن من سرعة الرجع منينا كأنه أهباء

قال أبو العباس منين يعني الغبار وذلك أنها تقطعه قطعا وراءها والمنين الضعيف المؤذن بانقطاع أنشدني التوزي عن أبي زيد

يا ربها ان سلمت يميني * وسلم الساقي الذي يليني * ولم تخني عقد المنين

يريد الحبل الضعيف فهذا هو المعروف ويقال منين وممنون كقتيل ومقتول وجريح ومجروح وذكر التوزي في كتاب الاضداد أن المنين يكون القوي يجعله فعيلا من المنة والمعروف هو الأول وقال غير ابن عباس لهم أجر غير ممنون لا يمن عليهم فيكدر عندهم ويروى من غير وجه أن ابن الأزرق أتى ابن عباس فجعل يسأله حتى أملّه فجعل ابن عباس يظهر التضجر وطلع عمر ابن عبد الله بن أبي ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام فسلم وجلس فقال له ابن عباس ألا تنشدنا شيأ من شعرك فأنشده

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فهجر

بحاجة نفس لم تقل في جوابها * فتبلغ عذرا والمقالة تعذر

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر

قال في كتابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وانهم زعموا انهم لم يدينوا قط بان مريم اله في سرهم ولا ادعوا ذلك قط في علانيتهم وانهم زعموا انا ادعينا عليهم مالا يعرفون كما ادعينا على اليهود مالا يعرفون حين نطق كتابنا وشهد نبينا ان اليهود قالوا ان عزيرا بن الله وان يد الله مغلولة وان الله فقير وهم أغنياء وهذا مالا يتكلم به انسان ولا يعرف في شئ من الاديان ولو كانوا

ولا قُرْبُ نُعْمٍ إن دَنَتْ لك نافعٌ * ولا نأيُها يُسْلى ولا أنت تَصْبِرُ

وأخرى أتَتْ من دون نُعْمٍ ومثلها * نَهى ذا النُّهى لو يَرْعَوِي أو يُفَكِّرُ

اذا زُرْتُ نُعْمًا لم يَزَلْ ذو قرابةٍ * لها كُلَّما لاقيتُه يَتَنَمَّرُ

عَزيزٌ عليه أن أمُرَّ ببابها * مُسَرَّبِلَ الشَّحْناءِ والبُغْضِ مُظْهِرُ

ألا كُنِّي اليها بالسَّلامِ فانه * يُشَهِّرُ لِلمأمى بها ويُنَكِّرُ

بآيةِ ما قالتْ غَداةَ لقيتُها * بِمَدفعِ أكنانٍ أهذا المُشَهَّرُ

قِفي فانْظُري يا أُمَّ عَمْرٍو هل تَعرفينه * أهذا المُغيرِيُّ الذي كان يُذْكَرُ

أهذا الذي أطْرَيْتِ نعتًا فلم أكُنْ * وعَيْشِكِ أنساه الى يومِ أُقْبَرُ

فقالتْ نَعَمْ لا شكَّ غيَّرَ لونه * سُرَى الليلِ يُحْيِي نَصَّهُ والتَّهَجُّرُ

لَئِنْ كان إيَّاه لقد جال بَعْدَنا * عن العَهْدِ والانسانُ قد يَتَغَيَّرُ

رأتْ رجلًا أمَّا اذا الشمسُ عارضتْ * فيَضْحَى وأما بالعَشِيِّ فيَخْصَرُ

يقولون فى عزير ما نحلتموه وادعيتموه لما جحدوه من دينهم ولما أنكروا ان يكون من قولهم ولما كانوا بانكار نبوة عزير أحق منا بانكار نبوة المسيح ولما كان علينا منهم بأس بعد عقد الذمة وأخذ الجزية وذكرتم انهم قالوا وما يدل على غلطكم فى الاخبار وأخذكم العلم عن غير الثقاة ان كنا بكم ينطق ان فرعون قال لهامان ابن لى صرحا وهامان لم يكن الا فى زمن الفرس وبعد زمن فرعون بدهر طويل وان ذلك معروف عند أصحاب الكتب مشهور عند أهل العلم

حتى أتمها رهى ثمانون بيتا فقال له ابن الازرق لله أنت يا ابن عباس أنضرب اليك أكباد الابل نسألك عن الدين فتُعْرِضُ ويأتيك غلام من قريش فيُنْشِدُكَ سَفَهًا فتسمعه فقال تالله ما سمعت سفها فقال ابن الأزرق أما أنشدك

رأتْ رجلًا أمَّا اذا الشمسُ عارضتْ * فيضْحَى وأما بالعشى فيخصر

فقال ما هكذا قال انما قال فيضحى وأما بالعشى فيَخْصَرُ قال أوَتحفظُ الذى قال قال والله ما سمعتها الا ساعتى هذه ولو شئت أن أردها لرددتها قال فاردد ها فأنشده اياها وروى الزبير بن أن نافعا قال له ما رأيتُ أَرْوَى منك قط فقال له ابن عباس ما رأيت أروى من عُمَرَ ولا أعلَمَ من علىٍّ وقوله فيضحى يقول يظهر للشمس ويخصر يقول فى البَرْدَيْن فاذا ذكر العشى فقد دل على عقيب العشى قال الله تبارك وتعالى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى والضحُّ الشمس وليس من ضَحِيتُ يقال جاء فلان بالضح والريح يراد به الكثرة قال علقمة

أغَرُّ أبْرَزَهُ للضحِّ رافِبُهُ * مُقَلَّدٌ قُضُبَ الريحان مَغْنُومُ

له قَعْمَةٌ أى رائحة طيبة يعنى ابريقا فيه شراب وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توجه الى تبوك جاء أبو خَيْثَمَةَ وكانت له امرأتان وقد أعَدَّتْ كلُّ واحدة منهما من طَيِّبِ تَمْرِ بستانه

ومهّدت له فى ظل فقال أطلّ ممدود وثمرة طيبة وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله فى الضحّ والريح ما هذا بخير فركب ناقته ومضى فى اثره وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر تخلفوا أبو خيثمة أحدهم فجعل لا يذكره أحد منهم الا قال دعوه فان يرد الله به خيرا يلحقه بكم فقيل ذات يوم يا رسول الله نرى رجلا برفعه الآل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فكان هو واذا انبسطت الشمس فهو الضحى مقصور فاذا امتد النهار وبينهما مقدار ساعة أو نحو ذلك فذلك الضحاء ممدود مفتوح الاول وذكرت الرواة أن الحجاج أتى بامرأة من الخوارج وبحضرته يزيد بن أبى مسلم مولاه وكان يستسرّ برأى الخوارج فكلّم الحجاج المرأة فأعرضت عنه فقال لها يزيد بن أبى مسلم الأمير ويلك يكلمك فقالت بل الويل والله لك يا فاسق الردى والردى عند الخوارج هو الذى يعلم الحق من قولهم ويكتمه وذكروا أن عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم فبعثه فرأى منه ما شاء فهما وعلما ثم بحثه فرأى ما شاء أربا وديّا فرغب فيه واستدعاه الى الرجوع عن مذهبه فرآه مستبصرا محققا فزاده فى الاستدعاء فقال له لتغنك الاولى عن الثانية وقد قلت فسمعت فاسمع أقول قال له قل فجعل يبسط له من قول الخوارج ويزين له من مذهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة ومعان قريبة فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته لقد كاد يوقع فى خاطرى أن الجنة خلقت لهم وأنى أولى بالجهاد منهم ثم رجعت الى ما ثبّت الله على من الحجة وقرّر فى قلبى من الحق فقلت له لله الآخرة والدنيا وقد سلطنى الله فى الدنيا ومكّن لنا فيها وأراك لست تجيب بالقول والله لأقتلنك ان لم تطع فانا فى ذلك اذ دخل على بابنى مروان (قال أبو العباس) كان مروان أخا يزيد لامه أمهما عاتكة بنت يزيد بن معاوية وكان أبيّا عزيز النفس فدخل به فى هذا الوقت على عبد الملك يأكيا الضرب المؤدب اياه فشق ذلك على عبد الملك فاقبل عليه الخارجى فقال له دعه يبدْ فانه أرحب لشدقه وأصح لدماغه وأذهب لصوته وأحرى أن لا تأبى عليه عينه اذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرتها فأعجب ذلك من قوله عبد الملك فقال له متعجبا أما يشغلك ما أنت فيه وبعرضه عن هذا فقال ما ينبغى أن يشغل المؤمن عن قول الحق شئ فأمر عبد الملك بحبسه وصفح عن قتله وقال بعد معتذرا اليه لولا أن تفسد بالغا ظننت أكثر رعيتى ما حبستك ثم قال عبد الملك من شكّكنى ووهمنى حتى مالت بى عصمة الله فغير بعيد أن يستهوى من بعدى وكان عبد

وانما اتخذ صرحا ليكون اذا علاه أشرف على الله وفرعون لا يخلو من ان يكون جاحدا لله تعالى أو مقرا به فان كان دينه عند نفسه وأهل مملكته نفى الله وجحده فما وجه اتخاذ الصرح وطلب الاشراف وليس هناك شئ ولا اله وان كان مقرا بالله عارفا به فلا يخلو من ان يكون مشبها أو نافيا للتشبيه فان كان ممن ينفى الطول والعرض والعمق والحدود والجهات فما وجه طلبه له فى مكان بعينه وهو عنده بكل مكان وان كان مشبها فقد علم انه ليس فى طاقة بنى آدم ان يبنوا بنيانا

الملك من الرأى والعلم بموضع وتزعم الرواة أن رجلا من أهل الكتاب وفد على معاوية وكان موصوفا بقراءة الكتب فقال له معاوية أتجد نعتى فى شئ من كتب الله قال أى والله لو كنت فى أمة لوضعت يدى عليك من بينهم قال فكيف تجدنى قال أجدك أول من يحول الخلافة ملكا والحشفة لينا ثم ان ربك من بعدها الغفور رحيم قال معاوية فسرى عنى ثم قال لا تقبل هذا منى ولكن من نفسك فاختبرها قال الخبر قال ثم يكون ماذا قال ثم يكون مندل رجل شراب للخمر سفاك للدماء يحتجن الاموال ويصطنع الرجال ويجتنب الخيول ويبيح حرمة الرسول قال ثم ماذا قال ثم تكون فتنة تشعب باقوام حتى يفضى الامر بها الى رجل أعرف نعته يبيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا الخسوس فيجتمع عليه من آلك وليس منك لا يزال لعدوه قاهرا وعلى من ناواه ظاهرا ويكون له قرين مبين لعين قال أفتعرفه ان رأيته قال شد ما فأرا ممن بالشام من بنى أمية فقال ما أراه ههنا فوجه به الى المدينة مع نفقات من رسله فاذا عبد الملك يسعى مؤتزرا فى يده طائر فقال للرسل ها هو ذا فصاح به الى أبو من قال أبو الوليد قال يا أبا الوليد ان بشرتك ببشارة تسرك ما تجعل لى قال وما مقدارها من السرور حتى نعلم مقدارها من الجعل قال أن تملك الارض قال مالى من مال ولكن أرأيتك ان تكلفت لك جعلا أنال ذلك قبل وقته قال لا قال فان حرمتك أنوثخره عن وقته قال لا قال فحسبك ما سمعت فذكروا أن معاوية كان يكرم عبد الملك ليجعلها يدا عنده يجازيه بها فى مخلفيه فى وقته وكان عبد الملك من أكثر الناس علما وأبرعهم أدبا وأحسنهم فى شبيبته ديانة فقتل عمرو بن سعيد وتسمى بالخلافة فسلم عليه بها أول تسلمة والمصحف فى حجره فأطبقه وقال هذا فراق بينى وبينك قال أبو العباس وحدثنى ابن عائشة عن حماد بن سلمة فى اسناد ذكره أن عبد الملك كان له صديق وكان من أهل الكتاب يقال له يوسف فأسلم فقال له عبد الملك يوما وهو فى عنفوان شبابه وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عقبة المرى من مرة غطفان تريد المدينة ألا ترى خيل عدو الله قاصدة لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يوسف جيشك والله الى حرم رسول الله أعظم من جيشه فنفض عبد الملك ثوبه ثم قال معاذ الله قال له يوسف ما قلت شاكا ولا مرتابا وانى لاجدك بجميع أوصافك قال له عبد الملك ثم ماذا قال ثم يتداولها رهط قال الى متى قال الى أن تخرج الرايات السود من خراسان قال وحدثت عن ابن جعدبة قال

أو يرفعوا صرحا يخرق سبع سموات بأعماقهن والاجزاء التى بينهن حتى يحاذى العرش ثم يعلوه وفرعون وان كان كافرا فلم يكن مجنونا ولا كان الى نقص العقل من بين الملوك منسوبا على ان الحكم قد يقوم بعقول الملوك بالفضيلة على عقول الرعية وذكرتم انهم قالوا تزعمون ان الله تعالى ذكر يحيى بن زكريا بخبر انه لم يجعل له من قبل سميا وانهم يجدون فى كتبهم فيما لا يختلف فيه خاصتهم وعامتهم انه كان من قبل يحيى بن زكريا غير واحد يقال له يحيى منهم يوحنا بن فرخ

كنت عند أمير المؤمنين المنصور في اليوم الذي أتاه فيه خروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن قال ففهمه ذلك حتى امتنع من الغداء في وقته وطال عليه فكره فقلت يا أمير المؤمنين أحدثك حديثا كنت مع مروان بن محمد وقد قصده بن عبد الله بن علي فانا كذلك اذ نظر الى الاعلام السود من بعد فقال ما هذه البهت المجللة قلت هذه أعلام القوم قال فمن تحتها قلت عبد الله بن علي ابن عبد الله بن العباس قال رأيهم عبد الله فقلت الفتى المعروق الطويل الخفيف العارضين الذي رأيته في وليمة كذا يأكل فيجيد فسألتني عنه فنسبته لك فقلت ان هذا الفتى لتلقامة قال قد عرفته والله لو ددت أن علي بن أبي طالب مكانه قال فقال لي المنصور آلله لسمعت هذا من مروان بن محمد قلت والله لقد سمعته منه قال يا غلام هات الغداء ۞ قال أبو العباس وكان أهل البهتلة جماعة بعد أهل النهروان ممن فارق عبد الله بن وهب وممن لجأ الى راية أبي أيوب وممن كان أقام بالكوفة فقال لا أقاتل عليا ولا أقاتل معه فتواصوا فيما بينهم وتعاضدوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم فقام منهم قائم يقال له المستورد من بني سعد بن زيد مناة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدل تخفق رايته معلنا مقالته مبلغا عن ربه ناصحا لامته حتى قبضه الله مخيرا مختارا ثم قام الصديق فصدق عن نبيه وقاتل من ارتد عن دين ربه وذكر أن الله عز وجل قرن الصلاة بالزكاة فرأى أن تعطيل احداهما طعن على الاخرى لا بل على جميع منازل الدين ثم قبضه الله اليه موفورا ثم قام الفاروق ففرق بين الحق والباطل مسويا بين الناس في اعطائه لا مؤثرا الاقارب ولا محكما في دين ربه وها أنتم تعلمون ما حدث والله يقول وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما فكل أجاب وبايع فوجه اليهم علي بن أبي طالب عبد الله ابن العباس داعيا فأتوا فسارا اليهم فقال له عفيف بن قيس يا أمير المؤمنين لا تخرج في هذه الساعة فانها ساعة نحس لعدوك عليك فقال له علي توكلت على الله وحده وعصيت رأي كل متكهن أنت تزعم أنك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ثم سار اليهم فطحنهم جميعا لم يفلت منهم الا خمسة منهم المستورد وابن جوين الطائي وفروة بن شريك الاشجعي وهم الذين ذكرهم الحسن البصري فقال دعاهم الى دين الله فجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا

وزعمتم انهم قالوا لكم انكم ذكرتم ان الله قال في كتابه لنبيكم وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وانما عنى بقوله أهل الذكر أهل التوراة وأصحاب الكتب يقولون ان الله قد بعث من النساء نبيات منهم مريم بنت عمران وبعث منهن حنة وساري ورفقي وذكرتم انهم قالوا زعمتم ان عيسى تكلم في المهد ونحن على تقديمه اياه وتقريبنا لأمره وافراطنا بزعمكم فيه على كثرة عددنا وتفاوت بلادنا واختلافنا فيما بيننا لا نعرف ذلك

فسار اليهم أبو حسن فطعنهم طعنا وفيهم يقول عمران بن حطان

انى أدين بما دان الشراة به * يوم النخيلة عند الجوسق الخرب

وقال الحميرى يعارض هذا المذهب

انى أدين بما دان الوصى به * يوم النخيلة من قتل المحلينا

وبالذى دان يوم النهر دنت به * وشاركت كفه كفى بصفينا

تلك الدماء معا بارت فى عنقى * ومثلها فاسقنى آمين آمينا

وكان أصحاب النخيلة قالوا لابن عباس اذ كان على حق لم يشكك فيه وحكم مضطرا فما باله حيث ظفر لم يسب فقال لهم ابن عباس قد سمعتم الجواب فى التحكيم فأما قولكم فى السباء أفكنتم سابين أمكم عائشة فوصفوا أصابعهم فى آذانهم وقالوا أمسنا عنا غرب لسانك يا ابن عباس فانه طلق ذراق غواص على موضع الحجة ثم خرج المستورد بعد ذلك بمدة على المغيرة بن شعبة وهو والى الكوفة فوجه اليه معقل بن قيس الرياحى فدعاه المستورد الى المبارزة وقال له علام يقتل الناس بينى وبينك فقال له معقل النصف سألت فأقسم عليه أصحابه فقال ما كنت لأبى عليه فخرج اليه فاختلفا ضربتين فخر كل واحد منهما ميتا وكان المستورد كثير الصلاة شديد الاجتهاد وله آداب يوصى بها وهى محفوظة عنه كان يقول إذا أفضيت بسرى الى صديقى فأفشاه لم ألمه لانى كنت أولى بحفظه وكان يقول لا تفش الى أحد سرا وان كان مخلصا الا على جهة المشاورة وكان يقول كن أحرص على حفظ سر صاحبك منك على حقن دمك وكان يقول أول ما يدل عليه عائب الناس معرفته بالعيوب ولا عيب الا معيب وكان يقول المال غير باق عليك فاشتر من الحمد ما يبقى عليك وكان يقول بذل المال فى حقه استدعاء للمزيد من الجواد وكان يكثر أن يقول لو ملكت الارض بحذافيرها ثم دعيت الى أن أستفيد بها خطيئة ما فعلت قال وخرجت الخوارج وانصل خروجها وانما نذكر منهم من كان ذا خبر طريف واتصلت به حكم من كلام وأشعار فأول من خرج بعد قتل على عليه السلام حوثرة الاسدى فانه كان متغضبا بالبندنيجين فكتب الى حابس الطائى يسأله أن يتولى أمر الخوارج حتى يسير اليه بجمعه فيتعاضدا على مجاهدة معاوية فأجابه فرجعا الى موضع أصحاب النخيلة ومعاوية بالكوفة حيث دخلها مع الحسن بن على صلوات الله عليه بعد

ولا ندعيه وكيف ندعيه ولم نسمعه عن سلف ولا ادعاه منا مدع ثم هذه اليهود لا تعرف ذلك وتزعم انها لم تسمع به الا منكم ولا تعرفه المجوس ولا الصابئون ولا عباد المدرة من الهند وغيرهم ولا الترك والخزر ولا بلغنا ذلك عن أحد من الأمم السالفة والقرون الماضية ولا فى الانجيل ولا فى ذكر صفات المسيح فى الكتب والبشارات به على ألسنة الرسل ومثل هذا لا يجوز ان يجهله الولى والعدو وغير الولى وغير العدو ولا يضرب به مثل ولا يروح به الناس ثم يجمع

أن بايعه الحسن والحسين عليهما السلام وقيس بن سعد بن عبادة ثم خرج الحسن يريد المدينة فوجه اليه معاوية وقد تجاوز في طريقه يسأله أن يكون المتولي لمحاربتهم فقال الحسن والله لقد كففت عند لحقن دماء المسلمين وما أحسب ذلك يسعني أفأقاتل عندك وما أنت والله أولى بالقتال منهم فلما رجع الجواب اليه وجه اليهم جيشا أكثرهم من أهل الكوفة ثم قال لابيه أبي حوثرة اكفني أمر ابنك فصار اليه أبوه فدعاه الى الرجوع فأبى فأداره فصمم فقال له يا بني أجبني يا بنك فلعلك تراه فنحن اليه فقال يا أبت انا والله الى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق مني الى ابني فرجع الى معاوية فأخبره فقال يا أبا حوثرة عناه هذا جهدا فلما انظر حوثرة الى أهل الكوفة قال يا أعداء الله أنتم بالامس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه واليوم تقاتلون مع معاوية لتشدوا سلطانه فخرج اليه أبوه فدعاه الى البراز فقال يا أبت لك في غيري مندوحة ولي في غيرك عند مذهب ثم حمل على القوم وهو يقول

أكر على هذي الجموع حوثرة * فعن قليل ما تنال المغفره

فحمل عليه رجل من طيئ فقتله فرأى أثر السجود قد لوح جبهته فندم على قتله ثم انهزم القوم جميعا وأنا أحسب أن قول القائل

وأجرأ من رأيت بظهر غيب * على عيب الرجال ذوو العيوب

انما أخذه من كلام المستورد قال رجل للمستورد أريد أن أرى رجلا عيابا قال اتمسه بفضل معايب فيه وقال العباس بن الاحنف يعاتب من اتهمه بافشاء سره

تعتبت تطلب ما أستحق * به الهجر مني ولا تقدر
وماذا يضرك من شهرتي * اذا كان سرك لا يشهر
أمني تخاف انتشار الحديث * وحظي في ستره أوفر
ولو لم تكن في بقيا عليك * نظرت لنفسي كما تنظر

ويروى من حديث محمد بن كعب القرظي قال قال عمار بن ياسر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات العشيرة فلما قفلنا نزلنا منزلا فخرجت أنا وعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه ننظر الى قوم يعملون فتعشينا فغشيت علينا الريح التراب فانبهنا الا كلام رسول الله

النصارى على رده مع جهلهم لتقوية أمره ولم يكونوا ليضادوهم فيما يرجع عليهم نفعه وكيف لم يكذبوكم في احيائه الموتى ومشيه على الماء وابراء الاكمه والأبرص بل لم يكونوا ليتفقوا على اظهار خلاف دينهم وانكار أعظم حجة كانت لصاحبهم ومثل هذا لا يتكتم ولا ينفرد ممن يخالف ويتم والكلام في المهد أعجب من كل عجب وأغرب من كل غريب وأبدع من كل بديع لان احياء الموتى والمشي على الماء واقامة المقعد وابراء الاعمى وابراء الاكمه قد

صلى الله عليه وسلم فقال لعلي يا أبا تراب لما عليه من التراب أتعلم من أشقى الناس فقال خبرني يا رسول الله فقال أشقى الناس اثنان أحمر ثمود الذي عقر الناقة وأشقاها الذي يخضب هذه ووضع يده على لحيته من هذا ووضع يده على قرنه ويروى عن عياض بن خليفة الخزاعي قال تلقاني علي صلوات الله عليه في الغلس فقال لي من أنت قلت عياض بن خليفة الخزاعي فقال ظننتك أشقاها الذي يخضب هذه من هذا ووضع يده على لحيته وعلى قرنه ويروى أنه كان يقول كثيرا قال أبو العباس أحسبه عند النحر بأصحابه ما يمنع أشقاها أن يخضب هذه من هذا ويروى عن رجل من ثقيف انه قال خرج الناس يعلفون دوابهم بالمدائن وأراد علي المسير الى الشام فوجه معقل بن قيس الرياحي ليرجعهم اليه وكان ابن عم لي في آخر من خرج فأتيت الحسن بن علي عليه السلام ذات عشية فسألته أن يأخذ لي كتاب أمير المؤمنين الى معقل بن قيس في الترفيه عن ابن عمي فانه في آخر من خرج فقال تغد وعلينا والكتاب مختوم ان شاء الله تعالى فبت ليلتي ثم أصبحت والناس يقولون قتل أمير المؤمنين الليلة فأتيت الحسن واذا به في دار علي عليه السلام فقال لولا ما حدث لقضينا حاجتك ثم قال حدثني أبي عليه السلام البارحة في هذا المسجد فقال يا بني اني صليت ما رزق الله ثم نمت نومة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت اليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابي وقلة رغبتهم في الجهاد فقال ادع الله أن يريحك منهم فدعوت الله قال الحسن ثم خرج الى الصلاة فكان ما قد علمت وحدثت من غير وجه أن عليا لما ضرب ثم دخل منزله اعتنه غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين فقال أوصيكما بتقوى الله والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ولا تأسفا على شيء فاتكما منها اعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا فقال ألم تسمع ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فاني أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما ولا تفتات عليهما فقال أوصيكما به خيرا فانه شقيقكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أباكما كان يحبه فأحباه فلما قضى علي كرم الله وجهه قالت أم العربان

وكنا قبل مهلكه زمانا ... نرى نجوى رسول الله فينا

فقلتم خير من ركب المطايا ... وأزمهم ومن ركب السفينا

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرت عيون الشامتينا

أتت به الانبياء وعرفه الرسل ودارت في اسماعهم ولم يتكلم صبي قط ولا مولود في المهد وكيف ضاعت هذه الآية وسقطت حجة هذه العلامة من بين كل علامة وبعد فكل أعجوبة يأتي بها الرجال والمعروفون بالبيان والمنسوبون الى صواب الرأي تكون الحيلة في الظن اليها أقرب وخوف الخدعة عليها أغلب والصبي المولود عاجز في الفطرة ممتنع من كل حيلة وهذا لا يحتاج فيه الى نظر ولا لشبهه من شاهده بدخل

﴿ فصل منه ﴾ وسنقول في جميع ما ورد علينا من

ويروى أن عبد الرحمن بن مُلْجَم بات تلك الليلة عند الأشعث بن قَيْس بن مَعْدى كرب وأن حُجْر ابن عَدِيّ سمع الأشعث يقول له فتحدّث الصبح فلما قالوا قُتِل أمير المؤمنين قال حجر بن عدى للاشعث أنت قتلته يا أعور ويروى أن الذى سمع ذلك أخوا الأشعث عَفِيف بن قيس وانه قال لاخيه عَنْ أمرك كان هذا يا أعور ❁ واخبار الخوارج كثيرة طويلة وليس كتابنا مفردا لهم لكنا نذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدب أو شعر مُسْتَطْرَف أو كلام من خطبة معروفة مختارة ❁ خرج قُرَيْب بن مُرَّة الأزدى وزَحّاف الطائى وكانا مجتهدين بالبصرة فى أيام زياد واختلف الناس فى أمورهما أيهما كان الرئيس فاعترضا الناس فلقيا شيخا ناسكا من بنى ضُبَيْعَة بن رَبِيعَة بن نِزار فقتلاه وكان يقال له رؤبة الضُّبَعى وتنادى الناس فخرج رجل من بنى قُطَيْعَة من الأزد وفى يده السيف فناداه الناس من ظهور البيوت الحرورية انج بنفسك فنادوه لسنا حرورية نحن الشُّرَط فوقف فقتلوه وبلغ أبا بلال خبرهما فقال قُرَيْب لا قَرَّبَه الله من الخير وزَحّاف لا عفا الله عنه ركبا فاستوثقا منهما وعاثا مظلمة يريدا اعتراضهما الناس ثم جعلا لا يمران بقبيلة الا قتلا من وجدا حتى مرّا ببنى على بن سُود من الأزد وكانوا رماة وكان فيهم مائة يُجيدون الرمى فرموهم رميا شديدا فصاحوا يا بنى على البُقْيا الارماء بيننا فقال رجل من بنى على

لا شئ للقوم سوى السهام ... مَشْهُوذَة فى غَلَس الظلام

فتردّد عنهم الخوارج وخافوا الطلب فاستقوا مَقْبَرَة بنى يَشْكُر حتى نفذوا الى مُزَيْنَة ينتظرون من يلحق بهم من مضر وغيرها فجاءهم ثمانون وخرجت اليهم بنو طاحية بن سُود وقبائل مُزَيْنَة وغيرها فاستقتل الخوارج فقتلوا عن آخرهم ثم غدا الناس الى زياد، فقال ألا ينهى كلّ قوم سفهاءهم يا معشر الأزد لولا أنكم أطفأتم هذه النار لقلت انكم أرّثتموها فكانت القبائل اذا أحسّت بخارجية فيهم شدّتهم وأتت بهم زيادا فكان هذا أحد ما يذكر من صحة تدبيره وله أخرى فى الخوارج أخرجوا معهم امرأة فظفر بها فقتلها ثم عرّاها فلم تخرج النساء بعد على زياد وكنّ اذا دُعين الى الخروج قلن لولا التعرية لسرنا معنا ولما قتل مصعب بن الزبير بنت النعمان بن بشير الانصارية امرأة المختار وليس هذا من أخبار الخوارج أنكره الخوارج غاية الانكار ورأوه قد أتى بقتل النساء أمرا عظيما لانه أتى ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سائر نساء

المشركين

مسائلكم وفيما لا يقع اليكم من مسائلهم بالشواهد الظاهرة والحجج القوية والادلة الاضطرارية ثم نسئلهم بعد جوابنا اياهم عن وجوه يعرفون بها انتقاض قولهم وانتشار مذهبهم وتهافت دينهم ونحن نعوذ بالله من التكلف وانتحال مالا نحسن ونسئله القصد فى القول والعمل وان يكون ذلك لوجهه ولنصرة دينه انه قريب مجيب فأنا مبتدئ فى ذكر الاسباب التى لها صارت النصارى أحب الى العوام من المجوس وأسلم صدورا عندهم من اليهود

المشركين والخواص منهن أخبار فقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة

انَّ من أعظم الكبائر عندى * قتل حسناء غادة عُطبول

قُتلت باطلا على غير ذنب * ان لله درّها من قتيل

كُتب القتل والقتال علينا * وعلى المُحصنات جرّ الذيول

وأقرب مودة وأقل غائلة وأصغر كفرا وأهون عذابا ولذلك أسباب كثيرة ووجوه واضحة يعرفها من نظر ويجهلها من لم ينظر أول ذلك أن اليهود كانوا جيران المسلمين بيثرب وغيرها وعداوة الجيران شبيهة بعداوة الاقارب فى شدة التمكن وثبات الحقد وانما يعادى الانسان من يعرف ويميل على من يرى ويناقض من يشاكل ويبدو لهم عيوب من يخالط وعلى قدر الحب والقرب يكون البغض والبعد ولذلك كانت حروب الجيران وبنى الأعمام من سائر

قال وكانت الخوارج أيام ابن عامر أخرجوا معهم امرأتين يقال لاحداهما كُحَيْلَةُ والاخرى قَطام فجعل أصحاب ابن عامر يُعَيّرونهم ويصيحون بهم يا أصحاب كحيلة وقطام يُعَرّضون لهم بالفجور فتناديهم الخوارج بالدفع والرَّدْع ويقول قائلهم لا تَقْفُ ما ليس لك به علم ويروى عن ابن عباس فى هذه الآية والذين لا يَشْهَدون الزُّور واذا مرُّوا باللغو مرُّوا كراما قال أعياد المشركين وقال ابن مسعود الزور والغناء وقيل لابن عباس أوما هذا فى الشهادة بالزور فقال لا انما آية شهادة الزور ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤلا قال عاد الحديث الى أمر الخوارج وكان من المجتهدات من الخوارج ولو قُلْتَ من المجتهدين وأنت تَعْنى امرأة كان أفصح لانك تريد رجالا ونساء هى احداهم كما قال الله عز وجل وصَدَّقَتْ بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين وقال جل ثناؤه الا عجوزا فى الغابرين منهم البَلَجاء وهى امرأة من بنى حَرام ابن يربوع بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم من رهط سَجاح التى كانت تَنَبَّأَتْ وسنذكر خبرها فى موضعه ان شاء الله وكان مرداس بن حُدَير أبو بلال وهو أحد بنى ربيعة بن حَنْظلة تَعْظمه الخوارج وكان مجتهدا كثيرا لصواب فى لفظه فلقيه غَيْلان بن خَرَشَة الضَّبّى فقال يا أبا بلال انى سمعت الامير البارحة عُبَيْدَ الله بن زياد يذكر البلجاء وأحسبها ستوخذ فتصلى اليها أبو بلال فقال لها ان الله قد وَسَّع على المؤمنين فى التَّقيَّة فاستتري فان هذا المُسْرِف على نفسه الجبار العنيد قد ذَكَرَكِ قالت ان يأخذنى فهو أشقى بى فأما أنا فما أحبُّ أن يُعَنِّتَ انسانٌ بسببى فوجه اليها عبيد الله بن زياد فأتى بها فقطع يديها ورجليها ورمى بها فى السوق فرآها أبو بلال والناس مجتمعون فقال ما هذا فقالوا البلجاء فعَرَّج اليها فنظر ثم عض على لحيته وقال لنفسه لهذه أطيبُ نفسا عن بقية الدنيا منذ يا مرداس ثم ان عبيد الله تتبع الخوارج فحبسهم وحبس مرداسا فرأى صاحبُ السجن شدة اجتهاده وحلاوة منطقه فقال له انى أرى لك مذهبا حسنا وانى لَأُحِبُّ أن أُوليَكَ معروفا فرأيت

ان تركنا نتصرف ليلا الى بيتنا أتدلج الى قال نعم فكان يفعل ذلك به ولج عبيد الله في حبس الخوارج وقتالهم فكلم في بعض الخوارج فلج وأبى وقال أقمع النفاق قبل أن ينضج لكلام هؤلاء أسرع الى القلوب من النار الى اليراع فلما كان ذات يوم قتل رجل من الخوارج رجلا من الشرط فقال ابن زياد ما أدري ما أصنع بهؤلاء كلما أمرت رجلا بقتل رجل منهم فتكوا بقاتله لأقتلن من في حبسي منهم فأخرج السجان مرداسا الى منزله كما كان يفعل وأتى مرداسا الخبر فلما كان السحر تهيأ للرجوع فقال له أهله اتق الله في نفسك فانك ان رجعت قتلت فقال اني ما كنت لأتقي الله غادرا فرجع الى السجان فقال اني قد علمت ما عزم عليه صاحبك فقال أعلمت ورجعت ويروى أن مرداسا مر باعرابي يهنأ بعيرا له فهرج البعير فسقط مرداس مغشيا عليه فظن الاعرابي انه قد صرع فقر أفي أذنه فلما أفاق قال له الاعرابي قرأت في أذنك فقال له مرداس ليس بي ما خفته علي ولكني رأيت بعيرك هرج من القطران فذكرت به قطران جهنم فأصابني ما رأيت فقال لا جرم والله لا فارقتك أبدا وكان مرداس قد شهد صفين مع علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وأنكر التحكيم وشهد النهروان فنجا فيمن نجا فلما خرج من حبس ابن زياد ورأى جد ابن زياد في طلب الشراة عزم على الخروج وقال لاصحابه انه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفضل والله ان الصبر على هذا العظيم وان تجريد السيف واخافة السبيل لعظيم ولكنا ننتبذ عنهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل الا من قاتلنا فاجتمع اليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلا منهم حريث بن جحل وكهمس بن طلق الصريمي فاراد وا أن يولوا أمرهم حريثا فابى فولوا أمرهم مرداسا فلما مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رباح الانصاري وكان له صديقا فقال له أين تريد قال أريد أن أهرب بديني وأديان أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة فقال له أعلم بكم أحد قال لا قال فارجع قال أو تخاف علي مكروها قال نعم وأن يوفى بك قال فلا تخف فاني لا أجرد سيفا ولا أخيف أحدا ولا أقاتل الا من قاتلني ثم مضى حتى نزل آسك وهو ما بين رامهرمز وأرجان فربه مال يحمل لابن زياد وقد قارب أصحابه الاربعين فقط ذلك المال فاخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه ورد الباقي على الرسل وقال قولوا لصاحبكم انما قبضنا أعطياتنا فقال بعض أصحابه فعلام ندع الباقي فقال انهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم ولا بي بلال أشعار في الخروج

الناس وسائر العرب أطول وعداوتهم أشد فلما صار المهاجرون لليهود جيرانا وقد كانت الانصار متقدمة الجوار مشاركة في الدار حسدتهم اليهود على نعمة الدين والاجتماع بعد الافتراق والتواصل بعد التقاطع وشبهوا على القوم واستمالوا الضعفة وما لؤا الاعداء والحسدة ثم جاوزوا الطعن وادخال الشبهة الى المناجزة والمنابذة بالعداوة فجمعوا كيدهم وبذلوا أنفسهم وأموالهم في قتالهم واخراجهم من ديارهم وطال ذلك واستفاض فيهم وظهر وترادف لذلك الغيظ

اخترتُ منها قوله

أبعدَ ابن وهب ذي النزاهة والتُّقى * ومن خاض في تلك الحروب المهالكا

أُحبُّ بقاء أو أُرَجِّي سلامةً * وقد قتلوا زيدَ بن حصنٍ ومالكا

فيا ربِّ سَلِّم ديني وبصيرتي * وهَبْ لي التُّقى حتى ألاقي أولئكا

قوله وقد قتلوا ولم يذكر أحد أفاعلا فعل ذلك لعلم الناس أنه يعني مُخالفيه وانما يحتاج الضمير الى ذكر قبله ليُعرَف فلو قال رجل ضرب بتّة لم يجز لانه لم يذكر أحدا قبل ذكر الهاء ولو رأيت قوما يلتمسون الهلال فقال قوم هذا هو لم يحتج الى تقدمة الذكر لأن المطلوب معلوم وعلى هذا قال عَلْقَمةُ بن عَبَدَةَ في افتتاح قصيدته هل ما علمتَ وما استُودِعتَ مكتومُ * أم حبلُها اذ نأتكَ اليومَ مصرومُ

لانه قد عُلِمَ أنه يريد حبيبته له وقوله حتى ألاقي ولم يحرك الياء فقد مضى شرحه مستقصى ويروى أن رجلا من أصحاب ابن زياد قال خرجنا في جيش نريد خراسان فررنا بأسدٍ فاذا نحن بهم ستةٌ وثلاثين رجلا فصاح بنا أبو بلال أقاصدون لقتالنا أنتم وكنت أنا وأخي قد خلفنا زَرْبا فوقف أحتى يأتيه فقال السلام عليكم فقال مِرْداس وعليكم السلام فقال لأخي أجئتم لقتالنا فقال له لا انما نريد خراسان قال فابلغوا من لقيكم أنا لم نخرج لنُفسِدَ في الارض ولا لنُرَوِّعَ أحدا ولكن هَرَبا من الظلم ولسنا نقاتل الا من يقاتلنا ولا نأخذ من الفيء الا أعطيات تنا ثم قال أندبُ الينا أحدٌ فلنا نعم أَسْلَمُ بن زُرْعَةَ الكلابي قال فتى تُرَوْنَهُ يصل الينا قلنا يوم كذا وكذا فقال أبو بلال حسبنا الله ونعم الوكيل وجهز عُبَيْدُ الله أَسْلَمَ بن زُرْعَةَ في أسرع وقت ووجهه اليهم في ألفين وقد تَمَّ أصحابُ مِرْداس أربعين رجلا فلما صارا اليهم أسلم صاح به أبو بلال اتق الله يا أسلم فانا لا نريد قتالا ولا نَحْتَجِنُ فيما فيه الذي تُرِيدُ قال أريد أن أردكم الى ابن زياد قال مِرْداس اذا يَقْتُلَنا قال وان قتلكم قال تَشْرُكُهُ في دمائنا قال اني أَدِينُ بأنه مُحِقٌّ وانكم مبطلون فصاح به حُرَيْثُ بن جَبَلٍ أهو محق وهو يطيع الفَجَرَةَ وهو أحدهم ويقتل بالظِّنَّةِ ويَحُصُّ بالذي يَحُورُ في الحكم اما علمتَ انه قتل بابن سُعادَ أربعةً برآء وانا أحدُ قتلته ولقد وضعتُ في بطنه دراهم كانت معه ثم حملوا عليه حملةَ رجلٍ واحدٍ فانهزم هو وأصحابه من غير قتال وكان مَعْبَدٌ أحدُ الخوارج قد كاد يأخذه فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضبا شديدا وقال ويلك أغضبي في ألفين فتنهزم لحملة أربعين وكان أَسْلَمُ يقول لأن

وتضاعف البغض وتمكن الحقد وكانت النصارى لبعد ديارهم من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومهاجره لا يتكلفون طعنا ولا يثيرون كيدا ولا يجمعون على حرب فكان هذا أول أسباب ما غلظ القلوب على اليهود ولينها على النصارى ثم كان من أمر المهاجرين الى الحبشة واعتقادهم على تلك الجهة ما حببهم الى عوام المسلمين وكلما لانت القلوب لقوم غلظت على أعدائهم وبقدر ما نقص من بغض النصارى زاد في بغض اليهود ومن شأن الناس حب من اصطنع اليهم خيرا أو جرى على يديه وأمر آخر وهو من امتن أسبابهم وأقوى أمورهم وهو تأويل آية غلطت فيها العامة حتى نازعت الخاصة وحفظها

يذمّني ابن زياد حيّا أحبّ الى من أن يمدحني ميتا وكان اذا خرج الى السوق أو مرّ بصبيان صاحوا به أبو بلال ورآه وربما صاحوا به يا معبد خذه حتى شكا ذلك الى ابن زياد فامر ابن زياد الشرط أن يكفّوا الناس عنه ففي ذلك يقول عيسى بن فاتك من بني تيم اللات بن ثعلبة في كلمة له

فلما أصبحوا صبّحوا وقاموا * الى الجرد العتاق مسوّمينا
فلما استجمعوا حملوا عليهم * فظلّ ذو الجعائل يقتلونا
بقية يومهم حتى أتاهم * سواد الليل فيه يراوغونا
يقول بصيرهم لمّا أتاهم * بأنّ القوم ولّوا هاربينا
ألا لغا مؤمن فيما زعمتم * وبهزمهم بآسد أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم * ولكنّ الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير رشد * على الفئة الكثيرة ينصرونا

ثم ندب لهم عبيد الله بن زياد الناس فاختار عبّاد بن اخضر وليس بابن أخضر وهو عباد بن علقمة المازني وكان أخضر زوج أمّه فغلب عليه فوجهه في أربعة آلاف فتهدلهم ويزعم أهل العلم ان القوم قد كانوا تنحّوا عن درا بجرد من أرض فارس فصارا اليهم عباد وكان التقاؤهم في يوم جمعة فناداه أبو بلال اخرج الىّ يا عباد فاني أريد أن أحاورك فخرج اليه فقال ما الذي نبغى قال ان آخذ بأقفائكم فاردّكم الى الامير عبيد الله بن زياد قال أو غير ذلك قال وما هو قال أن ترجع فانا لا نخيف سبيلا ولا نذعر مسلما ولا نحارب الا من حارب ولا نجبي الا ما جبينا فقال له عبّاد الامر ما قلت لك فقال له حريث بن جبل أتحاول ان تردّ فئة من المسلمين الى جبّار عنيد قال لهم أنتم أولى بالضلال منه وما من ذاك بدّ وقدم القعقاع بن عطيّة الباهلي من خراسان يريد الحج فلما رأى الجمعين قال ما هذا قالوا الشراة فحمل عليهم ونشبت الحرب فأخذ القعقاع أسيرا فأتى به أبو بلال فقال ما أنت قال لست من أعدائك وانما قدمت الحج فجهلت وغررت فأطلقه فرجع الى عباد فاصلح من شأنه ثم حمل عليهم ثانية وهو يقول

أقاتلهم وليس علىّ بعث * نشاطا ليس هذا بالنشاط
أكرّ على الحرور ودين مهرى * لاحملهم على وضح الصراط

النصارى واحتجت واستمالت قلوب الرعاع والسفلة وهو قول الله تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى الى قوله وذلك جزاء المحسنين وفي نفس الآية أعظم الدليل على ان الله تعالى لم يعن لا النصارى ولا أشباههم الملكانية واليعقوبية وانما عنى ضرب بحيرا وضرب الرهبان الذين كان يجذبهم سلمان وبين حمل قوله الذين قالوا انا نصارى على الغلط منهم في الأسماء وبين أن نجري عليهم لأنهم نصارى فرق كما ذكر اليهود أنه جاء الاسلام وملوك العرب رجلان غسانى ولخمى وهما نصرانيان وقد كانت

فحمل عليه حريث بن حجل السدوسي وكهمس بن طلق الصريمي فأمراه فقتلاه ولم يأتيا به أبا بلال فلم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت الصلاة صلاة يوم الجمعة فناداهم أبو بلال يا قوم هذا وقت الصلاة فوادعوا حتى نصلي ونصلوا قالوا لك ذلك فرمى القوم أجمعون أسلحتهم وعمدوا للصلاة فاسرع عباد ومن معه والحرورية مبطؤن فهم من بين راكع وقائم وساجد في الصلاة وقاعد حتى مال عليهم عبادٌ ومن معه فقتلوهم جميعا وأتى برأس أبي بلال وتروى الشراة ان مرداسا أبا بلال لما عقد على أصحابه وعزم على الخروج رفع يديه وقال اللهم ان كان ما نحن فيه حقا فارنا آية فرجف البيت وقال آخرون فارتفع السقف فروى أهل العلم أن رجلا من الخوارج ذكر ذلك لابي العالية الرياحي يعجبه من الآية ويرغبه في مذهب القوم فقال أبو العالية كاد الخسف ينزل بهم ثم أدركتهم نظرة الله فلما فرغ من أولئك الجماعة أقبل بهم فصلبت رؤسهم وفيهم داود ابن شبث وكان ناسكا وفيهم حبيبة النصري من قيس وكان مجتهدا فيروى عن عمران بن حطان أنه قال قال لي حبيبة لما عزمت على الخروج فكرت في بناتي فقلت ذات ليلة لأمسكن عن تفقدهن حتى أنظر فلما كان في جوف الليل استسقت بنية لي فقالت يا أبت اسقني فلم أجبها فعادت فقامت أخيتها فسقتها فعلمت أن الله عز وجل غير مضيعهن فأتممت عزمي وكان في القوم كهمس وكان من أبر الناس بامه فقال لها يا أمة لولا مكانك لخرجت فقالت يا بني قد وهبتك لله في ذلك بقول عيسى بن فاتك الخبطي

ألا في الله لا في الناس شالت * بداود واخوته الجذوع
مضوا قتلا وتمزيقا وصلبا * تحوم عليهم طير وقوع
اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن في الدنيا هجوع

وقال عمران بن حطان

يا عين ابكي لمرداس ومصرعه * يا رب مرداس اجعلني كمرداس
تركتني هائما أبكي لمرزئتي * في منزل موحش من بعد ايناس
أنسكرت بعدك من قد كنت أعرفه * ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

العرب تدين لهما وتؤدي الاتاوة اليهما فكان تعظيم قلوبهم لهما راجع الى تعظيم دينهما وكانت تهامة وان كانت لقاحا لا تدين ولا تؤدي الاتاوة ولا تدين للملوك لانها كانت لا تمتنع من تعظيم ما عظم الناس وتصغير ما صغروا ونصرانية النعمان وملوك غسان مشهورة في العرب معروفة عند أهل النسب ولولا ذلك لدللت عليها بالاشعار المعروفة والاخبار الصحيحة وقد كانت تتجر الى الشام وتتنفذ في جالها الى ملوك الروم ولها رحلة في الشتاء والصيف في تجارة مرة الى اليمن ومرة قبل الشام ومصيفها بالطائف فكانوا أصحاب نعمة وذلك مشهور مذكور في القرآن وعند أهل المعرفة وقد كانت

إمّا شربتَ بكاس دارَ أوّلُها * على القرون فذاقوا جرعةَ الكاس

فكل مَن لم يَذُقها شاربٌ عَجِلاً * منها بانفاس وِرْدٍ بعد أنفاس

ثم ان عباد بن أخضر المازني لبث دهرا في المصر محمودا موصوفا بما كان منه ثم لم يزل على ذلك حتى ائتمر به جماعة من الخوارج أن يفتكوا به فمرّ بعضهم بعضا على ذلك فجلسوا له في يوم جمعة وقد أقبل على بغلة له وابنُه رديفه فقام اليه رجلٌ منهم فقال أسألك عن مسئلة قال قل قال أرأيت رجلاً قتل رجلا بغير حق والقاتل جاءٌ وقد رُوناحية من السلطان أوَلِيّ ذلك المقتول أن يقتُلَ به ان قدر عليه قال بل يرفعه الى السلطان قال ان السلطان لا يُعدي عليه لمكانه منه وعظيم جاهه عنده قال أخاف عليه ان قتل به قتل به السلطان قال دَعْ ما تخافه من ناحية السلطان أنا لهُ قِبَلَهُ فيما بينه وبين الله قال لا قال فخَيْرُكم هو وأصحابه وخبطوه بأسيافهم ورمى عباد ابنَه فنجا وتنادى الناس قُتِلَ عبادٌ واجتمع الناس فأخذوا أفواه الطرق وكان مقتلُ عباد في سكة بني مازن عند مسجد بني كُلَيب فجاء معبدُ بن أخضر اخو عبّاد وهو معبد بن علقمة وأخضر زوج أمهما في جماعة من بني مازن فصاحوا بالناس دعونا وثأرنا فأحجم الناسُ وتقدم المازنيون فحاربوا الخوارج حتى قتلوهم جميعا لم يُفلت منهم أحدٌ الا عبيدة بن هلال فانه خرق خُصّا ونفذ منه فوقف يقول الفرزدق

لقد أدركَ الأوتارَ غيرَ ذميمة * اذا ذُمّ طُلّابُ التراتِ الأخاضرُ

هُمُ جرّدوا الأسيافَ يوم ابن أخضر * فنالوا التي ما فوقها نالَ ثائرُ

أقادوا به أُسْدَ الهَا في اقتحامها * اذا بَرَزَتْ نحو الحروب بصائرُ

ثم ذكر بني كليب لانه قُتِلَ بحضرة مسجدهم ولم ينصروه فقال في كلمته هذه

كفعل كُلَيب اذ أخلّت بجارها * ونَصْرُ اللئيم مُعْتَمٌّ وهو حاضر

وما لكليب حين تُذكَرُ أولٌ * وما لكليب حين تُذكَرُ آخر

وقال معبد بن أخضر سأحمي دماء الأخضرين بأنه * أبى الناسُ الا أن يقولوا ابنُ أخضرا

وكان مقتل عباد وعبيد الله بن زياد بالكوفة وخليفتُه على البصرة عُبَيْدُ الله بن أبي بكرة فكتب اليه يأمره أن لا يدع أحدا يُعرَفُ بهذا الرأي الا حبسه وجدّ في طلبه ممن تغيّب منهم فجعل عبيد الله بن أبي بكرة يتتبعهم فيأخذهم فاذا شُفِعَ اليه في أحد منهم كفّله الى أن يقدم ابن زياد حتى

تهاجر الى الحبشة وتأتي باب النجاشي وافدة فيجيبهم بالجزيل ويعرف لهم الاقدار ولم يكن يعرف ذلك كسرى ولا تأنس بهم وقيصر والنجاشي نصرانيان فكان ذلك أيضا للنصارى دون اليهود والآخر من الناس تبع للأول في تعظيم من عظم وتصغير من صغر وأخرى وهي أن العرب كانت النصرانية فيها فاشية وعليها غالبة الا مضر فلم تغلب عليها يهودية ولا مجوسية ولم تفش فيها النصرانية الا من كان قوم منهم نزلوا الحيرة يسمون العباد فانهم كانوا نصارى وهم مغمورون مع نبذ يسير في بعض القبائل ولم تعرف مضر الا دين العرب ثم الاسلام وغلبت النصرانية على ملوك

أُتِيَ بعروة بن أُدَيَّة فاطلقه وقال انا كفيلك فلما قدم عبيد الله بن زياد أخذ من في السجن منهم فقتلهم جميعا وطلب الكفلاء بمن كفلوا به منهم فكل من جاءه بصاحبه أطلقه وقتل الخارجي ومن لم يأت بمن كفل به منهم قتله ثم قال لعبيد الله بن أبي بكرة هات عروة بن أُدَيَّة قال لا أقدر عليه قال اذا والله أقتلك فانك كفيله فلم يزل يطلبه حتى دل عليه في سَرَب العلاء بن سَوِيَّة المنقري فكتب بذلك الى عبيد الله بن زياد فقرأ عليه الكاتب انا أصبناه في سَرَب فتهانف به عبيد الله بن زياد وكان كثير المحاورة عاشقا للكلام الجيد مستحسنا للصواب منه لا يزال يبحث عن عذره فاذا سمع الكلمة الجيدة عرَّج عليها ويروى انه قال في عقب مقتل الحسين بن علي عليه السلام لزينب بنت علي رحمها الله تعالى وكانت أسنَّ من حمل اليه منهن وقد كلمته فأفصحت وأبلغت وأخذت من الحجة حاجتها فقال لها ان تكوني بلغت من الحجة حاجتك فقد كان أبوك خطيبا شاعرا فقالت ما للنساء والشعر وكان مع هذا لا يكاد يفصح لغة فارسية وقال لرجل مرة واتهمه برأي الخوارج أحَرُورِيٌّ منذ اليوم ❁ رجع الحديث فقال الكاتب صحفت والله ولؤمت انما هو في سَرَب العلاء بن سَوِيَّة ولوددت أنه كان ممن يشرب النبيذ فلما أقيم عروة بن أُدَيَّة بين يديه حاوره وقد اختلف الجلساء في خبره وأصحه عندنا انه قال له جهزت أخاك علي فقال والله لقد كنت به ضنينا وكان لي عزا ولقد أردت له ما أريد لنفسي فعزم عزما فمضى عليه وما أحب لنفسي الا المقام وترك الخروج قال له أفأنت على رأيه قال كلنا نعبد ربا واحدا قال أما لأمثلن بك قال اختر لنفسك من القصاص ما شئت فأمر به فقطعوا يديه ورجليه ثم قال كيف ترى قال أفسدت علي دنياي وأفسدت علي آخرتي ثم أمر به فقتل ثم صلب على باب داره ثم دعا مولاه فسأله عنه فأجابه جوابا مضى ذكره قوله فتهانف حقيقته تضاحك به ضحك هُزء وقال ابن أبي ربيعة المخزومي

والقد قالت لجارات لها * وتعرَّت ذات يوم تتبرَّد

أكما ينعتني تبصرنني * عمر كن الله أم لا يقتصد

فتهانفن وقد قلن لها * حسن في كل عين من تود

حسد حملنه من أجلها * وقديما كان في الناس الحسد

وكان عبيد الله لا يلبث الخوارج يحبسهم تارة ويقتلهم تارة وأكثر ذلك يقتلهم ولا يتغافل عن

العرب وقبائلها على نحو غسان والحارث بن كعب بنجران وقضاعة وطي في قبائل كثيرة وأحياء معروفة ثم ظهرت في ربيعة فغلبت على تغلب وعبد القيس واحياء بكر ثم في آل ذي الجدين خاصة وجاء الاسلام وليست اليهودية بغالبة على قبيلة الا ما كان من ناس من الهمانية ونبذ يسير من جميع اياد وربيعة ومعظم اليهودية انما كان بيثرب وخيبر وتيماء ووادي القرى في ولد هارون دون العرب فمطف قليل دهما العرب على النصارى الملك الذي كان فيهم والقرابة التي كانت لهم ثم رأت عوامنا أن فيها ملكا قائما وان فيهم عربا كثيرة وان بنات الروم ولدن لملوك الاسلام

أحد منهم وسبب ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زياد لما ولي بعده فخرجوا عليه فأماز زياد فكان يقتل المعلن ويستصلح المسر ولا يجرد السيف حتى تزول التهمة ووجه يوما بحينة بن كبيش الاعرجي الى رجل من بني سعد يرى رأي الخوارج فجاءه بحينة فأخذه فقال اني أريد أن أحدث وضوأ للصلاة فدعني أدخل الى منزلي قال ومن لي بخروجك قال الله عز وجل فتركه فدخل فأحدث وضوأ ثم خرج فأتى به بحينة زيادا فلما مثل بين يديه ذكر الله زيادا ثم صلى على نبيه ثم ذكر أبا بكر وعمر وعثمان بخير ثم قال فعدت عني فأنكرت ذلك فذكر الرجل ربه فحمده ووحده ثم ذكر النبي عليه السلام ثم ذكر أبا بكر وعمر بخير ولم يذكر عثمان ثم أقبل على زياد فقال انك قد قلت قولا فصدقه بفعلك وكان من قولك ومن قعد عنا لم نهجه فقعدت فأمر له بصلة وكسوة وحملان فخرج الرجل من عند زياد وتلقاه الناس يسألونه فقال ما كلكم أستطيع أن أخبره ولكني دخلت على رجل لا يملك ضرا ولا نفعا لنفسه ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فرزق الله منه ما ترون وكان زياد يبعث الى الجماعة منهم فيقول ما أحسب الذي يمنعكم من اتياني الا الرجلة فيقولون أجل فيحملهم ويقول اغشوني الآن واعمروا عندي فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال قاتل الله زيادا جمع لهم كما تجمع الذرة وحاطهم كما تحوط الأم البرة وأصلح العراق بأهل العراق وترك أهل الشام في شأنهم وجبى العراق مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف قال أبو العباس وبلغ زيادا عن رجل يكنى أبا الخير من أهل البأس والنجدة انه يرى رأي الخوارج فدعاه فولاه جندي سابور وما يليها ورزقه أربعة آلاف درهم في كل شهر وجعل عمالته في كل سنة مائة ألف فكان أبو الخير يقول ما رأيت شيأ خيرا من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة فلم يزل والیا حتى أنكر منه زياد شيأ فتغير له زياد فحبسه فلم يخرج من حبسه حتى مات وقال الرهين وكان رجلا من مراد وكان لا يرى القعود عن الحرب وكان في الدهاء والمعرفة والشعر والفقه بقول الخوارج بمنزلة عمران بن حطان وكان عمران بن حطان في وقته شاعر قعد الصفرية ورئيسهم ومفتيهم والرهين المرادي ولعمران بن حطان مسائل كثيرة من أبواب العلم في القرآن والآثار وفي السير والسنن وفي الغريب والشعر نذكر منها طرفا ان شاء الله قال المرادي

يا نفس قد طال في الدنيا مراوغتي * لا تأمنن لصرف الدهر تنغيصا

وان في النصارى متكلمين واطباء ومنجمين فصاروا بذلك عندهم عقلاء وفلاسفة حكماء ولم يروا ذلك في اليهود وانما اختلفت أحوال اليهود والنصارى في ذلك لان اليهود ترى أن النظر في الفلسفة كفر والكلام في الدين بدعة وانه مجلبة لكل شبهة وانه لا علم الا ما كان في التوراة وكتب الأنبياء. وان الايمان بالطب وتصديق المنجمين من أسباب الزندقة والخروج الى الدهرية والخلاف على الاسلاف وأهل القدوة حتى انهم ليهجرون المشهور بذلك ويحرمون كلامه سائلك سبيل أولئك ولو علمت العوام أن النصارى والروم ليست لهم حكمة ولا بيان ولا بعد رؤية الا حكمة الكف من

انى

جماعة من أهلها اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا أين تريد والله لئن دخلت الكوفة ليقتلنك المختار فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير ان صاحبك جاءنا فلما قارب بنار رجع فما أدري ما الذي ردّه فغضب ابن الزبير على القرشي وعجّزه وردّه الى الكوفة فلما شارفها قال المختار اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا انه والله قاتلك فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير بمثل كتابه الاول فلام القرشي فلما كان في الثالثة ظن ابن الزبير وعلم بذلك المختار وكان ابن الزبير قد حبس محمد بن الحنفية مع خمسة عشر رجلا من بني هاشم فقال اتبايعون أولا لم قتلكم فأبوا بيعته وكان السجن الذي حبسهم فيه يُدعى سجن عارم فني ذلك يقول كُثيّر

تخبّر من لاقيت انك عائد * بل العائذ المظلوم في سجن عارم

ومن بالّ هذا الشيخ بالخيف من منى * من الناس يعلم أنه غير ظالم

سمي النبي المصطفى وابن عمه * وفكاك أغلال وقاضي مغارم

وكان عبد الله بن الزبير يدعى العائذ لانه عاذ بالبيت فني ذلك يقول ابن الرُقيّات يذكر مُصعبا

بلدٌ تأمن الحمامة فيه * حيث عاذ الخليفة المظلوم

وكان عبد الله يدعى المُحِل لاحلاله القتال في الحرم وفي ذلك يقول رجل في رَملة بنت الزُبير

ألا من لقلب معنّى غزل * بذكر المُحِلة أخت المُحِل

وكان عبد الله بن الزبير يُظهر البغض لابن الحنفية الى بغض أهله وكان يحسده على أيده ويقال ان عليا استطال درعا فقال لِيُنقص منها كذا وكذا حلقة فقبض محمد بن الحنفية باحدى يديه على ذيلها وبالاخرى على فضلها ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي حده أبوه فكان ابن الزبير اذا حُدّث بهذا الحديث غضب واعتراه أفكل فلما رأى المختار أن ابن الزبير قد فطن لما أراد كتب اليه من المختار بن أبي عبيد الثقفي خليفة الوصي محمد بن علي أمير المؤمنين الى عبد الله بن أسماء ثم ملأ الكتاب بسبه وسب أبيه وكان قبل ذلك في وقت اظهاره طاعة ابن الزبير يدسّ الى الشيعة ويُعلمهم مُوالاته اياهم ويخبرهم أنه على رأيهم وحَدْ مذاهبهم وأنه سيظهر ذلك عما قليل ثم وجّه جماعة تسير الليل وتكمن النهار حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بني هاشم ثم ساروا بهم الى مأمنهم وكان من عجائب المختار أنه كتب الى ابراهيم بن مالك الاشتر يسأله

الخروج

الجوار وتداني الدار فنها ما أضافوه الى أنفسهم منها ما حولوه الى ملتهم لما كان من مشهور نبيهم ومعروف حكمهم انهم حين لم يقدروا على تغيير أسمائها زعموا ان ليونانيين قبيل من نمائل الروم ففخروا بأديانهم على اليهود واستطالوا بها على العرب وبذخوا بها على الهند حتى زعموا أن حكماءنا اتباع حكمائهم وان فلاسفتنا احتذوا على مثالهم فهذا هو دينهم هذا ودينهم رحمك الله يضاهي الزندقة ويناسب في بعض وجوهه قول الدهرية وهم من أسباب كل حيرة وشبهة والدليل على ذلك انا لم نر اهل مكة فقط أكثر زندقة من النصارى ولا أكثر متحيزا أو متزندحا منهم وكذلك شأن

الجوار وتدانى الدار فمنها ما أضافوه الى أنفسهم ومنها ما حولوه الى ملتهم الا ما كان من مشهور كتبهم ومعروف حكمهم فانهم حين لم يقدروا على تغيير أسمائها زعموا ان اليونانيين قبيل من قبائل الروم ففخروا بأديانهم على اليهود واستطالوا بها على العرب وبذخوا بها على الهند حتى زعموا أن حكماءنا اتباع حكمائهم وان فلاسفتنا احتذوا على مثالهم فهذا هو دينهم هذا ودينهم رحمك الله يضاهي الزندقة ويناسب في بعض وجوهه قول الدهرية وهم من أسباب كل حيرة وشبهة والدليل على ذلك انا لم نر اهل مكة قط أكثر زندقة من النصارى ولا أكثر متميزا أو متزنجا منهم وكذلك شأن

جماعة من أهلها اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا أين تريد والله لئن دخلت الكوفة ليقتلنك المختار فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير ان صاحبك جاءنا فلما قارب النار رجع فما أدري ما الذي رده فغضب ابن الزبير على القرشي وعجزه وردده الى الكوفة فلما شارفها قال المختار اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا انه والله قاتلك فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير بمثل كتابه الاول فلما كان في الثالثة ظن ابن الزبير وعلم بذلك المختار وكان ابن الزبير قد حبس محمد بن الحنفية مع خمسة عشر رجلا من بني هاشم فقال لتبايعني أولاحرقنكم فأبوا بيعته وكان السجن الذي حبسهم فيه يدعى سجن عارم ففي ذلك يقول كثير

تخبر من لاقيت انك عائد * بل العائذ المظلوم في سجن عارم

ومن باتق هذا الشيخ بالخيف من منى * من الناس يعلم أنه غير ظالم

سمي النبي المصطفى وابن عمه * وفكاك أغلال وقاضي مغارم

وكان عبد الله بن الزبير يدعى العائذ لانه عاذ بالبيت ففي ذلك يقول ابن الرقيات يذكر مصعبا

بلد تأمن الحمامة فيه * حيث عاذ الخليفة المظلوم

وكان عبد الله يدعى المحل لاحلاله القتال في الحرم وفي ذلك يقول رجل في رملة بنت الزبير

ألا من لقلب معنى غزل * بذكر المحلة أخت المحل

وكان عبد الله بن الزبير يظهر البغض لابن الحنفية الى بغض أهله وكان يحسده على أيده ويقال ان عليا استطال درعا فقال ليقتص منها كذا وكذا حلقة فقبض محمد بن الحنفية باحدى يديه على ذيلها وبالاخرى على فضلها ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي حده أبوه فكان ابن الزبير اذا حدث بهذا الحديث غضب واعتراه أفكل فلما رأى المختار أن ابن الزبير قد فطن لما أراد كتب اليه من المختار بن أبي عبيد الثقفي خليفة الوصي محمد بن علي أمير المؤمنين الى عبد الله بن أسماء ثم ملأ الكتاب بسبه وسب أبيه وكان قبل ذلك في وقت اظهاره طاعة ابن الزبير يدس الى الشيعة ويعلمهم موالاته اياهم ويخبرهم أنه على رأيهم ويحمد مذاهبهم وأنه سيظهر ذلك لهم قليل ثم وجه جماعة تسير الليل وتكمن النهار حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بني هاشم ثم ساروا بهم الى مأمنهم وكان من عجائب المختار أنه كتب الى ابراهيم بن مالك الاشتر يسأله

الخروج الى الطلب بدم الحسين بن على رضى الله عنهما فأبى عليه ابراهيم الا أن يستأذن محمد بن على بن أبى طالب فكتب اليه يستأذنه فعلم محمد أن المختار لا عقد له فكتب محمد الى ابراهيم بن الاشتر انه ما يسوءنى أن يأخذ الله بحقنا على يدى من يشاء من خلقه فخرج معه ابراهيم بن الاشتر فتوجه نحو عبيد الله بن زياد وخرج يشيعه ماشيا فقال له ابراهيم اركب يا أبا اسحق فقال انى أحب أن تغبر قدماى فى نصرة آل محمد صلى الله عليه وسلم فشيعه فرسخين ودفع الى قوم من خاصته حماما بيضا ضخاما وقال ان رأيتم الامر لنا فادعوها وان رأيتم الامر علينا فارسلوها وقال للناس ان استقمتم فبنصر الله وان حضتم حيصة فانى أجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب ان الله مؤيدكم بملائكة غضاب تأتى فى صور الحمام دون السحاب فلما صار ابن الاشتر بخازر وبها عبيد الله بن زياد قال من صاحب الجيش قيل له ابن الاشتر قال أليس الغلام الذى كان يطير الحمام بالكوفة قالوا بلى قال ليس بشئ وعلى ميمنة ابن زياد حضين بن غير السكونى من كندة ويقال السكونى والسكونى والسدوسى والسدوسى كذا كان أبو عبيدة يقول (قال أبو الحسن السكونى أكثر) وعلى ميسرته عمير بن الحباب فارس الاسلام فقال حضين بن غير لابن زياد ان عمير بن الحباب غير ناس قتلى المرج وانى لا أنفك لك به فقال ابن زياد أنت لى عدو قال حضين ستعلم قال ابن الحباب فلما كان فى الليلة التى نريد أن نواقع ابن الاشتر فى صبيحتها خرجت اليه وكان لى صديقا ومعى رجل من قومى فصرت الى عسكره فرأيته وعليه قميص هروى وملاءة وهو متقنع السيف يحوس عسكره فيأمر فيه وينهى فالتزمته من ورائه فوالله ما التفت الى ولكن قال من هذا فقلت عمير بن الحباب فقال مرحبا بأبى المغلس كن بهذا الموضع حتى أعود اليك فقلت لصاحبى أرأيت أشجع من هذا قط يحتضنه رجل من عسكر عدوه ولا يدرى من هو فلا يلتفت اليه ثم عاد الى وهو فى أربعة آلاف فقال ما الخبر فقلت القوم كثير والرأى أن تناجزهم فانه لا صبر بهذه العصابة القليلة على مطاولة هذا الجمع الكثير فقال نصيح ان شاء الله ثم نحاكمهم الى ظبات السيوف وأطراف العنا فقلت انا منخزل عنك بثلث الناس غدا فلما التقوا كانت على أصحاب ابراهيم فى أول النهار فأرسل أصحاب المختار الطير فتصايح الناس الملائكة فتراجعوا وتكمس عمير بن الحباب رايته ونادى بالثارات المرج وانحاز بالميسرة كلها وفيها قيس فلم يعصوه وافتتل

كل من نظر فى الأمور الغامضة بالعقول الضعيفة ألا ترى ان أكثر من قتل فى الزندقة ممن كان ينتحل الاسلام ويظهره هم الذين آباؤهم وأمهاتهم نصارى على انك لو عددت اليوم أهل الظنة ومواضع التهمة لم تجد أكثرهم الا كذلك وبما عظمهم فى قلوب العوام وحببهم الى الطغام أن منهم كتاب السلاطين وفراشى الملوك واطباء الاشراف والعطارين والصيارفة ولا تجد اليهودى الا صباغا أو دباغا أو حجاما أو قصابا أو شعابا فلما رأت العوام اليهود والنصارى كذلك توهمت أن دين اليهود فى الأديان كصناعتهم فى الصناعات وان كفرهم أقذر الكفر اذ كانوا هم أقذر الأمم وانما صارت النصارى أقل مساخة من اليهود على شدة مساخة النصارى لان الاسرائيلى لا يزوج الا الاسرائيلى وكل مناكحهم مردودة فيهم

الناس حتى اختلط الظلام وأسرع القتل فى أصحاب عبيد الله بن زياد ثم انكشفوا ووُضع السيف فيهم حتى أُفنُوا فقال ابن الاشتر لقد ضربتُ رجلا على شاطئ هذا النهر فرجع الى سيفى ومنه رائحةُ المسك ورأيتُ أقداما وجُرْأة فصرعته فذهبت يداه قِبَلَ المشرق ورجلاه قِبَلَ المغرب فانظروه فأتوه بالنيران فاذا هو عبيد الله بن زياد وقد كان عند المختار كرسىٌّ قديمُ العهد فغشّاه بالديباج وقال هذا الكرسى من ذخائر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فضعوه فى بَرَاكاء الحرب وقاتلوا عليه فان محله فيكم محلُّ السكينة فى بنى اسرائيل ويقال انه اشترى ذلك الكرسى بدرهمين من نجار وقوله فى براكاء القتال يقال بَرَاكاء وبَرَكاء وهو موضع اضطدام القوم قال الشاعر

وليس بمُنقذٍ لك منه الا * بَرَاكاءُ القتال أو الفرارُ

ومقصورة عليهم وكانت الغرائب لانشوزهم وفولة الاجناس لاتضرب ولا تضرب فيهم لم يفيئوا فى عقل ولا أمر ولا ملح وانك لتعرف ذلك فى الخيل والابل والحمير والحمام ونحن رحمك الله تعالى لم نخالف العوام فى كثرة أموال النصارى وأن فيهم ملكا فنمارأن ما هم أنظف وأن صناعتهم أحسن وانما خالفنا فى فرق ما بين الكفرين والفرقتين فى شدة المعاندة واللجاجة والارصاد لأهل الاسلام بكل مكيدة مع لؤم الأصول وخبث الاعراق فأما الملك والصناعة والهيئة فقد علمنا أنهم اتخذوا البرازين الشهرية والخيل العتاق واتخذوا الجوقات وضربوا بالصوالجة وتحدقوا المدنى ولبسوا الملحم والمطبقة واتخذوا الشاكرية وتسموا بالحسن والحسين والعباس والفضل وعلى واكتنوا بذلك أجمع ولم

﴿ هذا باب اللام التى للاستغاثة والتى للاضافة ﴾

اذا استغثت بواحد أو بجماعة فاللام مفتوحة تقول يا لَلرِّجال ويا لَلقوم ويا لَزيد اذا كنت تدعوهم وانما فتحتها التفصيل بين المدعو والمدعو له ووجب أن تفتحها لان أصل اللام الخافضة انما كان الفتح فَكُسِرَتْ مع المُظْهَر ليُفَصَّلَ بينها وبين لام التوكيد تقول ان هذا لَزَيْدٌ اذا أردت ان هذا بزيد وتقول انَّ هذا لِزيد اذا أردت انه فى ملكه ولو فتحت لالْتَبَسَتْ فان وقعت اللام على مضمر فتحتها على أصلها فقلت ان هذا لَكَ وان هذا لَأَنْتَ اذا أردت لام التوكيد لانه ليس ههنا لَبْسٌ وذلك أن الاسماء المضمرة على غير لفظ المظهرة فلهذا أجريتها على الاصل والاستغاثة تَرُدُّها الى أصلها من أجل اللبس والمدعُوّ له فى بابه فاللام معه مكسورة تقول يا لَلرِّجال لِلماء ويا لَلرجال لِلعَجَب ويا لَزيد لِلخَطْب الجليل قال الشاعر

يا لَلرجال ليوم الأربعاء أما * يَنْفَكُّ يَبْعَثُ لى بعد النُّهى طَرَبا

وقال آخر

تَكَنَّفنى الوُشاةُ فأزعجونى * فيا لَلناس للواشى المُطاع

وفى الحديث لما طُعِنَ العِلْجُ أو العبدُ عمرَ بن الخطاب رضوان الله عليه صاح يا لَلمسلمين وتقول يا لَلعَجَب اذا كنت تدعو اليه ويا لَلغَيْرة العَجَب كأنك قلت يا لَلناس للعجب ويُنْشَدُ هذا البيتُ

يا لَعنةُ الله والاقوام كلِّهم * والصالحين على سِمْعانَ من جار

فيا لَلغيرة اللعنة كأنه قال يا قوم لعنةُ الله والاقوام كلِّهم وزعم سيبويه أن هذه اللام التى للاستغاثة

دليلٌ بمنزلة الالف التي تُبيَّنُ بالهاء في الوقف اذا أردتَ أن تُسمِعَ بعيدا فانما هي للاستغاثة بمنزلة هذه اللام وذلك قولك ياقومَاه على غير النُدبة ولكن للاستغاثة ومدّ الصوت والقولُ كما قال محلُّهما عند العرب محلٌّ واحد فان وصلتَ حذفتَ الهاء لانها زيدت في الوقف لخفاء الالف كما تُزاد لبيان الحركة فاذا وصلتَ أغنَى ما بعدها عنها تقول ياقومَا تعالَوا ويازيدَ الا تفعل ولا يجوز أن تقول يازَيدُ وهو مقبلٌ عليه وكذلك لا يجوز أن تقول يازيداه وهو معك انما يقال ذلك للبعيد أو يُنبَّه به النائم فان قلت يازَيدٍ ولعمرٍ وكسرتَ اللام في عمرو وهو مَدْعُوٌّ لانك انما فتحتَ اللام في زيد لتفصل بين المدعوّ والمدعوّ اليه فلما عطفتَ على زيد استغنيت عن الفصل لانك اذا عطفتَ عليه شيأ صار في مثل حاله ونظيرُ ذلك الحكايةُ يقول الرجل رأيتُ زيداً فتقول مَنْ زيدًا وانما حكيتَ قوله ليَعْلَمَ أنك انما تستفهمُه عن الذي ذَكَرَ بعينه ولا تسأله عن زيد غيره والموضع موضع رفع لانه ابتداء وخبر فان قلت ومَنْ زيدٌ أوفن زيدٌ لم يكن الا رفعا لانك عطفتَ على كلامه فاستغنيت عن الحكاية لان العطف لا يكون مستأنفا ونظير هذا الذي ذكرتُ لك في اللام قول الشاعر

يَبْكِيكَ ناءٍ بعيدُ الدارِ مُغْتَرِبٌ * يالَلْكُهولِ ولِلشُّبَّانِ لِلعَجَبِ

فقد أحكمتُ لك كلَّ ما في هذا الباب ۞ ثم نعود الى ذكر الخوارج قال وذُكِرَ لعُبَيْدِ الله بن زياد رجل من بني سَدوس يقال له خالدُ بن عَبَّادٍ أو ابن عُبادة وكان من نُسَّاكهم فوَجَّهَ اليه فأخذه فأتاه رجل من آل ثَوْرٍ فكذَّبَ عنه وقال هو صِهْرِي وهو في ضِمْنِي فخلَّى عنه فلم يزل الرجل يتفقَّده حتى تغيَّب فأتى ابن زياد فأخبره فبعث الى خالد بن عباد فأخذ فقال عبيد الله بن زياد أين كنتَ في غيبتك هذه قال كنت عند قوم يذكرون الله ويذكرون أئمة الجَوْر فيتبرؤن منهم قال دُلِّي عليهم قال اذن يَسْعَدوا وتشقى ولم أكن لأروِّعهم قال فما تقول في أبي بكر وعمر قال خيرا قال فما تقول في أمير المؤمنين عثمان أتتولاه وأمير المؤمنين معاوية قال ان كانا ولِيَّيْنِ لله فلستُ أعاديهما ما أراغَهُ مرات فلم يرجع فعزم على قتله فأمر باخراجه الى رَحَبة تعرف برحبة الزَيْتِي فجعل الشُرَط يَتفادَوْنَ من قتله ويروغون عنه توقِّيا لانه كان شاسفا عليه أثر العبادة حتى أتى المُسْتَلِمُ بن مَسْروح الباهليُّ وكان من الشُرَط فتقدم فقتله فائتمَرَ به الخوارجُ ليقتلوه وكان مُغرَما باللقاح يتتبعها فيشتريها من مَظانِّها وهم في تفقُّده فدَسُّوا اليه رجلا في هيئة الغِتْيان عليه رَدْعُ

يبقى الا أن يتسموا بمحمد ويُكنّوا بأبي القاسم فرغب اليهم المسلمون وتركَ كثيرٌ منهم عقد الزنانير وعقدها آخرون دون نسائهم وامتنع كثير من كبرائهم من اعطاء الجزية وأنفوا مع اقتدارهم من دفعها وسبوا من سبهم وضربوا من ضربهم ومالهم لا يفعلون ذلك وأكثر منه وقضاتنا وعامتهم يرون أن دم الجاثليق والمطران والأسقف وفاء بدم جعفر وعلي والعباس وحمزة ويرون أن النصراني اذا قذف أم النبي صلى الله عليه وسلم بالغواية أنه ليس عليه الا التعزير والتأديب ثم يحتجون أنهم انما قالوا ذلك لان أم النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن مسلمة فسبحان الله العظيم ما أعجب هذا القول وأبين انتشاره ومن حكم النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يساوونا في المجالس ومن قوله وان سبوكم

زعفران فلقيه بالمربد وهو يسأل عن لقحة صفي فقال له الفتى ان كنت تبلغ فعندي ما يغنيك عن غيره فامض معي فمضى المثلم على فرسه والفتى أمامه حتى أتى به بني سعد فدخل دارا وقال له ادخل على فرسك فلما دخل وتوغل في الدار أغلق الباب وثارت به الخوارج فاعتوره حريث بن جعل وكهمس بن طلق الصريمي فقتلاه وجعلا دراهم كانت معه في بطنه ودفناه في ناحية الدار وحكا آثار الدم وخليا فرسه في الليل فأصيب من الغد في المربد وتحسس عنه الباهليون فلم يروا له أثرا فاتهموا به بني سدوس فاستعدوا عليهم السلطان وجعل السدوسيون يحلفون فتحامل ابن زياد مع الباهليين فأخذ من السدوسيين أربع ديات وقال ما أدري ما أصنع بهؤلاء الخوارج كلما أمرت بقتل رجل منهم اغتالوا قاتله فلم يعلم بمكانه حتى خرج مرداس فلما وافقهم ابن زرعة الكلابي صاح بهم حريث بن جعل أههنا من باهلة أحد قالوا نعم قال يا أعداء الله أخذتم بالمثلم أربع ديات وأنا قاتله وجعلت دراهم كانت معه في بطنه وهو في موضع كذا مدفون فلما انهزموا صاروا الى الدار فأصابوا أثلاءه والدراهم ففي ذلك يقول أبو الأسود الدؤلي

آليت لا أغدو الى رب اللقحة * أسأر منه حتى يعود المثلم

ثم خرجت خوارج لا أذكرهم كلهم قتل حتى انتهى الامر الى الأزارقة ومن ههنا افترقت الخوارج فصارت على أربعة أضرب الاباضية وهم أصحاب عبد الله بن اباض والصفرية واختلفوا في تسميتهم فقال قوم سموا بابن صفار وقال آخرون وأكثر المتكلمين عليه هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم ومنهم البيهسية وهم أصحاب أبي بيهس ومنهم الازارقة وهم أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي وكانوا قبل على رأي واحد لا يختلفون الا في الشيء الشاذ من الفروع كما قال مضر بن عروة اني كرهت قتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لسابقته وقرابته فأما الآن فلا يسعني الا الخروج وكان اعتزل عبد الله بن وهب يوم النهر فقصلته الخوارج بامتناعه من قتال علي فكان أول أمرهم الذي نستافه أن جماعة من الخوارج منهم نجدة بن عامر الحنفي عزموا على أن يقصدوا مكة لما توجه مسلم بن عقبة يريد المدينة لوقعة الحرة فقالوا هذا ينصرف عن المدينة الى مكة ويجب علينا أن نمنع حرم الله منه ونغتنم ابن الزبير فان كان على رأينا بايعناه فضوا لذلك فكان أول أمرهم ثم أبا الوازع الراسبي وكان من مجتهدي الخوارج كان يذم نفسه ويلومها على القعود

فاضربوهم وان ضربوكم فاقتلوهم وهم اذا قدروا أم النبي عليه السلام بالفاحشة لم يكن لهم عند أمته الا التعزير والتأديب وزعموا أن افتراءهم على النبي صلى الله عليه وسلم ليس بنكث للعهد ولا بنقض للعقد وقد أمر النبي عليه السلام أن يعطوا الضريبة عن يد مناهالية في قبولنا منهم وعقدنا لذمتهم دون اراقة دمهم وقد حكم الله تعالى عليهم بالذلة والمسكنة وما ينبغي للجاهل أن يعلم أن الائمة الراشدين والسلف المتقدمين لم يشترطوا عند أخذ الجزية وعقد الذمة عدم الافتراء على النبي صلى الله عليه وسلم وأمته الا لأن ذلك عندهم أعظم في العيون وأجل في الصدور من أن يحتاجوا الى تخليده في الكتب والى اظهار ذكره بالشرط وتثبيته بالبينات بل لو فعلوا ذلك لكان فيه الوهن عليهم

وكان شاعرا وكان يفعل ذلك بأصحابه فأتى نافع بن الازرق وهو فى جماعة من أصحابه يصف لهم جور السلطان وكان ذا لسان عضب واحتجاج وصبر على المنازعة فأتاه أبو الوازع فقال يا نافع لقد أعطيت لسانا صارما وقلبا كليلا فلو ددت أن صرامة لسانك كانت لقلبك وكلال قلبك كان لسانك أنحض على الحق وتقعد عنه وتقبح الباطل وتقيم عليه فقال ألى أن تجمع من أصحابك من تنكى به عدوك فقال أبو الوازع

لسانك لا تنكى به القوم انما * تنال بكفيك النجاة من الكرب

فجاهد أناسا حاربوا الله واصطبر * عسى الله أن يخزى غوى بنى حرب

ثم قال والله لا ألومك ونفسى اللوم ولا غدون غدوة لا أثنى بعدها أبدا ثم مضى فاشترى سيفا وأتى صيقلا كان يذم الخوارج ويدل على عوراتهم فشاوره فى السيف فحمده فقال اشحذه فشحذه حتى اذا رضيه حكم ركب به الصيقل وحمل على الناس فهربوا منه حتى أتى مقبرة بنى يشكر فدفع عليه رجل حائط السترة فكره ذلك بنو يشكر خوفا أن تجعل الخوارج قبره مهجرا فلما رأى ذلك نافع وأصحابه جدوا وخرج فى ذلك جماعة فكان ممن خرج عيسى بن فاتك الشاعر الخطى من تيم اللات بن ثعلبة ومقتله بعد خروج الازارقة قضى نافع وأصحابه من الحرورية قبل الاختلاف الى مكة ليمنعوا الحرم من جيش مسلم بن عقبة فلما صاروا الى ابن الزبير عرفوا أنفسهم فأظهر لهم أنه على رأيهم حتى أتاهم مسلم بن عقبة وأهل الشام فدافعوهم الى أن يأتى رأى يزيد بن معاوية ولم يبايعوا ابن الزبير ثم تناظروا فيما بينهم فقالوا ندخل الى هذا الرجل فننظر ما عنده فان قدم أبا بكر وعمر وبرئ من عثمان وعلى وكفر أباه وطلحة بايعناه وان تكن الاخرى ظهر لنا ما عنده فنشاغلنا بما يجدى علينا فدخلوا على ابن الزبير وهو متبذل وأصحابه متفرقون عنه فقالوا انا جئناك لنخبر نار أيك فان كنت على الصواب بايعناك وان كنت على غيره دعوناك الى الحق ما تقول فى الشيخين قال خيرا قالوا فما تقول فى عثمان الذى أحمى الحمى وآوى الطريد وأظهر لاهل مصر شيأ وكتب بخلافه وأوطأ آل أبى معيط رقاب الناس وآثرهم بفئ المسلمين وفى الذى بعده الذى حكم فى دين الله الرجال وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم وفى أبيك وصاحبه وقد بايعا عليا وهو امام عادل مرضى لم يظهر منه كفر ثم نكثا بعرض من أعراض الدنيا وأخرجا عائشة

والمطمعة فيهم ولظنوا أنهم فى القدر الذى يحتاج فيه الى هذا وشبهه وانما يتوانى الناس فى شروطهم ويفسرون فى عهودهم ما يمكن فيه الشبهة أو يقع فيه الغلط أو يعيا عنه الحاكم وبنساء الشاهد ويتعلق به الخصم فاما الواضح الجلى والظاهر الذى لا يخيل غيره فما وجه اشتراطه والتشاغل بذكره وأما ما احتاجوا الى ذكره فى الشروط وكان مما يجوز أن يظهر فى العهد فقد فعلوه وهو كالذلة والصغارة واعطاء الجزية ومقاسمة الكنائس وأن لا يعينوا بعض المسلمين على بعض وأشباه ذلك فأما أن يقولوا لمن هو أذل من الذليل وأقل من القليل وهو الطالب الراغب فى أخذ فديته والانعام عليه بقبض جزيته وحقن دمه نعاهدك على أن لا تفترى على أمة رسول رب العالمين وخاتم النبيين وسيد الأولين

نقاتل وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن في بيوتهن وكان لك في ذلك ما يدعوك الى التوبة فان أنت قلت كما نقول فلك الزلفة عند الله والنصر على أيدينا ونسأل الله لك التوفيق وان أبيت الا نصر رأيك الاول وتصويب أبيك وصاحبه والتحقيق بعثمان والتولي في السنين الست التي أحلت دمه ونقضت أحكامه وأفسدت امامته خذلك الله وانتصر منك بايدينا فقال ابن الزبير ان الله أمر وله العزة والقدرة في مخاطبة أكفر الكافرين وأعتى العتاة بأرأف من هذا القول فقال لموسى ولاخيه صلى الله عليهما في فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذوا الاحياء بسب الموتى فنهى عن سب أبي جهل من أجل عكرمة ابنه وأبو جهل عدو الله وعدو الرسول والمقيم على الشرك والجاد في المحاربة والمتبغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة والمحارب له بعدها وكفى بالشرك ذنبا وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذي سمعتم فيه طلحة وأبي أن تقولوا أتبرأ من الظالمين فان كانا منهم دخلا في غمار الناس وان لم يكونا منهم لم تحفظوني بسب أبي وصاحبه وأنتم تعلمون أن الله جل وعز قال للمؤمن في أبويه وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا وقال جل ثناؤه وقولوا للناس حسنا وهذا الذي دعوتم اليه أمر له ما بعده وليس يقنعكم آية التوقيف والتصريح ولعمري ان ذلك لاحرى بقطع الحجج وأوضح لمنهاج الحق وأولى بأن يعرف كل صاحبه من عدوه فروحوا الى من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه ان شاء الله فلما كان العشي راحوا اليه فخرج اليهم وقد لبس سلاحه فلما رأى ذلك نجذة قال هذا خروج منابذ لكم فجلس على رفع من الارض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر ثم ذكر عثمان في السنين الاوائل من خلافته ثم وصلهن بالسنين التي أنكر واسيرته فيها فجعلها كالماضية وخبر أنه آوى الحكم بن أبي العاص باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح وأن القوم استعتبوه من أمور وكان له ان يفعلها أولا مصيبا ثم أعتبهم بعد محسنا وان أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا انه منه بعد أن ضمن لهم العتبى ثم كتب لهم ذلك الكتاب بقتلهم فدفعوا الكتاب اليه فحلف أنه لم يكتبه ولم يأمر به وقد أمر بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته مع ما اجتمع له من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه من الامامة

والآخرين فهذا ما لا يجوز في تدبير أوساط الناس فكيف بالجلة والعلية وائمة الخليقة ومصابيح الدجى ومنار الهدى مع انفة العرب وشأو السلطان وغلبة الدولة وعز الاسلام وظهور الحجة والوعد بالنصرة على أن هذه الأمة لم تبتل باليهود ولا المجوس ولا الصابئين كما ابتلت بالنصارى وذلك أنهم يتبعون المتناقض من أحاديثنا والضعيف بالاسناد من روايتنا والمشابه من آي كتابنا ثم يخلون بضعفائنا ويسألون عنها عوامنا مع ما قد يعلمون من مسائل الملحدين والزنادقة الملاعين وحتى مع ذلك ربما تبرؤا الى علمائنا وأهل الاقدار منا ويشغبون على القوي ويلبسون على الضعيف ومن البلاء ان كل انسان من المسلمين يرى أنه متكلم وأنه ليس أحد أحق بحاجة الملحدين من أحد وبعد فلولا متكلموا

وان بيعة الرضوان تحت الشجرة انما كانت بسببه وعثمان الرجل الذى لزمته يمين لو حلف عليها لحلف على حق فافتداها بمائة ألف ولم يحلف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ حَلَفَ بالله فَلْيَصْدُقْ وَمَنْ حُلِفَ له بالله فَلْيَرْضَ فعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه وأنا ولىُّ وليه وعدوُّ عدوه وأبى وصاحبيه صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يقول عن الله تعالى يوم أُحُد لما قطعت اصبع طلحة سبقته الى الجنة وقال أوجب طلحة وكان الصديق اذا ذكر يوم أُحُد قال ذاك يوم كله أوجُلُّه لطلحة والزبير حواريّ رسول الله وصفوته وقد ذكرتهما فى الجنة وقال جل وعز لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وما أخبرنا بعد أنه سخط عليهم فان يكن ما سقطوا فيه حقا فأهل ذلك هم وان يكن زلة ففى عفو الله تمحيصها وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم صلى الله عليه وسلم ومهما ذكروهما به فقد بدأتم بأمكم عائشة رضى الله عنها فان أبى آب أن تكون له أُمّا نبذ اسم الايمان عنه قال الله جل ذكره وقوله الحق النبىُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم فنظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا عنه وكان سبب وضع الحرب بين ابن الزبير وبين أهل الشام بعد ان كان حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ قد حصر ابن الزبير انه أتاهم موت يزيد بن معاوية فتوادع الناس وكان أهل الشام ضجروا من المُقام على ابن الزبير وحنقت الخوارج فى قتالهم ففى ذلك يقول رجل من قُضاعة

ياصاحبىَّ ارْتَحِلا ثم امْلُسا * لا تحبسا لدى الحُصَيْنِ محبسا * انّ لدى الاركان ناسا بُؤسا

(قال الاخفش حفظى بأسا أبؤسا)

وبارقات يختلسن الانفسا * اذا الفتى حَكَّ يوما كَلَّسا

قوله ثم املسا يريد تخلصا تخلصا سهلا وكلس أى جد وجد ولما سمع ابن الزبير الخوارج فى القول وأظهر انه منهم قال رجل يقال له قَيْسُ بن هَمّام من رهط الفرزدق

يا ابن الزبير أتهوى عُصْبةً قتلوا * ظلما أباك ولما تُنْزَعِ الشَّكَكُ

ضَمُّوا بعثمان يوم النحر ضاحيةً * ما أعظم الحرمة العُظمى التى انتهكوا

فقال ابن الزبير لو شاء يعنى النُّزْلُ والديلم على قتال أهل الشام لشايعنها الشكك جمع شكّة وهى السلاح قال الشاعر

ومُدَجَّجٍ يسعى بشكّته * مُحْمَرَّةٍ عيناه كالكلب

النصارى واطباؤهم ومنجموهم ماصار الى أغنيائنا وظرفائنا ومجاننا وأخذ انا شيئ من كتب المنانية والديصانية والمرقوبية والفلانية ولما عرفوا غير كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولكانت تلك الكتب مستورة عند أهلها ومحلاة فى أيدى ورثتها فكل مضنة عن رأيناها فى احداثنا وأغبيائنا فمن قبلهم كان أولها وأنت اذا سمعت كلامهم فى العفو والصفح وذكرهم للسياحة وزراياتهم على كل من أكل اللحمان ورغبتهم فى أكل الحبوب وتركّ الحيوان وزجرهم فى النكاح وتركهم لطلب الولد ومديحهم للجائليق والمطران والاسقف والرهبان بترك النكاح وطلب النسل وتعظيمهم الرؤساء علمت أن بين دينهم وبين الزندقة نسبا وأنهم يحنون الى ذلك المذهب والعجب ان كل جائليق لا ينكح ولا

فتفرقت الخوارج عن ابن الزبير لما تولى عثمان فصارت طائفة الى البصرة وطائفة الى اليمامة وكان رجاء النميرى هو الذى كان جمعهم للمدافعة عن الحرم فكان فيمن صار الى البصرة نافع بن الازرق الحنفى وبنوا لما حوزا السليطيون ورئيسهم حسان بن بحزج فلما صاروا الى البصرة نظروا فى أمورهم فأمّروا عليهم نافعا ويروى أن أبا الجلد اليشكرى قال لنافع يوما يا نافع ان لجهنم سبعة أبواب وان أشدها حرا الباب الذى أعدّ للخوارج فان قدرت أن لا تكون منهم ففعل فأجمع القوم على الخروج فمضى بهم نافع الى الاهواز فى سنة أربع وستين فأقاموا بها لا يهيجون أحدا ولا يناظرهم الناس وكان سبب خروجهم الى الاهواز أنه لما مات يزيد بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد وكان فى السجن يومئذ أربعمائة رجل من الخوارج وضعف أمر ابن زياد فكلّم فيهم فأطلقهم فأفسدوا البيعة عليه وفشوا فى الناس يدعون الى محاربة السلطان ويظهرون ما هم عليه حتى اضطرب على عبيد الله أمره فتحول عن دار الامارة الى الازد ونشأت الحرب بسببه بين الازد وربيعة وبين بنى تميم فاعتزلهم الخوارج الا نفرا منهم من بنى تميم معهم عبس بن طلق الضبعى أخو كهمس فانهم أقاموا قومهم فكان عبس الطعان فى سعد والرباب فى القلب بحذاء الازد وكان حارثة بن بدر اليربوعى فى حنظلة بحذاء بكر بن وائل وفى ذلك يقول حارثة بن بدر للاحنف وهو صخر بن قيس

سيكفيك عبس أخو كهمس * مواقفة الازد بالمربد

وتكفيك عمرو على رسلها * لكيز بن أقصى وما عدّدوا

لكيز هو عبد القيس وتكفيك بكرا اذا أقبلت * بضرب يشيب له الامرد

فلما قتل مسعود بن عمرو المعنى وتكاف الناس أقام نافع بن الازرق عوضه بالاهواز ولم يعد الى البصرة وطردوا عمال السلطان عنها وجبوا الفىء ولم يزالوا على رأى واحد يتولون أهل النهروان ومرداسا ومن خرج معه حتى جاء مولى لبنى هاشم الى نافع فقال له ان أطفال المشركين فى النار وان من خالفنا مشرك فدماء هؤلاء الاطفال لنا حلال قال له نافع كفرت وأذللت بنفسك قال له ان لم آت بهذا من كتاب الله فاقتلنى قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فهذا أمر الكافرين وأمر أطفالهم فشهد نافع لهم جميعا فى النار ورأى قتلهم وقال الدار دار كفر الا من أظهر ايمانه ولا يحل أكل ذبائحهم

يطلب الولد وكذلك كل مطران وكل أسقف وكذلك كل أصحاب الصوامع من البعقوبية والملكيين فى الديورات والبيوت من النسطورية وكل راهب فى الارض وراهبة مع كثرة الرهبان والرواهب ومع تشبههم أكثر القسيسين بهم فى ذلك ومع ما فيهم من كثرة الغزاة وما يكون فيهم مما يكون فى الناس من المرأة العاقر والرجل العقيم على أن من تزوج منهم امرأة لم يقدر على الاستبدال بها ولا على أن يتزوج أخرى معها ولا على التسرى عليها وهم مع هذا قد طبقوا الأرض وملؤا الآفاق وغلبوا الأمم بالعدد وبكثرة الولد وذلك مما زاد فى مصائبنا وعظمت به محنتنا ومما زاد فيهم وأنمى عددهم أنهم يأخذون من سائر الأمم ولا يعطونهم لان كل دين جاء بعدد أخذ منه الكثير وأعطاه القليل

ولا تناكحهم ولا توارثهم ومتى جاء منهم جاء فعلينا أن نمحنه وهم كفار العرب لا نقبل منهم الا الاسلام أو السيف والقعود عن غزلتهم والتقية لا تحل فان الله تعالى يقول اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقال عز وجل فمن كان على خلافهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فنفر جماعة من الخوارج عنه منهم نجدة بن عامر واحتج عليه بقول الله عز وجل الا أن تتقوا منهم تقاة وبقوله عز وجل وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه فالقعود منا والجهاد اذا أمكن أفضل لقوله جل وعز وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ثم مضى نجدة بأصحابه الى اليمامة وتفرقوا في البلدان فلما تتابع نافع في رأيه وخالف أصحابه وكان أبو طالوت سالم بن مطر بالحضارم في جماعة قد بايعوه فلما انخزل نجدة خلعوا أبا طالوت وصاروا الى نجدة فبايعوه وانى نجدة وأصحابه قوما من الخوارج بالعرمة والعرمة كالسكر وجمعها عرم وفي القرآن المجيد فأرسلنا عليهم سيل العرم وقال النابغة الجعدي

من سبأ الحاضرين مأرب اذ * يبنون من دونه العرما

فقال لهم أصحاب نجدة ان نافعا قد كفر القعود ورأى الاستعراض وقتل الاطفال فانصرفوا مع نجدة فلما صار باليمامة كتب الى نافع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان عهدي بك وأنت للبقيم كالاب الرحيم وللضعيف كالاخ البر لا تأخذك في الله لومة لائم ولا ترى معونة ظالم كذلك كنت أنت وأصحابك أما تذكر قولك لولا أني أعلم أن الامام العادل مثل أجر جميع رعيته ما توليت أمر رجلين من المسلمين فلما اشتريت نفسك في طاعة ربك ابتغاء رضوانه وأصبت من الحق فصه وركبت مرة تجرد ذلك الشيطان ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك فاستمالك واستهواك واستغواك وأغواك فغويت فأكفرت الذين عذرهم الله في كتابه من قعد المسلمين وضعفتهم فقال جل ثناؤه وقوله الحق ووعده الصدق ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ثم سماهم أحسن الاسماء فقال ما على المحسنين من سبيل ثم استحللت قتل الاطفال وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم وقال الله عز ذكره ولا تزر وازرة وزر أخرى وقال في القعد خيرا وفضل الله من جاهد عليهم ولا يدفع منزلة أكفر الناس عملا منزلة من هو دونه أوما سمعت قوله عز وجل لا يستوي القاعدون من المؤمنين

(فصل منه) ومما يدل على قلة رحمتهم وفساد قلوبهم انهم أصحاب الخصاء من بين جميع الأمم والخصاء أشد المثلة وأعظم ما ركبه انسان ثم يفعلون ذلك باطفال لا ذنب لهم ولا دفع عندهم ولا نعرف قوما يعرفون بخصا الناس حيث ما كانوا الا ببلاد الروم والحبشة وهم في غيرهما قليل وأقل قليل على أنهم لم يتعلموا الا منهم ولا كان السبب في ذلك غيرهم ثم خصوا أبناءهم وأسلموهم في بيعهم وليس الخصا الا في دين الصابئين فان العابد ربما خصا نفسه ولا يفعل خصاء ابنه فلو تمت ارادتهم في خصا أولادهم في ترك النكاح وطلب النسل كما حكيت لك قبل هذا لانقطع النسل وذهب الدين وفتن الخلق والنصراني وان كان أنظف ثوبا وأحسن صناعة وأقل مساخة فان باطنه ألأم وأقذر

غيرُ أولى الضَّرر فجعلهم الله من المؤمنين وفضَّل عليهم المجاهدين بأموالهم ورأيت ألا تُؤدِّيَ الامانة الى مَنْ خالفك والله يأمر أن تُؤدَّى الاماناتُ الى أهلها فاتَّقِ الله وانظر لنفسك واتق يوما لا يَجزي والدٌ عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن والده شيأ فان الله عز ذكره بالمرصاد وحُكمُه العدلُ وقوله الفصل والسلام فكتب اليه نافع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أتاني كتابك تَعظُني فيه وتُذكِّرني وتنصح لي وتزجرني وتصف ما كنتُ عليه من الحق وما كنتُ أوثره من الصواب وأنا أسأل الله جل وعز أن يجعلني من الذين يستمعون القولَ فيتبعون أحسنَه وعِبتَ عليَّ ما دنتُ به من اكفار القَعَدة وقتل الاطفال واستحلال الامانة فسأفسر لك ذلك ان شاء الله أما هؤلاء القعدُ فليسوا كمن ذكرتَ ممن كان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون الى الهرب سبيلا ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقا وهؤلاء قد فقهوا في الدين وقرؤا القرآن والطريق لهم نهجٌ واضح وقد عرفت ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم اذ قالوا كنا مستضعفين في الأرض فقيل لهم ألم تكن أرضُ الله واسعةً فتهاجروا فيها وقال فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقال وجاء المُعذِّرون من الأعراب ليؤذن لهم فعذَّر بتعذيرهم وأنهم كذبوا الله ورسولَه وقال سيصيب الذين كفروا منهم عذابٌ أليم فانظر الى أسمائهم وسِماتهم وأما أمر الاطفال فان نبيَّ الله نوحا عليه السلام كان أعلمَ بالله يا نَجْدةُ مني ومنك فقال ربِّ لا تَذَرْ على الأرض من الكافرين دَيَّارا انك ان تَذَرْهم يُضِلُّوا عبادك ولا يلدُوا الا فاجرا كفَّارا فسماهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يولَدوا فكيف كان ذلك في قوم نوح ولا تكون نقوله في قومنا والله يقول أكفَّارُكم خيرٌ من أولئكم أم لكم براءةٌ في الزُّبُر وهؤلاء يشترى العبد لا تقبل منهم جزية وليس بيننا وبينهم الا السيفُ أو الاسلامُ وأما استحلال أمانات من خالفنا فان الله عز وجل أحلَّ لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم فدماؤهم حلال طلقٌ وأموالهم في المسلمين فاتَّقِ الله وراجِعْ نفسك فانه لا عذر لك الا بالتوبة ولن يَسَعَك خذلاننا والقعود عنا وتركُ ما نهجناه لك من طريقتنا ومقالتنا والسلام على مَنْ أقرَّ بالحق وعمل به وكتب نافع الى عبد الله بن الزبير يدعوه الى أمره أما بعد فاني أُحذِّرك من الله يوما تَجِدُ كلُّ نفس ما عملت من خير مُحضَرا وما عملت من سوء تَوَدُّ لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه فاتق الله ربك ولا تتولَّ الظالمين فان الله يقول لا يتخذ

وأصح لانه أقلف ولا يغتسل من الجنابة ويأكل لحم الخنزير وامر أنه جنب لا تطهر من الحيض ولا من النفاس ويغشاها في الطمث وهي مع ذلك غير مختونة وهم مع شرار طبائعهم وغلبة شهواتهم ليس في دينهم مزاجر كنار الأبد في الآخرة وكالحدود والقود والقصاص في الدنيا فكيف يجانب ما يفسده ويؤثر ما يصلحه من كانت حاله كذلك وهل يصلح الدنيا من هو كما قلنا وهل يهيج على الفساد الا من وصفنا ولو جهدت بكل جهدك وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم في المسيح لما قدرت عليه حتى تعرف به حد النصرانية وخاصة قولهم في الالهية وكيف تقدر على ذلك وأنت لو خلوت ونصرانى نسطورى فسألته عن قولهم في المسيح لقال قولا ثم ان خلوت بأخيه لأمه وأبيه وهو نسطورى مثله فسألته عن قولهم في المسيح

المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء وقد حضرت عثمان يوم قتل فلعمري لئن كان قتل مظلوما لقد كفر قاتلوه وخاذلوه ولئن كان قاتلوه مهتدين وانهم لمهتدون لقد كفر من يتولاه وينصره ويعضده ولقد علمت أن أبا بكر وطلحة وعليا كانوا أشد الناس عليه وكانوا في أمره من بين قاتل وخاذل وأنت تتولى أبا بكر وطلحة وعثمان وكيف ولاية قاتل متعمد ومقتول في دين واحد ولقد ملك علي بعده فنفى الشبهات وأقام الحدود وأجرى الاحكام مجاريها وأعطى الامور حقائقها فيما عليه وله فبايعه أبو بكر وطلحة ثم خلعاه ظالمين له وان القول فيه وفيهما لكما قال ابن عباس ان يكن علي في وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان مؤمنا أما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل ولئن كان كافرا كما زعمتم وفي الحكم جائرا لقد بؤتم بغضب من الله لفراركم من الزحف ولقد كنت له عدوا وليسيرته عائبا فكيف تولييته بعد موته فاتق الله فانه يقول ومن يتولهم منكم فانه منهم وكتب نافع الى من بالبصرة من المحكمة بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون والله انكم لتعلمون أن الشريعة واحدة والدين واحد وفيم المقام بين أظهر الكفار ترون الظلم ليلا ونهارا وقد نذبكم نحوه الى الجهاد فقال وقاتلوا المشركين كافة ولم يجعل لكم في التخلف عذرا في حال من الحال فقال انفروا خفافا وثقالا وانما عذر الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون ومن كانت اقامته لعلة ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله فلا تغتروا ولا تطمئنوا الى الدنيا فانها غرارة مكارة لذاتها نافدة ونعيمها بائدة حفت بالشهوات اغترارا وأظهرت حيرة وأضمرت عبرة فليس آكل منها أكلة تسره ولا شارب شربة تنوقه الا دنا بها درجة الى أجله وتباعد بها مسافة من أمله وانما جعلها الله دار المن تزود منها الى النعيم المقيم والعيش السليم فلن يرضى بها حازم دارا ولا حليم بها قرارا فاتقوا الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والسلام على من اتبع الهدى فورد كتابه عليهم وفي القوم يومئذ أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعي وعبد الله بن اباض المري من بني مرة بن عبيد فأقبل أبو بيهس على ابن اباض فقال ان نافعا عللا فكفر وانك قصرت فكفرت تزعم ان من خالفنا ليس بمشرك وانما هم كفار النعم لتمسكهم بالكتاب واقرارهم بالرسول وتزعم أن مناكحهم

لأنا لا نخالف قول أخيه وضده وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان على انهم يزعمون أن الدين لا يخرج في القياس ولا يقوم على السائل ولا يثبت في الامتحان وانما هو بالتسليم لما في الكتب والتقليد للاسلاف ولعمري من كان دينه دينهم لوجب عليه أن يعتذر بمثل عذرهم وزعموا أن كل من اعتقد خلاف النصرانية من المجوس والصابئين والزنادقة فهو معذور مأثوم بتعمد الباطل وريعاند الحق فاذا صاروا الى اليهود قضوا عليهم بالمعاندة وأخرجوهم من طريق الغلط والشبهة

(فصل منه) فأما مسألتهم في كلام عيسى في المهد فهي أن النصارى مع حبهم لتقوية أمره لا يثبتونه وقولهم انا

ومواريثهم والاقامة فيهم حلٌّ طلقٌ وأنا أقول ان أعداءنا كأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم تحل لنا الاقامة فيهم كما فعل المسلمون فى اقامتهم بمكة وأحكام المشركين تجرى فيها وأزعم أن مناكحهم ومواريثهم تجوز لانهم منافقون يظهرون الاسلام وان حكمهم عند الله حكم المشركين فصار وافى هذا الوقت على ثلاثة أقاويل قول نافع فى البراءة والاستعراض واستحلال الامانة وقتل الاطفال وقول أبى بيهس الذى ذكرناه وقول عبد الله بن اباض وهو أقرب الاقاويل الى السنة من أقاويل الضلال والصفرية والنجدية فى ذلك الوقت يقولون بقول ابن اباض وقد قالى ابن اباض ماذكرنا من مقالته وأنا أقول ان عدونا كعدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى لا أحرم مناكحهم ومواريثهم لان معهم التوحيد والاقرار بالكتاب والرسول عليه السلام فأرى معهم دعوة المسلمين تجمعهم وأراهم كفارا للنعم وقالت الصفرية ألينا من هذا القول فى أمر القعد حتى صار عامتهم قعدا واختلفوا فيهم وقد ذكرنا ذلك فقال قوم منهم صفرية لانهم أصحاب ابن صفار وقال قوم انما سموا بصفرة علتهم وتصديق ذلك قول ابن عاصم الليثى وكان يرى رأى الخوارج فتركه وصار مرجئا

فارقت نجدة والذين تزرقوا * وابن الزبير وشيعة الكذاب

والصفر الاذان الذين تخيروا * دينا بلا ثقة ولا بكتاب

خفف الهمزة من الاذان ولولا ذلك لانكسر الشعر وقال أبو بيهس الدار دار كفر والاستعراض فيها جائز وان أصيب من الاطفال فلا حرج الى ههنا انتهت المقالة ❁ وتفرقت الخوارج على الأضرب الأربعة التى ذكرنا وأقام نافع بالاهواز يعترض الناس ويقتل الاطفال فاذا أجيب الى المقالة جبا الخراج وفشا تمالؤه فى السواد فارتاع لذلك أهل البصرة فاجتمعوا الى الاحنف بن قيس فشكوا ذلك اليه وقالوا ليس بيننا وبين العدو الا ليلتان وسيرتهم ماترى فقال الاحنف ان فعلهم فى مصركم ان ظفروا به كفعلهم فى سوادكم فجدوا فى جهاد عدوكم فاجتمع اليه عشرة آلاف فأتى عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهو يبته فسأله أن يؤمر عليهم فاختار لهم ابن عبيس بن كريز وكان ديّنا شجاعا فأمّره عليهم وشيعه فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس فقال انى ماخرجت لامتياز ذهب ولا فضة وانى لاحارب قوما ان ظفرت بهم فما وراءهم الا

تقولناه وروبناه عن غير الثقاة وان الدليل على أن عيسى لم يتكلم فى المهد أن اليهود لا يعرفونه وكذلك المجوس وكذلك الهند والخزر والديلم فنقول فى جواب مسألتهم عند انكارهم كلام المسيح فى المهد مولود يقال لهم انكم حين سويتم المسألة وموهتموها ونظمتم ألفاظها ظننتم انكم قد نجحتم وبلغتم غايتكم ولعمرى لئن حسن ظاهرها وراع الاسماع مخرجها انها لقبيحة المفتش سيئة المغزى ولعمرى لو كانت اليهود تقر لكم باحياء الأربعة الذين تزعمون واقامة المقعد الذى تدعون واطعام الجمع الكثير من الارغفة اليسيرة وتصيير الماء جدا والمشى على الماء ثم أنكرت الكلام فى المهد من بين جميع آياته وبراهينه لكان لكم فى ذلك مقال والى الطعن سبيل فأما وهم يجحدون ذلك أجمع

سيوفهم ورماحهم فمن كان شأنه الجهاد فليمض ومن أحب الحياة فليرجع فرجع نفر يسير ومضى الباقون معه فلما صار وابدولاب خرج اليهم نافع فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتل وتضاربوا بالسيوف والعمد فقتل في المعركة ابن عبيس ونافع بن الازرق وكان ابن عبيس تقدم الى أصحابه فقال ان أصبت فأميركم الربيع بن عمرو الاجذم الغداني فلما أصيب ابن عبيس أخذ الربيع الراية وكان نافع قد استخلف عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطي فكان الرئيس من بني يربوع رئيس المسلمين من بني غدانة بن يربوع ورئيس الخوارج من بني سليط بن يربوع فاقتتلوا قتالا شديدا وادعى قتل نافع سلامة الباهلي وقال لما قتلته وكبت على بردون وردا ذا برجل على فرس وأنا واقف في خمس قيس ينادي ياصاحب الورد هلم الي المبارزة فوقفت في خمس بني تميم فاذا به يعرضها علي وجعلت أتنقل من خمس الى خمس وليس يزايلني فصرت الى رحلي ثم رجعت فرآني فدعاني الى المبارزة فلما أكثر خرجت اليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته فنزلت لسلبه وأخذ رأسه فاذا امرأة قد رأتني حين قتلت نافعا فخرجت لتثأر به فلم يزل الربيع الاجذم يقاتلهم فيقاتلهم وعشرين يوما حتى قال يوما أنا مقتول لا محالة قالوا وكيف قال لاني رأيت البارحة كأن يدي التي أصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتني فلما كان الغد قاتل الى الليل ثم غاداهم فقتل فتدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب اذ لم يكن لهم رئيس ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميري فأباها فقيل له ألا ترى أن رؤساء العرب بالحضرة وقد اختاروك من بينهم فقال سئومة ما يأخذها أحد الا قتل ثم أخذها فلم يزل يقاتل الخوارج بدولاب والخوارج أعد بالآلات والدروع والجواشن فالتقى الحجاج بن باب وعمران بن الحرث الراسبي وذلك بعد ان اقتتلوا زهاء شهر فاختلفا ضربتين فسقطا ميتين فقالت أم عمران ترثيه

الله أيد عمرانا وطهره * وكان عمران يدعو الله في السحر

يدعوه سرا واعلانا ليرزقه * شهادة بيدي ملحادة غدر

ولى صحابته عن حومة لحمة * وشد عمران كالضرغامة الهصر

قول الربيع استشلتني أي أخذتني اليها واستنقذتني يقال استشلاه واشتلاه وفي الحديث ان السارق اذا قطع سبقته يده الى النار فان تاب اشتشلاها قال رؤبة * ان سليمان اشتلانا ابن علي *

فرة يضحكون ومرة يغتاظون ويقولون انه صاحب رقى ونير نجات ومداوى مجانين ومتطبب وصاحب حيل وصاحب خدع وقراءة كتب وكان اسنامكينا ومقبولا مرحوما ولقد كان قبل ذلك صياد سمك وصاحب شبك وكذلك أصحابه وأنه خرج على مواطأة منهم له وأنه لم يكن له شدة وأخسهم قولا وألأمهم مذهبا من زعم أنه ابن يوسف النجار وأنه قد كان واطأ ذلك المقعد قبل اقامته بسنين حتى اذا شهره بالقعدة وعرف موضعه في الزمنى مر به في جمع من الناس كأنه يريده فشكا اليه الزمانة وقلة الحيلة وشدة الحاجة فقال ناولني يدك فناوله يده فاجتذبه فأقامه فكان تجمد لطول القعود حتى استمر بعد ذلك وأنه لم يحى ميتا قط وانما كان داوى رجلا يقال له لاعار اذا غمي عليه يوما وليلة وكانت أمه ضعيفة العقل

وقول الناس أشليت كلبي أي أغريته بالصيد خطأ انما يقال أسدته وأشليته دعوته وقولها بيدي ملحادة مفعال من الالحاد كما تقول رجل مغطاء بأفتى ومحسان ومكرام وأدخلت الهاء للمبالغة كما تدخل في راوية وعلامة ونسابة وغدر فعل من الغدر ولفعل باب نذكره في عقب هذه القصة اذا فرغنا من خبر هذه الوقعة والضرغامة من أسماء الاسد والهصر الذي يهصر كل شئ أي يثنيه قال امرؤ القيس

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت * هصرت بغصن ذي ثمار ومائل

ولذكرنا الصفرية والازارقة والبيهسية والاباضية تفسير لم نسب الى ابن الازرق بالازارقة والى أبي بيهس بالكنية المضاف اليها ونسب الى صفر ولم ينسب الى واحد هم ونسب الى ابن اباض فجعل النسب الى أبيه وهذا ذكره بعد باب فعل ❁ ومما قيل من الشعر في يوم دولاب قول قطري

لعمرك اني في الحياة لزاهد * وفي العيش بالم ألق أم حكيم
من الخفرات البيض لم ير مثلها * شفاء لذي بث ولا السقيم
لعمرك اني يوم ألطم وجهها * على نائبات الدهر جد لئيم
ولو شهدتني يوم دولاب أبصرت * طعان فتى في الحرب غير ذميم
غداة طفت علماء بكر بن وائل * وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان لعبد القيس أول جدها * وأخلافها من يحصب وسليم
وظلت شيوخ الازد في حومة الوغى * تعوم وظلنا في الجلاد نعوم
فلم أر يوما كان أكثر مقعصا * يمج دما من فائظ وكلام
وضاربة خدا كريما على فتى * أغر نجيب الامهات كريم
أصيب بدولاب ولم تك موطنا * له أرض دولاب ودير حميم
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا * تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الاله نفوسهم * بجنات عدن عنده ونعيم

قوله ولو شهدتنا يوم دولاب فلم ينصرف دولاب فانما ذاك لانه أراد البلدة ودولاب أعجمي معرب وكل ما كان من أسماء الاعجمية نكرة بغير الالف واللام فاذا دخلته الالف واللام فقد صار

معربا

قليلة المعرفة فربما فاذا هي تصرخ وتبكي فدخل اليها ليسكتها ويعزيها وجس عرقه فرأى فيه علامة الحياة فداواه حتى أقامه فكانت لقلة معرفتها الا تشك أنه قد مات وافرحها بحياته تثني عليه بذلك وتحدث به فكيف تستشهدون قوما هذا قولهم في صاحبكم حين قالوا كيف يجوز أن يتكلم صبي في المهد مولودا فيجهله الاولياء والاعداء ولو كانت المجوس تقر لعيسى بعلامة واحدة وبأدنى أعجوبة لكان لكم أن تنكروا علينا جهلهم وتستعينوا بانكارهم فأما وحال عيسى في جميع أمره عند المجوس كحال زرادشت في جميع أمره عند النصارى فما اعتلالهم بهم وتعلقهم في انكارهم وأما قولكم فكيف لم يعرف الهند والخزر والترك ذلك فمتى أقرت الهند لموسى بأعجوبة واحدة فضلا عن عيسى ومتى أقرت لنبي بآية أو روت له سيرة حتى

مُعْرَبًا وصار على قياس الاسماء العربية لا يمنعه من الصرف الا ما يمنع العربيَّ فدولاب فُوعالٌ مثل طُومار وسُولاف وكلُّ شيءٍ لا يَخُصُّ واحدًا من الجنس من غيره فهو نكرة نحو رجل لان هذا الاسم يَلْحَقُ كلَّ ما كان على بِنْيته وكذلك حَمَلٌ وجَبَلٌ وما أشبه ذلك فان وقع الاسم في كلام العجم معرفةً فلا سبيل الى ادخال الالف واللام عليه لانه معرفة فلا معنى لتعريف آخر فيه فذلك غير منصرف نحو فرعون وقارون وكذلك اسحق وابراهيم ويعقوب وقوله غداة طفت علماء بكر بن وائل وهو يريد على الماء فان العرب اذا التقت في مثل هذا الموضع لامان استجازوا حذف احداهما استثقالا للتضعيف لان ما بقي دليلٌ على ما حُذف يقولون علماء بنو فلان كما قال الفرزدق

وما سَبَقَ القَيْسِيُّ من ضَعْفِ حيلةٍ * ولكن طَفَتْ عَلْماءُ فُلْفةُ خالد

وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تُظهر فيه لام المعرفة فانهم يجيزون معه حذف النون التي في قولك بنو لقرب مخرج النون من اللام وذلك قولك فلان من بَلْحَرِث وبَلْعَنْبَر وبَلْهُجَيْم وقال آخر من الخوارج

يرى مَنْ جاء ينظر من دُجَيْلٍ * شُيوخَ الأَزْدِ طافيةً لحاها

وقال رجل منهم

شَمِتَ ابنُ بَدْرٍ والحوادثُ جَمَّةٌ * والحائرونَ بنافعِ بن الأَزْرَقِ

والموتُ حَتْمٌ لا محالةَ واقعٌ * مَنْ لا يُصَبِّحْهُ نهارًا يَطْرُقِ

فلئن أَمِيرَ المؤمنينَ أصابه * رَيْبُ المَنونِ فمَن يُصِبْه يَفْلَقِ

نصب بعد ان لان حرف الجزاء الفعل فانما أراد فلئن أصاب أمير المؤمنين فلما حذف هذا الفعل وأضمر ذكر أصابه ليدل عليه ومثله قول النمر بن تَوْلَب

لا تَجْزَعِي ان نَفْسًا أَهْلَكْتُه * واذا هَلَكْتُ فعند ذلك فاجزعي

وقال ذو الرُّمَّة

اذا ابنُ أبي موسى بلالًا بَلَغْتَه * فقامَ بفأسٍ بين وِصْلَيْ جازرُ

لان اذا لا يليها الا الفعل وهي به أَوْلَى

﴿ هذا باب فُعَل ﴾

اعلم ان كل اسم على مثال فُعَل فهو مصروف في المعرفة والنكرة اذا كان اسما أصليا أو نعتا فالاسماء نحو صُرَدٍ وزُفَرٍ وجُعَل وكذلك ان كان جَمْعًا نحو ظُلَمٍ وغُرَفٍ وان سميت بشيء من هذا رجلا انصرف في المعرفة والنكرة وأما النعتُ فنحو رجل حُطَم كما قال * قد لَفَّها الليلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ *

نستشهد والله عند على كلام عيسى في المهد ومتى كانت الترك والديلم والخزر والتتر والطيلسان مذكورة في شيء من هذا الجنس محتجابها على هذا الضرب فان سألونا عن أنفسهم فقالوا مالنا لا نعرف ذلك ولم يبلغنا عن أحد بتة اجتنابهم بعد اسقاط تكثيرهم وتشفيعهم وتزويرشهودهم فجوابنا انهم انما قبلوا دينهم عن أربعة أنفس اثنان منهم من الحواريين بزعمهم وحنا ومتى واثنان من المستجيبة وهما مارقش ولوقش وهؤلاء الأربعة لا يؤمن عليهم الغلط ولا النسيان ولا تعمد الكذب ولا التواطؤ على الأمور والاصطلاح على اقتسام الرياسة وتسليم كل واحد منهم لصاحبه حصته التي شرطها له فان قالوا انهم كانوا أفضل من أن يتعمدوا كذبا وأحفظ من أن ينسوا شيأ وأعلى من أن يغلطوا في دين الله

وكذلك مال لُبَدُ وهو الكثير من قوله جل جلاله أهلكتُ مالاً لُبَداً فان كان الاسم على فُعَلَ معدولا عن فاعل لم ينصرف اذا كان اسم رجل فى المعرفة وينصرف فى النكرة وذلك نحو عُمَرَ وقُثَمَ لانه معدول عن عامر وهو والاسم الجارى على الفعل فهذا انما معرفته قبل نكرته فاذا أردت به مذهب المعرفة جاز أن تبنيه فى النداء من كل فعل لان المنادى مشار اليه وذلك قولك يا فُسَقُ ويا خُبَثُ تريد يا فاسق ويا خبيث وانما قالت بيدى ملحادة غُدَرُ فى غير النداء للضرورة فنقلته معرفة من النداء ثم جعلته نكرة لخروجه عن الاشارة فنعتت به ملحادة كما قال الحُطَيْئَةُ

أَجَوْلُ ما أَجُولُ ثم آوى * الى بيت قعيدته لَكاعِ

وهذا لا يقع الا فى النداء ولكن الشاعر نقله نكرة ونقله معرفة على حدّ ما كان له فى النداء فيُلْحَقُ قولها غُدَرُ بقوله رجل حُطَمٌ ومال لُبَدُ وما أشبهه وفَعالِ فى المؤنث بمنزلة فُعَلٍ فى المذكر ولو سميت رجلا حُطَماً اصرفته من قولك هذا سائق حُطَمٌ لانه قد وقع نكرة غير معدول فهو فى النعوت بمنزلة صَرٍ فى الاسماء

﴿هذا باب النَّسَب الى المضاف﴾

اعلم انك اذا نسبت الى علم مضاف فالوجه أن تنسب الى الاسم الاول وذلك قولك فى عبد القَيْس عَبْدِىٌّ وكذلك فى عبد الله بن دارم فان كان الاسم الثانى أشهر من الاول جاز النسب اليه لئلا يقع فى النسب التباسٌ من اسم باسم وذلك قولك فى النسب الى عَبْدِ مَنافٍ مَنافِىٌّ والى أبى بَكْرِ بن كِلاب بَكْرِىٌّ وقد يجوز وهو قليل أن تبنى له من الاسمين اسما على مثال الاربعة لينتظم النسبُ وذلك قولك فى النسب الى عبد الدار بن قُصَىٍّ عَبْدَرِىٌّ وفى النسب الى عبد القيس عَبْقَسِىٌّ فان كان المضاف غير علم فالنسب الى الثانى على كل حال وذلك قولك فى النسب الى ابن الزبير زُبَيْرِىٌّ لان ابن الزبير انما صار معرفة بالزبير وكذلك النسب الى ابن رألان رألانىٌّ فلذلك قالوا فى النسب الى ابن الأزرق أَزْرَقِىٌّ والى أبى بَيْهَسٍ بَيْهَسِىٌّ فأما قولهم صُفْرِىٌّ فانما أرادوا الصُّفْرَ الالوان فنسبوا الى الجماعة وحَقُّ الجماعة اذا نُسِبَ اليها أن يقع النسب الى واحدها كقولك مُهَلَّبِىٌّ ومُسْمَعِىٌّ ولكن جعلوا صُفْراً اسما للجماعة ثم نسبوا اليه ولم يقولوا أَصْفَرِىٌّ فينسب الى واحدها وانما كان ذلك لانهم جعلوا الصُّفْرَ اسما للجماعة كما تسمى القبيلةُ بالاسم الواحد الا ترى أن النسب الى الأنصار

انصارى

تعالى أو يضيعوا عهدا قلنا ان اختلاف رواياتهم فى الانجيل وتضادها فى كتبهم واختلافهم فى نفس المسيح مع اختلاف شرائعهم دليل على صحة قولنا فيهم بالكبر لتعديه طوره وجهله لقدره وانتحاله ما لا يجوز الا لربه وقال النبى صلى الله عليه وسلم العظمة رداء الله فمن نازعه رداءه قصمه

﴿فصل منه﴾ والنبيل لا يتنبل كما ان الفصيح لا يتفصح لان النبيل يكفيه نبله عن التنبل والفصيح تغنيه فصاحته عن التفصح ولم يتزيد أحد قط الا لنقص يجده فى نفسه ولا تطاول متطاول الا لوهن قد أحس به فوته والكبر من جميع الناس قبيح مسخوط الا انه عند الناس من عظماء الاعراب وأشباه الاعراب أجود وهو لهم أسرع لجفانهم وبعدهم من الجماعة ولقلة مخالطتهم لأهل العفة والدعة والأدب والصنعة

أنصاريٌّ لانه كان حليفًا للقبيلة وكذلك مدائنيٌّ وتقول في النسب الى الآباء من بني سعد أبناويٌّ لانه اسم للجماعة فأما قولهم الأزارقةُ فهذا باب من النسب آخرُ وهو أن يُسمَّى كلُّ واحد منهم باسم الاب اذا كانوا اليه ينسبون ونظيره المهالبةُ والمسامعةُ والمناذرةُ ويقولون جاء بنو النُّمَيْرونَ والأشعرون جعَلَ كل واحد منهم نُمَيْرًا وأشعَرَ فهذا يتصل في القبائل على ماذكرتُ لك وقد تُنسَبُ الجماعةُ الى الواحد على رأي أو دين فيكون له مثل نسب الولادة كما قالوا أزرقيٌّ لمن كان على رأي ابن الازرق كما تقول تميميٌّ وقيسيٌّ لمن ولَدَه تميم وقيس ومن قرأ سلام على الياسين فانما يريد الياس عليه السلام ومَن كان على دينه كما قال * فَدَتني من نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدْيِ * يريد أبا خُبَيْبٍ ومَن معه وقد يجتمع الرجل مع الرجل في التثنية اذا كان تجازُهما واحدا في أكثر الامر على لفظ أحدهما فمن ذلك قولهم العُمَران لابي بكر وعمرَ رضي الله عنهما ومن ذلك قولهم الخُبَيْبان لعبد الله ومُصْعَب وقد مضى تفسيره ۞ عاد القول في الخوارج قال والازارقة لا تُكَفِّرُ أحدا من أهل مقالتها في دار الهجرة الا القاتلَ رجلا مسلما فانهم يقولون المسلمُ حجةُ الله والقاتلُ قصدًا لقطع الحجة ويروى أن نافعًا مَرَّ بمالك بن مِسْمَع في الحرب التي كانت بين الأزد وربيعة وبني تميم ونافعٌ مُنقلِدٌ سيفًا فقام اليه مالك فضرب بيده الى حمالة سيفه وقال ألا تنصرُنا في حربنا هذه فقال لا يَحِلُّ لي قال فما بالُ مؤمني بني تميم ينصرون كفارهم في هذه الحرب فأمسك عنه وخرج بعد ذلك بأيام الى الأهواز فلما قُتِلَ مَنْ قُتِلَ ممن بخازَرَ من الخوارج في أيام ابن الماحوز كره بَيْهَسُ القتالَ وأقام حارثةُ بن بَدْرٍ الغُدانيُّ بازاء الخوارج بناوشهم على غير ولاية وكان يقول ما عُذْرُنا عند اخواننا من أهل البصرة ان وصَلَ اليهم الخوارجُ ونحن دونهم فكتب أهل البصرة الى ابن الزبير يخبرونه بقعود بَيْهَسَ ويسألونه أن يُوَلِّيَ واليا فكتب الى أنس بن مالك أن يصلي بالناس فصلى بهم أربعين يوما وكتب الى عمر بن عُبَيْدِ الله بن مَعْمَر فولاه البصرة فلقيه الكتاب وهو يريد الحج وهو في بعض الطريق فرجع فأقام بالبصرة وولَّى أخاه عثمانَ محاربة الأزارقة فخرج اليهم في اثني عشر ألفا ولقيه حارثةُ فمن كان معه وعبيدُ الله بن الماحوز في الخوارج بسوق الأهواز فلما عَبَروا اليهم دُجَيْلًا نهض اليهم الخوارجُ وذلك قُبَيْلَ الظهر فقال عثمانُ بن عبيد الله لحارثةَ بن بَدْرٍ أما الخوارج الا ما أرى فقال له حارثةُ حَسْبُكَ بهم وُلاة فقال لا جرم والله لا أتغدى حتى أُناجِزَهُمْ فقال له حارثةُ ان

(فصل منه) ولم ير التكبر يسوغ عندهم ويستحسن الا في ثلاثة مواضع من ذلك أن يكون المتكبر صعابيدويا وذا غطرسة وحشيا ولا يكون حضريا ولا مدريا فيحمل ذلك منه على جهة الصعوبة ومذهب الجاهلية وعلى الهمجية والاعرابية أو يكون ذلك على جهة الانتقام والمعارضة والمكافأة والمقابلة أو على ان لا يكون تكبره الا على الملوك والجبابرة والفراعنة وأشباه الفراعنة وصاحب هذا خارج من هذه الخصال مجانب لهذه الخلال ان أصاب صديقا تعظم عليه وان أتاه ضيف تغافل عنه وان أتاه ضعيف من عليه وان صادف حليما اعتقل به وينبغي أن يكون خضوعه لمن فوقه على حسب تكبره على من دونه ومن صفة اللئيم أن يظلم الضعيف ويظلم

هؤلاء لا يقاتلون بالتعسف فأبق على نفسك وجندك فقال أبيتم أهل العراق الا جبننا وأنت يا حارثة ما علمك بالحرب أنت والله بغير هذا أعلم يعرض له بالشراب فغضب حارثة فاعتزل وحاربهم عثمان يومه الى ان غابت الشمس فأجلت الحرب عنه قتيلا وانهزم الناس وأخذ حارثة الراية وصاح بالناس أنا حارثة بن بدر فثاب اليه قومه فعبر بهم دجيلا وبلغ قتل عثمان البصرة وخاف الناس الخوارج خوفا شديدا وعزل ابن الزبير عمر بن عبيد الله وولى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع أحد بني مخزوم وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر فقدم البصرة فكتب اليه حارثة بن بدر يسأله الولاية والمدد فأراد أن يوليه فقال له رجل من بكر بن وائل ان حارثة ليس بذلك انما هو صاحب شراب وفيه يقول رجل من قومه

ألم تر أن حارثة بن بدر * يصلي وهو أكفر من حمار

ألم تر أن للفتيان حظا * وحظك في البغايا والقمار

فكتب اليه القباع تكفى حربهم ان شاء الله فاقام حارثة يدافعهم فقال شاعر من بني تميم يذكر عثمان بن عبيد الله بن معمر ومسلم بن عبيس وحارثة بن بدر

مضى ابن عبيس صابرا غير عاجز * وأعقبناه هذا الحجازي عثمان

فأرعد من قبل اللقاء ابن معمر * وأبرق والبرق اليماني خوان

فضحت قريش غثها وسمينها * وقبل بنو تيم بن مرة عزلان

فلولا ابن بدر للعراقين لم يقم * بما قام فيه للعراقين انسان

اذا قيل من حامي الحقيقة أومأت * اليه معقبا بالأنوف وقحطان

قوله فأرعد زعم الأصمعي أنه خطأ وأن الكميت أخطأ في قوله

أرعد وأبرق يا يزيـ * ـد فما وعيدك لي بضائر

وزعم أن هذا البيت الذي يروى لأهل مصنوع محدث وهو قوله

أنبضوا مجس القسي وأبرقـ * ـنا كما أرعد الفحول الفحولا

وانه لا يقال الا رعد وبرق اذا أوعد وتهدد وهو يرعد ويبرق وكذا يقال رعدت السماء وبرقت وأرعدنا نحن وأبرقنا اذا دخلنا في الرعد والبرق قال الشاعر * فقل لابي قابوس ما شئت فارعد *

نفسه للقوى ويقتل الصريع ويجهز على الجريح ويطلب الهارب ويهرب من الطالب ولا يطلب من الطوائل الا ما لا خطر فيه ولا يتكبر الا حيث لا يرجع معرته عليه ولا يقفو التقية ولا المروءة ولا يعمل على حقيقة ومن أراد أن يسمع قوله ساه خلقه اذ كان لا يحفل ببغض الناس له ووحشة قلوبهم منه واحتيالهم في مباعدته وقلة مساعدته وليس يأمن اللئيم على لئيان جميع ما اشتمل عليه اسم اللؤم الا حاسدا فاذا رأيته يعق أباه ويحسد أخاه ويظلم الضعيف ويستخف بالأديب فلا تبعده من الخيانة اذ كانت الخيانة لؤما ولا من الكذب اذ كان الكذب لؤما ولا من النميمة اذ كانت النميمة لؤما ولا تأمنه على الكفر فانه ألام اللؤم وأقبح الغدر ومن رأيته منصرفا عن بعض

وروى غير الأصمعي أزعد وأبرق على ضعف وقوله والبرق اليماني خوان يريد والبرق اليماني يخونُ وأجود النسب الى اليمن يَمَنِيٌّ ويجوز يَمَانٍ بتخفيف الياء وهو حسن وهو في أكثر الكلام تكون الالف عوضا من احدى الياءين ويجوز يمانيٌّ فاعلم تكونُ الالف زائدة وتُشَدَّدُ الياء قال العباس بن عبد المُطَّلب

ضربناهم ضَرْبَ الاحامِسِ غُدْوَةً * بكل يماني اذا هُزَّ صَمَّما

ثم ان حارثة لما تفرق الناس عنه أقام بنهر تيرى فعَبَرَتْ اليه الخوارج فهرب وأصحابه يركُضُ حتى أتى دجيلا فجاس في سفينة واتبعه جماعة من أصحابه فكانوا معه وأتاه رجل من بني تميم وعليه سلاحه والخوارجُ وراءه وقد توسَّطَ حارثةُ فصاح به يا حارثُ ليس مثلي ضُيِّعَ فقال للملاح قَرِّبْ فقَرَّبَ الى جُرُفٍ ولا فُرْضَةَ هناك فطَفَرَ بسلاحه في السفينة فساخَتْ بالقوم جميعا وأقام ابن الماحوز يجبي كُوَرَ الاهواز ثلاثة أشهر ثم وَجَّهَ الزبيرُ بن علي نحو البصرة فضجَّ الناسُ الى الاحنف فأتى القُبَّاعَ فقال أصلح الله الاميران هذا العدوّ قد غلبنا على سوادنا وفيئنا فلم يبق الا ان يَحْصُرَنا في بلدنا حتى نموت هُزالا قال فسموا رجلا فقال الاحنف الرأيُ لا يُخيَّلُ ما أرى لها الا المُهَلَّبَ بن أبي صُفْرَةَ فقال أوهذا رأيُ جميعِ أهل البصرة اجتمعوا الى في غدو جاء الزبيرُ حتى نزل الفُراتَ وعَقَدَ الجسرَ ليَعْبُرَ الى ناحية البصرة فخرج أكثرُ أهل البصرة اليه وقد اجتمع للخوارج أهلُ الاهواز وكُوَرِها رغبةً ورهبةً فأتاه البصريون في السُّفُن وعلى الدواب ورَجَّالةً فاسْوَدَّتْ بهم الارضُ فقال الزبير لما رآهم أبَى قومُنا الا كفرا فقطعوا الجسر وأقام الخوارج بالفرات بازائهم واجتمع الناس عند القُبَّاع وخافوا الخوارجَ خوفا شديدا وكانوا ثلاث فِرَقٍ فسمّى قومٌ المهلبَ وسمّى قومٌ مالكَ بن مِسْمَعٍ وسمى قومٌ زيادَ بن عمرو بن الاشرف العَتَكيَّ فصرفهم ثم اختبر ما عند مالك وزياد فوجدهما متثاقلين عن ذلك وعاد اليه مَنْ أشار بهما وقالوا قد رجعنا عن رأينا ما نرى لها الا المهلبَ فوَجَّهَ الحرثُ اليه فأتاه فقال له يا أبا سعيد قد ترى ما رَهِقَنا من هذا العدوّ وقد اجتمع أهلُ مِصْرِكَ عليك وقال الاحنف يا أبا سعيد انا والله ما آثرناك بها ولكنا لم نرَ مَنْ يقوم مقامك فقال له الحرث وأومأ الى الاحنف ان هذا الشيخ يُسَمِّكَ الا ايثارا للدين وكل مَنْ في مصرك ما دَّ عَيْنَهُ البلدُ راجٍ أن يكشف الله عز وجل هذه الغُمَّةَ بك فقال المهلب لا حول ولا قوة

اللؤم وتارك البعض القبيح فايالك أن توجه ذلك منه على التجنب له والرغبة عنه والايثار لخلافه ولكن على أنه لا يشتهيه أو لا يقدر عليه أو يخاف من مرارة العاقبة أمرا يعفى على حلاوة العاجل لان اللؤم كله أصل واحد وان تفرقت فروعه وجنس واحد وان اختلفت صوره والفعل محمول على غلبته تابع لسمته والشكل ذاهب على شكله منقطع الى أصله صائر اليه وان أبطأ عنه ونازع اليه وان حيل دونه وكذلك تناسب الكرم وحنين بعضه الى بعض ولهز العيون ولا سمعت الآذان ولا توهمت العقول عملا اجتباه ذو عقل أو اختاره ذو علم بأوبا ولا أفسد لعرض ولا أوجب لسخط الله ولا أدعى الى مقت الناس ولا أبعد من الفلاح ولا أظهر نفورا عن التوبة ولا أقل درکا عند الحقيقة ولا أنقص

الا بالله انى عند نفسى لدون ما وصفتم ولست آيبا ما دعوتم اليه على شروط أشترطها قال الاحنف قل قال على أن أنتخب من أحببت قال ذلك لك قال ولى امرة كل بلد أغلب عليه قال وذلك لك قال ولى فى كل بلد أظفر به قال الاحنف ليس ذلك لك ولا لنا فما هو فى المسلمين فان سلبتهم اياه كنت عليهم كعدوهم ولكن لك ان تعطى أصحابك من فى كل بلد تغلب عليه ما شئت وتنفق على محاربة عدوك فما فضل عنكم كان للمسلمين فقال المهلب فمن لى بذلك قال الاحنف نحن وأميرك وجماعة أهل مصرك قال قد قبلت فكتبوا بذلك كتابا ووضع على يدى الصلت بن حريث بن جابر الحنفى وانتخب المهلب من جميع الاخماس فبلغت نخبته اثنى عشر ألفا ونظروا ما فى بيت المال فلم يكن الا مائتى ألف درهم فجهزت فبعث المهلب الى التجار ان تجاراتكم مذخولة قد كسدت عليكم بانقطاع مواد الاهواز وفارس عنكم فهلم فبايعونى واخرجوا معى أوفكم ان شاء الله حقوقكم فتاجروه فأخذ من المال ما يصلح به عسكره واتخذ لاصحابه الخفاتين والرانات المحشوة بالصوف ثم نهض وأكثر أصحابه رجالة حتى اذا صار بحذاء القوم أمر بسفن فأحضرت وأصلحت فاارتفع النهار حتى فرغ منها ثم أمر الناس بالعبور الى الفرات وأمر عليهم ابنه المغيرة فخرج الناس فلما قاربوا الشاطئ خاضت اليهم الخوارج فحاربهم المغيرة ونفحهم بالسهام حتى تنحوا فصار هو وأصحابه على الشاطئ فحاربوهم فكشفوهم وشغلوهم حتى عقد المهلب الجسر وعبر والخوارج منهزمون فنهى الناس عن اتباعهم ففى ذلك يقول شاعر من الازد

ان العراق وأهله لم يخبروا * مثل المهلب فى الحروب فسلموا
أمضى وأيمن فى اللقاء نقيبة * وأقل تهليلا اذا ما أنجموا

التهليل التكذيب والانهزام وأبلى مع المغيرة يومئذ عطية بن عمرو العنبرى وكان من فرسان بنى تميم وشجعانهم فقال عطية

يدعى رجال للعطاء وانما * يدعى عطية للطعان الأبرد

وقال الشاعر

وما فارس الاعطية فوقه * اذا الحرب أبدت عن نواجذها الفما
به هزم الله الازارقة بعدما * أباحوا من المصرين حيا ومحرما

فأقام المهلب أربعين يوما يجبى الخراج بكور دجلة والخوارج بنهر تيرى والزبير بن على منفرد بعسكره عن عسكر ابن الماحوز فقضى المهلب التجار وأعطى أصحابه فأسرع اليه الناس

للطبيعة ولا أمنع من العلم ولا أشد خلافا على الحلم من التكبر فى غير موضعه والتنبل فى غير كنهه وما ظنك بشئ العجب شقيقه والبذخ صديقه والنفج أليفه والصلف عقيده والبذاخ متزيد والنفاج كذاب والمتكبر ظالم والمعجب صغير النفس واذا اجتمعت هذه الخلال وانتظمت هذه الخصال فى قلب طال خرابه واستغلق بابه وشر العيوب ما كان مضمنا بعيوب وشر الذنوب ما كان علة الذنوب والكبر أول ذنب كان فى السموات والأرض وأعظم جرم كان من الجن والانس وأشهر تعصب كان فى الثقلين وعنه لج ابليس فى الطغيان وعتا على رب العالمين وخطأ به فى التدبير وتلقى قوله بالرد ومن أجله استوجب السخطة وأخرج من الجنة وقيل له ما يكون لك أن تتكبر فيها ولا فراطه فى التعظيم خرج الى غاية

رغبة فى مجاهدة الخوارج ولما فى الغنائم والتجارات فكان فيمن أتاه محمد بن واسع الازدى وعبد الله بن رياح ومعاوية بن قرة المزنى وكان يقول يعنى معاوية لو جاء الديلم من ههنا والحرورية من ههنا الحارث الحرورية وأبو عمران الجونى وكان يقول كان كعب يقول قتيل الحرورية يفضل قتيل غيرهم بعشرة أنوار ثم نهض المهلب اليهم الى نهر تيرى فتقوا عنه الى الاهواز وأقام المهلب يجبى ما حواليه من الكور وقد دس الجواسيس الى عسكر الخوارج فأتوه بأخبارهم ومن فى عسكرهم فاذا حشوة ما بين قصار وصباغ وداعر وحداد فخطب المهلب الناس فذكر من هنالك وقال للناس أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيئكم فلم يزل مقيما حتى فهمهم وأحكم أمره وقوى أصحابه وكثرت الفرسان فى عسكره وتتام اليه زهاء عشرين ألفا ثم مضى يؤم سوق الاهواز فاستخلف أخاه المعارك بن أبى صفرة على نهر تيرى وفى مقدمته المغيرة بن المهلب حتى قاربهم المغيرة فناوشوه فانكشف عنه بعض أصحابه وثبت المغيرة بقية يومه وليلته يوقد النيران ثم غاداهم القتال فاذا القوم قد أوقدوا النيران فى ثقلة متاعهم وارتحلوا عن سوق الاهواز فدخلها المغيرة وقد جاءت أوائل خيل المهلب فأقام بسوق الاهواز وكتب بذلك الى الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانا منذ خرجنا نؤم هذا العدو فى نعم من الله متصلة علينا ونقمة من الله متتابعة عليهم نقدم ويحجمون ونحل ويرتحلون الى ان حللنا سوق الاهواز والحمد لله رب العالمين الذى من عنده النصر وهو العزيز الحكيم فكتب اليه الحرث هنيئا لك أخا الازد الشرف فى الدنيا والذخر فى الآخرة ان شاء الله فقال المهلب لاصحابه ما أجنى أهل الحجاز أماتروننى يعرف اسمى واسم أبى وكنيتى وكان المهلب يبث الاحراس فى الامن كما يبثهم فى الخوف ويذكى العيون فى الامصار كما يذكيها فى الصحارى ويأمر أصحابه بالتحرز ويخوفهم البيات وان بعد منهم العدو ويقول احذروا أن تكادوا كما تكيدون ولا تقولوا هزمنا وغلبنا فان القوم خائفون وجلون والضرورة تفتح باب الحيلة ثم قام فيهم خطيبا فقال يا أيها الناس انكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج وأنهم ان قدروا عليكم فتنوكم فى دينكم وسفكوا دماءكم فقاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم على بن أبى طالب صلوات الله عليه فقد لقيهم قبلكم الصابر المحتسب مسلم بن عبيس والعجل المفرط عثمان بن عبيد الله والمعصى المخالف حارثة بن بدر فقتلوا

القسوة ولشدة قسوته المستزم على الاصرار وتتابع فى غاية الافساد ودعا الى كل قبيح وزين كل شر وعن معصية آخرج آدم من الجنة وشهر فى كل افق وأمة ومن أجله نصبت العداوة لذريته وتفرغ من كل شئ الا من اهلاك نسله فعادى من لا يرجوه ولا يخافه ولا يضاهيه فى نسب ولا يشاكله فى صناعة ومن ذلك قتل الناس بعضهم بعضا وظلم القوى الضعيف ومن أجله أهلك الله الأمم بالمسخ والرجف وبالخسف وبالطوفان وبالريح العقيم وأدخلهم النار وأقنطهم من الخروج والكبر هو الذى زين لابليس ترك السجود وأوهمه شر الألفة وصور له الامتعاض وحبب اليه المخالفة وآنسه بالوحدة والوحشة وهون عليه سخط الرب وسهل عليه عقاب الأبد ووعده الظفر ومناه السلامة ولقنه الاحتجاج

جميعا وقتلوا القوم بنجيد وحد فاغاهم مهنتكم وعبيدكم وعار عليكم ونقص فى أحسابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فيئكم ويطؤا حريمكم ثم سار يريدهم وهم بمناذر الصغرى فوجه عبيد الله ابن بشير بن الماحوز رئيس الخوارج رجلا يقال له واقد مولى لآل أبى صفرة من سبى الجاهلية فى خمسين رجلا فيهم صالح بن مخراق الى نهر تيرى وبها المعارك بن أبى صفرة فقتلوه وصلبوه فنمى الخبر الى المهلب فوجه ابنه المغيرة فدخل نهر تيرى وقد خرج واقد منها فاستنزله ودفنه وسكن الناس واستخلف بها ورجع الى أبيه وقد حل بسولاف والخوارج بها فوافعهم وجعل على بنى تميم الحريش بن هلال فخرج رجل من أصحاب المهلب يقال له عبد الرحمن الاسكاف فجعل يحض الناس وهو على فرس له صفراء فجعل يأتى الميمنة والميسرة والقلب فيحض الناس ويهون أمر الخوارج ويختال بين الصفين فقال رجل من الخوارج لاصحابه يا معشر المهلبيين هل لكم فى فتكة فيها أرب يحبة فحمل جماعة منهم على الاسكاف فقاتلهم وحده فارسا ثم كبا به فرسه فقاتلهم راجلا قائما وبارزهم ثم كثرت به الجراحات فذبب بسيفه وجعل يحثو التراب فى وجوههم والمهلب غير حاضر ثم قتل رحمه الله وحضر المهلب فأخبر فقال للحريش وعطية العنبرى أسلتما سيد أهل العسكر لم تعيناه ولم تستنقذاه حسدا له لانه رجل من الموالى وبخهما وحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحابه فقتله فحمل عليه المهلب فطعنه وقتله ومال الخوارج باجمعهم على العسكر فانهزم الناس وقتلوا سبعين رجلا وثبت المهلب وأبلى المغيرة يومئذ وعرف مكانه ويقال حاص المهلب يومئذ حيصة وتقول الازد بل كان يرد المنهزمة ويحمى أدبارهم فقال رجل من بنى منقر ابن عبيد بن الحرث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم

بسولاف أضعت دماء قومى * وطرت على مواشكة درور

قوله مواشكة يريد سريعة ويقال نحن على وشد رحيل ويقال ميل مواشك اذا كان سريعا قال ذو الرمة

اذا مار مينا رمية فى مفازة * عراقيبها بالشيظمى المواشك

ودرور فعول من درّ الشئ اذا تتابع وقال رجل من بنى تميم آخر

تبعنا الاعور الكذاب طوعا * يزجى كل أربعة حمارا

فياندمى على تركى عطائى * معاينة وأطلبه ضمارا

بالباطل وزين له قول الزور وزهده فى جوار الملائكة وجمع له خلال السوء ونظم له خلال الشر لانه حسد والحسد ظلم وكذب والكذب ذل وخدع والخديعة لؤم وحلف على الزور وذلك فجور وخطأ به وتخطئة الله جهل وأخطأ فى جلى القياس وذلك غى ولج واللجاج ضعف وفرق بين التكبر والتبدى وجمع بين الرغبة عن صنيع الملائكة وبين الدخول فى اعمال السفلة واحتج بان النار خير من الطين ومنافع العالم تنتج أربعة أركان نار يابسة حارة وماء باردسيال وأرض باردة يابسة وهوى حار رطب ليس منها شئ مع مزاوجته لخلافه الا وهو محيى مبق على أن النار نقمة الله من بين جميع الأصناف وهى أسرعهن اتلافا لما صار فيها واسحقهن لما دنا منها هذا كله ثمرة الكبر ونتاج التيه

اذا الرجز يسرى قفولا * فخرق فى قرى سولاف نارا

قوله الاعور الكذاب يعنى المهلب ويقال عارت عينه بسهم كان أصابها وقال الكذاب لان المهلب كان فقيها وكان يعلم ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله كل كذب يكتب كذبا الا ثلاثة الكذب فى الصلح بين الرجلين وكذب الرجل لامرأته يعدها وكذب الرجل فى الحرب يتوعد ويتهدد وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل تخذل عنا فانما الحرب خدعة وقال عليه السلام فى حرب الخندق لسعد بن عبادة وسعد بن معاذ وهما سيدا الحيين الخزرج والاوس اثنيا بنى قريظة فان كانوا على العهد فأعلنا بذلك وان كانوا قد نقضوا ما بيننا فالحنا لحنا أعرفه ولا تفتا فى أعضاد المسلمين فرجعا بغدر القوم فقالا يا رسول الله عضل والقارة قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين أبشروا فان الامر ما تحبون (قال الاخفش سألت المبرد عن قولهما عضل والقارة فقال هذان حيان كانا فى نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرادا انهم فى الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين) قال أبو العباس فكان المهلب ربما صنع ما الحديث ليشد به من أمر المسلمين ويضعف من أمر الخوارج فكان حى من الازد يقال لهم الندب اذا رأوا المهلب رائحا اليهم قالوا قد راح المهلب ليكذب وفيه يقول رجل منهم

أنت الفتى كل الفتى * لو كنت تصدق ما تقول

فبات المهلب فى ألفين فلما أصبح رجع بعض المنهزمة فصار فى أربعة آلاف فخطب أصحابه فقال والله ما بكم من قلة وما ذهب عنكم الا أهل الجبن والضعف والطمع والطبع فان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله فسيروا الى عدوكم على بركة الله فقام اليه الحريش بن هلال فقال أنشدك الله أيها الامير أن لا تقاتلهم الا ان يقاتلوك فان بالقوم جراحا وقد أثخنتهم هذه الجولة فقبل منه ومضى المهلب فى عشرة فأشرف على عسكر الخوارج فلم يرمنهم أحدا يتحرك فقال له الحريش ارتحل عن هذا الموضع فارتحل فعبر دجيلا وصار الى عاقول لا يؤتى الا من وجه واحد فأقام به واستراح الناس ثلاثا وقال ابن قيس الرقيات

ألا طرقت من آل بيبة طارقه * على أنها معشوقة الدل عاشقه

تبيت وأرض السوس بينى وبينها * وسولاف رستاق حمته الازارقه

والتكبر شر من القسوة كما ان القسوة شر المعاصى والتواضع خير الرحمة كما ان الرحمة خير الطاعات والكبر معنى ينتظم به جماع الشر والتواضع معنى ينتظم فيه جماع الخير والتواضع عقيب الكبر والرحمة عقيب القسوة فاذا كان للطاعة قدر من الثواب فلتركها وعقيبها ولما يوازيها ويكايلها مثل ذلك القدر من العقاب ومواضع الطاعة من طبقات الرضاء لموضع تركها من طبقات السخط اذ كانت الطاعة واجبة والترك معصية والكبر من أسباب القسوة ولو كان الكبر لا يعترى الا الشريف والجميل أو الجواد أو الوفى أو الصدوق كان أهون لأمره وأقل لشينه أو كان يعرض لأهل الخير كان لا يغلط فيه الا أهل الفضل ولكنا نجده فى السفلة كما نجده فى العلية ونجده فى القبيح كما نجده فى الحسن وفى

اذا نحن شئنا صادفتنا عصابةٌ * حرورية أضحت من الدين مارقه

أجازت الينا العسكرين كليهما * فباتت لنا دون اللحاف معانقه

وقد ذكرنا الضمار ومعناه الغائب وأصله من قولك أضمرت الشئ أى أخفيته عنك ويقال مالٌ عَيْنٌ للحاضر ومال ضمارٌ للغائب قال الأعشى

ومن لا تضيع له ذمةٌ * فيجعلها بعد عَيْنٍ ضمارا

وقال أيضا ترانا اذا أضمرتنا البلا * دُنُجْنى وتقطع منا الرحم

والفعل من هذا أضمر يُضمِر والمفعول به مُضمَرٌ والفاعل مُضمِرٌ والضمار اسم للفعل فى معنى الاضمار وأسماء الافعال تشترك المصادر فى معانيها تقول أعطيته عطاء فيشترك العطاء والاعطاء فى معناه ويسمى به المفعول وتقول كلمته تكليما وكلاما فى معناه والمصدر يُنعَتُ به الفاعل فى قولك رجل عدلٌ ورجل كرمٌ ورجل نومٌ ويوم غمٌ وغيمٌ وينعت به المفعول فى قولك رجل رضًا وهذا درهم ضَرْبُ الامير وجاء فى الخلق تعنى المخلوقين وقال رجل من الخوارج فى ذلك اليوم

وكائن تركنا يوم ولاف منهم * أسارى وقتلى فى الجميع مصيرها

قوله وكائن معناه كم وأصله كاف التشبيه دخلت على أى فصارتا بمنزلة كم ونظير ذلك له كذا وكذا درهما اذا ما هى ذا دخلت عليها الكاف والمعنى له كهذا العدد من الدراهم فاذا قال له كذا كذا درهما فهو كناية عن أحد عشر درهما الى تسعة عشر لانه ضم العددين فاذا قال كذا وكذا فهو كناية عن أحد وعشرين الى ما جاز فيه العطف بعده ولكن كثرت كأى فخففت والتثقيل الاصل قال الله تعالى وكأى من قرية أمليت لها وهى ظالمة وكأى من نبى قاتل معه ربيون كثير وقد قرئ بالتخفيف كما قال الشاعر

وكائن رددنا عنكم من مدجج * يجئ أمام الالف يردى مقنعا

وقال آخر وكائن ترى يوم الغميصاء من فتى * أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا

قال أبو العباس وهذا أكثر على ألسنتهم لطلب التخفيف وذلك الاصل وبعض العرب يقلب فيقول كَىْءٍ يا فتى فيؤخرا الهمزة لكثرة الاستعمال قال الشاعر

وكَىْءٍ فى بنى دُودانَ منهم * غداة الروع معروفا كمىُّ

الذميم كما نجده فى الجميل وفى الدنى الناقص كما نجده فى الوفى الكامل وفى الجبان كما نجده فى الشجاع وفى الكذوب كما نجده فى الصدوق وفى العبد كما نجده فى الحر وفى الذمى ذى الجزية والصغار والذلة كما نجده فى قابض جزيته والمسلط على اذلاله ولو كان فى الكبر خير لما كان فى دهر الجاهلية أظهر منه فى دهر الاسلام ولما كان فى العبد أفشا منه فى الحر ولما كان فى السند أعم منه فى الروم والفرس وليس الذى كان فيه عن آل ساسان وأنوشروان وجميع ولد زدشير بن بابك من الكبر فى شئ تلك سياسة للعوام وتفخيم لأمر السلطان وتسديد للملك ولم يكن فى الخلفاء أشد نخوة من الوليد من عبد الملك وكان أجهلهم وألحنهم وما كان فى ولاة العراق أعظم كبرا من يوسف بن عمر وما كان أشجعهم ولا أبصرهم

فأقام المهلبُ فى ذلك العاقول ثلاثة أيام ثم ارتحل والخوارج بسِلّى وسِلّيْرَى (قال الاخفش سِلّى وسِلّيْرَى بفتح السين فيهما موضعان بالأهواز وسِلّى بكسر السين موضع بالبادية وهكذا ينشد هذا البيت .

كأنّ غديرهم بجنوب سِلّى * نعامٌ فاقٌ فى بلد قفار)

فنزل قريبا منهم فقال ابن الماحوز لاصحابه ما تنتظرون بعدوكم وقد هزمتموهم بالامس وكسرتم حدّهم فقال له وافدُ مَوْلَى أبى صُفْرة يا أمير المؤمنين انما تفرّق عنهم أهلُ الضعف والجُبْن وبقى أهل النجدة والقوة فان أصبتهم لم يكن ظفرا هنيأ لانى أراهم لا يُصابون حتى يُصيبوا فان غلبوا ذهب الدين فقال أصحابه ناوِفْ وافدُ فقال ابن الماحوز لا تعجلوا على أخيكم فانه انما قال هذا نظرا لكم ثم توجّه الزبير بن على الى عسكر المهلب لينظر ما حالهم فأتاهم فى مائتين فحزرهم ورجع وأمر المهلبُ أصحابه بالتحارس حتى إذا أصبح ركب اليهم على تعبية صحيحة فالتقوا بسلى وسليرى فتصافّوا فخرج من الخوارج مائةُ فارس فركز رماحهم بين الصفين واتكئوا عليها وأخرج اليهم المهلبُ عدادهم ففعلوا مثل ما فعلوا الا يومَ الاصلاة حتى أمسوا فرجع كل قوم الى معسكرهم ففعلوا هذا ثلاثة أيام ثم ان الخوارج تطاردوا لهم فى اليوم الثالث فحمل عليهم هؤلاء الفرسان يجولون ساعة ثم ان رجلا من الخوارج حمل على رجل فطعنه فحمل عليه المهلبُ فطعنه فحمل الخوارجُ بأجمعهم كما صنعوا يوم سُولاف فضعضعوا الناس وفقد المهلب وثبتت المغيرةُ فى جمع أكثرهم أهلُ عمان ثم نجم المهلبُ فى مائة فارس وقد انغمست كفّاه فى الدم وعلى رأسه قلنسوةُ مربعة فوق المغفر مَحْشُوّةٌ قزّا وقد تمزقت وان حشوها ليتطاير وهو يلهث وذلك فى وقت الظهر فلم يزل يحاربهم الى الليل حتى كثر القتل فى الفريقين فلما كان الغد غاداهم وقد كان وجّه بالامس رجلا من طاحية بن سُودِ بن مالك بن فهم بن الأزد يردُّ المنهزمين فمرّ به عامرُ بن مسمع فرده فقال ان الامير أذن لى فى البعث الى المهلب فأعله فقال دَعْهُ فلا حاجة لى فى مثله من أهل الجُبْن والضعف وقد تفرق أكثر الناس فغاداهم المهلب فى ثلاثة آلاف وقال لاصحابه ما بكم من قلّة أيعجز أحدكم أن يرمى برمحه ثم يتقدم فيأخذه ففعل ذلك رجلٌ من كِنْدة يقال له عيّاش وقال المهلب لاصحابه أعِدُّوا لخالى فيها حجارة وارموا بها فى وقت الغفلة فانه اتصدّ الفارس وتصرّع الراجل ففعلوا ثم أمر منادِيا ينادى فى أصحابه يأمرهم بالجدّ والصبر ويطمعهم فى العدوّ ففعل

ولا أتمهم قواما ولا أحسنهم كلاما ولم يدع الربوبية ملك قط الا فرعون ولم يدّع مقدما فى موكبه ولا فى شرف حسبه ولا فى نبل منظره وكمال خلقه ولا فى سعة سلطانه وشرف رعيته وكرم ناحيته ولا كان فوق الملوك الأعاظم والجلة الأكابر بل دون كثير منهم فى الحسب وشرف الملك وكرم الرعية ومنعة السلطان والسطوة على الملوك ولو كان الكبر فضيلة وفى النية رقة لما رغب عنه بنو هاشم ولكان عبد المطلب أولى الناس منه بالغاية وأحقهم بأقصى النهاية ولو كان محمود العاجل ومرجوا الآجل وكان من أسباب السادة أو من حقوق الرياسة لبدر اليه سيد بنى تميم وهو الأحنف ابن قيس ولشح عليه سيد بكر بن وائل وهو ملك ولا استولى عليه سيد الازد وهو المهلب ولقد ذكر أبو عمرو بن العلاء جميع عيوب السادة وما كان

حتى مر ببني العَدَوِيَّة من بني مالك بن حَنْظلة فضربوه فدعا المهلب بسيفهم وهو معاوية بن عمرو فجعل يركله برجله وهذا معروف في الازد فقال أصلح الله الامير أعفني من أم كيسان والركبة تسميها الازد أم كيسان ثم حمل المهلب وحملوا فاقتتلوا قتالا شديدا فجهد الخوارج فنادى منادي هم ألا ان المهلب قد قتل فركب المهلب يردونا قصيرا أشهب وأقبل يركض بين الصفين وان احدى يديه لفي القباء وما يشعر بها وهو يصيح أنا المهلب فسكن الناس بعد أن كانوا قد ارتاعوا وظنوا أن أميرهم قد قتل وكل الناس مع العصر فصاح المهلب بابنه المغيرة تقدم ففعل وصاح بذكوان مولاه قدم رايتك ففعل فقال له رجل من ولده انك تغرر بنفسك فذمره ثم صاح يا بني تميم أ تأمرونني أن تعصوني فتقدم وتقدم الناس واجتلدوا أشد جلاد حتى اذا كان مع المساء قتل ابن الماحوز وانصرف الخوارج ولم يشعر المهلب بقتله فقال لاصحابه ابغوني رجلا جلدا يطوف في القتلى فأشاروا عليه برجل من جرم وقالوا ان لم يرجلا قط أشد منه فطوف ومعه النيران فجعل اذا مر بجريح من الخوارج قال كافر ورب الكعبة فأجهز عليه واذا مر بجريح من المسلمين أمر بسقيه وحمله وأقام المهلب في عسكره يأمرهم بالاحتراس حتى اذا كان نصف الليل وجه رجلا من اليحمد (قال الاخفش اليحمد من الازد والخليل من بطن منهم يقال لهم الفراهيد والفرهود في الاصل الجمل فان نسبت الى الحي قلت فراهيدي وان نسبت الى الجملان قلت فرهودي لا غير) في عشرة فصاروا الى عسكر الخوارج فاذا القوم قد تحملوا الى أرجان فرجع الى المهلب فأعلمه فقال أنا لهم الساعة أشد خوفا فاحذروا البيات قال أبو العباس ويروى عن شعبة بن الحجاج أن المهلب قال لاصحابه يوما ان هؤلاء الخوارج قد يئسوا من ناحيتكم الا من جهة البيات فان كان ذلك فاجعلوا شعاركم حم لا ينصرون فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بها ويروى أنه كان شعار أصحاب علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فلما أصبح المهلب غدا على القتلى فأصاب ابن الماحوز فيهم فني ذلك يقول رجل من الخوارج

بسلي وسلي بري مصارع فتية * كرام وجرحى لم توسد خدودها

وقال آخر بسلي وسلي بري مصارع فتية * كرام وعقري من كميت ومن ورد

وقال رجل من موالي المهلب لقد صرعت يومئذ بحجر واحد ثلاثة رميت به رجلا فأصبت أصل

فيهم من الخلال المذمومة حيث قال ما رأينا شيأ يمنع من السودد الا وقد وجدناه في سيد وجدنا البخل يمنع من السودد وكان أبو سفيان بن حرب بخيلا والعهار يمنع من السودد وكان عامر بن الطفيل سيدا وكان عاهرا والظلم يمنع من السودد وكان حذيفة بن بدر ظلوما وكان سيد غطفان والحمق يمنع من السودد وكان عيينة بن حصن محمقا وكان سيدا والاملاق يمنع من السودد وكان عتبة بن ربيعة مملقا وقلة العدد تمنع من السودد وكان شبل بن معبد سيدا ولم يكن من عشيرته بالبصرة رجلان والحداثة تمنع من السودد وساد أبو جهل وما طر شاربه ودخل دار الندوة واستوت لحيته فذكر الظلم والحمق والبخل والفقر والعهر وذكر العيوب ولم يذكر الكبر لان هذه الاخلاق وان كانت داء فان في فضول احلامهم

أذنه فصرعته ثم أخذ الحجر فضربت به آخر على هامته فصرعته ثم صرعت به ثالثا وقال رجل من الخوارج

أتانا بأحجار ليقتلنا بها * وهل تقتل الأبطال ويحك بالحجر

وقال رجل من أصحاب المهلب في يوم سلى وسليرى وقتل ابن الماحوز

ويوم سلى وسليرى أحاط بهم * مناصواعق ما تبقي ولا تذر

حتى تركنا عبيد الله منجدلا * كأنه جذع مال منقعر

قال أبو العباس تقول العرب صاعقة وصواعق وهو مذهب أهل الحجاز وبه نزل القرآن وبنو تميم يقولون صاقعة وصواقع والمنقعر المنقلع من أصله قال الله أصدق القائلين كأنهم أعجاز نخل منقعر ويروى أن رجلا من الخوارج يوم سلى حمل على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فلما خالطه الرمح صاح يا أمتاه فصاح به المهلب لا كثر الله بمثلك المسلمين فضحك الخارجي وقال

أمك خير لك مني صاحبا * تسقيك محضا وتعل رائبا

وكان المغيرة بن المهلب اذا نظر الى الرماح قد تشاجرت في وجهه نكس على قربوس سرجه وتحمل من تحتها فبراها بسيفه وآثر في أصحابها حتى تخرمت المهنة من أجله وكان أشد ما تكون الحرب أشد ما يكون تبسما فكان المهلب يقول ما شهدت معي حربا قط الا رأيت البشرى في وجهه وقال رجل من الخوارج في هذا اليوم

فان تك قتلي يوم سلى تتابعت * فكم غادرت أسيافنا من قماقم

غداة فكرك المشرفية فيهم * بسولاف يوم المازق المتلاحم

المازق هو يوم تضايق الحرب والمتلاحم نعت له والمشرفية السيوف نسبت الى المشارف من أرض الشام وهو الموضع الملقب مؤتة الذي قتل به جعفر بن أبي طالب وأصحابه (قال الاخفش كان المبرد لا يهمز موتة ولم أسمعها من علمائنا الا بالهمز) قال أبو العباس فكتب المهلب الى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة القباع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانا لقينا الازارقة المارقة بحدود فكانت في الناس جولة ثم ثاب أهل الحفاظ والصبر بنيات صادقة وأبدان شداد وسيوف حداد فأعقب الله خيرا عاقبة وجاوز بالنعمة مقدار الأمل فصاروا درئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل الله أميرهم ابن الماحوز وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها

وفي سائر أمورهم ما يداوى به ذلك الداء ويعالج به ذلك السقم وليس الداء الممكن كالداء المعضل وليس الباب المغلق كالمستهم والاخلاق التي يمكن معها السؤدد مثل الكبر والكذب والسخف مثل الجهل بالسياسة وخرجت خارجة بخراسان فقيل لقتيبة ابن مسلم لو وجهت اليهم وكيع بن أبي سود الكفاهم فقال وكيع رجل عظيم الكبر في أنفه خنزوانة وفي رأسه نعرة وانما أنف في اسلوب ومن عظم كبره اشتد عجبه ومن أعجب برأيه لم يشاور كفيا ولم يؤامر نصيحا ومن تبجح بالانفراد وفخر بالاستبداد كان من الظفر بعيدا ومن الخذلان قريبا والخطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة وان كانت الجماعة لا تخطئ والفرقة لا تصيب ومن تكبر على عدوه حقره واذا حقره تهاون بأمره ومن تهاون بخصمه ووثق

والسلام فكتب اليه القباع قد قرأت كتابك يا أخا الأزد فرأيتك قد وهب الله لك شرف الدنيا وعزها وذخر لك ثواب الآخرة ان شاء الله وأجرها ورأيتك أوتيت حصون المسلمين وهاد أركان المشركين وأخا السياسة وذا الرياسة فاستديم الله بشكره يتم عليك نعمه والسلام وكتب اليه أهل البصرة يهنؤنه ولم يكتب اليه الاحنف ولكن قال أقرؤا عليه السلام وقولوا له أنا لك على ما فارقتك عليه فلم يزل يقرأ الكتب ويلتمس في أضعافها كتاب الاحنف فلما لم يره قال لاصحابه أما كتب الينا فقال له الرسول حملني اليك رسالة وأبلغه وقال هذه أحب الي من هذه الكتب واجتمعت الخوارج بأرجان فبايعوا الزبير بن علي وهو من بني سليط بن يربوع من رهط ابن الماحوز فرأى فيهم انكسارا شديدا وضعفا بينا فقال لهم اجتمعوا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليهم فقال ان البلاء للمؤمنين تمحيص وأجر وهو على الكافرين عقوبة وخزي وان يصب منكم أميرا المؤمنين فاصارا اليه خيرا مما خلف وقد أصبتم منهم مسلم بن عبيس وزنبيعا الأجذم والحجاج بن باب وحارثة بن بدر وأنتهبتم المهلب وقتلتم أخاه المغارك والله يقول لاخوانكم من المؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس فيوم سيء كان لكم بلاء وتمحيصا ويوم سرور كان لهم عقوبة ونكالا فلا تغلبن على الشكر في حينه والصبر في وقته وثقوا بأنكم المستخلفون في الارض والعاقبة للمتقين ثم تحمل لمحاربة المهلب فنفحهم المهلب نفحة فرجعوا فأمكن المهلب في غمض من غموض الارض يقرب من عسكره مائة فارس ليغتالوه فسار المهلب يوما يطوف بعسكره ويتفقد سواده فوقف على جبل فقال ان من التدبير لهذه المبارقة ان تكون قد أكمنت في سفح هذا الجبل كمينا فبعث عشرة فوارس فاطلعوا على المائة فلما علموا انهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة ونجوا وكسفت الشمس فصاحوا بهم يا أعداء الله لو قامت القيامة لجدنا في جهادكم ثم ينس الزبير من ناحية المهلب فضرب الى ناحية أصبهان ثم كر راجعا الى أرجان وقد جمع جموعا وكان المهلب يقول كأني بالزبير وقد جمع جموعا فلا ترهبوهم فتخيبن فلو بكم ولا تغفلوا الاحتراس فيطمعوا فيكم فجاؤه من ارجان فألفوه مستعدا آخذا بأفواه الطرق فحاربوه فظهر عليهم ظهورا بينا في ذلك يقول رجل من بني تميم أحسبه من بني رياح بن يربوع

بفضل قوته قل احتراسه ومن قل احتراسه كثر عثاره وما رأيت عظيم الكبر صاحب حرب الا كان منكوبا ومهزوما ومخذولا ولا يشعر حتى يكون عدوه عند وخصمه فيما يغلب عليه أسمع من فرس وأبصر من عقاب وأهدى من قطاة وأحذر من عقعق وأشد اقداما من الأسد وأرثب من فهد وأحقد من جمل وأروغ من ثعلب وأغدر من ذئب وأسخى من لاقطة وأشح من صبي وأجبن من ذرة وأحرس من كلب وأصبر من ضب فان النفس انما تسمح بالعناية على قدر الحاجة وتحفظ على قدر الخوف وتطلب على قدر الطمع وتطمع على قدر السبب ﴿فصل منه﴾ وأقول بعد هذا كله ان الناس قد ظلموا أهل الحلم والعزم حين زعموا أن الذي يسهل عليهم الاحتمال معرفة الناس بقدرتهم على الانتقام فكيف

سَقَى اللهُ المهلبَ كلَّ غَيثٍ ٭ من الوَسْمِيِّ يَنْهَرُ انهمارا

فلاوَهَنَ المهلبُ يومَ جاءت ٭ عَوابِسُ خيلهم قَبَنِي الغوارا

وقال المهلب يومئذ لما وقعتُ في أمرٍ ضيق من الحرب الا رأيت أمامي رجالا من بني الهُجَيم ابن عمرو بن تميم يجالدون وكانَّ لحاهم أذنابُ العقاعق وكانوا صبروا معه في غير موطن وقال رجل من بني تميم من بني عبشمس بن سعد

ألا يامَنْ لِصَبٍّ مُسْتَهَامٍ ٭ قريحِ القلبِ قد صَحِبَ المَزونا

فَهانَ على المهلب ما لَقينا ٭ اذا ما راح مَسْرورا بَطينا

يَجُرُّ السابِرِيَّ ونحن شُعْثٌ ٭ كأنَّ جلودنا كُسِيَتْ طَحينا

المَزونُ عُمانُ وهو اسم من أسمائها قال الكُمَيْتُ

فأما الأَزْدُ أَزْدُ أبي سعيدٍ ٭ فأكرهُ أن أسميها المَزونا

وقال جرير وأَطْفأتَ نيرانَ المَزونِ وأهلها ٭ وقد حاولوها فتنةً أن تُسَعَّرا

وحمل يومئذ الحَريشُ بن هلال على قَيس الاكاف وكان قيس من أنجد فُرسان الخوارج فطعنه فدقَّ صُلبَهُ وقال قَيسُ الاكافِ غَداةَ الرَّوْعِ يَعْلُسُني ٭ ثَبْتَ المَقام اذا الافيتُ أقراني

وقد كان وَلَّى المهلب يوم سلبى وسليرى صارا الى البصرة فذكروا أن المهلب أصيب فَهَمَّ أهل البصرة بالنُّقْلة الى البادية حتى ورد كتابه بظَفَره فأقام الناسُ وتراجع من كان ذهب منهم فعند ذلك يقول الاحنفُ بن قَيسٍ البصرةُ بصرةُ المهلب وقدم رجل من كِنْدَةَ يقال له فلان ابن أَرْقَمَ قَتَلَ ابنَ عم له وقال رأيت رجلا من الخوارج وقد مَكَّن رمحه من صلبه فقدم المنهى فقيل له ذلك فقال صدق بن أرقم لما أحسستُ برمحه بين كَتِفَيَّ صِحْتُ البَقِيَّةَ فرفعه عني وتلا بقيةُ الله خيرٌ لكم ان كنتم مؤمنين ووَجَّهَ المهلب بعقب هذه الوقعة رجلا من الأَزْد برأس عُبَيْدِ الله بن بَشير بن الماحوز الى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة القُباعِ فلما صار بكُرَيْج دينار القيه حَبيبٌ وعبد الملك وعلي بنو بشير بن الماحوز فقالوا له ما الخبر ولا يعرفهم فقال قتل الله المارقَ ابنَ الماحوز وهذا رأسُه معي فوثبوا عليه فقتلوه وصلبوه وردفنوا الرأس فلما وَلِيَ الحجاجُ دخل عليه علي بن بشير وكان وسيما جسيما فقال من هذا الغُبَّر فقتله ووهب ابنه الازهر وابنته لاهل الأَزْدِيِّ المقتول وكانت زينب بنت بشير لهم مُواصلةً فوهبوهما لها فلم يزل المهلب يقاتل الخوارج في ولاية

والمذكور بالحلم والمشهور بالاحتمال يقبض له من السفهاء ويوثق له من أهل البذاء ما لا يقوم له صبر ولا ينهض به عزم بل على قدر حلمه يتعرض له وعلى قدر عزمه يمتحن صبره ولأن الذي سهل عليه الحلم ومكنه من العزم معرفة الناس بقدرته على الانتقام واقتداره على شفاء الغيظ فان منعه لنفسه ومحاذبته لطبعه مع الغيظ الشديد والقدرة الظاهرة أشد عليه في المزاولة وأبلغ في المشقة والمكابدة من صبر الشكل على أذى شكله واحتمال المظلوم عن مثله وان خاف الطمس وتوقع العيب

(فصل منه) ومن بعد هذا فمن شأن الايام أن يظلم المرء أكثر محاسنه ما كان تابعا فاذا عادت متبوعا عادت عليه من محاسن غيره باضعاف ما منعته من محاسن نفسه حتى تضاف اليه ومن شواذ الأفعال ومن شواذ

الحرث البقاع حتى عزل الحرث وولى مصعب بن الزبير فكتب اليه أن اقدم علي واستخلف ابنك المغيرة ففعل فجمع الناس فقال لهم انى قد استخلفت عليكم المغيرة وهو ابو صغيركم رقة ورحمة وابن كبيركم طاعة وبرا وتجيلا واخو مثله مواساة ومناصحة فلتحسن له طاعتكم وليلن له جانبكم فوالله ما اردت صوابا قط الا سبقني اليه ثم مضى الى مصعب وكتب مصعب الى المغيرة يولايته وكتب اليه انك لم تكن كابيك فانك لما وليت قمر واثرر وجد واجتهد ثم نهض مصعب الى المذار فقتل احمر بن شميط ثم اتى الكوفة فقتل المختار بن ابى عبيد وقال للمهلب اشر على برجل اجعله بيني وبين عبد الملك فقال اذكر لك واحدا من ثلاثة محمد بن عمير بن عطارد الدارمي او زياد ابن عمرو بن الاشرف العتكي او اردا ود بن قحذم فقال او تكفيني قال اكفيك ان شاء الله فولاه الموصل فنهض المهلب اليها وصار مصعب الى البصرة فسأل من يستكفي امر الخوارج ويفد الى اخيه فشاور الناس فقال قوم ولى عبيد الله بن ابى بكرة وقال قوم ولى عمر بن عبيد الله بن معمر وقال قزم ليس لهم الا المهلب فاردده اليهم وبلغت المشورة الخوارج فأداروا الامر بينهم فقال قطري بن الفجاءة المازني ان جاءكم عبيد الله بن ابى بكرة اتاكم سيد سمح جواد كريم مصيخ لعسكره وان جاءكم عمر بن عبيد الله اتاكم شجاع بطل فارس جاد يقاتل لدينه وملكه وبطيعته لم ار مثلها لاحد فقد شهدته في وقائع فانودي في القوم لحرب الا كان اول فارس يطلع حتى يشد على قرنه فيضربه وان رد المهلب فهو من قد عرفتموه ان اخذتم بطرف ثوب اخذ بطرفه الآخر يمده اذا ارسلتموه ويرسله اذا مددتموه لا يبدوكم الا ان تبدوه الا ان يرى فرصة فينتهزها فهو الليث المبر والثعلب الروغ والبلاء المقيم فولى عليهم عمر بن عبيد الله وولاه فارس والخوارج بأرجان وعليهم الزبير بن علي السليطي فنهض اليهم فقاتلهم وألح عليهم حتى أخرجهم عنها فألحقهم بأصبهان فلما بلغ المهلب أن مصعبا ولى عمر بن عبيد الله قال رماهم بفارس العرب وفتاها فجمعوا له وأعدوا واستعدوا ثم أتوا سابور فسارا اليهم حتى نزل منهم على أربعة فراسخ فقال له مالك بن حسان الأزدي ان المهلب كان يذكي العيون ويخاف البيات ويرتقب الغفلة وهو على أبعد من هذه المسافة منهم فقال له مه راسكت خلع الله قلبك أترانا نموت قبل آجالنا فأقام هناك فلما كان ذات ليلة بيتته الخوارج فخرج اليهم فحاربهم حتى أصبح فلم يظفروا منه بشئ

المكارم ان كان سيدا
ومن غريب الامثال ان
كان منطيقا ومن خيار
القصائد ان كان شاعرا
مما لا أمارات لها ولا سمات
عليها فكم من يد بيضاء
وصنيعة غراء ضلت فلم
يقم بها ناشد وخفيت فلم
يظهرها شاكر والذي ضاع
التابع قبل أن يكون
متبوعا أكثر مما حفظ والذي
كتم أكثر مما ذكر وما ظنك
بشئ مذكوره يهب
السيادة ومشكوره يهب
الرياسة على قلة الشكر
وكثرة الكفر وقد يكون
الرجل تام النفس ناقص
الاداة فلا يستبان فضله
ولا يعظم قدره كالمفرج
الذي لا عشيرة له والاتاوي
الذي لا قوم له وقد يعظم
المفرج الذي لا ولاء له
ولا عقد جوار ولا عهد
حلف اذا برع في الفقه
وبلغ في الزهد باكثر من
تعظيم السيد بكهة تعظيم
الديان كما ان طاعة
السلطان غير طاعة
السادة والسلطان انما
يملك أبدان الناس ولهم

فأقبل على مالك بن حسان فقال كيف رأيت قال قد سلّم الله عز وجل ولم يكونوا يطمعون من المهلب بمثلها فقال أما انكم لو ناصحتموني منا صحتكم المهلّب لرجوت أن أنفي هذا العدو ولكنكم تقولون قرشيٌّ حجازي بعيد الدار خيره لغيرنا فتقاتلون معي تعذيرا ثم زحف الى الخوارج من غد ذلك اليوم فقاتلهم قتالا شديدا حتى ألجأهم الى قنطرة فتكائف الناس عليها حتى سقطت فأقام حتى أصلحها ثم عبروا وتقدم ابنه عبيد الله بن عمر وأمّه من بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب فقاتلهم حتى قُتل فقال قَطَرِيٌّ لا تقاتلوا عمر اليوم فانه موتور ولم يعلم عمر بقتل ابنه حتى أفضى الى القوم وكان مع ابنه النعمان بن عبّاد فصاح به يا نعمان أين ابني فقال احتسبه فقد استُشهد رحمه الله صابرا مُقبلا غير مُدبر فقال انا لله وانا اليه راجعون ثم حمل على الناس حملة لم ير مثلها وحمل أصحابه بحملته فقتلوا في وجوههم ذلك تسعين رجلا من الخوارج وحمل على قطري فضربه على جبينه ففلقه وانهزمت الخوارج وانهبها فلما استقروا قال لهم قَطَرِيٌّ أما أشرت عليكم بالانصراف فجعلوه وجوههم حتى خرجوا من فارس وتلقاهم في ذلك الوقت الغرزُ بن مهزم العبديُّ فسألوه عن خبره وأرادوا قتله فأقبل على قطري فقال اني مؤمن مهاجر فسأله عن أفاضل هم فأجابه اليها فخلوا عنه فني ذلك يقول في كلمة له

وشدّوا وثاقي ثم أجوا خصومتي * الى قَطَرِيّ ذي الجبين المُفَلَّقِ
وحاجَجْتُهم في دينهم وحَجَجْتُهم * ومادينهم غيرُ الهوى والتملّقِ

ثم انهم تراجعوا وتكانفوا (قال الأخفش تكانفوا أعان بعضهم بعضا واجتمعوا وصار بعضهم في كَنَف بعض) وعادوا الى ناحية أرّجان فسار اليهم عمر وكتب الى مُصْعَب أما بعد فاني قد لقيت الأزارقة فرزق الله عُبَيْدَ الله بن عمر الشهادة ووهب له السعادة ورزقنا عليهم الظفر فتفرقوا شذر مذر وبلغني عنهم عَوْدة فيمّمتهم وبالله أستعين وعليه أتوكل فسار اليهم ومعه عطية بن عمرو ومُجَّاعة بن سعيد فالتقوا فألحّ عليهم حتى أخرجهم وانفرد من أصحابه فعمد له أربعة عشر رجلا منهم من مذكوريهم وشجعانهم وفي يده عمود فجعل لا يضرب رجلا منهم ضربة الا صرعه فركض اليه قَطَرِيٌّ على فرس طِمِرّ وعمر على مُهر فاستعلاه قَطَرِيٌّ بقوة فرسه حتى كاد يصرعه فبصر به مُجَّاعة فأسرع اليه فصاح الخوارج بقطري يا أبا نعامة ان عدوّ الله قد رهقك فانحط قطريٌّ

الخيار في عقولهم وكذلك الموالي والعبيد وطاعة الناس للسيد وطاعة الديان طاعة محبة ودنيوية والقلوب أطوع لهما من الابدان الا أن يكون السلطان مرضيا فان كان كذلك فهو أعظم خطرا من السيد وأوجه عند الله من ذلك الديان وربما ساد الاتاوي لانه عزي على حال والمفرج لا يسود أبدا لانه عجمي لا حلف له ولا عقد جوار ولا ولاء معروف ولا نسب ثابت وليس التسويد الا في العرب والعجم لا تطيع الا الملوك والذي أحوج العرب في الجاهلية الى تسويد الرجال وطاعة الأكابر بعد دورهم من الملوك والحكام والقضاة وأصحاب الأرباع والمسالح والعمال فكان السيد في منعهم من غيرهم ومنع غيرهم منهم ووثوب بعضهم على بعض في كثير من معاني السلطان

(فصل من رسالته الى أبي الفرج الكاتب في

عن قَرَبوسه فطعنه مُجَّاعةُ وعلى قطرى درعان فهتكهما وأسرع السنانُ فى رأس قطرى فكَشَطَ عنه جلدةً ونجا وارتحل القوم الى أصفهانَ فأقاموا برهةً ثم رجعوا الى الاهواز وقد ارتحل عمر ابن عبيد الله الى اصطخرَ فأمر مُجَّاعةَ فجبَى الخراج أسبوعا فقال كم جبيت قال تسعمائة ألف فقال هى لك فقال له يزيد بن الحَكَم الثقفى لمجاعة

ودعاكَ دَعْوةَ مُرْهِقٍ فأجبتَه * عُمُرٌ وقد نسى الحياةَ وضاعا

فرددتَ عادية الكتيبة عن فتًى * قد كاد يُترَكُ لحمُه أوزاعا

وعُزِلَ مُصْعَبُ بن الزبير وولّى حمزةُ بن عبد الله بن الزبير فوجّه المهلبَ اليهم فحاربهم فأخرجهم عن الاهواز ثم رُدَّ مُصْعَبٌ والمهلبُ بالبصرة والخوارجُ بأطراف أصبهان والوالى عليها عَتّابُ ابن وَرْقاء الرياحى فأقام الخوارج هناك شيأ يجبون القُرَى ثم اقبلوا الى الاهواز من ناحية فارس فكتب مُصْعَبٌ الى عمر بن عبيد الله بها أنصفتنا أقت بفارس تجبى الخراج ومثلُ هذا العدوّ يحلّ بلدُنا والله لو قاتلتَ ثم هربتَ لكان أعذرَ لك وخرج مصعب من البصرة يريدهم وأقبل عمر ابن عبيد الله يريدهم فتنحى الخوارج الى السُّوس ثم أتوا المدائن فقتلوا أحَرَطيين وكان شجاعا وكان من فُرسان عبيد الله بن الحُرّ فى ذلك يقول الشاعر

تركتم فتى الفتيان أحَرَطيين * بسابَاطَ لم يَعْطِفْ عليه خليلُ

ثم خرجوا عامدين الى الكوفة فلما خالطوا سوادها ووالى الحرثُ بن عبد الله القُباعُ فتناقل عن الخروج وكان جبانا فذمّره ابراهيم بن الأشتر ولامه الناس فخرج معه ملاحتى أتى النُخَيلةَ فى ذلك يقول الشاعر

ان القُباعَ سارَ سَيْرًا نُكْرا * يسير يوما ويُقيمُ شهرا

وجعل يَعِدُ الناس بالخروج ولا يخرج والخوارج يعيثون حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها وكانت جميلة ثم أرادوا قتلها فقالت أتقتلون من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فقال قائل منهم دعوها فقالوا قد قتلنا ثم قدّموها فقتلوها ثم قَرّبوا أخرى وهم بحذاء القُباع والجسر معقود بينهما فقطعه القباع وهو فى ستة آلاف والمرأة تستغيث به وتقول غلام تقتلونى فوالله ما فسقتُ ولا كفرتُ ولا ارتددتُ والناس يتقلبون الى الخوارج والقباع يمنعهم فلما خاف أن يعضوه أمر عند ذلك بقطع الجسر فأقام بين دباها ودَيْرَى خمسة أيام والخوارج بقربه وهو يقول

الناس

المودة والخلطة) أطال الله بقاءك وأعزك وأدام وأتم نعمه عليك زعم أبقاك الله كثير ممن يقرض الشعر ويروى معانيه ويتكلف الأدب ويجتبيه أنه قد مدح المرجو المأمون والمفتى المزور بان يكون محمودا وهى الطرف مغفلا وسليم الصدر للراغبين وحسن الظن بالظالمين قليل الفطنة لأبواب الاعتذار عاجزا عن التخلص الى معانى الاعتدال قليل الحذق برد الشفعاء شديد الخوف من مباسم الشعراء حصور عند الاحتجاج للمنع سلس القياد اذا نهبته نهبته للبذل واحتجوا بقول الشاعر

أيت الخليفة فاخدعه بمسئلة

ان الخليفة للسؤال يخدع

فانتحال المأمول المغفلة التى تعترى الكرام وخداع الجواد لخدع الطالبين ومخاريق المستميحين باب من التكرم ومن استدعاء الراغب

الناس فى كل يوم اذا لقيتم العدو غدا فأثبتوا أقدامكم واصبروا فان أول الحرب الترامى ثم اشراع الرماح ثم السلة فتشكلت رجلا أمه فر من الزحف فقال بعضهم لما أكثر عليهم أما الصفة فقد سمعناها فمتى يقع الفعل وقال الراجز

ان القباع سار سيرا املسا * بين دباها ودبيرى خمسا

فأخذ الخوارج حاجتهم وكان شأن القباع الفصل منهم ثم انصرفوا ورجع الى الكوفة وصاروا من فورهم الى أصبهان فبعث عتاب بن ورقاء الى الزبير بن على أنا بن عمك ولست أراك تقصد فى انصرافك من كل حرب غيرى فبعث اليه الزبير ان أدنى الفاسقين وأبعدهم من الحق سواء وانما سمى الحرث بن عبد الله القباع لانه ولى البصرة فعبر على الناس مكاييلهم فنظر الى مكيال صغير فى مرآة العين وقد أحاط بدقيق استكثره فقال ان مكيالكم هذا القباع والقباع الذى يخفى أو يخفى ما فيه يقال انقبع الرجل اذا استتر ويقال للقنفذ اقبع وذلك أنه يخنس رأسه وأقام الخوارج يغادون عتاب بن ورقاء القتال ويراوحونه حتى طال عليهم المقام ولم يظفروا منه بكبير فلما كثر ذلك عليهم انصرفوا الا مرون بقرية بين أصفهان والاهواز الا استباحوها وقتلوا من فيها وشاور المصعب الناس فأجمع رأيهم على المهلب فبلغ الخوارج مشورته فقال لهم قطرى ان جاءكم عتاب بن ورقاء فهو فاتك يطلع فى أول المقنب ولا يظفر بكبير وان جاءكم عمر بن عبيد الله فارس يقدم فاماله واما عليه وان جاءكم المهلب فرجل لا يناجزكم حتى تناجزوه ويأخذ منكم ولا يعطيكم فهو البلاء اللازم والمكروه الدائم وعزم المصعب على توجيه المهلب وان ينتخص هو لحرب عبد الملك فلما أحس به الزبير بن على خرج الى الرى وبها يزيد بن الحرث بن رويم فحاربه ثم حصره فلما طال عليه الحصار خرج اليه فكان الظفر للخوارج فقتل يزيد بن رويم ونادى يومئذ ابنه حوشبا فغر عنه وعن أمه لطيفة وكان على بن أبى طالب عليه السلام دخل على الحرث بن رويم يعود ابنه يزيد فقال له عندى جارية لطيفة الخدمة أبعث بها اليك فسماها يزيد لطيفة فقتلت معه يومئذ فى ذلك يقول الشاعر

مواقفنا فى كل يوم كريهة * أمر وأشقى من مواقف حوشب

دعاه يزيد والرماح شوارع * فلم يستجب بل راغ تم راغ ثعلب

ولو كان شهم النفس أو ذا حفيظة * رأى ما رأى فى الموت عيسى بن مصعب

والتعرض للمجتدى والتلطف لاستخراج الأموال والاحتيال لحل عقد الأشحاء وتهييج لطبائع الكرام وأنا أزعم أبقاك الله تعالى ان اقرار المسئول بما يبخل من ذلك نوك واضماره لؤم حتى تصح القيمة ويعتدل الوزن وأنا أعوذ بالله من تذكر يناسب الاقتضاء ومن اقتضاء يضارع الالحاح ومن حرص يعود الى الحرمان ومن رسالة ظاهرها زهد وباطنها رغبة فان أسقط الكلام وأوغده وأبعده من السعادة وأنكده ما أظهر النزاهة وأضر الحرص وتجلى للعيون بعين القناعة واستشنع ذلة الافتقار وأشنع من ذلك وأقبح منه وأفحش أن يظن صاحبه أن معناه خفى وهو ظاهر وتأويله بعيد الغور وهو قريب القعر فنسأل الله تعالى السلامة فانها أصل النعمة عليكم ونحمده على اتصال نعمتنا بنعمتكم وما ألهمنا الله تعالى من وصف محاسنكم والحمد لله الذى جعل الحمد مستفتح كتابه وآخر دعوى أهل جنته ولو ان رجلا اجتهد فى عبادة ربه واستفرغ مجهوده فى

وقدم خبر عيسى بن مصعب مستقصى وقال آخر

نَجَّى حَلِيلَتَهُ وأَسْلَمَ شَيْخَهُ * نَصْبَ الأَسِنَّةِ حَوْشَبُ بنُ يَزِيد

وقال ابن حوشب لبلال بن أبي بُرْدَةَ يعيره بأمه و بلالٌ مَشْدود عند يوسف بن عمر يا ابن حَوْراءَ فقال بلال وكان جَلْدًا ان الأَمَةَ تسمى حَوْراءَ وجَيِّدا وَلَطِيفَةَ وزعم الكلبي أن بلالا كان جلدا حيث ابْتُلِيَ قال الكلبي ويُعْجِبُني أن أرى الأسير جَلْدًا قال وقال خالد بن صَفْوان له بحضرة يوسف الحمد لله الذي أزال سُلْطانَكَ وهَدَّر كَيْدَكَ وغيرحالك فوالله لقد كنت شديد الحجاب مستخفا بالشريف مظهرا للعَصَبِيَّة فقال له بلال انما طال لسانك يا خالدُ لثلاث يمعدهُنَّ على الأمرُ عليك مُقْبِلٌ وهو عني مُدْبِرٌ وأنت مُطْلَقٌ وأنا مأسور وأنت في طينتك وأنا في هذا البلد غريب وانما جرى الى هذا لانه يقال ان أصل آل الأهتم من الحيرة وأنهم أُشابةٌ دخلت في بني مُنْقِر من الروم ثم انحط الزبير بن علي على أصفهان فحَصَرَ بها عَتَّاب بن وَرْقاء الرياحي سبعة أشهر وعتابٌ يحاربه في بعضهن فلما طال به الحصار قال لاصحابه ما تنتظرون والله ما تُؤْتَوْنَ من قِلَّة وانكم لفُرسانُ عَشائركم ولقد حاربتموهم مرارا فانتصفتم منهم وما بقي مع هذا الحصار الا أن تَفْنَى ذخائركم فيموتَ أحدكم فيدفنه أخوه ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه فقاتلوا القوم وبكم قوة من قبل أن يضعف أحدكم عن أن يمشي الى قِرْنِه فلما أصبح الغد صلى بهم الصبح ثم خرج الى الخوارج وهم غارُّون وقد نَصَبَ لواء لجارية له يقال لها يمين فقال من أراد البقاء فليلحق بلواء يمين ومن أراد الجهاد فليخرج معي فخرج في ألفين وسبعمائة فارس فلم يَشْعُر بهم الخوارج حتى غَشُوهُم فقاتلوهم بجِدٍّ فانهزم الخوارج منهم مشله فعقروا منهم خَلْقا وقتلوا الزبير بن علي وانهزمت الخوارج فلم يَتْبَعْهُمْ عَتَّابٌ في ذلك يقول الشاعر

ويَوْمٌ بِجَيٍّ تلافَيْتَهُ * ولولاكَ لاصْطُلِمَ العَسْكَرُ

قال أبو العباس يُفَسِّر قوله ولولاك في آخر هذا الخبر ان شاء الله وقال رجل من بني ضَبَّة في تلك الوقعة

خَرَجْتُ من المدينة مُسْتَمِيتا * ولم أَلُكُ في كَتِيبَةِ يامينا

أليس من الفضائل أنَّ قَوْمي * غَدَوْا مُسْتَلْئِمين مُجاهِدينا

وتزعم الرواة أنهم في أيام حصارهم كانوا يتوافقون ويَحْمِلُ بعضُهم على بعض وربما كانت مُوافَقَةٌ بغير حرب وربما اشتدت الحرب بينهم وكان رجل من أصحاب عتاب يقال له شريح

طاعة سيده ليهب له الاخلاص في الدعاء لمن أنعم عليه وأحسن اليه لكان حريا بذلك أن يدرك أقصى غاية الكرم في العاجل وأرفع درجات الكرامة في الآجل وعلى اني لا أعرف معنى أجمع لخصال الشكر ولا أدل على جماع الفضل من سخاوة النفس باداء الواجب ونحن وان لم نكن أعطينا الخلاص جميع حقه فان المرء مع من أحب وله ما احتسب ولا أعلم شيأ أزيد في السيئة من استصغارها ولا أحبط للحسنة من العجب بها وعما يستديم الخطأ التقصير واهمال النفس وترك التوقف وقلة المحاسبة وبعد العهد بالتثبت وبهما رجعنا اليه من ضعف في عزم وهان ما نفقد من مناقل الحلم فانا لا نجمع بين التقصير والانكار ونعوذ بالله أن نقصر في ثناء على محسن أو دعاء لمنعم ولئن اعتذرنا لأنفسنا بصدق المودة وبجميل الذكر فما يعدلكم من تحقق الآمال والنهوض بالاثقال أكثر على انكم لم تحملونا الا الخف وقد حملناكم الثقل ولم تسألونا الجزاء على احسانكم وقد

ويُكْنَى أبا هريرة اذا تحاجزَ القوم مع المساء نادى بالخوارج وبالزُّبَيْر بن علي

يا ابنَ أبي الماحوزِ والأشرارِ * كيف تَرَوْنَ يا كلابَ النارِ

شَدَّ أبي هريرةَ الهَرَّارِ * يَهُرُّكُمْ بالليل والنهارِ

ألم تَرَ واجِيًا على المضمارِ * تُمْسِي من الرحمن في جوارِ

فغاظهم ذلك منه فكَمَنَ له عُبَيْدةُ بن هلال فضربه واحتمله أصحابه فظنت الخوارج أنه قد قُتِلَ فكانوا اذا تواقفوا نادَوْهم ما فَعَلَ الهَرَّارُ فيقولون ما به من بأس حتى أبَلَّ من علَّته فخرج اليهم فصاح يا أعداء الله أتروني بي بأسا فصاحوا به قد كنا نرجو أنك لَحِقْتَ بأمِّك الهاوية في النار الحامية ۞ قال أبو العباس نفسر أشياء من العربية تحتاج الى الشرح من ذلك قوله ولولاكَ ومنه قوله ألم تر واجِيًا ومنه قوله يهركم بالليل والنهار أما قوله لولاكَ فان سيبويه يزعم أن لولا تخفض المضمر ويرتفع بعدها الظاهر بالابتداء فيقال اذا قلتَ لولاكَ فما الدليل على أن الكاف مخفوضة دون أن تكون منصوبة وضمير النصب كضمير الخفض فتقول انك تقول لنفسك لولاي ولو كانت منصوبة لكانت النون قبل الياء كقولك رماني وأعطاني قال يزيد بن الحكم الثقفي

وكَمْ مَوْطِنٍ لولايَ طِحْتَ كما هَوَى * بأجْرامِهِ من قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِي

النيق أعلى الجبل وجِرْمُ الانسان خَلْقُهُ فيقال له الضمير في موضع ظاهره فكيف يكون مختلفا وان كان هذا جائزا فلِمَ لا يكون في الفعل وما أشبهه نحو انَّ وما كان معها في الباب وزعم الاخفش سَعِيدٌ أن الضمير مرفوع ولكن وافَقَ ضميرُ الخفض كما يستوي الخفض والنصب فيقال فهل هذا في غير هذا الموضع قال أبو العباس والذي أقوله أن هذا خطأ لا يصلح الا أن تقول لولا أنتَ كما قال الله عز وجل لولا أنتم لكنا مؤمنين ومن خالفنا يزعم أن الذي قلناه أجْوَدُ ويَدَّعِي الوجه الآخر فيُجيزه على بُعْدِه وأما حَيَّ فالاجود فيها أن تقول * ألم تر واجِيًا على المضمار * فلا تُنَوِّن لانها مَدِينة والاسم أعجمي والمؤنث اذا سمي باسم أعجمي على ثلاثة أحرف لم ينصرف اذا كان مؤنثا وان كان أوسطه ساكنا نحو جُورَ وحِمْصَ وما كان مثل ذلك ولو كان اسما للمذكر لانصرف فان صرفته جعلته اسما للبلد وان لم تصرفه جعلته اسما للبلدة أو للمدينة ألا ترى أنك تصرف نُوحا ولوطا وهما أعجميان وكذلك لو كان على ثلاثة أحرف كلها متحرك لانك تصرف

سألناكم الجزاء على ما سألناكم ولم تكلفونا ما يجب لكم وكلفناكم ما لا يجب ومن أفرط الجهل أن تتذكر حقنا في تصديق ذلك الظن وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عظمت نعمة الله على أحد الا عظمت عليه مؤنة الناس وأنا أسأل الله الذي ألزمكم المؤن الثقال ووصل بكم آمال الرجال وامتحنكم بالصبر على تجرع المرار وكافكم مفارقة المحبوب من الأموال أن يسهلها عليكم ويحببها اليكم حتى يكون شغفكم بالاحسان الداعي اليه وصبابتكم بالمعروف الحامل عليه وحتى يكون حب التفضل والمحبة لاعتياد المنن الغاية التي تستدعي المدبر والنهاية التي تعذر المقصر وحتى تكرهوا على الخير من أخطأ حظه وتفتحوا باب الطلب لمن قصر به العجز ثم اعلم أصلحك الله تعالى ان الذي وجد في العبرة وجرت عليه التجربة واتسق به النظم وقام عليه وزن الحكم واطرد منه الفسق وأثبته الفحص وشهدت له العقول أن من أول أسباب الخلطة والدواعي الى المحبة ما يوجه على

قدما لو سميت به رجلا فالاعجمى بمنزلة المؤنث لان امتناعهما واحد وأما قوله يهركم فان كل ما كان من المضاعف على ثلاثة أحرف وكان متعديا فان المضارع منه على يَفْعُلُ نحو شَدَّهُ يَشُدُّهُ وزَرَّهُ يَزُرُّهُ وردَّهُ يَرُدُّهُ وحَلَّهُ يَحُلُّهُ وجاء منه حرفان على يَفعِلُ ويَفْعُلُ فيهما جيد هَرَّهُ يَهِرُّهُ اذا كرهه ويَهُرُّهُ أجود وعَلَّهُ بالحناء يَعِلُّهُ ويَعُلُّهُ أجود ومن قال حَبَبْتُهُ قال يَحِبُّهُ لا غير وقرأ أبو رجاء العُطاردى فاتبعونى يحببكم الله وذلك أن بنى تميم تدغم فى موضع الجزم وتحرك أواخره لالتقاء الساكنين ﴿ رجع الحديث ﴾ ثم ان الخوارج أداروا أمرهم بينهم فأرادوا توليةَ عُبَيْدَةَ بن هلال فقال ادلكم على من هو خير لكم منى من يطاعن فى قُبُل ويحمى فى دُبُر عليكم قَطَرِىَّ بن الفُجاءة المازنى فبايعوه فوقف بهم فقالوا يا أمير المؤمنين امض بنا الى فارس فقال ان بفارس عمر بن عبيد الله بن مَعْمر ولكن نصير الى الاهواز فان خرج مُصْعَبُ بن الزبير من البصرة دخلناها فأتوا الاهواز ثم ترفعوا عنها الى ايذج وكان مصعب قد عزم على الخروج الى باجُمَيْر فقال لاصحابه ان قَطَرِيًّا قد أطل علينا وان خرجنا عن البصرة دخلها فبعث الى المهلب فقال اكفنا هذا العدو فخرج اليهم المهلب فلما أحس به قطرى نهض نحوه كرمان فأقام المهلب بالاهواز ثم كرّ قَطَرِىٌّ عليه وقد استعد فكان الخوارج فى جميع حالاتهم أحسن عُدَّةً ممن يقاتلهم بكثرة السلاح وكثرة الدواب وحصانة الجُنَن فحاربهم المهلب فنفاهم الى رام هُرْمُز وكان الحرث بن عَمِيرة الهَمْدانى قد صار الى المهلب مُراغِمًا لعَتَّاب بن وَرْقاء يقال انه لم يُرْضِه عن قتله الزبير بن على وكان الحرث بن عميرة هو الذى تولى قتله وحاص اليه أصحابه فى ذلك يقول أعشى همدان

ان المكارم أكملت أسبابها * لابن اللبوث الغُرِّ من قحطان

للفارس الحامى الحقيقة معلما * زاد الرفاق الى قُرَى نجران

الحرث بن عميرة الليث الذى * يحمى العراق الى قُرَى كرمان

ودّ الازارق لو يصاب بطعنة * ويموت من فُرْسانهم مائتان

(ويروى زاد الرفاق وفارس الفُرْسان) وتأويله أن الرفقة اذا صحبها أغناها عن التزود كما قال جرير وأراد ابن له سفرا وفى ذلك السفر يحيى بن أبى حفصة فقال لابيه زَوِّدْنى فقال جرير

أزادا سوى يحيى تريد وصاحبا * ألا ان يحيى نعم زاد المسافر

بعض الناس من القبول عند أول وهلة وقلة انقباض النفوس مع أول الخلطة ثم اتفاق الأسباب التى تقع بالموافقة عند أول المجالسة وتلاقى النفوس بالمشاكلة عند أول الخلطة والأدب أدبان أدب خلق وأدب رواية ولا تكمل أمور صاحب الأدب الا بهما ولا يجتمع له أسباب التمام الا من أجلهما ولا يعدى الرؤساء ولا يثنى به الخنصر فى الادباء حتى يكون عقله المتأمر عليهما والسايس له

﴿فصل منها﴾ فان تمت بعد ذلك أسباب الملاقاة تمت المصافاة وحسن الألف الى سكنه والشأن قبل ذلك مما يسبق الى القلب ويخف على النفس ولذلك احترس الحازم المستعدى عليه من السابق الى قلب الحاكم عليه ولذلك التمسوا الرفق والتوفيق والايجاز وحسن الاختصار وانخفاض الصوت وان يخرج الظالم كلامه مخرج لفظ المظلوم حتى يترك اللحن بحجته بعد وتخلف الداهية كثيرا من أدبه ويغض من محاسن

فما تُنكِرُ الكَوماءُ ضَربةَ سيفِه * اذا أرمَلوا أو خَفَّ ما في الغرائر

وقوله ويموت من فرسانهم يكون على وجهين مرفوعا ومنصوبا فالرفع على العطف ويدخل في النفي والنصب على الشرط والخروج من العطف وفي مصحف ابن مسعود ودُّوا لو تُدهنُ فيُدهنوا والقراءة فيدهنون على العطف وفي الكلام ودّوا تأنيه فتُعدّيه وان شئت نصبت الثاني وخرج مصعب بن الزبير الى باجُميرا ثم أتى الخوارج خبر مقتله بسكين ولم يأت المهلب وأصحابه فتواقفوا يوما على الخندق فنادا هم الخوارج ما تقولون في المصعب قالوا امامُ هُدًى قالوا فما تقولون في عبد الملك قالوا ضالٌّ مُضلٌّ فلما كان بعد يومين أتى المهلب قتلُ مُصعب وأن أهل الشأم اجتمعوا على عبد الملك وورد عليه كتاب عبد الملك بولايته فلما توافقوا نادا هم الخوارج ما تقولون في مصعب قالوا الا نخبركم قالوا فما تقولون في عبد الملك قالوا امامُ هُدًى قالوا يا أعداء الله بالامس ضالٌّ مُضلٌّ واليوم امامُ هُدًى يا عَبيدَ الدنيا عليكم لعنةُ الله ووَلِيَ خالدُ بن عبد الله بن أسيد فقدم فدخل البصرة فأراد عزلَ المهلب فأشير عليه بأن لا يفعل وقيل له انما أمِنَ أهلُ هذا المصر بأنّ المهلب بالاهواز وعُمَرَ بن عبيد الله بفارس فقد تَنحّى عمرُ وان تنحّيت المهلب لم نأمن على البصرة فأبى الا عزلَه فقدم المهلب البصرة وخرج خالد الى الاهواز فانتقصه فلما صار بكُرّيج دينار لقيه قطريّ فنعه حَطّ أثقاله وحاربه ثلاثين يوما ثم أقام قطري بازائه وخَندَقَ على نفسه فقال المهلب ان قطريا ليس بأحمق بالخندق منك فعبر جميلا الى شقّ نهر تيرى واتبعه قطريّ فصار الى مدينة نهر تيرى فبنى سُورها وخندق عليها فقال المهلبُ لخالد خَندِقْ على نفسك فاني لا آمَنُ عليها البيات فقال يا أبا سعيد الامر أعجل من ذلك فقال المهلب لبعض ولده انى أرى أمرا ضائعا ثم قال لزياد بن عمرو خَندِقْ علينا فخندق المهلب وأمَرَ بسفنه فغُرِّقَتْ وأبى خالدٌ أن يغرّق سُفُنَه فقال المهلب لغَيْرٍ وزِحَصِينٍ صِرْ معنا فقال يا أبا سعيد الحَزْمُ ما تقول غيرَ أني أكره أن أفارق أصحابي قال فكُنْ بقربنا قال أما هذه فنعم وقد كان عبدُ الملك كتب الى بِشْر بن مروان يأمره أن يُمِدَّ خالدا بجيش كثيف أميره عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ففعل فقدم عليه عبد الرحمن فأقام قَطَرِيٌّ يغاديهم القتال ويُراوحهم أربعين يوما فقال المهلب لمَوْلًى لابي عُيَيْنَةَ انفُذْ الى ذلك الناوس فبِتْ عليه في كل ليلة فتى أحسنتَ خبرا من الخوارج أو حركةً أو صهيلَ خيل فاعجَلْ

منطقه القماس المواساة خصمه في ضعف الحيلة والتشبه به في قلة الفطنة نعم ومتى يكتب كتاب سعاية ومحل واغراق فيلحن في اعرابه ويتسخف في ألفاظه ويتجنب القصد ويهرب من اللفظ المجيب ليخفي مكان حدته ويستر موضع رفقه حتى لا يحترس منه الخصم ولا يتحفظ منه صاحب الحكم بعد أن لا يضر بعين معناه ولا يقصر في الافصاح عن تفسير مغزاه وهذا هو الذي يكون المعنى فيه أبين وذو الغباوة أفطن والردئ أجود والاتوك أحزم والمضيع أحكم اذ كان غرضه الذي اياه يرمي وغايته التي اليها يجري الانتفاع بالمعنى المتخير دون المباهاة باللفظ وانما كان غايته ايصال المعنى الى القلب دون نصيب السمع من اللفظ الموزون والمعنى المتخير بل ربما مرض باللفظ السليم حتى يسقمه ليقع العجز موقع القوة ويعرض المعنى في محل البلاغة اذ كان حق ذلك المكان اللفظ المدون والمعنى الغفل هذا اذا كان صاحب القصة ومؤلف لفظ المحل

الينا فجاءه ليلة فقال قد تحرك القوم فجلس المهلب بباب الخندق وأعد قطرياً سفنا فيها حطب فأشعلها نارا وأرسلها على سفن خالد وخرج في أدبارها حتى خالطهم فجعل لا يمر برجل الا قتله ولا بداية الا عقرها ولا بفسطاط الا هتكه وأمر المهلب يزيد فخرج في مائة فارس فقاتل وأبلى يومئذ وخرج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فأبلى بلاء حسنا وخرج فيروز حصين في مواليه فلم يزل يرميهم بالنشاب هو ومن معه فأثروا جميلا فصرع يزيد بن المهلب يومئذ وصرع عبد الرحمن فحامى عنهما أصحابهما حتى ركبا رسقطا فيروز حصين في الخندق فأخذ بيده رجل من الازد فاستنقذه فوهب له فيروز حصين عشرة آلاف درهم وأصبح عسكر خالد كأنه حرة سودا لجعل لا يرى الا قتيلا أو صريعا فقال للمهلب يا أبا سعيد كدنا نفتضح فقال خندق على نفسك فان لا تفعل عادوا اليك فقال اكفني أمر الخندق فجمع له الاحماس فلم يبق شريف الا حمل فيه فصاح بهم الخوارج والله لولا هذا الساحر المزوني لكان الله قد مر عليكم وكانت الخوارج تسمي المهلب الساحر لانهم كانوا يدبرون الامر فيجدونه قد سبق الى نقض تدبيرهم فقال أعشى همدان لابن الاشعث في كلمة طويلة

ويوم أهوازك لا تنسه * ليس الثناء والذكر بالدابر

وقد ذكرنا في قصر الممدود من أن مد المقصور لا يجوز ما يغني عن اعادته ❁ وذكر فيروز حصين لما مر من ذكره وكان فيروز حصين رجلا جيد البيت في العجم كريم المحتد مشهور الآباء فلما أسلم والى حصينا هو وحصين بن عبد الله العنبري من بني العنبر بن تميم بن مر ثم من ولد طريف بن تميم وكان فيروز حصين شجاعا جوادا نبيل الصورة جهير الصوت وتروى الرواة أن رجلا من العرب كانت أمه قتاة فقال لبني عمه لئن سببتموه بالعجمية ومر فيروز حصين فقال هذا العلج من منكم له خال مثله وظن أن فيروز لم يسمعها وسمعها فيروز فلما صار الى منزله بعث الى الفتى فاشترى له منزلا وجارية ووهب له عشرة آلاف درهم ومن مآثره المعروفة أن الحجاج لما وافق ابن الاشعث برستقاباذ نادى مناديه من أتى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم ففصل فيروز من الصف فصاح بالناس من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فأنا فيروز حصين وقد عرفتم مالي ورفاقي من أتى برأس الحجاج فله مائة ألف فقال الحجاج والله لقد تركني أكثر المتالف وأني لبين خاصتي فأتي به الحجاج فقال له أأنت الجاعل في رأس أميرك مائة ألف قال قد فعلت فقال والله لأمهدن

والسعاية ممن يتصرف فله ويعلل لسانه ويلتزق في مذاهبه ويكون في وسعه وصل لان يحط نفسه في طبقة الذل وهو عزيز ومحصل الى وهو بايع ويتحول في هيئة المظلوم وهو ظالم ويمكنه تصوير الباطل في صورة الحق وستر العيوب بزخرف القول واذا شاء طفا واذا شاء رسب واذا شاء أخرجه عقلا صحيحا وما أكثر من لا يحسن الا الجيد فان طلب الردي جاوزه كما انه ما أكثر من لا يستطيع الا الردئ فان طلب الجيد قصر عنه وليس كل بليغ يكون بتلك الطباع وميسر الاداء رموسعا عليه في تصريف اللسان ومعونا عليه في تحويل القلم وما أكثر من البصراء من يحكي العميان ويحول لسانه الى صورة لفظ الفأفاء بما لا يبلغه الفأفاؤلا يحسنه التمتام وقد نجد من هو أبسط لسانا وأبلغ قالا يستطيع مجاوزة ما يشركه والخروج مما قصر عنه

﴿ فصل منها ﴾ ولولا الحدود المحصلة والاقسام المعتدلة لكانت الأمور سدى والتدابير مهملة ولكانت عورة الحكيم

ثم لا حملنك أين المال قال عندى فهل الى الحياة من سبيل قال لا قال فأخرجنى الى الناس حتى أجمع لك المال فلعل قلبك يرق على ففعل الحجاج فخرج فبرز فأحل الناس من ودائعه وأعتق رقيقه وتصدق بماله ثم رد الى الحجاج فقال شأنك الآن فاصنع ما شئت فشد فى القصب الفارسى ثم سل حتى شرح ثم نضح بالخل والملح فما تأوه حتى مات ❁ ومضى قطرى الى كرمان فانصرف خالد الى البصرة فأقام قطرى بكرمان أشهرا ثم قصد لفارس وخرج خالد الى الاهواز وندب للناس رجلا فجعلوا يطلبون المهلب فقال خالد ذهب المهلب بحظ هذا المصرانى قد ولّيت أخى قتال الازارقة فولّى أخاه عبد العزيز واستخلف المهلب على الاهواز فى ثلثمائة ومضى عبد العزيز فى ثلاثين ألفا والخوارج بدراب جرد فجعل عبد العزيز يقول فى طريقه يزعم أهل البصرة أن هذا الامر لا يتم الا بالمهلب فيعلمون قال صعب بن زيد فلما خرج عبد العزيز عن الاهواز جاءنى كردوس حاجب المهلب فقال أجب الامير فجئت الى المهلب وهو فى سطح وعليه ثياب هروية فقال يا صعب أنا ضائع كأنى أنظر الى هزيمة عبد العزيز وأخشى أن توافينى الازارقة ولا جند معى فابعث رجلا من قبلك يأتينى بخبرهم سابقا به الىّ فوجهت رجلا يقال له عمران بن فلان فقلت اصحب عسكر عبد العزيز واكتب الىّ بخبر يوم يوم فجعلت أورده على المهلب فلما قاربهم عبد العزيز وقف وقفة فقال له الناس هذا يوم صالح فينبغى أن تترك أيها الامير حتى نطمئن ثم نأخذ أهبتنا فقال كلا الامر قريب فنزل الناس على غير أمره فلم يستقيموا حتى ورد عليهم سعد الطلائع فى خمسمائة فارس كأنهم خيط ممدود فناهضهم عبد العزيز فواقفوه ساعة ثم انهزموا عنه مكيدة فاتبعهم فقال له الناس لا تتبعهم فانا على غير تعبية فأبى فلم يزل فى آثارهم حتى اقتحموا عقبة فاقتحموا وراءهم والناس ينهونه ويأبى وكان قد جعل على بنى تميم عبس بن طلق الصريمى الملقب عبس الطعان وعلى بكر بن وائل مقاتل بن مسمع القيسى وعلى شرطته رجلا من بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار فنزلوا عن العقبة ونزل خلفهم وكان لهم فى بطن العقبة كمين فلما صاروا وراءهم خرج عليهم الكمين وعطف سعد الطلائع فتراجل عبس بن طلق فقتل وقتل مقاتل بن مسمع وقتل الضبيعى صاحب الشرطة وانحاز عبد العزيز واتبعهم الخوارج على فرسخين يقتلونهم كيف شاؤا وكان عبد العزيز قد خرج معه بأم حفص ابنة المنذر بن الجارود امرأته فسبوا

بادية ولا اختلطت السافلة بالعالية

﴿فصل منها﴾ وأنا مقبول بعد هذا كله لو لم أضمر لكم محبة قديمة ولم أضمر بكم بشفيع من المشاكلة ولا بسبب الأديب الى الأديب ولم يكن على قبول ولا على حلاوة عند المحصول ولم أكن الا رجلا من عرض المعارف ومن جمهور الاتباع لكان فى احسانكم الينا واتعامكم علينا دليل على اناقد أخلصنا المحبة وأصفينا لكم المودة واذا عرفتم ذلك بالدليل النير الذى أنتم سببه والبرهان الواضح الذى اليكم مرجعه لم يكن لنا عند الناس الا توقع ثمرة الحب ونتيجة جميل الرأى وانتظار ما عليه مجازاة القلوب وبقدر الانعام تجود النفوس بالمودة وبقدر المودة تنطلق الألسن بالمدحة وهذه الوسيلة أكثر الوسائل وأقواها فى نفسى انى لم أصل سببى بمحروم وعمر ولا بمخل غفل ولا بضيق العطن حديث الغنى ولا بزمر المروءة مستنبط الثرى بل وصلته وصلة لحمال أثقال ومقارع أبطال وبمن ولد فى اليسر وربى فيه وجرى منه على عرق ونزع اليه

النساء يومئذ وأخذوا أمرا لا تحصى فقذفوهم في غار بعد أن شدوهم وثاقا ثم سدوا عليهم بابه حتى ماتوا فيه وقال رجل حضر ذلك اليوم رأيت عبد العزيز وان ثلاثين رجلا ليضربونه بأسيافهم وما تحيد في جسده يقال ما أحالك فيه السيف وما يحيد فيه وما حال ذا الامر في صدري وما حكى في صدري وما احتكى في صدري ويقال حاك الرجل في مشيته يحيد اذا تبختر ونودي على السبي يومئذ فعولي بأم حفص فبلغ بها رجل سبعين ألفا وذلك الرجل من مجوس كانوا أسلموا ولحقوا بالخوارج ففرض لكل واحد منهم خمسمائة فكاد يأخذها فشق ذلك على قطري وقال ما ينبغي لرجل مسلم أن يكون عنده سبعون ألفا ان هذه فتنة فوثب اليها أبو الحديد العبدي فقتلها فأتي به قطري فقال يا أبا الحديد مهيم فقال يا أمير المؤمنين رأيت المؤمنين قد تزايدوا في هذه المشركة فخشيت عليهم الفتنة فقال قطري قد أصبت وأحسنت فقال رجل من الخوارج

كفانا فتنة عظمت وجلت * بحمد الله سيف أبي الحديد

أهاب المسلمون بها وقالوا * على فرط الهوى هل من مزيد

فزاد أبو الحديد بنصل سيف * رقيق الحد فعل فتى رشيد

قوله أهاب يريد أعلن يقال أهبت به اذا دعوته مثل صوت قال الشاعر

أهاب بأحزان الفؤاد مهيب * وماتت نفوس للهوى وقلوب

وقوله مهيم حرف استفهام معناه ما الخبر وما الامر فهو دال على ذلك محذوف الخبر وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بعبد الرحمن بن عوف ردع خلوق فقال مهيم فقال تزوجت يا رسول الله فقال أولم ولو بشاة وكان تزوج على نواة وأصحاب الحديث يروونه على نواة من ذهب فيهتها خمسة دراهم وهذا خطأ وغلط العرب تقول نواة فتعني بها خمسة دراهم كما تقول النش لعشرين درهما والأوقية لاربعين درهما فانما هو اسم لهذا المعنى وكان العلاء بن مطرف السعدي ابن عم عمرو القنا وكان يحب أن يلقاه في تلك الحروب مبارزة فلقيه عمرو القنا وهو منهزم فضحك عمرو وقال متمثلا

تمنى ابن لقيط لقاني لقيته * أعام لك ابن صعصعة بن سعد

ثم صاح به انج أبا المصدى وكان عمرو القنا يكنى أيضا أبا المصدى وهذا البيت الذي تمثل به عمرو ليزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي يقوله يعني لقيط بن زرارة وكان يطلبه وقوله أعام لك

يريد

(فصل منها) ولا خير في سمين لا يحتمل هزال آخر ويصحيح لا يجبر كسر صاحبه

(فصل منها) وقد تنقسم المودة الى ثلاث منازل منها ما يكون على اهتزاز الاريحية وطبيع الحرية ومنها ما يكون على قدر فرط وسائل الفاقة ومنها ما يحسن موقعه على قدر طباع الحرص وجشع النفس فارفعها منازل حب المشغوف شكر النعمة وهو الذي يدوم شكره ويبقى على الايام وده والثاني هو الذي انما استدحبه على قدر موقع المال من قلب الحريص الجشع واللئيم الطمع فهذا الذي لا يشكر وان شكر لم يشكر الا ليستزيد ولم يمدح الا ليستمد وعلى أنه لا يأتي الحمد الا زحفا ولا يفعله الا تكلفا وأنا أسأل الله الذي قسم له أفضل الحظوظ في الانعام أن يقسم لنا أفضل الحظوظ في الشكر وما غاية قولنا هذا ومدار أمرنا الا على طاعة توجب الدعاء وحرية توجب الثناء شاكرين كنا أو منعمين وراجين كنا أو مرجوين ومن صرف الله حاجته الى الكرام وعدل به عن

يريد يا عامر فوخم وانما يريد الحق تعجبا أى لكم أعجب من تمنيه للقائى فدعا بنى عامر بن صعصعة وهم بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ويقال ان عامر بن صعصعة هو ابن سعد بن زيد مناة ابن تميم لان ابن معاوية وأمهم ناقلة فى قيس ولذلك تمنعت بنو سعد من محاربتهم مع بنى تميم يوم جبلة ولذلك أنذرهم كرب بن صفوان وهذا البيت وضعه سيبويه فى باب النداء الذى معناه معنى التعجب وشبهه به قول الصلتان العبدى

فيا شاعرا لا شاعر اليوم مثله * جرير ولكن فى كليب تواضع

على معنى قوله فلله در شاعرا وكان العلاء بن مطرف قد حمل معه امرأتين له احداهما من بنى ضبة يقال لها أم جميل والاخرى بنت عمه وهى فلانة بنت عقيل فطلق الضبية وتخلص بهما يومئذ وحمل الضبية أولا فى ذلك يقول

ألست كريما اذ أقول لفتيتى * قفوا فاحملوها قبل بنت عقيل

ولو لم يكن عودى نضارا لاصبحت * تخر على المتنين أم جميل

قال الصعب بن يزيد يعنى المهلب لا تيه بالخبر فصرت الى قنطرة أربك على فرس اشتريته بثلاثة آلاف درهم فلم أحس خبرا فسرت مهجرا الى أن أمسيت فلما أظلمنا سمعت كلام رجل عرفته من الجهاضم فقلت ما وراءك فقال الشر قلت فأين عبد العزيز قال أمامك فلما كان من آخر الليل اذا أنا بأربعة خيالة فارسا معهم لواء فقلت من هذا فقالوا هذا لواء عبد العزيز فتقدمت اليه فسلمت وقلت أصلح الله الامير لا يكبرن عليك ما كان فانك كنت فى شر جند وأخبثه قال لى أو كنت معنا قلت لا ولكن كأنى شاهد أمرك قال كأنك كنت معنا قلت أرسلنى المهلب لا تيه بخبرك ثم تركته وأقبلت الى المهلب فقال لى ما وراءك قلت ما يسرك قد هزم وقل جيشه فقال ويحك ما يسرنى من هزيمة رجل من قريش وقل جيش من المسلمين قلت قد كان ذلك ساءك أو سرك فوجه رجلا الى خالد يخبره قال الرجل فلما أخبرت خالدا قال كذبت وأومت ودخل رجل من قريش فكذبنى وقال لى خالد والله لهممت أن أضرب عنقك قلت أصلح الله الامير ان كنت كاذبا فاقتلنى وان كنت صادقا فأعطنى مطرف هذا المتكلف فقال خالد لبئسما أخطرت به دمك فما برحت حتى دخل بعض الفل وقدم عبد العزيز سوق الاهواز فأكرمه

اللئام فلا يعدن نفسه فى الراغبين ولا فى الطالبين المؤملين لان من لم يجزع مرارة المطال ولم يعد للرحيل التسويف ويقطع عنقه بطول الانتظار ويحمل مكروه ذل السؤال ويحمل على طمع بحتمه يأس كان خارجا من حدود المؤملين ومن استولى على طمعه الثقة بالايجاز وعلى طلبته اليقين بسرعة الظفر وعلى ظفره الجزيل من الأفضال وعلى افضاله العلم بقلة التثريب وبالسلامة من التنقيص بالتماس الشكر وبالغدو وبالرواح وبالخضوع اذا دخل والاستكانة اذا جلس ثم مع ذلك لم يكن ما أنعم به عليه ثوابا للسالف يد ولا تعويضا من كد النعمة كانت محضة خالصة ومهذبة صافية وهى نعمتكم التى ابتدأتمونا بها ولا تكون النعمة سابغة ولا الايدى شاملة ولا الستر كنيفا ذيالا وكثير العرض مطبقا ودون الفقر حاجزا وعلى الغنى ملحفا حتى يخرج من عندكم ثم يحتسب الى شاكر

﴿ فصل منها ﴾ وأنتم قوم تقدمتم بابتناء المكارم فى حال المهلة وأخذتم

المهلب وكساه وقدم معه على خالد واستخلف ابنه حبيبا وقال له تحسس عن الاخبار فان أحسست بخبر الازارقة قريبا منك فانصرف الى البصرة فلم يزل حبيب مقيما والازارقة تدنو منه حتى بلغوا قنطرة أربك فانصرف الى البصرة على نهر تيرى فلما دخلها أعلم خالد فغضب عليه واستتر حبيب فى بنى هلال بن عامر بن صعصعة فتزوج هناك فى استتاره الهلالية أم عباد بن حبيب وقال الشاعر لخالد يقبل رأيه أى يخطئه

بعثت غلاما من قريش فروقة * وتترك ذا الرأى الاصيل المهلبا

أبى الذم واختار الوفاء وأحكمت * قواه وقد ماس الامور وجربا

وقال الحرث بن خالد المخزومى فر عبد العزيز لما رأى الابطال بالسفح نازلوا قطربا

ويروى فر عبد العزيز اذ راء عيسى * وابن داود نازلا قطربا

عاهد الله ان نجا ملمنايا * ليعودن بعدها حرميا

يسكن الحل والصفاح فقرا * ن وسلعا ونارة نجديا

حيث لا يشهد القتال ولا يس * مع يوما الكر خيل دويا

قوله اذ راء عيسى الاصل رأى ولكنه قلب فقدم الالف وأخر الهمزة كما قال كثير

وكل خليل راءنى فهو قائل * من اجلك هذا هامة اليوم أو غد

والقلب كثير فى كلام العرب وسنذكر منه شيأ فى موضعه ان شاء الله وقوله ملمنايا يريد من المنايا ولكنه حذف النون لقرب مخرجها من اللام فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ فيحذف أحدهما ومن كلام العرب أن يحذفوا النون اذا لقيت لام المعرفة ظاهرة فيقولون فى بنى الحرث وبنى العنبر وما أشبه ذلك بلحرث وبلعنبر وبلهجيم كما يقولون علم بنو فلان فيحذفون احدى اللامين وقوله ليعودن بعدها حرميا العرب تنسب الى الحرم فيقولون حرمى وحرمى على قولهم حرمة البيت وحرمة البيت وقال النابغة الذبيانى

من قول حرمية قالت وقد رحلوا * هل فى مخفيكم من يشترى أدما

والحل ههنا موضع وأصله الطريق فى الرمل وكتب خالد الى عبد الملك يعذر عبد العزيز وقال للهلب ما ترى عبد الملك صانعا بى قال يعزك قال أتراه فاطما رحمى قال نعم أتته هزيمة أمية أخيك

من

لأنفسكم فيها بالثقة على مقادير ما كنتم الأواخى ومددتم الاطناب وأثبتم القواعد ولذلك قال الأول عزمت على اقامة ذى صباح لأمر ما يسود من يسود

وأبو الفرج أعزه الله فتى العسكرين وأديب المصرين جمع أريحية الشباب ونجابة الكهول ومجد السادة وبهاء القادة وأخلاق الأدباء ورشاقة عقول الكتاب والتفلفل الى دقائق الصواب والحلاوة فى الصدور والمهابة فى العيون والتقدم فى الصناعة والسبق عند المحاورة شقيق أبيه وشبيه جده حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة لم يتأخر عنهما الا فيما لا يجوز أن يتقدمهما فيه ولم يقصر عن شأوهما الا بقدر ما قصرا من سنهما وهو ان قصروا عن مدى آبائهم وعن غايات أوائلهم فلم يقصروا عن جلة الرؤساء وأهل السوابق من الكبراء ولست ترى تاليهم الا سابقا ومصليهم الا للغاية مجاوزا ليس فيهم سكيت ولا مبهور ولا منقطع قد نفحت اعراقهم من الاقراف والهجنة ومن الشوب واللوم النجلة

من البصرين وتأنيه هزيمة أخيك عبد العزيز من فارس قال أبو العباس فكتب عبد الملك الى خالد أما بعد فانى كنت حدثت لك حدا فى أمر المهلب فلما ملكت أمرك نبذت طاعتى واستبددت برأيك فوليت المهلب الجباية ووليت أخاك حرب الازارقة فقبح الله هذا رأيا أتبعت غلاما غرا لم يجرب الحروب وتتراك سيدا شجاعا مدبرا حازما قد مارس الحروب تشغله بالجباية أما لو كافأتك على قدر ذنبك لاتاك من تكبرى ما لا بقية لك معه ولكن تذكرت رحمك فاتقنى عندك وقد جعلت عقوبتك عزلك وولى بشر بن مروان وهو بالكوفة وكتب اليه أما بعد فانك أخو أمير المؤمنين يجمعك وإياه مروان بن الحكم وان خالدا لا يجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية فانظر المهلب فوله حرب الازارقة فانه سيد بطل مجرب فأمده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل فشق عليه ما أمره فى المهلب وقال والله لاقتلنه فقال له موسى بن نصير ان للمهلب حفاظا وبلاء ووفاء وخرج بشر بن مروان يريد البصرة فكتب موسى وعكرمة الى المهلب أن يتلقاه لقاء لا يعرفه به فتلقاه المهلب على بغل فسلم عليه فى غمار الناس فلما جلس بشر مجلسه قال ما فعل أميركم المهلب قالوا قد تلقاك أيها الامير وهو شاك فهم بشر أن يولى حرب الازارقة عمر بن عبيد الله فقال له أسماء بن خارجة انما ولاك أمير المؤمنين انترى رأيك فقال له عكرمة بن ربعى اكتب الى أمير المؤمنين وأعلمه علة المهلب فكتب اليه يعلمه علة المهلب وأن بالبصرة من يغنى غناءه ووجه بالكتاب مع وفد أوفدهم اليه رئيسهم عبد الله بن حكيم المجاشعى فلما قرأ الكتاب خلا بعبد الله بن حكيم فقال ان لك دينا ورأيا وحزما فما ترى فى قتال هؤلاء الازارقة قال المهلب قال انه عليل قال ليست علته بمانعته قال عبد الملك لو اراد بشر أن يفعل ما فعل خالد فكتب يعزم عليه أن يولى المهلب فوجه اليه قال المهلب أنا عليل ولا يمكننى الاختلاف فأمر بشر بحمل الدواوين اليه فجعل ينتخب فاعترض بشر عليه فاقتطع أكثر نخبته ثم عزم أن لا يقيم بعد ثالثة وقد أخذت الخوارج الاهواز وخلفوها وراءهم وصاروا بالفرات فخرج اليهم المهلب حتى صار الى شهارطاق فأتاه شيخ من بنى تميم فقال أصلح الله الامير ان سنى ما ترى فهبنى لعيالى قال على أن تقول للامير اذا خطب فخشكم على الجهاد كيف تحثنا على الجهاد وأنت تحبس أشرافنا وأهل النجدة منا ففعل الشيخ ذلك فقال له بشر ما أنت وذاك قال لا شئ وأعطى المهلب رجلا ألف درهم على أن يأتى بشرا

ومتى عاينت أبا الفرج وكماله ورأيت دهياجتمه وجماله علمت أنه لم يكن فى ضرائبهم وقديم نحلهم خمار حى النسب ولا مجهول المركب ولا بهيم مصمت ولا كثير الاوضاح مغرب بل لا ترى الاكل أغر محجل وكل ضخم المخرج هيكل انى لست أخبر عن الموتى ولا استشهد بالغيب ولا استدل بالمختلف فيه ولا الغامض الذى تعظم المؤنة فى تعرفه والشاهد لقولى يلوح فى وجوههم والبرهان على دعوى فى شمائلهم والأخبار مستفيضة والشهود متعاونة وأنت حين ترى عتق تلك الديباجة ورونق ذلك المنظر علمت أن التالد هو قياد هذا الطارف اما أنا فلم أر لأبى الفرج أدام الله كرامته ذاما ولا شانئا ولا عائبا ولا هاجيا بل لم أجد ما دحا فط الا ومن سمع سابق الى تلك المعانى ولا رأيت واصفا له قط الا وكل من حضر يهش له ويرتاح لقوله قال الطرماح

هل المجد الا السودد المعود الندى
ورب الجدى والصدر عند الواطن
ولكن هل المجد الاكرم الارومة والحسب وبعد

فيقول له أيها الامير أعن المهلب بالشرطة والمقاتلة ففعل الرجل ذلك فقال له بشر ما أنت وذاك قال نصيحة للامير والمسلمين ولا أعود الى مثلها فأمده بالشرطة والمقاتلة وكتب بشر الى خليفته بالكوفة أن يعقد لعبد الرحمن بن مخنف على ثمانية آلاف من كل ربع ألفين ويوجه به مددا الى المهلب فلما أتاه الكتاب بعث الى عبد الرحمن بن مخنف الازدي فعقد له واختار له من كل ربع ألفين فكان على ربع أهل المدينة بشر بن جرير البجلي وعلى ربع تميم وهمدان عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني وعلى ربع كندة وربيعة محمد بن اسحق بن الاشعث الكندي وعلى مذحج وأسد زحر بن قيس الجعفي فقدموا على بشر فخلا بعبد الرحمن بن مخنف فقال له قد عرفت رأيي فيك وثقتي بك فكن عندظني انظر هذا المازني فخالفه في أمره وأفسد عليه رأيه فخرج عبد الرحمن ابن مخنف وهو يقول ما أعجب ما طمع مني فيه هذا الغلام يأمرني أن أصغر شيخا من مشايخ أهلي وسيدا من ساداتهم فلقي المهلب فلما أحس الازارقة بيديه منهم انكشفوا عن الفرات فاتبعهم المهلب الى سوق الاهواز ففتها عنها ثم تبعهم الى رام هرمز فهزمهم منها فدخلوا فارس وأبلى يزيد ابنه في وقائعه هذه بلاء حسنا تقدم فيه وهو ابن احدى وعشرين سنة فلما صار القوم بفارس وجه اليهم ابنه المغيرة فقال له عبد الرحمن بن سبيع أيها الامير ليس برأي قتل هذه الاكلب ولئن والله قتلتهم لتقعدن في بيتك ولكن طاردهم وكلهم فقال ليس هذا من الوفاء فلم يلبث برام هرمز الا شهرا حتى أتاه موت بشر فاضطرب الجند على ابن مخنف فوجه الى محمد بن اسحق بن الاشعث وابن زحر واستخلفهما أن لا يبرحا فخلفاه ولم يقيما فجعل الجند من أهل الكوفة يتسللون حتى اجتمعوا بسوق الاهواز وأراد أهل البصرة الانسلال من المهلب فخطبهم فقال انكم لستم كأهل الكوفة انما تذبون عن مصركم وأموالكم وحريمكم فأقام منهم قوم وتسلل منهم ناس كثير وكان خالد بن عبد الله خليفة بشر بن مروان فوجه مولى له بكتاب منه الى من بالاهواز يحلف فيه بالله مجتهدا لئن لم يرجعوا الى مراكزهم وانصرفوا عصاة لا يظفر بأحد منهم الا قتله فجاء مولاه فجعل يقرأ الكتاب عليهم ولا يرى في وجوههم قبوله فقال اني لارى وجوها ما لها القبول من شأنها فقال له ابن زحر أيها العبد اقرأ ما في الكتاب وانصرف الى صاحبك فانا لا ندري ما في أنفسنا وجعلوا يستعجلونه في قراءته ثم قصدوا قصد الكوفة فنزلوا القفيلة وكتبوا الى خليفة بشر يسألونه

الحمة وكثرة الأدب والثبات على العهد اذا زلت الاقدام وتوكيد العقد اذا انحلت معاقد الكرام والا التواضع عند حدوث النعمة واحتمال كل العثرة والنقد في الكتابة والاشراف على الصناعة والكتاب وهي القطب الذي عليه مدار علم ما في العالم وآداب الملوك وتلخيص الألفاظ والغوص على المعاني السديدة والتخلص الى اظهار ما في الضمائر باسهل القول والتمييز بين الحجة والشبهة وبين المفرد والمشترك وبين المقصور والمبسوط وبين ما يحتمل التأويل مما لا يحتمله وبين السليم والمعتل فبارك الله لهم فيما أعطاهم ورزقهم الشكر على ما خولهم وجعل ذلك موصولا بالسلامة وبما خط لهم من السعادة انه سميع قريب فعال لما يريد

﴿فصل من صدر كتابه في استحقاق الأمامة﴾

بعون الله تعالى نقول واليه نقصد واياه ندعو وعلى الله قصد السبيل اعلم أن الشيعة رجلان زيدي ورافضي وبقيتهم نزر كما جاء لازما لهم وفي الأخبار عنهما غنى عمن سواهما قالت علماء

أن يأذن لهم في الدخول فأبى فدخلوها بغير اذن فلم يزل المهلب ومن معه من قوّاده وابن مخنف في عدد قليل فلم ينشبوا أن ولّى الحجاج العراق فدخل الكوفة قبل البصرة وذلك في سنة خمس وسبعين فخطبهم وتهدّدهم وقد ذكرنا الخطبة متقدما ثم نزل فقال لوجوه أهلها ما كانت الولاة تفعل بالعصاة فقالوا كانت تضرب وتحبس فقال الحجاج ولكن ليس لهم عندي الا السيف ان المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون ولو ساغت المعصية لاهلها ما قوتل عدو ولا جُبِيَ فَيْءٌ ولا عُوِّدَ ثم جلس لتوجيه الناس فقال قد أجّلتكم ثلاثا وأقسم بالله لا يتخلّف أحدٌ من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور الا قتلته ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه اذا مضت ثلاثة أيام فاتخذ سيوفكما عصيّا فجاءه عُمَيْرُ بن ضابئ البُرْجُمِيُّ بابنه فقال أصلح الله الامير ان هذا أنفع لكم مني هو أشدّ بني قيم أيدا وأجمعهم سلاحا وأربطهم جأشا وأنا شيخ كبير عليل واستشهد جلساءه فقال الحجاج ان عذرك لواضح وان ضعف لبين ولكني أكره أن يجترئ بك الناس عليّ وبعدك أنت ابن ضابئ صاحب عثمان ثم أمر به فقتل فاحتمل الناس وان أحدهم ليقنّع بزاده وسلاحه ففي ذلك يقول ابن الزبير الاسديّ

أقول لعبد الله يوم لقيته * أرى الامر أمسى منصبا متشعبا

تخيّر فاما أن تزور ابن ضابئ * عميرا واما أن تزور المهلبا

هما خطّتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

فان أرى الحجاج يغمد سيفه * يدا الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

وأمشي ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أو هي أقربا

وهرب سوّار بن المضرّب السعديّ من الحجاج وقال

أفاتني الحجاج ان لم أزره * دراب وأترك عنده فؤاديا

وقد مرت هذه الابيات وخرج الناس عن الكوفة وأتى الحجاج البصرة فكان عليهم أشدّ الحاما وقد كان أتاهم خبره بالكوفة فتحمل الناس قبل قدومه فأتاه رجل من بني يشكر وكان شيخا كبيرا أعور وكان يجعل على عينه العوراء صوفة فكان يلقب ذا الكرسفة فقال أصلح الله الامير ان بي فتقا وقد عذرني بشر وقد رددت العطاء فقال انك عندي لصادق ثم أمر به فضربت

الزيدية وجدنا الفضل في الفعل دون غيره ووجدنا الفعل كله على أربعة أقسام أولها القديم في الاسلام حيث لا رغبة ولا رهبة الا من الله تعالى والميه ثم الزهد في الدنيا فان أزهد الناس في الدنيا أرغبهم في الآخرة وآمنهم على نفيس المال وعقائل النساء واراقة الدماء ثم الفقه الذي به يعرف الناس مصالح دنياهم ومراشد دينهم ثم المشي بالسيف كفاحا في الذب عن الاسلام وتأسيس الدين وقتل عدوه واحياء وليه فليس وراء بذل المهجة واستفراغ القوة غاية يطلبها طالب وبرتجيها راغب ولم نجد فعلا خامسا فنذكره فمتى رأينا هذه الخصال مجتمعة في رجل دون الناس كلهم وجب علينا تفضيله عليهم وتقديمه دونهم وذلك اناسألنا العلماء والفقهاء وأصحاب الأخبار وحمال الآثار عن أول الناس اسلاما فقال فريق منهم علي وقال فريق منهم أبو بكر وقال آخرون زيد بن حارثة وقال قوم خباب ولم نجد كل واحد من هذه الفرق قاطعا العذر صاحبه ولا ناقلا له عن

عنقه فى ذلك يقول كعب الأشقرى أو الفرزدق

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة * تقرقر منها بطن كل عريف

ويروى عن ابن سيرة قال انا لنتغدى معه يوما اذ جاء رجل من سليم برجل يقوده فقال أصلح الله الامير ان هذا عاص فقال له الرجل أنشدك الله أيها الامير فى دمى فوالله ما قبضت ديوانا قط ولا شهدت عسكرا وانى لحائك أخذت من تحت الخف فقال اضربوا عنقه فلما أحس بالسيف سجد فلطمه السيف وهو ساجد فأمسكنا عن الطعام فأقبل علينا الحجاج فقال مالى أراكم صفرت أيديكم واصفرت وجوهكم وحدت نظركم من قتل رجل واحد ان العاصى يجمع خللا يخل بمركزكم ويعصى أميره ويغر المسلمين وهو أجير لهم وانما يأخذ الاجرة لما يعمل والوالى مخير فيه ان شاء قتل وان شاء عفا ثم كتب الحجاج الى المهلب أما بعد فانه بشرارحمه الله اشتكره نفسه علينا وأراك غناءه عندنا وأنا أريد حاجتى اليك فأرنى الجد فى قتال عدوك ومن خفته على المعصية ممن قبلك فاقتله فانى قاتل من قبلى ومن كان عندى من ولى من هرب عندك فاعلمنى مكانه فانى أرى أن آخذ الولى بالولى والسمى بالسمى فكتب اليه المهلب ليس قبلى الا مطيع وان الناس اذا خافوا العقوبة كبروا الذنب واذا أمنوا العقوبة صغروا الذنب واذا يئسوا من الغفو أكفروا ذلك فهب لى هؤلاء الذين سميتهم عصاة فانا هم فرسان أبطال أرجو أن يقتل الله بهم العدو ونادم على ذنبه فلما رأى المهلب كثرة الناس عليه قال اليوم قوتل هذا العدو ولما رأى ذلك فطرى قال انهضوا بنا نزيد السردان فنقص فيها فقال عبيدة بن هلال أونأتى سابور وخرج المهلب فى آثارهم فأتى أرجان وخاف أن يكونوا قد تحصنوا بالسردان وليست بمدينة ولكن جبال محدقة منيعة فلم يصب بها أحدا فخرج نحوهم فعسكر بكازرون واستعدوا للقتال وخندق على نفسه ثم وجه الى عبد الرحمن بن مخنف خندق على نفسك فوجه اليه خندقنا سيوفنا فوجه اليه المهلب انى لا آمن عليك البيات فقال ابنه جعفر ذاك أهون علينا من ضرطة جمل فأقبل المهلب على ابنه المغيرة فقال لم يصيبوا الرأى ولم يأخذوا بالوثيقة فلما أصبح القوم غادوه الحرب فبعث الى بن مخنف يستمده فأمده بجماعة وجعل عليهم ابنه جعفرا فجازوا عليهم أقبية بيض جدد فقاتلوا يومئذ حتى عرف مكانهم وحاربهم المهلب وأبلى بنوه يومئذ كبلاء

الكوفيين

مذهبه وان كانت الرواية فى تقدم على أكثر واللفظ به أظهر وكذلك اذا سألتهم عن الذابين عن الاسلام بوجوههم والماشين الى الاقران بسيوفهم وجدناهم مختلفين فمن قائل يقول على ومن قائل يقول لزبير ومن قائل يقول ابن عفراء ومن قائل يقول أبو دجانة ومن قائل يقول محمد بن مسلمة ومن قائل يقول طلحة ومن قائل يقول البراء بن مالك على أن عليا رضى الله عنه من قتل الاقران والفرسان والاكفاء ما ليس لهم فلا أقل من أن يكون فى طبقتهم وان نحن سألناهم عن الفقهاء قالوا على وعمر وابن مسعود وزيد ابن ثابت وأبى بن كعب على أن عليا كان أفقههم لانه كان يسئل ولا يسأل ويفتى ولا يستفتى ويحتاج اليه ولا يحتاج اليهم ولكن لا أقل من أن نجعله فى طبقتهم وكاحدهم وان نحن سألناهم عن أهل الزهادة وأصحاب التقشف والمعروفين برفض الدنيا وخلعها والزهد فيها قالوا على وأبو الدرداء ومعاذ وأبو ذر وعمار وبلال وعثمان بن مظعون على أن عليا أزهدهم لانه شاركهم فى خشونة الملبس

الكوفيين أو أشد ثم نظر الى رئيس منهم يقال له صالح بن مخراق وهو ينتخب قوما من جملة العسكر حتى بلغوا أربعمائة فقال لابنه المغيرة ما يعدهؤلاء الا للبيات وانكشف الخوارج والامر للمهلب عليهم وقد كثر فيهم القتل والجراح وقد كان الحجاج في كل يوم يفقد العصاة ويوجه الرجال فكان يحبسهم نهارا ويفتح الحبس ليلا فينسل الناس الى ناحية المهلب وكان الحجاج لا يعلم فاذا رأى اشراعهم تمثل

ان لها لسائقا عشنزرا * اذا وتين ونية تغشمرا

العشنزر الصلب والتغشمر ركوب الرأس والمتغشمر الجاد على ما خيلت وكتب الى المهلب من قبل الوقعة أما بعد فانه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو واني وليتك وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الحبطي واخترتك وأنت من أهل عمان نم رجل من الأزد فالقهم يوم كذا في مكان كذا والا أشرعت اليك صدر الرمح فشاور ربيعه فقالوا انه أمير فلا تغلظ عليه في الجواب فكتب اليه المهلب ورد على كتابك تزعم أني أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز وزعمت أنك وليتني وأنت ترى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الحبطي ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك في فضلهما وغنائهما وبطشهما واخترتني وأنا رجل من الأزد ولعمري ان شرا من الأزد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر في واحدة منهن وزعمت أني ان لم ألقهم في يوم كذا في مكان كذا أشرعت الي صدر الرمح فلو فعلت لقلبت اليك ظهر المجن والسلام ثم كانت الوقعة فلما انصرف الخوارج قال المهلب لابنه المغيرة اني أخاف البيات على بني تميم فانهض اليهم فكن فيهم فأتاهم المغيرة فقال له الحريش بن هلال يا أبا حاتم أيخاف الامير أن يؤتى من ناحيتنا قل له فليبت آمنا فانا كافوه ما قبلنا ان شاء الله فلما انتصف الليل وقد رجع المغيرة الى أبيه سرى صالح بن مخراق في القوم الذين أعدهم الى ناحية بني تميم ومعه عبيدة بن هلال وهو يقول

اني لمذك للشراة نارها * ومانح ممن أتاها دارها * وغاسل بالطعن عنها عارها *

فوجد بني تميم أيقاظا منحازين فخرج اليهم الحريش بن هلال وهو يقول

لقد وجدتم وقرا أنجادا * لا كشفا ميلا ولا أوغادا

وخشونة المأكل والرضا باليسير والتبلغ بالحقير وخلاف النفس عن الفضول ومخالفة الشهوات وفارقهم بان ملك بيوت الأموال ورقاب العرب والعجم فكان ينضح بيت المال في كل جمعة ويصلي فيه ركعتين ورفع سراويله بأدم وقطع ما فضل من كميه عن أطراف أصابعه بالشفرة في أمور كثيرة مع أن زهده هو أفضل من زهدهم لانه أعلم منهم وعبادة العالم ليست كعبادة غيره كما ان زلته ليست كزلة غيره فلا أقل من أن يعد في طبقتهم ولم نجدهم ذكروا لأبي بكر وزيد وخباب مثل الذي ذكروا له من بذل النفس والغناء والذب عن الاسلام بالسيف ولا ذكروهم في طبقة الفقهاء وأهل القدم في الاسلام ولم نجدهم ذكروا لابن عفراء والزبير وأبي دجانة والبراء ابن مالك مثل الذي ذكروا له من التقدم في الاسلام والزهد والفقه ولا ذكروا أبا بكر وزيدا وخبابا في طبقة عمر وابن مسعود وأبي بن كعب كما ذكروا عليا في طبقتهم ولا ذكروا أبا بكر وزيدا وخبابا في طبقة معاذ وأبي الدرداء

هَيْهَاتَ لا تُلْفُونَنَا رُقَّادَا * لا بَلْ اذا صِيحَ بِنَا آسَادَا

ثم حمل على القوم فرجعوا عنه فاتبعهم وصاح بهم الى أين يا كلاب النار فقالوا انما أعدت النار لك ولأصحابك فقال الحريش كل مملوك لي حُرٌّ ان لم تدخلوا النار ان دخلها مجوسي فيما بين سيفوان وخراسان قوله وجدتم وُقُرا جمع وقور والنجد ضد البليد وهو المتيقظ الذي لا كسل عنده ولا فتور والأميل فيه قولان قالوا الذي لا يستقر على الدابة وقالوا هو الذي لا سيف معه والاكشف الذي لا تُرْسَ معه والأجم الذي لا رمح معه والحاسر الذي لا درع عليه والأعزل الذي لا يتقوم على ظهر الدابة والوغد الضعيف ثم قال بعضهم لبعض نأتي عسكر ابن مخنف فانه لا خندق عليهم وقد تعب فرسانهم اليوم مع المهلب وقد زعموا أنا آهون عليهم من ضرطة جمل فأتوهم فلم يشعر ابن مخنف وأصحابه بهم الا وقد خالطوهم في عسكرهم وكان ابن مخنف شريفا يقول رجل من غامد لرجل يعاتبه ويضرب بابن مخنف المثل

تَرُوحُ وتَغْدُو كل يوم معظما * كأنك فينا مخنفٌ وابنُ مخنف

فترجل عبد الرحمن بن مخنف فجالد هم فقتل وقتل معه سبعون من القراء فيهم نفر من أصحاب علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ونفر من أصحاب ابن مسعود وبلغ الخبر المهلب وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف عند المهلب فجاءهم مغيثا فقاتلهم حتى ارتث وصرع ووجه المهلب اليهم ابنه حبيبا فكشفهم ثم جاء المهلب حتى صلى على ابن مخنف وأصحابه رحمهم الله وصار جنده في جند المهلب فضمهم الى ابنه حبيب فعيرهم البصريون فقال رجل لجعفر بن عبد الرحمن

تركتَ أصحابنا نَدْمَى نُحورُهم * وجئتَ تَسْعَى الينا خَضْعَةَ الجَمَلِ

قوله خضعة الجمل يريد ضرطة الجمل يقال خَضَفَ البعيرُ وأنشدني الرياشي لاعرابي يذم رجلا اتخذ وليمة

انا وجدنا خَلَفًا بئس الخَلَفْ * أعْلَقَ عنا بابَهُ ثم حَلَفْ

لا يُدْخِلُ البوابُ الا مَنْ عَرَفْ * عَبْدٌ اذا ما ناب بالجُلِّ خَضَفْ

يقال ناء بحمله اذا حمله في ثقل وتكاف وفي القرآن ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتيح وقد مضى تفسير هذا (وتقول العرب حَيَجَ الرجلُ وحَبَنَ وخَضَفَ ورَدَمَ كلُّ ذلك اذا ضَرَطَ) فلامهم المهلب وقال بئسما قلتم والله ما فَرُّوا ولا جَبُنوا ولكنهم خالفوا

وأبي وعمار وبلال وعثمان ابن مظعون كما ذكروا عليا في طبقتهم فلما رأينا هذه الأمور مجتمعة فيه ومتفرقة في غيره من أصحاب هذه المراتب وأهل هذه الطبقات الذين هم الغايات علمنا أنه أفضل وان كل واحد منهم وان كان قد أخذ من كل خير بنصيب فانه ان يبلغ مبلغ من قد اجتمع له الخير وصنوفه فهذا دليل هذه الطبقة من الزيدية على تفضيل علي رضوان الله عليه وتقديمه على غيره وزعموا أن عليا كان أولاهم بالخلافة الا أنهم كانوا على غيره أقل فسادا واضطرابا وأقل طعنا وخلافا وذلك أن العرب وقريشا كانوا في أمره على طبقات من رجل قد قتل على أباه وابنه أو أخاه أو ابن عمه أو حميمه أو صفيه أو سيده أو فارسه فهو بين مضطغن قد دام على حقده ينتظر الفرصة ويترقب الدائرة قد كشف قناعه وأبدى عداوته ومن رجل قد زمل غيظه وأكمن ضغنه يرى أن سترهما في نفسه ومداراة عدوه أبلغ في التدبير وأقرب من الظفر فانما يجزيه أدنى علة تحدث وأول تأويل يعرض أو فتنة تنجم فهو

أميرهم أفلا تذكرون فراركم يوم دولاب وفراركم بدارس عن عثمان وفراركم عني ووجه الحجاج البراء بن قبيصة الى المهلب يستحثه في مناجزة القوم وكتب اليه انك تحب بقاءهم لتأكل رءوسهم فقال المهلب لأصحابه حركوهم فخرج فرسان من أصحابه اليهم فخرج اليهم من الخوارج جمع فاقتتلوا الى الليل فقال لهم الخوارج ويلكم أما تملون فقالوا لا حتى تملوا فقالوا انتم قالت الخوارج ونحن بنو تميم فلما أمسوا افترقوا فلما كان الغد خرج عشرة من أصحاب المهلب وخرج اليهم عشرة من الخوارج فاحتفر كل واحد منهم حفيرة وأثبت قدميه فيها فكلما قتل رجل جاء رجل من أصحابه فاجتره ووقف مكانه حتى أغتموا فقال لهم الخوارج ارجعوا فقالوا بل ارجعوا أنتم فقالوا ويلكم من أنتم فقالوا نحن تميم قالوا ونحن تميم فرجع البراء بن قبيصة الى الحجاج فقال له مه قال رأيت قوما لا يعين عليهم الا الله وكتب اليه المهلب اني منتظرهم احدى ثلاث موت ذريع أو جوع مضر أو اختلاف من أهوائهم وكان المهلب لا يتكل في الحراسة على أحد كان يتولى ذلك بنفسه ويستعين بولده وبمن يحل محلهم في الثقة عنده وقال أبو حرملة العبدي يهجو المهلب

عد متدارك مهلب من أمير * أما تندى يمينك للفقير

بدولاب أضعت دماء قوم * وطرت على مواشكه درور

فقال المهلب ويحك والله اني لأفديكم بنفسي وولدي قال جعلني الله فداء الأمير فذاك الذي نكره منك ما كنا نحب الموت قال ويحك وهل عنه محيص قال لا ولكنا نكره التعجيل وأنت تقدم عليه اقدام ما قال المهلب أما سمعت قول الكلحبة اليربوعي

فقلت لكاس أجمعيها فانما * نزلنا الكثيب من زرود لنفزعا

قال بلى والله قد سمعته ولكن قولي أحب الي منه

فلما وقفتم فدوة وعدولكم * الى مهجتي وليث أعداءكم ظهري

وطرت ولم أحفل مقالة عاجز * يساقي المنايا بالردينية السمر

فقال المهلب بئس حشو الكتيبة والله أنت فان شئت أذنت لك فانصرفت الى أهلك فقال بل أقيم معك أيها الأمير فوهب له المهلب وأعطاه فقال يمدحه

يرى حتما عليه أبو سعيد * جلاد القوم في أولى النفير

يرصد الفرقة ويترقب الفتنة حتى يصول صولة الأسد ويروغ روغان الثعلب فيشفي غليله ويبرد ناره واذا كان العدو كذلك كان غيره آمون عليه سرف الغضب وان يموله الشيطان الوثوب ويزين له الطلب لانه قد عرف مأتاه وكيف يختله من طريق هواه فاذا كان القلب كذلك اشتد تحفظه ولم يقو احتراسه وكان يعرض هلكه على جناح تغرير لانه منقسم الرأي متفرق النفس قد اعتلج على قلبه غيظ الثار على قرب عهده باخلاق الجاهلية وعادة العرب من الثار وتذكر الأحقاد والأمر القديم وشدة التصميم ومن رجل عممته حداثته وأنف أن يلي عليه أصغر منه ومن رجل عرف شدته في أمره وقلة اغتفاده في دينه وخشونة مذهبه ومن رجل كره أن يكون الملك والنبوة يثبتان في نصاب واحد وينبيان في مغرس واحد لان ذلك أقطع لاطماع قريش أن يعود الملك دولة في قبائلها ومن قريش خاصة في بني عبد مناف الأقرب فالأقرب والأدنى فالأدنى لان الرحم كلما كانت امس

اذا نادى الشراة أبا سعيد * مشى فى رفل محكمة الفتير

الرفل الذيل وقال المهلب مايسرنى أن فى عسكرى ألف شجاع بدل بهيس بن صهيب فيقال له أيها الامير بهيس ليس بشجاع فيقول أجل ولكنه سديد الرأى محكم العقل وذو الرأى حذر وزين فأنا آمن أن يغفل فلو كان مكانه ألف شجاع قلت انهم ينامون حتى يحتاج اليهم ومطرت السماء ليلة مطرا شديدا وهم بسابور بين المهلب وبين الشراة عقبة فقال المهلب من يكفينا هذه العقبة الليلة فلم يقم أحد فلبس المهلب سلاحه وقام الى العقبة واتبعه ابنه المغيرة فقال رجل من أصحابه يقال له عبد الله دعانا الأمير الى ضبط العقبة والحظ فى ذلك لنا فلم نطعه فلبس سلاحه واتبعه جماعة من أهل العسكر فصاروا اليه فاذا المهلب والمغيرة لا ثالث لهما فقالوا انصرف أيها الأمير فنحن نكفيك ان شاء الله فلما أصبحوا اذا بالشراة على العقبة فخرج اليهم غلام من أهل عمان على فرس فجعل يحمل وفرسه يزلق وتلقاه مدرك بن المهلب فى جماعة معه حتى ردهم فلما كان يوم النفر والمهلب على المنبر يخطب الناس اذ الشراة قد تألبوا فقال المهلب سبحان الله أفى مثل هذا اليوم يا مغيرة اكفنيهم فخرج اليهم المغيرة بن المهلب وأمامه سعد بن نجد القردوسى وكان سعد شجاعا متقدما فى شجاعته وكان المهلب اذا ظن برجل أن نفسه قد أعجبته قال له لو كنت سعد بن نجد القردوسى ماعدا (وقردوس من الأزد) فخرج أمام المغيرة وتبع المغيرة جماعة من فرسان المهلب فالتقوا وأمام الخوارج غلام جامع السلاح مديد القامة كريه الوجه شديد الحملة صحيح القروسية فأقبل يحمل على الناس وهو يقول

نحن صبحناكم غداة النحر * بالخيل أمثال الوشيج تجرى

فخرج اليه سعد بن نجد القردوسى من الازد فما نجا ولا ساعة فطعنه سعد فقتله والتقى الناس فصرع يومئذ المغيرة فحمى عليه سعد بن نجد وذبيان السختيانى وجماعة من الفرسان حتى ركب وانكشف الناس عند سقطة المغيرة حتى صاروا الى أبيه المهلب فقالوا قتل المغيرة ثم أتاه ذبيان السختيانى فأخبره بسلامته فأعتق كل مملوك كان بحضرته ووجه الحجاج الجراح بن عبد الله الى المهلب يستبطئه فى مناجزة القوم وكتب اليه أما بعد فانى جبيت الخراج بالعلل وتحصنت بالخنادق وطاولت القوم وأنت أعز ناصرا وأكثر عددا وما أظن بلدا مع هذا معصية ولاجبنا

والجوار أقرب والصناعة أشكل كان الحسد أشد والغيظ أفرط فكان أقرب الأمور الى محبتهم اخراج الخلافة من ذلك المعدن ترفيها عن أنفسهم من ألم الغيظ وكمد الحسد

(فصل منها) وضرب من الناس هم هامج وداع منتشر لا نظام لهم ولا اختيار عندهم وأعراب أجلاف وأشباه الأعراب يفترقون لا تدفع صولتهم اذا هاجوا ولا يؤمن تهجمهم اذا سكنوا ان اخصبوا طغوا فى البلاد وان أجدبوا آثروا العناد وهم موكلون ببغض القادة وأهل الثراء والنعمة يقتنون له الغلبة ويشمتون بالعثرة ويسرون بالجولة ويترقبون الدائرة فلما كان الناس عند على وأبى بكر على الطبقات التى ذكرنا والمراتب التى رتبنا أشفق على أن يظهر ارادة القيام بأمر الناس مخافة أن يتكلم متكلم أو يشغب شاغب فدعاه النظر للدين الى الكف عن الاظهار والتجافى عن الأمر فاغتفر المجهول ضنا بالدين وايثارا للآجلة على العاجلة فدل ذلك على رجاحة حلمه وسعة صدره وشدة زهده وفرط سماحته واصالة رأيه

ولكنك اتخذت أكّالا وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم فناجزهم والا أفكرتني والسلام فقال المهلب للجرّاح يا أبا عقبة والله ما تركت حيلة الا احتلتها ولا مكيدة الا أعملتها وما العجب من ابطاء النصر وتراخي الظفر ولكن العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره ثم ناهضهم ثلاثة أيام يعاديهم القتال ولا يزالون كذلك الى العصر وينصرف أصحابه وبهم فرح وبالخوارج فرح وقتل فقال له قد أعذرت فكتب المهلب الى الحجاج أتاني كتابك تستبطئني في لقاء القوم علي أنك لا تظن بي معصية ولا جبنا وقد هابتني معاتبة الجبان وأوعدتني وعيد العاصي فاسأل الجرّاح والسلام فقال الحجاج للجراح كيف رأيت أخاك قال والله ما رأيت أيها الأمير مثله قطّ ولا ظننت أن أحدا يبقى على مثل ما هو عليه ولقد شهدت أصحابه أياما ثلاثة يغدون الى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم بها يتطاعنون بالرماح ويتجالدون بالسيوف ويتضاربون بالعمد ثم يروحون كأن لم يصنعوا شيأ رواح قوم تلك عادتهم وتجارتهم فقال الحجاج لشدّ ما مدحته أبا عقبة قال الحق أولى وكانت ركب الناس قديما من الخشب فكان الرجل يضرب ركابه فينقطع فاذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معتمد فأمر المهلب فضربت الركب من الحديد وهو أول من أمر بطبعها في ذلك يقول عمران بن عصام العنزي

ضربوا الدراهم في امارتهم * وضربت للحدثان والحرب
حلقا نرى منها مرافقهم * كمناكب الجمالة الجرب

وكتب الحجاج الى عتّاب بن ورقاء الرياحي من بني رياح بن يربوع بن حنظلة وهو والي أصبهان يأمره بالمسير الى المهلب وأن يضم اليه مجشّر عبد الرحمن بن مخنف فكل بلد تدخلانه من فتوح أهل البصرة فالمهلب أمير الجماعة فيه وأنت على أهل الكوفة فاذا دخلتم بلدا فقسمه لاهل الكوفة فأنت أمير الجماعة والمهلب على أهل البصرة فقدم عتاب في احدى جمادتين من سنة ست وسبعين على المهلب وهو بسابور وهي من فتوح أهل البصرة فكان المهلب أمير الناس وعتاب على أصحاب بن مخنف والخوارج في أيديهم كرمان وهم بازاء المهلب بفارس يحاربونه من جميع النواحي فوجّه الحجاج الى المهلب رجلين يستحثّانه مناجزة القوم أحدهما يقال له زياد ابن عبد الرحمن من بني عامر بن صعصعة والآخر من آل أبي عقيل جد الحجاج فضم زيادا الى ابنه

وعلم أن هلكتهم لا تقوم بأزاء فرق ما بين حاله وحال أبي بكر في مصلتهم وقد علم بعد ذلك أن مسيلمة قد أطبق عليه أهل اليمامة ومن حولها من أهل البادية وهم القوم الذين يصطلى بنارهم ولا يطمع في ضعفهم وقلة عددهم فكان الصواب ما رآه علي من الكف عن تحريك الهرج اذ أبصر أسباب الفتن شارعة وشوا كل الفساد بادية ولو هرج القوم هرجة وحدثت بينهم فرقة كان حزب بوارهم أغلب من الطمع في سلامتهم وقد كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وفضلاء أصحابه يعرفون من ذلك الا رءه شبيها بما يعرفه علي فعلموا أن أول احكام الدين المبادرة الى اقامة امام المسلمين لئلا يكونوا نشرا ولئلا يجعلوا للمفسدين علة وسببا فكان أبو بكر أصلح الناس لها بعد علي فأصاب في قيامه والمسلمون في اقامته وعلى في تسويغه والرضا بولايته منة على الاسلام وأهله فلما قمع الله تعالى أهل الردة بسيف النقمة وأباد النفاق وقتل مسيلمة وأسر طلحة ومات أصحاب الأوتاد ونفيت الضغائن راح

حبيب وضم الثقفي الى يزيد ابنه وقال لهما خذا يزيد وحبيبا بالمناجزة فقادوا الخوارج فاقتتلوا أشد قتال فقتل زياد بن عبد الرحمن وفقد الثقفي ثم ذكروهم في اليوم الثاني وقد وجد الثقفي فدعا به المهلب ودعا بالغداء فجعل النبل يقع قريبا منهم والثقفي يعجب من أمر المهلب فقال الصلتان العبدي

ألا ايها اصبحاني قبل عوق العوائق * وقبل اختراط القوم مثل العقائق

غداة حبيب في الحديد يقودنا * نخوض المنايا في ظلال الخوافق

حرون اذا ما الحرب طار شرارها * وهاج عجاج الحرب فوق البوارق

فمن مبلغ الحجاج أني أمينه * زيادا أطاحته رماح الازارق

قوله وقبل اختراط القوم مثل العقائق يعني السيوف والعقائق جمع عقيقة يقال سيف كأنه عقيقة برق أي كأنه لمعة برق ويقال انعق البرق اذا تبسم وللعقيقة مواضع يقال فلان بعقيقة الصبي أي بالشعر الذي ولد به لم يحلقه ويقال عققت الشيء أي قطعته ومن ذا فلان يعق أبويه وكذا عققت عن الصبي اذا ذبحت عنه وقال أعرابي

ألم تعلمي يا دار بلجاء أنني * اذا أجدبت أو كان خصبا جنابها

أحب بلاد الله ما بين مشرف * الي وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها عق الشباب تميمتي * وأول أرض مس جلدي ترابها

فلم يزل عتاب بن ورقاء مع المهلب ثمانية أشهر حتى ظهر شبيب فكتب الحجاج الى عتاب يأمره بالمصير اليه ليوجهه الى شبيب وكتب الى المهلب بأن يرزق الجند فرزق المهلب أهل البصرة وأبى أن يرزق أهل الكوفة فقال له عتاب ما أنا ببارح حتى ترزق أهل الكوفة فأبى فجرت بينهما غلظة فقال عتاب قد كان يبلغني انك شجاع فرأيتك جبانا وكان يبلغني انك جواد فرأيتك بخيلا فقال له المهلب يا ابن اللخناء فقال له عتاب لكند مم محول فغضبت بكر بن وائل للمهلب للحلف ووثب بن نعيم بن هبيرة بن أبي مصقلة على عتاب فشتمه وقد كان المهلب كارها للحلف فلما رأى نصرة بكر بن وائل له سره الحلف واغتبط به ولم يزل يؤكده فغضبت تميم البصرة لعتاب وغضبت أزد الكوفة للمهلب فلما رأى ذلك المغيرة بن المهلب مشى بين أبيه وبين عتاب فقال لعتاب يا أبا ورقاء ان الامير يصير لك الى كل ما تحب وسأل أباه ان يرزق أهل الكوفة فأجابه فصلح الامر

فكانت

الحق الى أهله وعاد الامر الى صاحبه قالوا وقد يكون الرجل أفضل الناس ويلي عليه من هو دونه في الفضل حتى يكلفه الله طاعته وتقديمه اما للصلحة والاشفاق من الفتنة كما ذكرنا وفسرنا واما للتغليظ في المحنة وتشديد البلوى والكلفة كما قال الله تعالى للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر والملائكة أفضل من آدم ولأن جبريل وميكائيل واسرافيل عند الله تعالى من المقربين قبل خلق آدم بدهر طويل لما قدمت من العبادة واحتملت من ثقل الطاعة وكما ملك الله طالوت على بني اسرائيل وفيهم يومئذ داود نبي صلى الله عليه وسلم وهو نبيهم الذي أخبر الله عنه في القرآن بقوله تعالى ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فالوا أنى يكون له الملك علينا الى آخر الآية

﴿فصل من صدر رسالة في استنجاز الوعد﴾ قد شاع الخبر وسار المثل بقولهم اطلبوا الحاجات من حسان الوجوه فان كان الوجه انما وقع على الوجه الذي فيه الناظر والسامع والشام والذائق اذا كان حسنا جميلا وعتيقا

فكانت تميم فاطمة وعتّاب بن ورقاء يحمدون المغيرة بن المهلب وقال عتاب انى لاعرف فضله على أبيه وقال رجل من الازد من بنى اياد بن سود

ألا أبلغ بنى ورقاء عنا * فلولا أننا كنا غضابا

على الشيخ المهلب اذ جفانا * لألفت خيلكم منا ضرابا

وكان المهلب يقول لبنيه لا تبدؤهم بقتال حتى يبدؤكم فيبغوا عليكم فانهم اذا بغوا نصرتم عليهم فتخصّ عتّاب بن ورقاء الى الحجاج فى سنة سبع وسبعين فوجهه الى شبيب فقتله شبيب وأقام المهلب على حربهم فلما انقضى من مقامه ثمانية عشر شهرا اختلفوا وكان سبب اختلافهم أن رجلا حدادا من الازارقة كان يعمل نصالا مسمومة فيرمى بها أصحاب المهلب فرفع ذلك الى المهلب فقال أنا أكفيكموه ان شاء الله فوجّه رجلا من أصحابه بكتاب وألف درهم الى عسكر قطرى فقال ائت هذا الكتاب فى عسكر قطرى واحذر على نفسك ركاب الحداد يقال له أبزى فمضى الرسول وكان فى الكتاب أما بعد فان نصالا قد وصلت الى وقد وجهت اليك بالف درهم فافيضها وزدنا من هذه النصال فوقع الكتاب والدراهم الى قطرى فدعا بأبزى فقال ما هذا الكتاب قال لا أدرى قال فهذه الدراهم قال ما أعلم غامها فأمر به فقتل فجاء عبد ربّه الصغير مولى بنى قيس ابن ثعلبة فقال له أقتلت رجلا على غير نفسه ولا تبيّن فقال له ما حال هذه الدراهم قال يجوز أن يكون أمرها كذبا ويجوز أن يكون حقا فقال له قتلك رجل فى صلاح الناس غير منكر وللامام أن يحكم بما رآه صلاحا وليس للرعية أن تعترض عليه فتنكّر له عبد ربّه فى جماعة ولم يفارقوه فبلغ ذلك المهلب فدسّ اليه رجلا نصرانيا فقال له اذا رأيت قطريا فاسجد له فاذا انصرف فقل انما سجدت لك ففعل النصرانى فقال له قطرى انما السجود لله فقال ما سجدت الا لك فقال له رجل من الخوارج قد عبدك من دون الله وتلا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فقال قطرى ان هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم فما ضرّ ذلك عيسى شيأ فقام رجل من الخوارج الى النصرانى فقتله فأنكر ذلك عليه وقال أقتلت ذميّا فاختلفت الكلمة فبلغ ذلك المهلب فوجّه اليهم رجلا يسألهم عن شئ تقدم به اليه فأتاهم الرجل فقال أرأيتم رجلين خرجا مهاجرين اليكم فمات أحدهما فى الطريق وبلغكم الآخر فامتنعتموه فلم يجز الجنة

بها فوجهك الذى لا يحيل على أحد كماله ولا يخفى حوله وان كان ذكر الوجه انما يقع على حسن وجه المطلب وجماله على جهة الرغبة وان كان ذلك على طريق المثل وعلى سبيل اللفظ المشتق من اللفظ والفرع المأخوذ من الأصل فوجه المطلب البلد أفضل الوجوه وأسناها وأصوبها وأرضاها وهو المنهج الفسيح والمتجر الربح وجماله ظاهر ونفعه حاضر وخيره غامر الا ان الله تعالى قرنه مع ذلك باليمن وسهله باليسر وحببه بالبشر الحسن ودعا اليه بلين الخطاب وأظهر فى أسمائكم وأسماء آبائكم وفى كناكم وكنى اخوانكم من برهان الفال الحسن ونفى الطيرة السيئة ما جمع لكم به صنوف الآمال وضرب اليكم وجوه المطالب فاجتمع فيكم تمام القوام وبراعة الجمال والبشرة عند اللقاء ولين الخطاب والكنف للخلطاء وقلة البذخ بالمرتبة الرفيعة والزيادة فى الانصاف عند النعمة الحادثة تجعل الناس وعدكم من أكرم الوعد وعقدكم من أوثق العقد واطماعكم من أصح الانجاز واعلموا انكم

ماتقولون فيهما فقال بعضهم أما الميتُ فمن أهل الجنة وأما الآخر الذى لم يجزا المحنة فكافر حتى يجيزها وقال قوم آخرون بل هما كافران حتى يُجيزا المحنة فكثر الاختلاف فخرج قطرى إلى حدود اصطخر فأقام شهرا والقوم فى اختلافهم ثم أقبل فقال لهم صالح بن مخراق يا قوم انكم قد أفررتم أعين عدوكم وأطمعتموهم فيكم لما ظهر من اختلافكم فعودوا الى سلامة القلوب واجتماع الكلمة وخرج عمرو القنا فنادى يا أيها المحلون هل لكم فى الطراد فقد طال العهد به ثم قال

ألم تر أنا منذ ثلاثون ليلةً * قريبٌ وأعداءُ الكتاب على خَفْضِ

فتهايج القوم وأسرع بعضهم الى بعض فأبلى يومئذ المغيرةُ بن المهلب وصار فى وسط الازارقة فجعلت الرماح تَحُطُّه وترفعه واعتورت رأسه السيوفُ وعليه ساعدُ حديد فوضع يده على رأسه فجعلت السيوف لا تعمل فيه شيأ واستنقذه فُرسانٌ من الازارقة بعد ان صُرِع وكان الذى صرعه عبيدةُ بن هلال وهو يقول

أنا ابن خَيْرِ قومه هلال * شيخٍ على دين أبى بلال * وذاك دينى آخر الليالى

فقال رجل للمغيرة كنا نَعْجَبُ كيف يُصْرَع والآن نعجب كيف تجو وقال المهلب لبنيه ان مَرْحكم لغارٌ ولست آمَنُهم عليه أفوكلتم به أحدا قالوا لا فلم يستتم الكلام حتى أتاه آت فقال ان صالح ابن مخراق قد أغار على السَّرح فشق ذلك على المهلب وقال كلُّ أمرٍ لا آليه بنفسى فهو ضائع وتذمَّر عليهم فقال له بشرُ بن المغيرة أرِحْ نفسك فان كنت انما تريد مثلك فوالله لا يَعْدِلُ أحدُنا شِسْعَ نعلك فقال خذوا عليهم الطريق فمار بشرُ بن المغيرة ومُدْرِكٌ والمُفَضَّل ابنا المهلب فسبق بشرٌ الى الطريق فاذا رجل أسود من الازارقة يَشُلُّ السَّرح أى يطرده وهو يقول

نحن قَعَدْنا لكُمُ بِشَلِّ السَّرحِ * وقد نَكَأْنا القَرْحَ بعد القَرْحِ

الشَّلُّ الطَّرْدُ ويقال نَكَأْتُ القرحة مهموز ونَكَيْتُ العدوَّ غير مهموز من النكاية ونكأت القَرحةَ نَكْأً قال ابن هَرْمة

ولا أراها تَزالُ ظالمةً * تُحْدِثُ لى قرحةً وتَنْكَؤُها

ولحقه المفضل ومدرك فصاح رجل من طيئ اكْفِنا الاسود فاعتوره الطائىُّ وبشر بن المغيرة فقتلاه وأمرا رجلا من الازارقة فقال له المهلب ممن الرجل قال رجل من هَمْدانَ قال انك لَشَيْنُ هَمْدانَ وخَلَّى سبيله وكان عَيَّاشُ الكِنْدى شجاعا بئيسا فأبلى يومئذ ثم مات على فراشه بعد ذلك

تؤيسون فى مواضع اليأس وتطمعون فى مواضع الضمان وان الأمور عندكم موزونة معدلة والاسباب مقدرة محصلة هذا مع الصولة والتصميم فى موضع التصميم والتقية أحزم والصفح اذا كان الصفح أكرم والرحمة لمن استرحم والعقاب لمن صمم ثم المعرفة تفرق ما بين اعتزام الغمر واعتزام المستبصر وفضل ما بين اعتزام النجاع والبطل وبين اقدام الجاهل المتهور وقد علم الناس بما شاهدوه منكم وعاينوه من تدبير وعرفوه من تصرف حالتكم انى لم أزيدكم ولم أتكلف فيكم ما ليس عندكم وخير المديح ما وافق جمال الممدوح وأصدق الصفات ما شاكل مذهب الموصوف وشهد له أهل العيان الظاهر والخبر المتظاهر ومتى خالف هذه القضية وجانب الحقيقة ضار المادح ولم ينفع الممدوح هذا الى الثبات على العهد واحكام العقد مع الوفاء المحبب والرأى المصيب وقيام ذلك وكماله وسناه ذلك وبهاؤه كثرة الشهود لكم واجماع الناس على ذلك فيكم ومن قبل لنفسه

فقال المهلب لا وألت نفس الجبان بعد عياش وقال المهلب ما رأيت كهؤلاء كلما ينقص منهم يزيدوا فيهم ووجه الحجاج الى المهلب رجلين أحدهما من كلب والآخر من سليم يستحثانه بالقتال فقال المهلب متمثلا

ومستنجب مما ري من أناتنا * ولو زبنته الحرب لم يترمرم

الشعر لاوس بن حجر وقوله زبنته يقول دفعته ولم يترمرم أي لم يتحرك يقال قيل له كذا وكذا فما ترمرم وقال ليزيد حركهم فحركهم فتهايجوا وذلك في قرية من قرى اصطخر فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فشد خذه بالسرج فقال المهلب للسلمي والكلبي كيف نقاتل قوما هذا طعنهم وحمل يزيد عليهم وقد جاء الرقاد وهو من فرسان المهلب وهو أحد بني مالك بن ربيعة على فرس له أدهم وبه نيف وعشرون جراحة وقد وضع عليها القطن فلما حمل يزيد ولى الجمع وحماهم فارسان فقال يزيد لقيس الحشني مولى العتيك من لهذين قال أنا فحمل عليهما فعطف عليه أحدهما فطعنه قيس الحشني فصرعه وحمل عليه الآخر فعانقه فسقطا جميعا الى الارض فصاح قيس الحشني اقتلونا جميعا فحملت خيل هؤلاء وخيل هؤلاء فحجز وا بينهما فاذا معانقه امرأة فقام قيس مستحييا فقال له يزيد أما أنت فبارزتهم على أنهار جل فقال أرأيت لو قتلتك أما كان يقال قتلته امرأة وأبلى يومئذ ابن المنجب السدوسي فقال له غلام له يقال له خلاج والله لو ددنا أنا فضضنا عسكرهم حتى أصير الى مستقرهم فأستلب مما هناك جاريتين فقال له مولاه وكيف تمنيت اثنتين قال لاعطيك احداهما وآخذ الاخرى فقال ابن المنجب

أخلاج انك ان تعانق طفلة * شرقا بها الجادي كالقتال

حتى تلاقي في الكتيبة معلما * عمرو القنا وعبيدة بن هلال

وترى المقطر في الكتيبة مقدما * في عصبة قسطوا مع الضلال

أو أن يعلمك المهلب غزوة * وترى جبالا قد دنت لجبال

قوله طفلة يقول ناعمة واذا كسرت الطاء فقلت طفلة فهي الصغيرة والجادي الزعفران والكتيبة الجيش وانما سمي الجيش كتيبة لانضمام أهله بعضهم الى بعض وبهذا سمي الكتاب ومنه قولهم كتبت البغلة والناقة وكتبت القربة اذا خرزت ذلك الموضع منها والمعلم الذي قد شهر نفسه بعلامة اما بعمامة صبيغ واما بشهرة واما بغير ذلك وكان حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه

مديحا لا يعرف به كان كمادح نفسه ومن أناب الكذابين على كذبهم كان شريكهم في اثمهم وشقيقهم في صفهم بل كان المحتفل لكبره المحتمل لوزره اذا كان المثيب عليه والداعي اليه معاذ الله أن نقول الا معروفا غير مجهول ونصف الا صحيحا غير مدخول أو نكون ممن يتودد بالملق ويتقحم على أهل الاقدار شرها الى مال أو حرصا على تقريب وأبعد الله الحرص وأخزى الشره والطمع فان شد شاك أو توقف مرتاب فليعترض العامة وليتصفح ما عند الخاصة حتى يتبين الصبح وقالوا في تأديب الولاة وتقديم تدبير الكفاة اذا أردتم البريد فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم فكيف اذا قارن حسن الوجه وحسن الاسم وكرم الضريبة وشرف العرق وأعيان الأعراق الكريمة والأخلاق الشريفة اذا استجمعت هذا الاستجماع واقترنت هذا الاقتران كانت أتم للنعمة وأبدع للفضيلة وكانت الوسيلة اليها أسهل والمأخذ نحوها أقرب والأسباب أمتن فاذا انتظمت في هذا

مُعْلِمًا يوم بدر بريشة نعامة فى صدره وكان أبو دجانة وهو سماك بن خرشة الانصارى يوم أحد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ سيفى هذا بحقه قالوا وما حقه يا رسول الله قال أن يُضرب به فى العدو حتى يَعْنِى فقال أبو دجانة أنا فدفعه اليه فلبس مُشْهَرَةً فأعلم بها وكان قومه يعلمون لما بَلَوْا منه أنه اذا لبس تلك المشهرة لم يُبْقِ فى نفسه غاية ففعل وخرج يمشى بين الصفين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُها الله عز وجل الا فى مثل هذا الموضع ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع عليا صلوات الله عليه يقول لفاطمة ورمى اليها بسيفه فقال هاكِ حميدا فاغسلى عنه الدم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صدقت القتال اليوم لقد صدقه معه سماك بن خرشة وسهل بن حُنَيف والحرث بن الصِّمَّة وفى بعض الحديث وقَيْس ابن الربيع وكل هؤلاء من الانصار ۞ عاد الحديث الى ذكر الخوارج وعمرو والقنا من بنى سعد ابن زيد مَنَاة بن تميم وعَبِيدة بن هلال من بنى يَشْكُر بن بكر بن وائل والذى طعن صاحب المهلب فى فخذه فشكها مع السرج من بنى تميم قال ولا أدرى أعمرو هو أم غيره والمقعطر من عبد القيس وقوله قسطوا أى جاروا يقال قَسَطَ يَقْسِطُ فهو قاسط اذا جار قال الله جل ثناؤه وأما القاسطون فكانوا لجهنم حَطَبا ويقال أَقْسَطَ يُقْسِطُ فهو مُقْسِطٌ اذا عدل قال الله تعالى ان الله يحب المُقْسِطين وكان بَدْر بن الهُذَيل شجاعا وكان لَحَّانَةً فكان اذا أحس بالخوارج نادى يا خَيْل الله اركبى وله يقول القائل

واذا طَلَبْتَ الى المهلب حاجةً ۞ عَرَضَتْ نَوابِعُ تابِعٍ دونه وصَبِيدُ

العبدُ كُرْدُوسٌ وعَبْدٌ مِثْلُهُ ۞ وعِلاجُ باب الأَحْمَرِ بن شَدِيدُ

كردوس رجل من الازد وكان حاجب المهلب وقوله وعلاج باب الاحمر بن شديد العرب تسمى العجم الحمراء وقدم تفسيرذا وقوله توابع أراد به الرجال فجاز فى الشعر واضطراره الى أصله الضرورة وما كان من النعوت على فاعل فجمعه فاعلون لئلا يلتبس بجمع فاعلة التى هى نعت وقد قلنا فى هذا ولم قالوا فوارس وهالك فى الهوالك وكان بشر بن المغيرة أُبْلِى يومئذ بلاء حسنا عُرِفَ مكانُهُ فيه وكانت بينه وبين بنى المهلب جَفْوَةٌ فقال لهم يا بنى عَمِّ انى قد قَصَّرت عن شَكاة العاتب وجاوزتُ شَكاةَ المهتعتب حتى كأنى لا مَوْصولٌ ولا مَحْرومٌ فاجعلوا لى فُرْجَةً أَعِيشُ بها وعَبِّوا فى أمرٍ أرجو تم نصره

السلك وجمعها هذا النظم
كان الذى يبرد البريد أولى
بها من البريد وكان مقوم
البلاد أحق بها من حاشية
الكفاءة اذ التأميل
لا يجمع وجه الصواب
ولا يحصى مخارج الأسباب
ولا يظهر برهانه ويقوم
سلطانه حتى يصيب
المعدن وان يكون موضع
الرغبة معدنا الا بعد
اشتماله على ترادف
خصال الشرف وبعدان
تتوافى اليه معانى الكرم
بالاعراق الكريمة
والعادات الحسنة عن
حادث يشهد لقادم
وطارف يدل على تالد فاذا
كان الأمل يخبر بالحسب
فالحسب ناقب والمجد راسخ
وان كان الشأن فى صناعة
الكلام وفى القدم والرياسة
وفى خلف يأثره عن سالف
وآخر يتلقاه عن أول
قبلكم مالا يذهب عنه
جاحد ولا يستطيع
جحوده معاند

﴿فصل منها﴾ وأسماؤكم
وكناكم بين فرج ونجح
وبين سلامة وفضل
ووجوهكم وفق أسمائكم
واخلاقكم وفق اعراقكم
فلطم يضرب التفاوت فيكم
بنصيب وبعد هذا فانى
استغفر الله تعالى من
تفريطى فى حقوقكم
واستوهبه طول رقدتى

أوخفتم لسانه فرجعوا له ووصلوه وكملوا فيه المهلب فوصله وولّى الحجاج كَرْدَمَا فارس فوجهه الحجاج اليها والحرب قائمة فقال رجل من أصحاب المهلب

ولو رآها كَرْدَمٌ لكَرْدَمَا * كَرْدَمَةَ العِيرِ أَحَسَّ الضَّيْغَمَا

الضيغم الاسد والكردمة النفور فكتب المهلب الى الحجاج يسأله أن يتحافى له عن اصطخر وذرا بجرد لازارق الجند ففعل وكان قطري هدم مدينة اصطخر لان أهلها كانوا يكاتبون المهلب بأخباره وأراد مثل ذلك بمدينة فسا فاشتراها منه آزاذمرد بن الهربذ بمائة ألف درهم فلم يهدمها فواقعه المهلب فهزمه ونفاه الى كرمان واتبعه ابنه المغيرة برقدكان دفع اليه سيفا ووجّه به الحجاج الى المهلب وأقسم عليه أن يتقلده فدفعه الى المغيرة بعد ما تقلده به فرجع به المغيرة اليه وقد دمّاه فسُرّ المهلب بذلك وقال ما يسرني أن أكون كنتُ دفعته الى غيرك من ولدي اكفني جباية خراج هاتين الكورتين وضم اليه الرقاد فجعلا يجبيان ولا يعطيان الجند شيأ في ذلك يقول رجل منهم وأحسبه من بني تميم في كلمة له

ولو علم ابن يوسف ما نُلاقي * من الآفات والكُرَب الشداد

لفاضت عينُه جَزَعًا علينا * وأصلح ما استطاع من الفساد

ألا قُل للامير جُزيتَ خيرا * أرحنا من مُغيرة والرُقاد

فارزقنا الجنود بها قفيزا * وقدساست مطامير الحصاد

يقال ساس الطعام وأساس اذا وقع فيه السوس ودَادَ وأدادَ من الدود وروى أبو زيد ديدَ فهو مَدوُدٌ في هذا المعنى. فمارهم المهلب بالسير جان حتى نفاهم عنها الى جيرفت واتبعهم فنزل قريبا منهم واختلفت كلمتهم وكان سبب ذلك أن عبيدة بن هلال اليشكري اتّهم بامرأة رجل حداد رآه مرارا يدخل منزله بغير اذن فأتوا قطريا فذكروا ذلك له فقال لهم ان عبيدة من الدين بحيث علمتم ومن الجهاد بحيث رأيتم فقالوا انا لا نُقارُّه على الفاحشة فقال انصرفوا ثم بعث الى عبيدة فأخبره وقال انا لا نُقارُّك على الفاحشة فقال بهتوني يا أمير المؤمنين فما ترى قال اني جامعٌ بينك وبينهم فلا تخضع خضوع المُذنب ولا تتطاول تطاول البَرِيء فجمع بينهم فتكلموا فقام عبيدة فقال بسم الله الرحمن الرحيم ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرًّا لكم بل هو خير لكم

عما فرضته لكم ولا ضير ان كان هذا الذي قلناه على اخلاص وصحة عهد وعلى صدق سيرة وثبات عقد ينبو السيف وهو حسام ويكبو الطرف وهو جواد وينسى الذكور ويغفل القطن ونعوذ بالله تعالى من العمى بعد البصيرة والحيرة بعد لزوم الجادة كان أبو الفضل أعزه الله على ما قد بلغك من التبرع من الوعد وسرعة الانجاز وتمام الضمان وعلى الله تمام النعمة والعافية وكان أيده الله في حاجتي كما وصف زيد الخيل نفسه حين يقول ومَوعِدتي حق كأن قد فعلتها متى ما أعد شيأ فاني لعازم وتقول العرب من أشبه أباه فما ظلم تقول لم يضع الشبه الا في موضعه لانه لا شاهد أصدق على غيب نسبه وخفي نجله من الشبه القائم فيه الظاهر عليه وقد تقبلت أبقى الله شخصك خلقه وخلقه وفعله وعزمه ومن الشهامة والنفس التامة ومرجع الافعال الى الطبائع ومدار الطبائع على جودة اليقين وقوة المنة وبهما تتم العزيمة وتنفذ البصيرة هذا مع ما قسم الله لك من المحبة ومنحك من الثقة

وسلمْ من المذمة والله لو لم يكن فيكم من خصال الحمية وخلال النفوس الأبية الا انكم لا تدينون بالنفاق ولا تعدون بالكذب ولا تستعملون المواربة في موضع الاستقامة وحيث تحب الثقة ولا يكون حظ الأحرار بالمواعيد صرفا ولا تتكلون على ملامة الطالب ولا عجز الراغب اذا استنفدت أيامه وعجزت نفقته وماتت أسبابه بل تعجلون لهم الراحة عند تعذر الأمور اليكم بالاياس وتحققون اطماعهم عنكم امكان الامور لكم بالانجاح

﴿فصل منها﴾ وانك والله أيها الكريم المأمول والمستعطف المسؤل لا تزرع الحمية الا وتحصد الشكر ولا تكثر المودات الا اذا كثر الناس الأموال ولا يشيع لك طلب الأحدوثة وجمال الحال في العشيرة الا بتجرع مرار المكاره ولن تنهض بأعباء المكارم التي توجبها النعمة وتفرضها المرتبة حتى تستشعر التفكر في التخلص الى اغنائهم والقيام بحسن ظنهم وحتى ترحمهم من طول الانتظار وترق عليهم من موت الأمل واحياء القنوط

الآيات فبكوا وقاموا اليه فاعتنقوه وقالوا استغفر لنا ففعل فقال لهم عبد ربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة والله لقد خدعكم فبايع عبد ربه منهم ناس كثير لم يظهروا ولم يجدّ واعلى عبيدة في اقامة الحد ثبتا وكان قطري قد استعمل رجلا من الدهاقين فظهرت له أموال كثيرة فأتوا كاظريا فقالوا ان عمر بن الخطاب لم يكن يقارّ عمّاله على مثل هذا فقال قطري اني استعملته وله ضياع وتجارات فأوغر ذلك صدورهم وبلغ ذلك المهلب فقال ان اختلافهم أشد عليهم مني وقالوا لقطري ألا تخرج بنا الى عدونا فقال لا نم خرج فقالوا قد كذب وارتد فاتبعوه يوما فأحس بالشر فدخل دارا مع جماعة من أصحابه فصاحوا به يا دابة اخرج الينا فخرج اليهم فقال رجعتم بعدي كفارا فقالوا أولست دابة قال الله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ولكنك قد كفرت بقولك انا قد رجعنا كفارا فتب الى الله عز وجل فشاور عبيدة فقال ان تبت لم يقبلوا منك ولكن قل انما استفهمتُ فقلت أو جعتم بعدي كفارا فقال ذلك لهم فقبلوه منه فرجع الى منزله وهزم أن يبايع المُقَعْطَر العبدي فكرهه القوم وأبوه فقال له صالح بن مخراق عنه وعن القوم ابغ لنا غير المقعطر فقال قطري أرى طول العهد قد غيّركم وأنتم بصدد عدوكم فاتقوا الله واقبلوا على شأنكم واستعدوا للقاء القوم فقال له صالح بن مخراق ان الناس قبلنا ساموا عثمان ابن عفان أن يعزل عنهم سعيد بن العاصي ففعل ويجب على الامام أن يعفي الرعية مما كرهت فأبى قطري أن يعزله فقال له القوم انا خلعناك ولينا عبد ربه الصغير فانفصل الى عبد ربه أكثر من الشطر وجلهم الموالي والعجم وكان هناك منهم ثمانية آلاف وهم القراء ثم ندم صالح بن مخراق فقال لقطري هذه نفحة من نفحات الشيطان فاعفنا من المقعطر وسر بنا الى عدوك فأبى قطري الا المقعطر فحمل فتى من العرب على صالح بن مخراق فطعنه فأنفذه وأجره الرمح فقتله ومعنى أجره الرمح طعنه وترك الرمح فيه قال عنترة

وآخر منهم أجررت رمحي * وفي البجلي معبلة وقيع

فنشبت الحرب بينهم فتهايجوا ثم انحاز كل قوم الى صاحبهم فلما كان الغد اجتمعوا فاقتتلوا قتالا شديدا فأجلت الحرب عن ألفي قتيل فلما كان الغد باكروهم القتال فلم ينتصف النهار حتى أخرجت العجم العرب من المدينة وأقام عبد ربه بها وصار قطري خارجا من مدينة جيرفت بازائهم فقال

له عُبيدة يا أمير المؤمنين ان أقمت لم آمن هذه العبيد عليك الا أن تُخندق فخندق على باب المدينة وجعل يُناوشهم وارتحل المهلب فكان منهم على ليلة ورسول الحجاج معه يستحثه فقال له أصلح الله الامير عاجلهم قبل أن يصطلموا فقال المهلب انهم لن يصطلموا ولكن دعهم فانهم سيصيرون الى حال لا يفلحون معها ثم دسّ رجلا من أصحابه فقال ائت عسكر قطري فقل اني لم أزل أرى قطريا يُصيب الرأي حتى نزل منزله هذا فبان خطؤه أنقيم بين المهلب وعبد ربه بغاديه هذا القتال ويراوحه هذا فلما انتهى الكلام الى قطري فقال صدق فضوا بنا عن هذا الموضع فان اتبعنا المهلب قاتلناه وان أقام على عبد ربه رأيتم فيه ما تحبون فقال له الصلت بن مُرّة يا أمير المؤمنين ان كنت تريد الله فاقدم على القوم وان كنت تريد الدنيا فاعلم أصحابك حتى يستأمنوا وأنشأ الصلت يقول

قل للمحلين قد فرّت عيونكم * بفرقة القوم والبغضاء والهرب

كنا أناسا على دين فغيّرنا * طول الجدال وخلط الجد باللعب

ما كان أغنى رجالا ضلّ سعيهم * عن الجدال وأغناهم عن الخطب

اني لأهوى لكم في الارض مضطربا * مالي سوى فرسي والرمح من نشب

ثم قال أصبح للمهلب رجومنا ما كنا نطمع فيه منه فارتحل قطري وبلغ ذلك المهلب فقال لهريم ابن صدي بن أبي طحمة المجاشعي اني لا آمن ان يكون قطري كادنا بترك موضعه فاذهب فتعرّف الخبر فمضى هريم في اثني عشر فارسا فلم يرفي العسكر الا عبدا وعلّجا فسألهما عن قطري وأصحابه فقالا مضوا يرتادون غير هذا المنزل فرجع هريم الى المهلب فأخبره فارتحل المهلب حتى نزل خندق قطري فجعل يقاتلهم أحيانا بالغداة وأحيانا بالعشي ففي ذلك يقول رجل من سدوس يقال له المُعنّق وكان فارسا

ليتَ الحرائر بالعراق شهدننا * ورأينَنا بالسفح ذي الأجبال

فنكحن أهل الجزْم من فرساننا * والضاربين بجاجم الأبطال

ووجه المهلب يزيد الى الحجاج يخبره أنه قد نزل منزل قطري وأنه مقيم على عبد ربه ويسأله أن يُوجّه في أثر قطري رجلا جلدا في جيش فسرّ ذلك الحجاج سرورا أظهره ثم كتب الى المهلب يستحثه مع عُبيد بن مَوْهب وفي الكتاب أما بعد فانك تتراخى عن الحرب حتى يأتيك رسلي فترجع بعُذرك وذلك أنك تُعمد حتى تبرأ الجراح وتُنسى القتلى ويجمّ الناس ثم تلقاهم فتضمل

وحتى تتغلغل ذلك بالحيل اللطيفة والعناية الشديدة الشريفة وحتى تتوخى الساعات وتنتهز الفرص في الحالات وتتخير من الألفاظ أرقها مسلكا وأحسنها قبولا وأجودها وقوعا

﴿فصل من صدر رسالته في تفضيل النطق على الصمت﴾ أمتع الله بك وأبقى نعمه عندك وجعلك ممن اذا عرف الحق انقاد له واذا رأى الباطل أنكره وتزحزح عنه قد قرأت كتابك فيما وصفت من فضيلة الصمت وشرحت من مناقب السكوت ولخصت من وضوح أسبابهما وأحمدت من منفعة عاقبتهما وجريت في مجرى فنون الأقاويل فيهما وذكرت أنك وجدت الصمت أفضل من الكلام في مواطن كثيرة وان كان صوابا وألفيت السكوت أحمد من المنطق في مواضع جمة وان كان حقا وزعمت أن اللسان من مسالك الخطاء الجالب على صاحبه البلاء وقلت ان حفظ اللسان أمثل من التورط في الكلام وسميت الغبي عاقلا والصامت حليما والساكت لبيبا والمطرق مفكرا وسميت البليغ

منهم مثل ما يحتملون منك من وحشة القتل وألم الجراح ولو كنت تلقاهم بذلك الجد لكان الداء قد حسم والقرن قد قصم ولعمري ما أنت والقوم سواء لان من ورائك رجالا وأماثل أموالا وليس للقوم الا ما معهم ولا يدرك الوجيف بالدبيب ولا الظفر بالتعذير فقال المهلب لاصحابه ان الله عز وجل قد أراحكم من أقران أربعة قطري بن الفجاءة وصالح بن مخراق وعبيدة بن هلال وسعدا الطلائع وانما بين أيديكم عبد ربه في خشار من خشار الشيطان تقتلونهم ان شاء الله فكانوا يتعادون القتال ويتراوحون فتصيبهم الجراح ثم يتحاجزون كأنما انصرفوا من مجلس كانوا يتحدثون فيه فيتحدث بعضهم الى بعض فقال عبيد بن موهب للمهلب قد بان عذرك وأنا مخبر الامير فكتب المهلب اليه أما بعد فاني لم أعط رسلك على قول الحق أجرا ولم أحتج منهم مع المشاهدة الى تلقين ذكرت أني أجم القوم ولا بد من راحة يستريح فيها الغالب ويحتال فيها المغلوب وذكرت أن في ذلك الجمام ما ينسي القتلى وتبرأ منه الجراح وهيهات أن ينسي ما بيننا وبينهم تأبي ذلك قتلى لم تجن وقروح لم تتقرف ونحن والقوم على حالة وهم يرقبون منا حالات ان طمعوا حاربوا وان ملوا وقفوا وان يئسوا انصرفوا وعلينا أن نقاتلهم اذا قاتلوا ونحرز اذا وقفوا ونطلب اذا هربوا فان تركتني والرأي كان القرن مقصوما والداء باذن الله محسوما وان أعجلتني لم أطعن ولم أعص وجعلت وجهي الى بابك أنا وأعوذ بالله من سخط الله ومقت الناس ولما اشتد الحصار على عبيد ربه قال لاصحابه لا تفتقروا الى من ذهب عنكم من الرجال فان المسلم لا يفتقر مع الاسلام الى غيره والمسلم اذا صح توحيده عز بربه وقد أراحكم الله من غلظة قطري وعجلة صالح بن مخراق وتخونه واختلاط عبيدة بن هلال ووكلكم الى بصائركم فالقوا عدوكم بصبر ونية وانتقلوا من منزلكم هذا من قتل منكم قتل شهيدا ومن سلم من القتل فهو المحروم وقدم في هذا الوقت على المهلب عبيد بن أبي ربيعة بن أبي الصلت الثقفي يستحثه بالقتال ومعه أمينان فقال له خالفت وصية الامير وآثرت المدافعة والمطاولة فقال له المهلب ما تركت جهدا فلما كان العشي خرج الازارقة وقد حملوا حرمهم وأموالهم وخف متاعهم لينتقلوا فقال المهلب لاصحابه الزموا مصافكم وأشرعوا رماحكم ودعوهم والذهاب فقال له عبيد هذا العمري أيسر علينا فقال للناس ردوهم عن وجهتهم وقال لبنيه تفرقوا في الناس وقال لعبيد بن أبي ربيعة كن مع يزيد

مكثارا والخطيب مهذارا والفصيح مفرطا والمنطيق مطنبا وقلت انك لم تندم على الصمت قط وان كان منك عيا وانك ندمت على الكلام مرارا وان كان صوابا واحتجاجك في ذلك بقول كسرى أنوشروان واعتصامك فيها بما سار من أقاويل السراة والمتسق من كلام الأدباء وافراطهم في مذمة الكلام واطنابهم في محمدة السكوت وأتيت حفظك الله على جميع ما ذكرت من ذلك ووصفت ولخصت وشرحت وأطنبت فيها وفرطت بالفهم وتصفحتها بالعلم وبحثت بالحزم ووعيت بالعزم فوجدتها كلام امرئ قد أعجب برأيه وارتطم في هواه وظن أنه قد نسج فيها كلاما وألف ألفاظا ونسق له معاني على نحو ما أخذه ومقصده أن لا يلفى له ناقضا في دهره بعد أن أبرمها ولا يجد فيها مناويا في عصره بعد ان أحكمها وان حجته قد لزمت جميع الأنام ودحضت حجة قاطبة أهل الأديان لما شرح فيها من البرهان وأوضح من البيان وحتى كان القول من القائل نقصا ورفع الوصف من الواصف

نفذه

فخذه بالمحاربة أشدّ الأخذ وقال لأحد الأمينين كن مع المغيرة ولا ترخص له في الفتور فاقتتلوا قتالا شديدا حتى عُقرت الدواب وصُرع الفرسان وقُتلت الرجال فجعلت الخوارج تقاتل على القدح يؤخذ منها والسوط والعلق الخسيس أشدّ قتال وسقط رمح لرجل من مُراد من الخوارج فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل وذلك مع المغرب والمرادي يقول

الليل ليل فيه ويل ويل * وسيال بالقوم الشراة السيل * ان جاز للاعداء فينا قول

فلما عظم الخطب فيه بعث المهلب الى المغيرة خيّل عن الرمح عليهم لعنهم الله فخلوا لهم عنه ثم مضت الخوارج حتى نزلوا على أربعة فراسخ من جيرفت ودخلها المهلب وأمر بجمع ما كان لهم فيها من المتاع وما خلفوه من رقيق وختم عليه هو والثقفي والأمينان ثم اتبعهم فاذا هم قد نزلوا على عين لا يشرب منها الا قوي يأتي الرجل بالدلو قد شدّها في طرف رمحه فيستقي بها وهناك قرية فيها أهلها فغادا هم القتال وضمّ الثقفي الى يزيد وأحد الأمينين الى المغيرة واقتتل القوم الى نصف النهار فقال المهلب لابي علقمة المهدي وكان شجاعا عاتيا أمدد بخيل اليهم وقل لهم فليعبروا ناجاجهم ساعة فقال له ان جماجهم ليست بفخار فتُعار وليست أعناقهم كرادي فتنبت (قال أبو الحسن الاخفش تقول العرب لأعناق النخل كرادي وهو فارسي أُعرب) وقال لحبيب بن أوس كُرّ على القوم فلم يفعل وقال

يقول لي الامير بغير علم * تقدّم حين جدّ بها المراس

فما لي ان أطعنّ من حياة * ومالي غير هذا الرأس راس

نصب غير لانه استثناء مُقدّم وقد مضى تفسيره وقال لعثمن بن المغيرة بن أبي صُفرة احمل فقال لا الا أن تزوجني أمّ مالك بنت المهلب ففعل فحمل على القوم فكشفهم وطعن فيهم وقال

ليت من يشترى الغداة بمال * هلكه اليوم عندنا فبرانا

تصل الكرّ عند ذاك بطعن * ان لاوت عندنا ألوانا

ثم جال الناس جولة عند حملة حملها عليهم الخوارج فالتفت عند ذلك المهلب الى المغيرة فقال ما فعل الامين الذي كان معك قال قتل وكان الثقفي قد هرب وقال ليزيد ما فعل عُبيد بن أبي ربيعة قال لم أره منذ كانت الجولة فقال الامين الآخر للمغيرة أنت قتلت صاحبي فلما كان العشي رجع الثقفي فقال رجل من بني عامر بن صعصعة

تغلبا وكان في موضع لا ينازعه فيه أحد وقلما يجد من يخاصمه ولا يأتي أبدا من يناضله وصار فالجا بحجته أو حديا في لهجته اذ كان محله محل الوحدة والانس بالخلوة وكان مثله في ذلك مثل من تخلص الى الحاكم وحده فلج بحجته وانى سأوضح لك ذلك بالبرهان القاطع والبيان الساطع وأشرح فيه من الحجج ما يظهر ومن الحق ما يقهر بقدر ما آتت عليه معرفتي و بلغته قوتي وملكته طاقتي مما لا يستطيع أحد رده ولا يمكنه انكاره وجحده ولا قوة الا بالله وبه أستعين وعليه أتوكل واليه أنيب انى وجدت فضيلة الكلام باهرة ومنقبة المنطق ظاهرة في خلال كثيرة وخصال معروفة منها انك لا تؤدي شكر الله ولا تقدر على اظهاره الا بالكلام ومنها انك لا تستطيع العبارة عن حاجاتك والابانة عن مآربك الا باللسان وهذان في العاجل والآجل مع أشياء كثيرة لو ينحوها الانسان لوجدها في المعقول موجودة وفي المحصول معلومة وعند الحقائق مشتهرة وفي التدبير ظاهرة ولم أجد

مازلتَ يانَفَّى تخطبُ بيننا * وتَعُمُّنا بوصيةِ الحجَّاج

حتى اذا ما الموتُ أقبل زاحفاً * وسَمَا لناصرفاً بغير مزاج

ولَّيتَ يانَفَّى غيرَ مناظرٍ * تنساب بين أحِزَّةٍ وفجاج

ليستْ مقارعةُ الكُماةِ لدَى الوغَى * شربَ المُدامةِ فى اناءِ زُجاج

قوله بين أحِزَّةٍ هو جمع حزيز وهو متن ينقاد من الارض ويقطُعُ والفجاجُ الطرق واحدها فجٌّ وقال المهلب للازديين الآخرين ينبغى أن نتوجه مع ابنى حبيب فى ألف رجل حتى نُبيّتوا عسكرهم فقال مانريد أيها الامير الا أن تقتلنى كما قتلتَ صاحبى قال ذاك اليك وضمن المهلبُ ولم تكن للقوم خنادقُ فكان كلُّ حذرٍ من صاحبه غير أن الطعام والعُدَّةَ مع المهلب وهم فى زُهاء ثلاثين ألفا فلما أصبح أشرفَ على واد فاذا هو برجل معه رحل مكسور وقد خضبه بالدماء وهو ينشد

جزانى دوائى ذوالحمار وصنعتى * اذابات أطواءَ بنى الأصاغر

أعادعهم عنه ليُعبَقَ دونهم * وأعلمُ غيرَ الظن أنى مُغاورُ

كأنى وأبدانَ السلاح عشيةً * بمرُّ بنا فى بطن فيحانَ طائر

فدعاه المهلب فقال أتعرفنى أنت قال نعم قال أحنظلى قال نعم قال أبو حى قال نعم قال أنعلبى قال نعم قال أمن آل نُوَيرةَ قال نعم أنا من ولد مالك بن نويرة رحمك الله أيها الامير أيكون مثلى فى عسكرك لا تعرفه قال عرفتك بالشعر قوله ذوالحمار يعنى فرسا وكان ذوالحمار فرس مالك بن نويرة قال جرير يهجو الفرزدق

بيربوع فخرتُ وآلَ سَعدٍ * فلا تجدى بَلَغْتَ ولا افتخارى

بيربوع فوارسُ كلِّ يوم * يُوارى شمسُه رَهَجُ الغبار

عُتَيبةُ والأحيمرُ وابن عمرو * وعَنَّاب وفارسُ ذى الحمار

قوله أطواء يقال رجل طوىّ البطن أى منطوٍ يخبر أنه كان يؤثر فرسه على ولده فيشبعه وهم جياع وذلك قوله * أعادعهم عنه ليعبق دونهم * والعَبوق شرب آخر النهار وهذا شئ تفتخر به العرب قال الأسعرُ الجُعفىُّ

لكن قعيدةُ بيتنا مجفوةٌ * بادٍ جناجنُ صدرها ولهاقنى

نُقْنى بعيشة أهلها وثأبةً * أو جُرْشُعاتٍ للمراكل والشوى

قال

الصمت فضلا على الكلام مما يحتمله القياس لانك تصف الصمت بالكلام ولا تصف الكلام به ولو كان الصمت أفضل والسكوت أمثل لما عرف للآدميين فضل على غيرهم ولا فرق بينهم وبين شئ من أنواع الحيوان واصناف الخلق فى أصناف جواهرها واختلاف طبائعها وافتراق حالاتها واجناس أبدانها فى أعيانها وألوانها بل لم يمكن أن يميز بينهم وبين الأصنام المنصوبة والأوثان المنحوتة وكان لكل قائم وقاعد ومتحرك وساكن ومنصوب وثابت فى شرع سواء ومنزلة واحدة وقسمة مشاكلة اذ كانوا فى معنى الصمت بالجثة واحدا وفى معنى الكلام بالمنطق متباينا ولذلك صارت الأشياء مختلفة فى المعانى موتلفة الأشكال اذ كانت فى اشكال خلقتها متفقة بتركيب جواهرها وتأليف اجزائها وكمال أبدانها وفى معنى الكلام متباينة عند مفهوم تفهماتها ومنظوم ألفاظها وبيان معالمها وعدل شواهدها مع انى لم أنكر فضيلة الصمت ولم أهجن ذكره الا أن فضله خاص دون عام وفضل الكلام خاص وعام

قال فمكثوا أياما على غير خنادق يتحارسون ودوابهم مسرجة فلم يزالوا على ذلك حتى ضعف الفريقان فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها عبد ربه جمع أصحابه وقال يا معشر المهاجرين ان قطريا وعبيدة هز باطلب البقاء ولا سبيل اليه فالقوا عدوكم فان غلبوكم على الحياة فلا يغلبنكم على الموت فتلقوا الرماح بنحوركم والسيوف بوجوهكم وهبوا أنفسكم لله في الدنيا يهبها لكم في الآخرة فلما أصبحوا غادروا المهلب فقاتلوه قتالا شديدا أنسى به ما كان قبله فقال رجل من الأزد من أصحاب المهلب من يبايعني على الموت فبايعه أربعون رجلا من الازد وغيرهم فصرع بعضهم وقتل بعض وجرح بعض وقال عبد الله بن رزام الحارثي لأصحاب المهلب احملوا فقال المهلب أغرابي مجنون وكان من أهل نجران فحمل وحده فاخترق القوم حتى نجم من ناحية أخرى ثم رجع ثم كر ثانية ففعل فعلته الأولى وتهايج الناس فتزجلت الخوارج وعقروا دوابهم فناداهم عمر والقناوله يترجل هو وأصحابه من العرب وكانوا زهاء أربعمائة موتوا على ظهور دوابكم ولا تعقروها فقالوا انا اذا كنا على الدواب ذكرنا الفرار فاقتتلوا ونادى المهلب بأصحابه الأرض الارض وقال لبنيه تفرقوا في الناس ابرزوا وجوهكم ونادى الخوارج ألا ان العيال لمن غلب فصبر بنو المهلب وصبر يزيد بين يدي أبيه وقاتل قتالا شديدا أبلى فيه فقال له أبوه يا بني اني أرى موطنا لا ينجو فيه الا من صبر وما مر بي يوم مثل هذا منذ مارست الحروب وكسرت الخوارج أجفان سيوفها وتجاولوا فأجلت جولتهم عن عبد ربه مقتولا فهرب عمر والقنا وأصحابه واستأمن قوم وأجلت الحرب عن أربعة آلاف قتيل وجرحى كثير من الخوارج فأمر المهلب بأن يدفع كل جريح الى عشيرته وظفر بعسكرهم فحوى ما فيه ثم انصرف الى جيرفت فقال الحمد لله الذي ردنا الى الخفض والدعة فما كان عيشنا بعيش ثم نظر الى قوم في عسكره لم يعرفهم فقال ما أشد عادة السلاح ناولوني درعي فلبسها ثم قال خذوا هؤلاء فلما صيروا بهم اليه قال ما أنتم قالوا نحن قوم جئنا لنطلب غرتك لنقتلك بدل فأمر بهم فقتلوا ووجه المهلب كعب بن معدان الاشقري وهرة بن نديد الازدي من أزد شنوءة فوفد على الحجاج فلما طلعا عليه تقدم كعب فأنشده

ياحفص اني عداني عنكم السفر * (وقد سهرت فأردى نومي السهر)

فقال له الحجاج أشاعر أم خطيب قال كلاهما ثم أنشده القصيدة ثم أقبل عليه فقال له أخبرني

وان الاثنين اذا اشتغل عليهما فضل كان حظهما أكثر ونصيبهما أوفر من الواحد ولعله أن يكون بكلمة واحدة نجاة خلق وخلاص أمة ومن أكثر ما يذكر للساكت من الفضل ويوصف له من المنقبة أن يسكت ليتوقى به عن الأثم وذلك فضل خاص دون عام ومن أقل ما يحتكم عليه أن يقال غبي أو جاهل فيكون في ذلك لازم ذنب على التوهم به فيجتمع مع وقوع اسم الجاهل عليه ما ورط فيه صاحبه من الوزر والذي ذكر من تفضيل الكلام ما ينطق به القرآن وجاءت فيه الروايات عن المثقفين في الأحاديث المنقولات والأقاصيص المرويات والسمر والحكايات وما تكلمت به الخطباء ونطقت فيه البلغاء أكثر من أن يبلغ آخرها ويدرك أولها ولكن قد ذكرت من ذلك على قدر الكفاية ومن الله التوفيق والهداية ولم ار الصمت أسعدك الله أحمد في موضع الاوكان الكلام فيه أحمد لتسارع الناس الى تفضيل الكلام لظهور علته ووضوح جليته ومغبة نفعه وقد

عن بني المهلب قال المغيرة فارسهم وسيدهم وكنى يزيد فارسا شجاعا وجوادهم وسخيهم قبيصة
ولا يسخي الشجاع أن يفر من مدرك وعبد الملك ثم نافع وحبيب موت زعاف ومحمد لبيد غاب
وكفاك بالمفضل نجدة قال فكيف خلفت جماعة الناس قال خلفتهم بخير قد أدركوا ما أملوا
وأمنوا ما خافوا قال فكيف كان بنو المهلب فيكم قال كانوا حماة السرح نهارا فاذا أليلوا ففرسان
البيات قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها قال فكيف كنتم أنتم
وعدوكم قال كنا اذا أخذنا عفونا واذا أخذوا منا أخذنا منهم واذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم
فقال الحجاج ان العاقبة للمتقين كيف أفلتكم قطري قال كدناه ببعض ما كادنا به فصرنا منه الى
الذي نحب قال فهلا تبعتموه قال كان الحد عندنا آثر من الغلبة قال فكيف كان لكم المهلب وكنتم
له قال كان لنا منه شفقة الوالد وله منا بر الولد قال فكيف اغتباط الناس قال فشافيهم الأمن
وشملهم النفل قال أكنت أعددت لي هذا الجواب قال لا يعلم الغيب الا الله قال فهكذا تكون
والله الرجال المهلب كان أعلم بك حيث رجحك وكان كتاب المهلب الى الحجاج بسم الله الرحمن
الرحيم الحمد لله الكافي بالاسلام فقد ماسواه الذي حكم بأن لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر
من عباده أما بعد فقد كان من أمرنا ما قد بلغك وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسرنا منهم
أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم على اشتداد شوكتهم فقد كان علن أمرهم حتى
ارتاعت له الفتاة ونوم به الرضيع فانهزت منهم الفرصة في وقت امكانها وأدنيت السواد من
السواد حتى تعارفت الوجوه فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين فكتب اليه الحجاج أما بعد فان الله عز وجل قد فعل بالمسلمين خيرا
وأراحهم من حد الجهاد وكنت أعلم بما قبلك والحمد لله رب العالمين فاذا ورد عليك كتابي هذا
فاقسم في المجاهدين فيئهم ونقل الناس على قدر بلائهم وفضل من رأيت تفضيله وان كانت بقيت
من القوم بقية فخلف خيلا تقوم بازائهم واستعمل على كرمان من رأيت وول الخيل شهما من
ولدك ولا ترخص لاحد في اللحاق بمنزله دون أن تقدم بهم علي وعجل القدوم ان شاء الله فولى
المهلب ابنه يزيد كرمان وقال له يا بني انك اليوم لست كما كنت انما لك من مال كرمان ما فضل عن
الحجاج وان تحتمل الا على ما احتمل عليه أبوك فأحسن الى من معك وان أنكرت من انسان شيأ

ذكر الله جل وعز في قصة ابراهيم عليه السلام حين كسر الأصنام وجعلها جذاذا فقال حكاية عنهم قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون وكان كلامه سببا لنجاته وعلة لخلاصه وكان كلامه عند ذلك أحد من صمت غيره في مثل ذلك الموضع لانه عليه السلام لو سكت عند سؤالهم اياه لم يكن سكوته الا على بصر وعلم وانما تكلم لانه رأى الكلام أفضل وان من تكلم فأحسن قد ران يسكت فيحسن وليس من سكت فأحسن قد ران يتكلم فيحسن واعلم حفظك أن الكلام سبب لايجاب الفضل وهداية الى معرفة أهل الطول ولولا الكلام لم يكن يعرف الفاضل من المفضول في معاني كثيرة لقول الله عز وجل في بيان يوسف عليه السلام وكلامه عند عزيز مصر لما كلمه فقال انك اليوم لدينا مكين أمين فلو لم يكن يوسف عليه السلام أظهر فضله بالكلام والافصاح بالبيان مع محاسنه المونقة واخلاقه الطاهرة وطبائعه الشريفة لما

فوجهه اليه وتفضل على قومه وقدم المهلب على الحجاج فأجلسه الى جانبه وأظهر اكرامه وبره وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال أنت والله كما قال لقيط الايادي

وقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا يطعم النوم الا ريث يبعثه * همّ يكاد حشاه يقصم الضلعا

لا مترفا ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عض مكروه به خشعا

ما زال يحلب هذا الدهر أشطره * يكون متبعا طورا ومتبعا

حتى استمرت على شزر مريرته * مستحكم الرأي لا قحما ولا ضرعا

فقام اليه رجل فقال أصلح الله الامير والله لكأني أسمع الساعة قطريا وهو يقول المهلب كما قال لقيط الايادي ثم أنشد هذا الشعر فسر الحجاج حتى امتلأ سرورا قوله نفل أي اقسم بينهم والنفل العطية التي تفضل كذا كان الاصل وانما تفضل الله عز وجل بالغنائم على عباده قال لبيد

ان تقوى ربنا خير نفل * (وبإذن الله ريثي وعجل)

وقال جل جلاله يسألونك عن الانفال ويقال نفلتك كذا وكذا أي أعطيتك ثم صار النفل لازما واجبا وقول الايادي رحب الذراع فالرحب الواسع وانما هذا مثل يريد واسع الصدر متباعد ما بين المنكبين والذراعين وليس المعنى على تباعد الخلق ولكن على سهولة الامر عليه قال الشاعر

رحيب الذراع بالتي لا تشينه * وان قيلت العوراء ضاق بها ذرعا

وكذلك قوله جل وعز يجعل صدره ضيقا حرجا وقوله مضطلعا انما هو مفتعل من الضليع وهو الشديد يريد أنه قوي على أمر الحرب مستقل بها وقوله يكون متبعا طورا ومتبعا أي قد اتبع الناس فعلم ما يصلح به أمر الناس واتبع فعل ما يصلح الرئيس كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أنا وإيل علينا أي قد أصلحنا أمور الناس وأصلحت أمورنا وقوله على شزر مريرته فهذا مثل يقال شززت الحبل اذا كررت فتله بعد استحكامه راجعا عليه والمريرة الحبل والضرع الصغير الضعيف والقحم آخر سن الشيخ قال العجاج

رأين قحما شابا واقلحما * طال عليه الدهر فاسلهمّا

والمقلحم مثل القحم وهو الجاف ويقال للصبي مقلحم اذا كان سيئ الغذاء أو ابن هرمين ويقال

عرف العزيز فضله ولا بلغ تلك المنزلة لديه ولا حل ذلك المحل منه ولا صار عنده بموضع الامانة ولكان في عداد غيره ومنزلة سواه عند العزيز ولكن الله جعل كلامه سببا لرفع منزلته وعلو مرتبته وعلة لمعرفة فضيلته ووسيلة لتفضيل العزيز اياه ولم أر الصمت فضيلة في معنى ولا السكوت منقبة في شئ الا وفضيلة الكلام فيها أكثر ونصيب المنطق عندها أوفر والنطق بها أشهر وكفى بالكلام فضلا وبالمنطق منقبة ان جعل الله الكلام سبيل تهليله وتحميده والدال على معالم دينه وشرائع ايمانه والدليل الى رضوانه ولم يرض من أحد من خلقه ايمانا الا بالاقرار وجعل مسلك اللسان ومجراه فيه البيان وصيره المعبر عن ما يضمره والمبين عن ما يخبره والمنبئ عن ما يستطيع ببيانه وهو ترجمان القلب والقلب وعاء واع ولم يحمد الصمت من أحد الا توقيا لعجزه عن ادراك الحق والصواب في اصابة المعنى وانما قال النبي صلى الله عليه وسلم المشركين عند جهلهم الله تعالى وانكارهم

رجل انقحل وامرأة نقحلة اذا أسن حتى يبس والمسلهم الضامر قال الشاعر

* لما رأتني خلقا انقحلا *

ويقال فى معنى فحم فحر ويقال بعير فحارية فى هذا المعنى وقوله لا يطعم النوم الا ريث يبعثه هم فريث وعوض مما يضاف الى الافعال وتأويله أنه لا يطعم النوم الا يسيرا حتى يبعثه الهم فمعناه مقدار ذلك ومما يضاف الى الافعال أسماء الزمان كقوله عز ذكره هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فأسماء الزمان كلها تضاف الى الفعل نحو قولك آتيك يوم يخرج زيد وجئتك يوم قام عبد الله وما كان منها فى معنى الماضى جاز أن يضاف الى الابتداء والخبر فتقول جئتك يوم زيد أمير ولا يجوز ذلك فى المستقبل وذلك لان الماضى فى معنى اذ وأنت تقول جئتك اذ زيد أمير والمستقبل فى معنى اذا فلا يجوز أن تقول أجيئك اذا زيد أمير فلذلك لا يجوز أجيئك يوم زيد أمير وأما الافعال فى اذا واذ فهى بمنزلة واحدة تقول جئتك اذ قام زيد وأجيئك اذا قام زيد فهذا واضح بين ومما يضاف الى الفعل ذو فى قولك افعل ذا الذى تسلم وافعله بذى تسلمان معناه بالذى يسلمكما ومن ذلك آية فى قوله

بآية تقدمون الخيل شعثا * كأن على سنابكها مداما

والنحويتصل ويكثر وانما اخترنا الاستقصاء لانه موضع اختصار فقال المهلب انا والله ما كنا قط أشد على عدونا ولا أحد ولكن دمغ الحق الباطل وقهرت الجماعة الفتنة والعاقبة للتقوى وكان ما كرهناه من المطاولة خيرا مما أحببناه من العجلة فقال له الحجاج صدقت اذكر لى القوم الذين أبلوا وصف لى بلاءهم وأمر الناس فكتبوا ذلك للحجاج فقال لهم المهلب ماذخر الله لكم خيرا لكم من عاجل الدنيا ان شاء الله ثم ذكرهم للحجاج على مراتبهم فى البلاء وتفاضلهم فى الغناء وقدم بنيه المغيرة ويزيد ومدركا وحبيبا وقبيصة والمفضل وعبد الملك ومحمدا وقال انه والله لو تقدمهم أحد فى البلاء لقدمته عليهم ولولا أن أظلمهم لاخرتهم قال الحجاج صدقت وما أنت بأعلم بهم منى وان حضرت وغبت انهم لسيوف من سيوف الله ثم ذكر معن بن المغيرة بن أبى صفرة والرقاد وأشباههما فقال الحجاج أين الرقاد فدخل رجل طويل أجنأ فقال المهلب هذا فارس العرب فقال الرقاد أيها الامير انى كنت أقاتل مع غير المهلب فكنت كبعض الناس فلما صرت مع من يلزمنى الصبر ويجعلنى اسوة نفسه وولده ويجازينى على البلاء صرت أنا وأصحابى فرسانا فأمر الحجاج بتفضيل

اياه ليقروا به فاذا فعلوه حقنت دماؤهم وحرمت أموالهم ورعيت ذمتهم ولو انهم سكتوا واضنا بدينهم لم يكن سبيلهم الا العطب فاعلم أن الكلام من أسباب الخير لا من الشر والكلام أبقاك الله سبيل التمييز بين الناس والبهائم وسبب المعرفة لفضل الآدميين على سائر الحيوان قال الله عز وجل ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر كرمهم باللسان وحملهم بالتدبر ولو لم يكن الكلام لما استوجب أحد النعمة ولا أقام على أداء ما وجب عليه من الشكر سببا للزيادة وعلة لامتحان قلوب العباد والشكر بالاظهار فى القول والابانة باللسان ولا يعرف الشكر الا بهما والله تعالى يقول لئن شكرتم لازيدنكم فجعل الشكر علة لوجوب الزيادة عند اظهاره بالقول والحمد مفتاحا للنعمة وقد جاء فى بعض الآثار لو أن رجلا ذكر الله تعالى وآخر يسمع له كان المعدود للمستمع من الأجر والمذكور له من الثواب واحدا وللمتكلم به عشرة أو أكثر فهل ترى أبقاك الله أنه وجب لصاحب العشر ذلك

فوم على قوم على قدر بلائهم وزاد ولد المهلب ألفين وفعل بالرقاد وجماعة شبيها بذلك قال يزيد بن حبناء من الأزارقة

دعي اللوم ان العيش ليس بدائم * ولا تعجلي باللوم يا أم عاصم
فاذ عجلت منك الملامة فاسمعي * مقالة معنيّ بحقك عالم
ولا تعذلينا في الهدية انما * تكون الهدايا من فضول المغانم
فليس بمهد من يكون نهاره * جلادا ويمسي ليله غير نائم
يريد ثواب الله يوما بطعنة * عموس كشدق العنبري بن سالم
أبيت وسربالي دلاص حصينة * ومغفرها والسيف فوق الحيازم
حلفت برب الواقفين عشية * لدى عرفات حلفة غير آثم
لقد كان في القوم الذين لقيتهم * بسابور شغل عن بزوز اللطائم
توقد في أيديهم زاعبية * ومرهفة تفري شؤون الجماجم

قوله من يكون نهاره جلادا ويمسي ليله غير نائم يريد يمسي هو في ليله ويكون هو في نهاره ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السعة وفي القرآن بل مكر الليل والنهار والمعنى بل مكركم في الليل والنهار وقال رجل من أهل البصرة من اللصوص

أما النهار ففي قيد وسلسلة * والليل في جوف منحوت من الساج

وقال آخر

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى * ونمت وما ليل المطي بنائم

ولو قال ممن يكون نهاره جلادا ويمسي ليله غير نائم لكان جيدا وذلك أنه أراد من يكون نهاره يجالد جلادا كما تقول انما أنت سيرا وانما أنت ضربا تريد تسير سيرا وتضرب ضربا فأضمر لعلم المخاطب أنه لا يكون هو سيرا ولو رفعه على أن يجعل الجلاد في موضع المجالد على قوله أنت سير أي أنت سائر كما قالت الخنساء

فانما هي اقبال وادبار * وفي القرآن قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا أي غائرا وقد مضى تفسير هذا بأكثر من هذا الشرح ولو قال ويمسي ليله غير نائم لجاز يصير اسمه في يمسي ويجعل ليله ابتداء وغير نائم خبره على السعة التي ذكرنا وقوله عموس يريد واسعة محيطة والعنبري بن سالم رجل منهم كان يقال له الأشدق واللطائم واحدتها لطيمة

وفضل به على صاحبه الا عند استعماله بالنطق به لسانه ولم يلزم الصمت أحدا الا على حسب وقوع الجهل عليه فأما اذا كان الرجل نبيها مميزا عالما مفوها فالصمت مهجن لعلمه وساتر لفضله كالقداحة لم يستبن نفعها دون تزنيدها ولذلك قيل من جهل علما عاداه

(فصل منها) ولم أجد الصامت مستعانا به في شيء من المعاني ولا مذكورا في المحافل ولم يذكر الخطباء ولا قدمتهم الوفود عند الخلفاء الا لما عرفوه من فضل لسانهم وفضيلة بيانهم وان أصح ما يوجد في المعقول وأوضح ما يعد في المحصول للعرب من الفضل فصاحتها وحسن منطقها بعد فضائلها المذكورة وأيامها المشهورة والفضل الفصاحة وحسن البيان بعث الله تعالى أفضل أنبيائه وأكرم رسله من العرب وجعل لسانه عربيا وأنزل عليه قرآنه عربيا كما قال الله تعالى بلسان عربي مبين فلم يخص اللسان بالبيان ولم يحمد بالبرهان الا عند وجود الفضل في الكلام وحسن العبارة عند النطق وحلاوة اللفظ

وهى الابل التى تحمل البَزّ والعطر وقوله توقد فى أيديهم زاعبية يعنى الرماح والتوقد للاسنّة والزاعبية منسوبة الى زاعب وهو رجل من الخزرج كان يعمل الرماح وتفرى تقدّ يقال فَرَى اذا قطع وأفرى اذا أصلح وقال حبيب بن عوف من قُوّاد المهلب

أباسعيد بزاك الله صالحة * فقد كفيت ولم تعنف على أحد

داويت بالحلم أهل الجهل فانقمعوا * وكنت كالوالد الحانى على الولد

وقال عَبيدة بن هلال فى هَرَبهم مع قَطَرِيّ

مازالت الاقدار ترحى قذفنى * بقُومِس بين الفُرْضان وصُول

ويروى أن قاضى قَطَرِيّ وهو رجل من بنى عبد القيس سمع قول عَبيدة بن هلال

علا فوق عَرْش فوق سبع ودونه * سَماءُ ترى الارواح من دونها تجرى

فقال له العبدى كفرت الا أن تأتى بمَخْرَج قال نعم روح المؤمن تعرج الى السماء قال صدقت وقال يذكر رجلا منهم

يَهْوِى وتَرفعه الرماحُ كأنه * شَلْوٌ تَنَشَّبَ فى مَخالِبِ ضارى

فَتَوَى صَريعًا والرماحُ تنوشه * انّ الشُّراةَ قصيرةُ الاعمار

تنوشه تأخذه وتتناوله قال الله عز وجل وأنّى لهم التَناوُشُ من مكان بعيد أى التناول ومثل بيته هذا قول حَبيب الطائى

فيم النَّماتةُ اعلانًا بأسْدوغَى * أفناهم الصبرُ اذ أبقاكم الجَزَعُ

وقال أيضا فى شبيه بهذا المعنى

ان يَنْحَلِ حَدَثانُ الموتِ أنفسكم * ويَسْلَمِ الناسُ بين الحوض والعَطَن

فالماء ليس عجيبا أنّ أعذبه * يَفْنَى ويمتد عمرُ الآجِنِ الآسِنِ

وقال أيضا

عليكَ سلامُ اللهِ وَقْفًا فانّنى * رأيتُ الكريمَ الحُرَّ ليس له عُمْرُ

وقال القاسم بن عيسى

أُحِبُّكِ يا جَنانُ فأنتِ منى * مكانَ الروحِ من بَدَنِ الجَبانِ

ولو أنى أقولُ مكانَ روحى * لَخِفْتُ عليكِ بادرةَ الزمانِ

لأقدامى اذا ما الحربُ جاشَتْ * وهابَ حُماتُها حَرَّ الطِعانِ

وقال معاوية بن أبى سُفْيان فى خلاف هذا المعنى

عند السمع واعلم ان الله تعالى لم يرسل رسولا ولا بعث نبيا الا من كان فضله فى كمال عقله وبيانه كفضله على المبعوث اليه فكان النبى صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لسانا وأحسنهم بيانا وأسهلهم مخارج للكلام وأكثرهم فوائد من المعانى لانه كان من جماهير العرب مولده فى بنى هاشم وأخواله من بنى زهرة ورضاعه فى بنى سعد بن بكر ومنشؤه فى قريش ومتزوجه فى بنى أسد بن عبد العزى ومهاجرته الى بنى عمرو وهم الأوس والخزرج من الانصار وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أفصح العرب بيدانى من قريش ونشأت فى بنى سعد بن بكر ولو لم يكن ممن عددنا من هؤلاء الأحياء الا قريش وحدها لكان فيها مستغنى عن غيرها وكفاية من سواها لان قريشا أفصح العرب لسانا وأفضلها بيانا وأحضرها جوابا وأحسنها بديهة وأجمعها عند الكلام قلبا ثم للعرب أيضا خصال كثيرة ومشاهد كثيرة مما يشاكل هذا الباب ويضارع هذا المثال حذفت ذكرها خوف التطويل فيها

أكان الجبانُ يُرَى أنه * يُدافِعُ عنه الفرارُ الأجَلْ
فقد تُدرِكُ الحادثاتُ الجبان * ويَسْلَمُ منها الشجاعُ البَطَلْ

ثم رجع الحديث وقال رجل من عبد القيس من أصحاب المهلب

سائلْ بنا عُمَرَ والقَنا وجُنودَهُ * وأبا نعامةَ سيدَ الكُفَّلِ

أبو نعامة قطري وقال المُغيرة بن حَبْناء الحَنْظَلي من أصحاب المهلب

انى امرؤ كَفَّنى ربى وأكرَمنى * عن الامور التى فى رَعْيها وَخَمُ
والفى أنا انسانٌ أعيش كما * عاشَتْ رجالٌ وعاشتْ قبلَها أمَمُ
ماعاقنى عن فُضول الجُند اذ فَضَلُوا * عنى بما صنعوا عجزٌ ولا بَكَمُ
ولو أردتُ فُضولاً ما تَجَهَّمنى * اذنُ الامير ولا الكُتّابُ اذ رفعوا
ان المهلب ان أُثْنِ لرؤيته * أو أمتدحْهُ فان الناس قد علموا
انَّ الأريبَ الذى تُرْجَى نوافلُهُ * والمُسْتعانَ الذى تُجْلَى به الظُّلَمُ
القائلُ الفاعلُ الميمونُ طائرُهُ * أبو سعيد اذا ما عُدَّتِ النِّعَمُ
أزمانَ أزمانَ اذ عَضَّ الحديدُ بهم * واذ تمنى رجال انهم هُزِموا

قال أبو العباس وهذا الكتاب لم نبتدئه لنتصل فيه أخبار الخوارج ولكن ربما اتصل شئ بشئ والحديث ذو شُجون ويَقْتَرِحُ المُقْتَرِحُ ما يَفْسَحُ به عزمَ صاحب الكتاب ويصدُّه عن سَنَنِه ويزيله عن طريقه ونحن راجعون ان شاء الله الى ما ابتدأناه من هذا الكتاب فان مَرَّ من أخبار الخوارج شئ مَرَّ كما يمر غيره ولو نَسَقْناه على ما جَرَى من ذكرهم لكان الذى يلى هذا خبر نَجْدَةَ وأبى فُدَيْكٍ وعُمارةَ الرجلِ الطويلِ وشَبيبٍ ولكان يكون الكتاب الخوارج مُخْلَصًا

(باب فى اختصار الخطب والتصميد والمواعظ)

كان الحسن يقول الحمد لله الذى كلَّفنا ما لو كلفنا غيره لَصَرَفْنا فيه الى معصيته وآجرنا على ما لا بد لنا منه بقول كلفنا الصبر ولو كلفنا الجَزَعَ لم يمكنا أن نُقيم عليه وآجرنا على الصبر ولا بُدَّ لنا من الرجوع اليه وكان على بن أبى طالب صلوات الله عليه يقول عند التعزية عليكم بالصبر فان به يأخُذُ الحازمُ واليه يعود الجازعُ وقال الأشْعَث بن قَيْس ان صبرتَ جَرَى عليك القدر وأنت مأجورٌ وان جَزِعْتَ

(فصل منها) فهذه كلها ادلة على دحض حجتك ونقض قضيتك وانما أرسل الله تعالى رسله مبشرين ومنذرين الأمم وأمرهم بالابلاغ ليلزمهم الحجة بالكلام لا بالصمت اذ لا يكون للرسالة بلاغ ولا للحجة لزوم ولا للعلة ظهور الا بالنطق

(فصل منه فى صفة من يقدر على الاباية) وليس يقوى على ذلك الا امرؤ فى طبيعته فضل عن احتمال غيرته وفى فريحته زيادة من القوة على صناعته ويكون حظه من الافتدار فى المنطق فوق قسطه من التغلب فى الكلام حتى لا يضع اللفظ الجزل النبيل الا على مثله من المعنى ولا اللفظ الشريف الفخم الا على مثله من المعنى نعم وحتى يعطى اللفظ حقه من البيان ويوفر على الحديث قسما من الصواب ويحرك الكلام حظه من المعنى ويضع جميعها مواضعها ويصفها بصفتها ويوفر عليها حقوقها من الاعراب والافصاح

(فصل منها) وبعد فأى شئ أشهر منقبة وأرفع درجة وأكل فضلا وأظهر نفعا وأعظم حرمة من شئ لو لا مكانه

جرى عليك القدر وأنت مَوْزُورٌ وقال الحُرَيْمي

ولو شئتُ أن أبكي دمًا لبكيتُه * عليه ولكن ساحةُ الصبرِ أوسعُ

وفي هذا الشعر وان لم يكن من هذا الباب

وأعددتُه ذُخْرًا لكل مُلِمَّةٍ * وسهمُ المَنايا بالذخائرِ مولعُ

وخطب أبو طالب بن عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تزوجه خديجة بنت خويلد رحمة الله عليها فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزَرْع اسمعيل وجعل لنا بلدا حرامًا وبيتا محجوجا وجعلنا الحُكَّام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخي مَنْ لا يُوازَنُ به فتًى من قريش الا رجح عليه برًّا وفضلا وكرما وعقلا ومجدًا ونُبْلًا وان كان في المال قُلٌّ فانما المال ظلٌّ زائل، وعارية مسترجعةٌ وله في خديجة بنت خويلد رغبةٌ ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعليَّ وهذه الخطبة من أفصح خطب الجاهلية ومن جميل محاورات العرب ما رُوي لنا عن يحيى بن محمد بن عُرْوَة عن أبيه عن جده قال أفْحَمَتِ السنةُ عليَّ النابغةَ الجعديَّ فلم يشعر به ابن الزُّبَيْر حين صلى الفجر حتى مَثَلَ بين يديه يقول

حكيتَ لنا الصِّدِّيقَ حين وَلِيتَنا * وعثمانَ والفاروقَ فارتاحَ مُعْدِمُ

وسَوَّيْتَ بين الناس في العَدْل فاستَوَوْا * فعاد صَباحًا حالكُ الليل مظلمُ

أتاكَ أبو ليلى يَشُقُّ به الدُّجى * دُجَى الليل جوّابُ الفلاة عَثَمْثَمُ

لِتَرْفَعَ منه جانبًا ذَعْذَعَتْ به * صُروفُ الليالي والزمانُ المُصَمِّمُ

فقال له ابن الزبير هَوِّنْ عليك أبا ليلى فأيسرُ وسائلك عندنا الشعيرُ أما صفوةُ أموالنا فلبني أسد واما عفوتُها فلآل الصديق ولك في بيت المال حقان حق لصحبتك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وحق بحقك في المسلمين ثم أمر له بسبع قلائص وراحلة رَحيل ثم أمر بأن تُوقَرَ له حَبًّا وتمرا فجعل أبو ليلى يأخذ التمر فيستجمع به الحب فيأكله فقال له ابن الزبير لَشَدَّ ما بلغ منك الجَهْدُ يا أبا ليلى فقال النابغة أما على ذاك لسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول ما اسْتُرْحِمَتْ قريشٌ فَرَحِمَتْ وسُئِلَتْ فأعطتْ وحَدَّثَتْ فصدقتْ ووعدتْ فأنجزت فأنا والنبيون على الحوض فُرَّاطٌ لاقادمين قوله أفحمت السنة يكون على وجهين يقال افحمهم اذا دخل فاصدا وأكثر ما يقال من غير أن

لم يثبت لله ربوبية ولا للنبي نبوة ولم يفصل بين حجة وشبهة وبين الدليل وما يتجلى في صورة الدليل ثم به يعرف فضل الجماعة من الفرقة والشبهة من البدعة والشذوذ من الاستفاضة والكلام سبب لتعرف حقائق الأديان والقياس واثبات الربوبية وتصديق الرسالة والامتحان للتعديل والتحرير للاضطرار والاختيار

﴿فصل من صدر كتابه في صناعة الكلام﴾

ذكرت حفظك الله تفضيلك صناعة الكلام والذي خصصت به مذهب النظام وشغفك بالمبالغة في النظر وصيانتك بتهذيب الفصل مع انسك بالجماعة ووحشتك من الفرقة والذي تم عليه عزمك من ادامة البحث والتنقير ومن حمل النفس على مكروهها من التفكير ومر الانتساب اليهم والتعرف بهم والذي تهيأ لك من الاحتساب في الأجر والرغبة في صالح الذكر والذي رأيت من النصب للرافضة والمبارقة وطول مفارقة المرجئة والنابتة ولكل من اعترض عليهم والتحرف عنهم والذي يخص به الجبرية ويهم به

يدخل ويكون من القُحمة وهى السنة الشديدة وهو أشبه الوجهين والآخر حسن والسنة الجدب يقال أصابتهم سنة أى جدب ومن ذا قوله جل وعز ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أى بالجدب وقوله صَفوة فهى فى معنى الصَّفو وأكثر ما يستعمل الكسر والباب فى المصادر للحال الدائمة الكسر كقولك حسن الجلسة والركبة والمشية والنية كأنها خلقة والعِفوة انما هو ما عفا أى ما تفضل وخُذ العَفو قالوا الفضل وكذلك قوله جل اسمه ويسألونك ماذا ينفقون قل العَفو وقوله هشيم يريد المُوَتِّق الخَلْق الشديد وذعذعت أى أذهبت ماله وفرَّقت حاله وقوله راحلة رحيل أى قوية على الرحلة معَوَّدة لها ويقال فَحْل فَحيل أى مُستَحكِم فى الفحلة وفى الحديث أن ابن عمر قال لرجل اشترى كبشا الاضحى به أملَح واجعله أقرن فحيلا وقوله فأنا والنبيون على الحوض فراط لقادمين الفارط الذى يتقدم القوم فيُصلِح لهم الدلاء والأرشية وما أشبه ذلك من أمرهم حتى يَردوا ومن ذلك قول المسلمين فى الصلاة على الطفل اللهم اجعله لنا سَلَفا وفَرَطا وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنا فَرَطُكم على الحوض وكان يقال يكفيك من قريش أنها أقرب النابين من رسول الله صلى الله عليه وسلم نَسَبا ومن بيت الله بيتا ويقال ان دار أسد بن عبد العُزّى كان يقال لها ضيعُ الكعبة وذلك أنها كانت تفى عليها الكعبةُ صباحا وتفى على الكعبة عشيا وان كان الرجل من ولد أسد ليَطوف بالبيت فينقطع شِسْعُ نعله فيرمى بنعله فى منزله فتُصلِح له فاذا طاف فى الطواف رُمِىَ بها اليه وفى ذلك يقول القائل

لهاشم وزُهَيْر فضلُ مَكْرُمة * بحيث حَلَّتْ نجومُ الكبش والاسد

مُجاورُ البيت ذى الاركان بينهما * مادونهم فى جوار البيت من أحد

وقال آخر سَمين قُريش مانِعٌ مُنذ لُحمَةٌ * وغَثُّ قريش حيث كان سَمينُ

وقال آخر واذا ما أصَبْتَه من قريش * هاشميًّا اصبتَ قَصْدَ الطريق

وقال حَرْب بن أُمَيَّة لابى مَطَر الحَضْرمى يدعوه الى حِلْفه ونزول مكة

أبا مَطَر هَلُمَّ الى صَلاح * فتَكْفُفَ كالنَّدامى من قُرَيْش

وتأمَنَ وَسْطهم وتعيشَ فيهم * أبا مطر هُديتَ لخير عيش

وتسكن بلدة عزَّتْ قديما * وتأمَنَ أن يزورك رَبُّ جَيْش

المشبهة فيا أيها المتكلم الجاهى والمتفقه السنى والنظار المعتزلى الذى سمت همته الى صناعة الكلام مع ادبار الدنيا عنها واحتمل ما فى التعرض للعوام من الثواب عليها ولم يقنعه من الأديان الا الخالص الممتحن ولا من النحل الا الابريز المهذب ولا من التمييز الا المحض المصفى والذى رغب بنفسه عن تقليد الاغمار والحشوية كما رغب عن ادعاء الالهام والضرورة ورغب عن ظلم القياس بقدر رغبته فى شرب اليقين ان صناعة الكلام علق نفيس وجوهر ثمين وهو الكنز الذى لا يفنى ولا يبلى والصاحب الذى لا يمل ولا يقل وهو العيار على كل صناعة والزمام على كل عيار وهو القسطاس الذى به يستقيل نقصان كل شئ ورجحانه والراووق الذى به يعرف صفاء كل شئ وكدره والذى أهل كل علم عليه عيال وهو لكل تحصيل آلة ومثال الآية ثغر والثغر محروس وحمى والحمى ممنوع والحرم مصون ولن تصونه الا بابتذال تفصيله دونه ولن تمنعه الا بان تجود بمجتلد ومجهود ولن تحرسه الا بالمخاطرة فيه

صلاح اسم من أسماء مكة وكانت مكة بلداً لقاماً واللفاح الذي ليس في سلطان ملك وكانت لا تُغزى تعظيماً لها حتى كان أمر الفجار وانما سمي الفجار لفجورهم اذ قاتلوا في الحرم وكانت قريش تُعزّ الحليف وتُكرم المولى وتكاد تُلْفِظُه بالصميم وكانت العرب تفعل ذلك ولقريش فيه تقدُّم ودخل سُدَيْفٌ مولى أبي العباس السفّاح على أبي العباس أمير المؤمنين وعنده سليمان بن هشام ابن عبد الملك وقد أدناه وأعطاه يده فقبلها فلما رأى ذلك سديف أقبل على أبي العباس وقال

لا يَغُرَّنْكَ ما تَرَى من أُناسٍ * ان تحت الضُلوعِ داءً دَوِيّا

فَضَعِ السيفَ وارفع السوطَ حتى * لا تَرَى فوق ظهرها أُمَوِيّا

فأقبل عليه سليمان فقال قتلتني أيها الشيخ قتلك الله وقام أبو العباس فدخل فاذا المنديل قد أُلقي في عنق سليمان ثم جُرَّ فقُتِل ودخل شِبْلُ بن عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله بن علي وقد أجلس ثمانين رجلاً من بني أمية على بُسُط الطعام فنثل بين يديه فقال

أصبح الملكُ ثابتَ الأساس * بالبهالي من بني العبّاس

طلبوا وِتْرَ هاشم فشفَوها * بعد ميلٍ من الزمان ورِياس

لا تُقيلَنَّ عبدَ شمس عِثارا * واقطعَنْ كلَّ رَقْلةٍ وأواسي

ذُقْها أظهر التودُّدَ منها * وبها منكمُ كحَزِّ المواسي

ولقد غاظني وغاظ سَوائي * قُرْبُهم من نمارقٍ وكراس

أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاتعاس

واذكروا مَصْرَعَ الحسين وزيدا * وقتيلاً بجانب المِهْراس

والفتيلَ الذي بحَرّانَ أضحى * ثاويا بين غُربةٍ وتناس

نعم شِبْلُ الهراش مولاكم شِبْلٌ * لونجا من حبائل الافلاس

فأمر بهم عبد الله فشُدخوا بالعمد وبُسطت عليهم البُسُط وجلس عليها ودعا بالطعام وانه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا وقال لشبل لولا أنك خاطبت كلا منا بالمسئلة لاقتسمتك جميع أموالهم ولعقدت لك على جميع موالي بني هاشم قوله الاساس واحدها أُسٌّ وتقديرها فُعْلٌ وأفعال وقد يقال للواحد أساسٌ وجمعه أُسُسٌ والبهلول الضحّاكُ وقوله بعد ميل من الزمان ورياس يقال فيه

ميل

والثواب على قدر المشقة والتوفيق على مقدار حسن النية وكيف لا يكون حراما به عرفنا حرمة الشهر الحرام والحلال المنزل والحرام المفصل وكيف لا يكون ثغرا وكل الناس لأهله عدو وكل الأمم له مطالب وأحق الشئ بالتعظيم وأولاه بان يحتمل فيه كل عظيم ما كان مسلما الى معرفة الصغير والكبير والحقير والخطير واداة لاظهار الغامض وآلة لتخليص الفاشية وسببا للايجاز يوم الايجاز والاطناب يوم الاطناب وبه يستدل على ضرب ما بين الشرين من النقصان وعلى فصل ما بين الخيرين من الرجحان والذي يصنع في العقول من العبارة واعطاء الآلة مثل صنيع العقل في الروح ومثل صنيع الروح في البدن وأي شئ أعظم من شئ لولا مكانه لم يثبت للرب ربوبية ولا للنبي حجة ولم يفصل بين حجة وشبهة وبين الدليل وما يتخيل في صورة الدليل وبه يعرف الجماعة من الفرقة والسنة من البدعة والشذوذ من الاستفاضة ﴿فصل منه﴾ واعلم أن

مَيْلٌ علينا وفي الحائط مَيَلٌ وكذلك كل منتصب وقوله واقطعن كل رقلة الرقلة النخلة الطويلة ويقال اذا وصف الرجل بالطول كأنه رَقْلَةٌ والاوامي يازه مشددة في الاصل وتخفيفها يجوز ولو لم يجز في الكلام لجاز في الشعر لان القافية تقتطعه وكل مثقل فتخفيفه في القوافي جائز كقوله

أصحوتَ اليوم أم شاقتكَ هِرْ * (ومن الحُبِّ جُنونٌ مُسْتَعِرْ)

وواحدها آسِيَةٌ وهي أصل البناء بمنزلة الاساس وقوله وغاظ سَواقي تقول ما عندي رجل سَوِيّ زيد فتَقْصُرُ اذا كسرتَ أوله فاذا فتحت أوله على هذا المعنى مددتَ قال الاعشى

تَجانَفُ عن جَوِّ اليمامة ناقتي * وما قَصَدَتْ من أهلها لسَوائكا

والسَّواءُ ممدود في كل موضع وان اختلفت معانيه فهذا واحد منه والسواء الوسط منه قوله عز وجل فرآه في سَواء الجحيم وقال حسّان

يا وَيْحَ أنصار النبي ورَهْطِه * بعد المُغَيَّبِ في سَواء الملحد

والسَّواءُ العدل والاستواء ومنه قوله عز وجل الى كلمة سَواء بيننا وبينكم ومن ذلك عمرو وزيد سَواءٌ والسَّواءُ التمام يقال هذا درهم سَواءٌ وأصله من الاول وقوله عز وجل في أربعة أيام سَواءً للسائلين معناه تماما ومن قرأ سواء فانما وضعه في موضع مُستويات والنمارق واحدتها نُمْرُقَةٌ وهي الوسائد قال الفرزدق

وانا لَبَحْرِي الكأسُ بين شُروبنا * وبين أبي قابوسَ فوق النمارق

وقال نُصَيْبٌ

اذا ما بِساطُ الهَوْمَدِ وُقِرَبَتْ * لَذَّانه أنماطُه ونَمارقه

وقوله مصرع الحسين زوره يعني زيد بن علي بن الحسين كان خرج على هشام بن عبد الملك وقتله يوسف بن عمر الثَّقَفِيُّ وصلبه بالكُناسة عريانا وهو وجماعة من أصحابه ويَرْوِي الزُّبَيْرِيُّونَ أنه كان بين يوسف بن عمر وبين رجل ضِغْنٌ فكان يطلب عليه عِلَّةً فلما ظفر بزيد بن علي وأصحابه أحسوا بالصلب فأصلوهم من أبدانهم واستَحَدُّوا فصلبوا عُراةً وأخذ يوسف عدوه ذلك فقتله أنه كان من أصحاب زيد فقتله وصلبه ولم يكن استعد لانه كان عند نفسه آمنا وكان بالكوفة رجل معتزه عَقَدُوا التَّشَيُّعَ فكان يجيء فيقف على زيد وأصحابه فيقول صلى الله عليك يا ابن رسول الله فقد جاهدتَ في الله حقَّ جهاده وأنكرتَ الجور ودافعتَ الظالمين ثم يُقْبِلُ عليهم رجلا رجلا فيقول

لصناعة الكلام آفات كثيرة وضرر يا من المكروه عجيبة منها ما هو ظاهر للعيون والعقول ومنها ما يدرك بالعقول ولا يظهر للعيون وبعضها وان لم يظهر للعيون وكان مما يظهر للعقول فانه لا يظهر الا لكل عقل سليم جيد التركيب وذهن صحيح خالص ثم لا يدركه أيضا الا بعد ادمان الفكر والا بعد دراسة الكتب والا بعد مناظرة الشكل الباهر والمعلم الصابر فان أراد المبالغة وبلوغ أقصى النهاية فلا بد من شهوة قوية ومن تفضيله كل صناعة مع اليقين بانه متى اجتهد انجح ومتى أدمن قرع الباب ولج فاذا أعطى العلم حقه من الرغبة أعطاه العلم حقه من الثواب عليه

﴿فصل منه﴾ ومن آفات صناعة الكلام أن يرى من أحسن بعضها أنه قد أحسنها كلها وكل من خاصم فيها ظن أنه فوق من خاصمه حتى يرى المبتدئ أنه كالمنتهي ويخيل الى الغبي أنه فوق الزكي أيضا أن يعرض عن أهله وينصب لأصحابه من لم ينظر في علم قط ولم يخض في أدب منذ كان ولم يدر ما التمثيل

ولا التحصيل ولا فرق مابين الاهمال والتفكر وهذه الآفات لا تعترى الحساب ولا الكتاب ولا أصحاب النحو والعروض ولا أصحاب الخبر وحمال السير ولا حفاظ الآثار ولا رواة الاشعار ولا أصحاب الفرائض ولا الخطباء ولا الشعراء ولا أصحاب الاحكام ومن يفتى فى الحلال والحرام ولا أصحاب التأويل ولا الاطباء ولا المنجمين ولا المهندسين ولا الذى صناعة ولا الذى تجارة ولا الذى عيلة ولا الذى مسألة فهم بهذه البلية مخصوصون وعليها مقصورون فالصابر منهم من الأجر حسبما خص به من الصبر وهى الصناعة لا يكاد يظهر قوتها ولا يبلغ أقصاها الامع حضور الخصم ولا يكاد الخصم يبلغ محبته منها الا برفع الصوت وحركة اليد ولا يكاد اجتماعهما يكون الا فى المحفل العظيم والاحتشاد من الخصوم ولا تجتمع قوتها ولا تجود القوة بمكنونها وتعطى أقصى ذخيرتها التى اعدتها ليوم فقرها وحاجتها الا يوم جمع وساعة حفل وهذه الحال داعية الى حب الغلبة وليس شئ

وأنت يافلان جزاك الله خيرا فقد جاهدت فى الله حق جهاده وأنكرت الجور ونصرت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقف على عدو يوسف فيقول فأما أنت يافلان فوفور وأنت تدل على أنك ترى مما قرفت به وقال حبيب بن جذرة ويقال جذرة وهى السلعة الهلالى (قال الاخفش الصحيح عندنا ابن خذرة بالخاء وكسرها وقال المبرد لم أسمعه الا جذرة ويقال جذرة) وهو من الخوارج يعنى زيد بن على

ياباحسين لو شراة عصابة * صبحوك كان لوردهم اصدار

ياباحسين والجديد الى بلى * أولاد دزرزة أسلموك وطاروا

تقول العرب للسفلة والسقاط أولاد دزرزة وتقول لمن تسبه ابن فرتنى وأولاد فرتنى وتقول للصوص بنو غبراء وفى هذا باب ويروى أن شاعرا لبنى أمية قال معارضا للشيعة فى تسميتهم زيدا المهدى والشاعر هو الاعور الكلبى

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم نرمهديا على الجذع يصلب

ونظر بعد زمين الى رأس زيد ملقى فى دار يوسف ودينار بنقره فقال قائل من الشيعة

أطردوا الديك عن ذؤابة زيد * طال ما كان لا قطاه الدجاج

وقوله وقتيلا بجانب المهراس يعنى حمزة بن عبد المطلب والمهراس ماء بأحد ويروى فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عطش يوم أحد فجاءه على فى درقة بماء من المهراس فعافه فغسل به الدم عن وجهه وقال ابن الزبعرى فى يوم أحد

ليت أشياخى ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

فاسأل المهراس من ساكنه * بعد أبدان وهام كالجبل

وانما نسب شبل قتل حمزة الى بنى أمية لان أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أحد والقتيل الذى يحر أن هو ابراهيم بن محمد بن على وهو الذى يقال له الامام وكان يقال ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء وضحى بنو مروان بالمروة يوم العقر فيوم كربلاء يوم الحسين بن على بن أبى طالب وأصحابه ويوم العقر يوم قتل يزيد بن المهلب وأصحابه وانما ذكرنا هذا لتقدم قريش فى الكرام

موالها ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش مؤتة زيدا مولاه وقال ان قتل فأميركم جعفر وأمر رسول الله أسامة بن زيد فبلغه أن قوما قد طعنوا فى امارته وكان أمره على جيش فيه جلة المهاجرين

والانصار

والانصار فقال عليه السلام ان طعنتم فى امارته لقد طعنتم فى امارة أبيه قبله ولقد كان لها أهلا وان أسامة لها لأهل وقالت عائشة لو كان زيد حيا ما استخلف رسول الله غيره وقال عبد الله بن عمر لا بيه لم فضلت أسامة علي وأنا وهو سيان فقال كان أبوه أحب الى رسول الله من أبيك وكان أحب الى رسول الله منك وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أزواجه لتميط عن أسامة أذى من مخاط أو لعاب فكانها تكرهه فتولى منه ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال له يوما ولم يكن أسامة من أجل الناس لو كنت جارية لحليتك وكسوتك حتى يرغب الرجال فيك وفى بعض الحديث أنه قال أسامة من أحب الناس إلي وكان صلى الله عليه وسلم أدى الى بنى قريظة مكاتبة سلمان فكان سلمان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي بن أبي طالب عليه السلام سلمان منا أهل البيت ويروى أن المهدى نظر اليه ويد عمارة بن حمزة فى يده فقال له رجل من هذا يا أمير المؤمنين فقال أخي وابن عمى عمارة بن حمزة فلما ولى الرجل ذكر ذلك المهدى كالمازح لعمارة فقال له عمارة انتظر ان تقول ومولاى فانقض والله يدك من يدى فتبسم أمير المؤمنين المهدى ولم يكن الاكرام للوالى فى جفاة العرب زعم الليثى انه كانت بين جعفر بن سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدى مسمع مولى له بها ورواء وأنس فوجه جعفر الى مسمع مولى له لينازعه ومجلس مسمع حافل فقال ان أنصفنى والله جعفرا نصفته وان حضر حضرت معه وان عند مسمع بن الحق عندت عنه وان وجه الى مولى مثل هذا رأوما الى مولى جعفر فقال مولى مثل هذا عاضا لما يكره وجهت اليه وأومأ الى مولاه فعجب أهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذى تبهى بمثله العرب وقد قيل الرجل لابيه والمولى من مواليه وفى بعض الاحاديث ان المعتق من فضل طيفة المعتق ويروى ان سلمان أخذ من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرة من تمر الصدقة فوضعها فى فيه فانتزعها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله اما يحل لك من هذا ما يحل لنا ويروى ان رجلا من موالى بنى مازن يقال له عبد الله بن سليمان وكان من جلة الرجال نازع عمرو بن هداب المازنى وهو فى ذلك الوقت سيد بنى تميم فاطبة فظهر عليه المولى حتى أذن له فى هدم داره فأدخل الفعلة دار عمرو فلما قلع من سطحه سأفا كف عنه ثم قال يا عمرو قد أريتك القدرة وسأريك العفو وقد كان فى قريش من فيه جفوة ونبوة كان

أدعى الى التغلب من حب الخطبة وطول رفع الصوت مع التغلب وافساد التغلب طباع المفسد يوجبان فساد النية ويمنعان من درك الحقيقة ومتى خرجا من حد الاعتدال أخطآ جهة القصد وعلم الكلام بعد ملقى من الظلم متاح له الهضم فهو أبدا محمول عليه ومبخوس حظه وباب الظلم اليه مفتوح لا مانع له دونه والعلم بما فيه من الضرر يخفى على أكثر العقلاء ويخفض على جمهور الأدباء واذا كان ملقى من أكبر العقلاء ومخذولا عند أكثر الأدباء فما ظنك بمن كان عقله ضعيفا ونظره قصيرا بل ما ظنك بالظلوم الغادر والغمر الجاسر فهذا سبيل العوام فيه وجهل حرام الخاص به والمجترا فهم عنه وميل الملوك عنه وعداوة بعض لبعض فيه وصناعة الكلام كثيرة الدخلاء والأدعياء قليلة الخلص والاصفياء والنجابة فيها غريبة والشروط التى تستحكم بها الصناعة بعيدة سخيفة ولدى القوم من العجز ما ليس لصميمهم ولدى الطباع فى صناعة الكلام من ادعاء المعرفة

نافع بن جُبَيْر أحد بني نَوْفَل بن عبد مناف اذا مُرَّ عليه بالجنازة سأل عنها فان قيل قرشيٌّ قال واقوماه وان قيل عربي قال واماتاه وان قيل مَوْلًى أو عجمي قال اللهم هُمْ عبادُك تأخذ منهم من شئت وتدَعُ من شئت ويروى أن ناسكا من بني الهُجَيْم بن عمرو بن تميم كان يقول في قَصَصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالي عامة فأما العجم فهم عَبيدك والامر اليك وزعم الاصمعي قال سمعت اعرابيا يقول لآخر أترى هذه العجم تنكح نساءنا في الجنة قال أرى ذلك والله بالاعمال الصالحة قال فوطأ والله رقابنا قبل ذلك وهذا باب لم نكن ابتدأنا ذكره ولكن الحديث يجرُّ بعضه بعضا ويُحمَل بعضه على لفظ بعض ثم نعود الى ما ابتدأناه ان شاء الله وهو ما نختاره من مختصرات الخُطَب وجميل المواعظ والزهد في الدنيا المتصل بذلك وبالله التوفيق بسم الله الرحمن الرحيم قد ذكرنا في صدر كتابنا هذا أنا نذكر فيه خطبا ومواعظ فمما نذكره من ذلك أمرُ التعازي والمَراثي فانه باب جامعٌ وقد قيل انه لم يُقَل في شئ قطُّ كما قيل في هذا الباب لان الناس لا يتفكرون من المصايب ومن لم يشكل أخاه تكلَّه أخوه ومن لم يَعْدَم نفيسا كان هو المعدوم دون النفيس وحُقَّ الانسان الصبرُ على النوائب واستشعارُ ما صَدَّرناه اذ كانت الدنيا دارَ فراق ودارَ بوار لا دارَ استواء وعلى فراق المألوف حرقة لا تُدفَع ولوعةٌ لا تُرَد وانما يتفاضل الناسُ بصحة الفكر وحسن العزاء والرغبة في الآخرة وجميل الذكر فقد قال أبو خراش الهُذَلي وهو أحد حكماء العرب يذكر أخاه عُرْوَة بن مُرَّة

تقول أراه بعد عُرْوَة لاهيا * وذلك رُزْءٌ لو علمت جليلُ

فلا تحسبي أني تناسيتُ عهده * ولكن صبري يا أُمَيْمَ جميلُ

وقال عمرو بن مَعْدي كَرِبَ

كم من أخ لي حازم * بوأته بيدي لَحْدا

أعرضتُ عن تذكاره * وخُلِقتُ يوم خُلِقتُ جَلْدا

وكان يقال من حَدَّث نفسه بالبقاء ولم يُوَطِّنها على المصائب فعاجز الرأي وعَزَّى رجلٌ رجلا عن ابنه فقال أكان يغيب عنك قال كانت غيبته أكثر من حضوره قال فأنزلَه غائبا عنك فانه ان لم يَقْدَم عليك قدمتَ عليه وقال ابراهيم بن المَهْدي يذكر ابنه

وانى وان قُدِّمتَ قبلي لَعالمٌ * بانى وان أبطأتُ منك قريبُ

وانَّ صباحا تلتقي في مَسائه * صباحُ الى قلبي الغداة حبيبُ

ما ليس للطبوع عليها منهم بل لاتكاد تجد الا مغمورا بالحسدة مقصودا بحاسل السفلة ومن مظالم صناعة الكلام عند أصحاب الصناعات ان أصحاب الحساب والهندسة يزعمون أن سبيل الكلام سبيل اجتهاد الرأي وسبيل صواب الحدس وفي طريق التقريب والتمويه وانه ليس العلم الا ما كان طبيعيا واضطراريا لا تأويل له ولا يحتمل معناه الوجوه المشتركة ولا يتنازع ألفاظه الحدود المتشابهة ويزعمون انه ليس بين علمهم بالشئ الواحد انه شئ واحد وانه غير صاحبه فرق في معنى الاتفاق والاستقامة وفي لمح الصدور والحكم بغاية الدقة

(فصل منه) فلو كان هذا المهندس الذي قد أبرم قضيته وهذا الحاسب الذي قد شهر حكومته نظر في الكلام بعقل صحيح وفهم جيدة وطبيعة مناسبة وعناية تامة واعوان صدق وقلة شواغل وشهوة العلم ويقين بالاصابة لكان نهيب الحكم أزين به والتوفي أولى به فكيف بمن لا يكون عرف من صناعة الكلام

وكنى باليأس معزيا وبانقطاع الطمع زاجرا كما قال الشاعر

أيا عمرو لم أصبر ولي فيك حيلة * ولكن دعاني اليأس منك الى الصبر

تعزيت مغلوبا وانى لموجع * كما صبر العطشان في البلد القفر

وقال بعض المحدثين (قال الاخفش هو حبيب الطائي) وليس بناقصه حظه من الصواب أنه محدث بقوله لرجل رثاه

عجبت لصبري بعده وهو ميت * وقد كنت أبكيه دما وهو غائب

على انها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

وجدت أن عمر بن عبد العزيز لما مات ابنه عبد الملك خطب الناس فقال الحمد لله الذي جعل الموت حتما واجبا على عباده فسوى فيه بين ضعيفهم وقويهم ورفيعهم ودنيهم فقال تبارك وتعالى كل نفس ذائقة الموت فليعلم ذو والنهى منهم أنهم صائرون الى قبورهم مفردون بأعمالهم واعلموا أن لله مسئلة فاحصة قال الله تبارك وتعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وله يقول القائل

تعز أمير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغذى الصغير ويولد

هل ابنك الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وقال رجل من قريش يرثي ابنه (قال أبو الحسن هو العتبي)

بأبي وأمي من عبأت حنوطه * بيدي وودعني بماء شبابه

كيف السلو وكيف صبري بعده * واذا دعيت فانما أكنى به

وقال ابن لعمرو بن عبد العزيز يرثي عاصم بن عمر

فان يدمن أو تجرع غصة * أمارا نجيعا من دم الجوف منقعا

تجرعته في عاصم واحتسبته * لاعظم منه ما احتسى وتجرعا

وقال أبو سعيد اسحق بن خلف يرثي ابنة أخته وكان تبناها وكان حدبا عليها كلفا بها

أمست أمية منعورا بها الرجم * لقى صعيد عليها الترب مرتكم

ياشقة النفس ان النفس واهية * حرى عليك دموع العين منسجم

قد كنت أخشى عليها أن تقدمني * الى الحمام فيبدي وجهها العدم

ما يعرفه المقتصد فيه والمتوسط له على انا ما وجدنا مهندسا قط ولا رأينا حاسبا يقول ذلك الا وهو ممن لا يتوقى شرف القول ولا يشفق من لائمة المحصلين وانصاء من قد عرف الحقائق واستبان العواقب ووزن الأمور كلها وعجم المعاني بأسرها وعلم من أين وثق كل واثق ومن أين غر كل مغرور وعلى أنهم يقرون ان في الحساب ما لا يعلم وان في الهندسة ما لا يدرك ولا يفهم والمتكلمون لا يقرون بذلك العجز في صناعتهم وبذلك النقص في غرائزهم

(فصل منه) وأقول انه لو لم يكن في المتكلمين من الفضل الا أنهم قد رأوا أدبار الدنيا عن علم الكلام واقبالها الى الفتيا والاحكام واجماع الرعية والراعي على اغناء المفتي وعلم الفتوى فرع واطباقهم على حرمان المتكلم وعلم الكلام أصل فلم يتركوا مع ذلك تكلفه وشحت نفوسهم على ذلك الحظ مخافة ادخال الضيم على علم الأصل واشفاقا من أن لا تسع طبائعهم اجتماع الأصل والفرع فكان الفقر والقلة

فالآن غمت فلا هم يؤرقني * بهذا الغيور اذا ما أودت الحرم

لموت عندي أيادلست أنكرها * أحيا سروراً وبي مما أتى ألم

وهذه المرثية ليست مما تقع مع الجزع القراح والحزن المفرد ولكنه باب للمرائي يجتمع افراط الجزع وحسن الاقتصاد والميل الى التشكي والركون الى التعزي وقول من كان له واعظ من نفسه أو مذكر من ربه ومن غلبت عليه الجسارة وكان طبعه الى القساوة فقد اختلط كل بكل وقال رجل من المحدثين يرثي أخاه

تحمل رزيات وتعرو مصايب * ولا مثل ما أنحت بملينا يد الدهر

لقد عركتنا للزمان ملمة * أذمت بمحمود الجلادة والصبر

فهذا يحسن من قائله أن الرزء كان جليلا باجماع فللقائل أن يتفسح في القول فيه وهذا يقوله عبد العزيز بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وكان عبد الرحيم من جلة أهله لسنا ونعمة وسنا وولاية ومات معزولا عن اليمن في حبس الخليفة وأم جعفر بن سليمان أم حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم فلذلك يقول عبد العزيز في هذه القصيدة

بموتك يا عبد الرحيم بن جعفر * تفاحش صدع الدين عن ألأم الكسر

فيا ابن النبي المصطفى وابن بنته * ويا ابن علي والفواطم والحبر

ويا ابن اختيار الله من آل آدم * أبا فأبا طهرا يؤدي الى طهر

ويا ابن سليمان الذي كان ملجأ * لمن ضاقت الدنيا به من بني فهر

ومن ملأ الدنيا تماما ونائلا * وروى جميعا بالمكرمة القفر

لعمري لما قد نالنا من رزيئة * بموتك محبوسا على صاحب القبر

فان تضح في حبس الخليفة ثاويا * أبيا لما يعطى الذليل على القسر

لكم من عدو للخليفة قد هوى * بكفك أو أعطى المقادة عن صغر

فواحزنا لو في الوغى كان موته * بكينا عليه بالرديفية السمر

وكنا وقينا القنا بنحورنا * وفات كذا في غير هيج ولا نفر

وحدثت

ثم عندهم مع احكام الاصول من الغنى والكثرة مع حفظ الفروع فتركوا أن يكونوا قضاة وتركوا القضاة وتعديلهم وتركوا أن يكونوا حكاما وقنعوا بان يحكم عليهم مع معرفتهم بان آلتهم أتم وآدابهم أكمل وألسنتهم أحد ونظرهم أثقب وحفظهم أحضر وموضع حفظهم أحصن والمتكلم اسم يشتمل على ما بين الازرقي والغالي وعلى ما دونهما من الخارجي والرافضي بل على جميع الشيعة وأصناف المعتزلة بل على جميع المرجئة وأهل المذاهب الشاذة

﴿ فصل من صدر رسالته في مدح التجارة وذم عمل السلطان ﴾ أدام الله لك السلامة وأسعدك بالنعمة وتمم لك بالسعادة وجعلك من الفائزين فهمت كتاب صاحبك ووقفت منه على تعدي القول وحيف في الحكم وسمعت قوله وهو على كل حال جائر وطريقه طريقهم وكتبهم تشاكل كتبهم وألفاظه تطابق ألفاظهم وكذلك حالنا وحال صاحب كتابك فيما يسخطه من أمرنا اني لأعتذر منه واستنكف من الانتساب اليه بل

وحُدِّثْتُ أن عمر بن الخطاب لما وَلَّى كَعْبَ بن سُوَار الأزدىَّ قضاء البصرة أقام عاملا له عليها الى أن استشهد على أنه كان قد عزله ثم رده فلما قام عثمانُ بن عفَّانَ أقره فلما كان يومُ الجَمَل خرج مع اخوته فقالوا ثلاثةٌ وقالوا أربعةٌ وفى عنقه مصحف فقُتِلوا جميعا فجاءت أمهم حتى وقفت عليهم فقالت

يا عينِ جُودى بدمع سَرْبٍ * على فتيَّةٍ من خيار العَرَبْ

ومالهم غيرَ حين النُّفو * س أىُّ أميرَىْ قريش غَلَبْ

هذه الرواية سَرْب وقالوا معناه جارٍ فى طريقه من قولهم انسَرَبَ فى حاجته وبيت ذى الرُّمَّة يختار فيه الفتح

* كأنه من كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ *

لانه اسم والاول المكسور نعت ويقع وضع النعت فى موضع المنعوت غير المخفوض (قال أبو الحسن حق النعت أن يأتى بعد المنعوت ولا يقع فى موقعه حتى يدلَّ عليه فيكون حاصّا له دون غيره تقول جاءنى انسانٌ طويلٌ فان قلت جاءنى طويلٌ لم يجز لان طويلا أعمُّ من قولك انسان فلا يدل عليه فان قلت جاءنى انسانٌ متكلمٌ ثم قلت بعدُ جاءنى متكلمٌ جاز لانك دللت به على الانسان فهذا شرح قوله المخصوص) وقولها غير حين النفوس نصب على الاستثناء الخارج من أول الكلام وقد ذكرناه مشبعا والمراثى كثيرة كما وصفنا وانما نكتب منها المختار والنادر والمتمثَّل به السائر فمن مليح ما قيل قولُ رجل يرثى أباه (قال أبو الحسن يقال انه ابن لابى العتاهية)

قَلْبٍ باقلبٍ أوجَعَكْ * بأبا تَعَدَّى فَضَعْضَعَكْ

يا أبى ضَمَّكَ الثرَى * وطَوَى الموتُ أجمَعَكْ

أيقنى يومَ مُتَّ صبـ * ـرٌ الى تُربةٍ معَكْ

رحم الله مَصْرَعَكْ * بَرَّدَ اللهُ مَضْجَعَكْ

وقال ابراهيم بن المهدى يرثى ابنه وكان مات بالبصرة

نَأَى آخرَ الايلم عنكَ حبيبُ * فلله عينٌ سَحَّ دامٍ وغُروبُ

دَعَتْهُ نَوًى لا يُرتجى أوبةٌ لها * فقَلْبُكَ مسلوبٌ وأنت كئيبُ

يَؤُبُ الى أوطانه كلُّ غائبٍ * وأحمدُ فى الغُيَّاب ليس يؤوبُ

تَبَدَّلَ دارا غيرَ دارى وَجيرةً * سواى وأحداثُ الزمان تَنُوبُ

أقام بها مستوطنا غيرَ انه * على طول أيام المُقام غَريبُ

كأن لم يكن كالغُصْنِ فى مَنْبِعَةِ الضُّحَى * سَقَاهُ النَّدَى فاهتَزَّ وهو رَطيبُ

أسخى من الكتابة واستنكف بان أنسب اليها من البلاغة ان أعرف بها فى غير موضعها ومن السطحى أن تظهر منى ومن الضيعة أن تعرف فى كتبى ومن العجب بكثير ما يكون منى وقد عاكره ذلك أهل المروءة والانفة وأهل الاختيار للصواب والصد عن الخطأ حتى أن معاوية مع تخلفه عن مراتب أهل السابقة أملى كتابا الى رجل فقال فيه لهواهون على من ذرة أو كلب من كلاب الحرة ثم قال اخ من كلاب الحرة واكتب من الكلاب كانه كره اتصال الكلام والمزاوجة وما أشبه السجع ورأى أنه ليس فى موضعه

(فصل منه) وهذا الكلام لا يزال يفهم من حشوية اتباع السلطان فأما علية القوم ومصاصهم وذوو البصائر والتمييز منهم ومن فوقه الفطنة وأرهفه التأديب وأرهفه طول التفكير وجرى فيه الحياء وأحكمته التجارب فعرف العواقب وأحكم التفصيل ونطق بغوامض التحصيل فانهم يعترفون بفضيلة الانجار ويثمنون حالهم ويحكمون

كأن لم يكن كالدر يلمع نوره * بأصدافه لما تشنه ثقوب
كأن لم يكن زين الغناء ومعقل النساء اذا يوم يكون عصيب
وريحان صدري كان حين أشمه * ومؤنس قصري كان حين أغيب
وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت * بحمد الهي وهي منه سليب
قليلا من الايام لم ير وناظري * به امنه حتى أعلقته شعوب
كظل سحاب لم يقم غير ساعة * الى أن أطاحته نطاح جنوب
أو الشمس لما من غمام تحسرت * مساء وقد وأت وحان غروب
سأبكيك ما أبقت دموعي والبكى * بعيني ماء يا بني يجيب
وما غار نجم أو تغنت حمامة * أواخضر في فرع الاراك قضيب
حياتي ما دامت حياتي فان أمت * ثويت وفي قلبي عليك ندوب
وأضمر ان أنفدت دمعي لوعة * عليك لها تحت الضلوع وجيب
دعوت أطباء العراق فلم يصب * دواءك منهم في البلاد طبيب
ولم يملك الا سون دفع المهجة * عليها الاشراك المنون رقيب
قصمت جناحي بعد ما هد منكبي * أخوك فرأسي قد علاه مشيب
فأصبحت في الهلاك الا حشاشة * تذاب بنار الحزن فهي تذوب
توليتما في حقبة فتركتما * صدى يتولى تارة ويثوب
فلا ميت الا دون رزئك رزؤه * ولو فتئت عنا عليه قلوب
واني وان قدمت قبلي لعالم * بأني وان أبطأت عنك قريب
وان صباحا نلتقي في مسائه * صباح الى قلبي الغداة حبيب

وقال أبو عبد الرحمن العتبي وتتابع له بنون

كل لساني عن وصف ما أجد * وذقت ثكلا ما ذاقه أحد
وأوطنت حرقة حشاي فقد * ذاب عليها الفؤاد والكبد
ما عالج الحزن والحرارة في الـ ـحشاء من لم يمت له ولد

لهم بسلامة الدين وطيب المطعمة ويعلمون أنهم أودع الناس بدنا وأهناهم عيشا وآمنهم سربا لانهم في أفنيتهم وكالملوك على أسرتهم يرغب اليهم أهل الحاجات وينزع اليهم ملقحوا البياعات لا تلحقهم الذلة في مكاسبهم ولا يستعبدهم الضرع لمعاملاتهم وليس هكذا من لابس السلطان بنفسه وقاربه بخدمته فان أوائل لباسهم الذلة وشعارهم الملق وقلوبهم ممن هم لهم خول مملوءة قد لبسها الرعب وألفها الذل وصحبها تعب الاحتياج فهم مع هذا في تكدير وتنغيص خوفا من سطوة الرئيس وتنكيل الصاحب وتغيير الدول واعتراض حلول المحن فان هي حلت بهم وكثيرا ما تحل فناهيك بهم مرحومين يرق لهم الأعداء فضلا عن الأولياء فكيف لا يميز بين من هذا ثمرة اختياره وغاية تحصيله وبين من قد نال الوفاء عنه والدعة وسلم من البوائق مع كثرة الأثر وقضاء اللذات من غير منة لأحد ولا منة يعتدي بها ومن هو من نعم المفضلين خلي وبين من قد استرقه المعروف واستعبده الطمع ولزمه

فُجِعْتُ باثنين ليس بينهما * الا الليالي ليست لها عَدَدُ

فكلُّ حزنٍ يبلَى على قِدَمِ الـ * ـدهر وحزني يُجِدُّه الأبَدُ

وذكر بعض الرواة أن عُبَيْدَ الله بن العباس بن عبد المطلب وكان عاملا لعلي بن أبي طالب على اليمن فَنَهَضَ الى علي وأستخلف على اليمن عمرو بن أراكة الثقفي فوجّه معاوية الى اليمن ونواحيها بُسْرَ بن أرطاة أحد بني عامر بن لؤي فقتل عمرو بن أراكة فجزع عليه عبد الله أخوه جزعا شديدا فقال أبوه

لعمري ابن أرطاة بعينيك ما مضى * به الدهرُ أو ساق الحمامُ الى القبر

لقد تَنْفَدَنْ ماء الشؤون بأسره * ولو كنتَ تَمْرِيهِنَّ من نَبَجِ البحر

لعمري لقد أردى ابن أرطاة فارسا * بصنعاء كالليث الهزبر أبي أجر

وقلتُ لعبد الله إذ حَنَّ باكيا * تَعَزَّ وماءُ العين منهمرٌ يجري

تَبَيَّنْ فان كان البكا ردَّ هالكا * على أهله فاشدُدْ بكاكَ على عمرو

ولا تَبْدِ مَيْتا بعد ميتٍ أجَنَّه * علي وعباسٌ وآلُ أبي بكرْ

قوله من نبج البحر فنبج كل شيء وسطه ويروى في الحديث كنت اذا فاتحت الزهري فنبجت منه نبج البحر وقوله تمريهن هو مثل يقال مَرَيْتُ الناقة اذا مسحت ضرعها لتدرّ فاغما هو استخراج اللبن ويقال مَرَيْتُ برجلي الارض اذا مسحتها والاصل ذلك فانما أراد ولو كنت تستخرج الدموع من نبج البحر وكان بسر بن أرطاة في تلك الحروب أرشد على ابنين لعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما طفلان وأمهما من بني الحرث بن كعب فوارثهما فيقال انه أخذهما من تحت ذيلها فقتلهما ففي ذلك تقول الحارثية

الا مَنْ بَيَّنَ الاخَوَيْـ * ـنِ أمُّهما هي الثكلى

تُسائِلُ مَنْ رأى ابنيها * وتَسْتَبْعِي فما تُبْقِي

وفي ذلك تقول أيضا

يا مَنْ أحَسَّ بَنَيَّ اللذَيْ هما * كالدُّرَّتَيْنِ تَشَظَّى عنهما الصَدَفُ

يا من أحس بني اللذين هما * سمعي وطَرْفي فَطَرْفي اليوم مُخْتَطَفُ

يا من أحس بني اللذين هما * مُخُّ العظام فَمُخِّي اليوم مُزْدَهَفُ

ثقل الصنيعة وطوق عنقه الامتنان واستزهن بتحمل الشكر

(فصل منها) وقد علم المسلمون ان خيرة الله تعالى من خلقه وصفيه من عباده والمؤمنين على وحيه من أهل بيت النبوة وهي معولهم وعليها معقدهم وهي صناعة سلفهم وسيرة خلفهم ولقد بلغتك بسالتهم ووصفت لك جلادتهم ونعتّ لك احلامهم وتقدم لك سخاؤهم وضيافتهم وبذلهم ومواساتهم وبالتجارة كانوا يعرفون ولذلك قالت كاهنة اليمن لله در الديار لقريش التجار وليس قولها قرشي كقولهم هاشمي وزهري وتيمي لانه لم يكن لهم أب يسمى قريشا فينتسبون اليه ولكنه اسم اشتق لهم من التجارة والتقريش فهو أفخم أسمائهم وأشرف أنسابهم وهو الاسم الذي نوه الله تعالى به في كتابه وخصهم به في محكم وحيه وتنزيله فجعله قرآنا عربيا يتلى في المساجد ويكتب في المصاحف ويجهر به في الفرائض وحطوه على الحبيب والخالص ولهم سوق عكاظ وفيهم يقول أبو

نُبِّئْتُ بُسْرًا وما صَدَّقْتُ ما زعموا * من قولهم ومن الافك الذى افتروا

أنحى على ودجى طفلى مرهفة * مشحوذة وعظيم الافك يقترف

من دلّ والهة سوّى مفجعة * على صبيين غابا ذمّ ما خلفوا

ويروى أن معاوية لما أتاه موت عتبة تمثل

اذا سار من خلف امرئ وأمامه * وأوحش من أصحابه فهو سائر

فلما أتاه موت زياد تمثل وأفردت سهما فى الكنانة واحدا * سيرمى به أو يكسر السهم كاسره

وماتت امرأة الفرزدق بجمع ومعنى جمع ولدها فى بطنها (وان شئت قلت جمع بافتى) فقال

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنخ * عليه ولم أبعث عليه البواكيا

وفى جوفه من دارم ذو حفيظة * لوان المنايا أنسأته لياليا

وهذا من البغى فى الحكم والتقدم وقال رجل من المحدثين فى ابنين لعبد الله بن طاهر أصيبا فى يوم واحد وهما طفلان شبيها بهذا ولكنه اعتذر فحسن قوله وصح معناه باعتذاره وهو الطائى

لهفى على تلك الشواهد فيهما * لو أمهلت حتى تكون شمائلا

ان الهلال اذا رأيت نموه * أيقنت أن سيكون بدرا كاملا

وقال الفرزدق يرثى حذراء الشيبانية

يقول ابن صعفوان بكيت ولم تكن * على امرأة عينى الخال لتدمعا

يقولون زرحذراء والترب دونها * وكيف بشئ عهده قد تقطعا

وأنت وان عزّت على بزائر * ترابا على موسومة قد تضعضعا

وأهون مفقود اذا الموت نالهُ * على المرء من أصحابه من تقنّعا

ومامات عند ابن المراغة مثلها * ولا تبعثه طاعنا يوم ودّعا

وقال جرير يرثى امرأته لولا الحياء لهاجنى استعبار * ولزرت قبرك والحبيب يزار

نعم الخليل وكنت عاتق مضنة * ولدىّ منك سكينة ووقار

ان يلبث القرناء أن يتفرقوا * ليل يكر عليهم ونهار

صلى الملائكة الذين تخيروا * والصالحون عليك والابرار

ذؤيب
اذا ضربوا القباب على عكاظ
وقام البيع واجتمع الألوف
وقد عبر النبى صلى الله عليه وسلم وآله برهة من دهره تاجرا وشخص فيه مسافرا وباع واشترى حاضرا والله أعلم حيث يجعل رسالته ولم يقسم الله مذهبا رضيا ولا خلقا زكيا ولا عملا مرضيا الا وحظه منه أوفر الحظوظ وقسمه فيه أجزل الأقسام وشهرة أمره فى البيع والشراء قال المشركون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق فأوحى الله اليه وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق فأخبر أن الأنبياء قبله كانت لهم صناعات وتجارات

﴿فصل منه﴾ والذى دعا صاحبنا الى ذم التجارة توهمه بقلة تحصيله انها تنقص من العلم والأدب وتقطع دونهما وتمنع منهما فأى صنف من العلم لم تبلغ التجار فيه غاية أو يأخذوا منه بنصيب أو يكونوا رؤساء أهله وعليهم هل كان فى التابعين اعلم من سعيد بن المسيب

أَفَأَمِنْتَ حَزْرَةَ يَا فَرَزْدَقُ عَبْتَمٍ * غَضِبَ المَلِيكُ عَلَيْكُمُ الجَبَّارُ

وقال رجل من خزاعة ويُنْحَلُه كُثَيِّرٌ يرثي عمر بن عبد العزيز بن مروان (قال أبو الحسن الذي صح عندنا أن هذا الشعر لقُطْرُبٍ النحوي)

أما القُبورُ فإنهنَّ أوانسٌ * بجوارِ قبرِكَ والديارُ قُبورُ

جَلَّتْ رَزِيَّتُهُ فعَمَّ مُصابُهُ * فالناسُ فيه كلُّهم مأجورُ

(رَدَّتْ صَنائعُهُ إليه حياتَهُ * فكأنه من نَشْرِها مَنْشورُ)

والناسُ مأتَمُهم عليه واحدٌ * في كلِّ دارٍ رَنَّةٌ وزَفيرُ

يُثْنِي عليكَ لسانُ مَنْ لم تُولِهِ * خيرًا لأنكَ بالثَّناءِ جديرُ

ومثله قول عُمارة يمدح خالد بن يزيد بن مَزْيَد.

أرى الناسَ طُرًّا جامدين لخالدٍ * وما كلُّهم أفضَتْ إليه صَنائعُهْ

وإن تَرْكَ الأقوامُ أن يمدحوا الفَتَى * إذا كَرُمَتْ أخلاقُه وطَبائعُهْ

فحَسْبُكَ أمْنَعْتَ ضَرَّاؤُه في عدوِّه * وخَصَّتْ وعَمَّتْ في الصديقِ منافعُهْ

ومن قوله والناسُ مأتَمُهم عليه واحدٌ أخذ الطائي في مَرْثِيَتِه

لئن أُبْغِضَ الدهرُ الخَؤُونُ لفَقْدِه * لَعَهْدِي به حَيًّا يُحَبُّ به الدهرُ

لئن عَظُمَتْ فيه مصيبةُ طَيِّئٍ * لَمَا عَمِرَتْ منها تميمٌ ولا بَكْرُ

وقال القرشي قد كنتُ أبكي على مَنْ فاتَ من سَلَفي * وأهلُ وُدِّي جميعٌ غيرُ أشتاتِ

فاليومَ إذ فَرَّقَتْ بيني وبينهمُ * نَوًى بكيتُ على أهلِ المُروآتِ

وعلى بقاءِ امرئٍ كانت مَدامعُهُ * مقسومةً بين أحياءٍ وأمواتِ

ويروى أن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه تمثل عند قبر فاطمة عليها السلام

(لكلِّ اجتماعٍ من خليلين فرقةٌ * وإنَّ الذي دون الفراقِ قليلُ)

وإن افتقادي واحدًا بعد واحدٍ * دليلٌ على أن لا يدومَ خليلُ

وقال عَقيلُ بن عُلَّفَةَ المُرِّيُّ من عَطَفانَ

لَعَمْري لقد جاءتْ قَوارِفُ خَبَّرَتْ * بأمرٍ من الدنيا عليَّ ثقيلِ

أرأنبل وفد كان تاجرا يبيع ويشتري وهو الذي يقول ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي رضوان الله عليهم فقضاه الا وقد علمته وكان أصبر الناس للرزايا وأعلمهم بانساب قريش وهو من كان يفتي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وهم متوافرون وله بعد علم بأخبار الجاهلية والاسلام مع خشوعه وشدة اجتهاده وعبادته وأمره بالمعروف وجلالته في أعين الخلفاء وتقدمه على الجبارين ومحمد بن سيرين في فقهه وورعه وطهارته ومسلم بن يسار في علمه وعبادته واشتغاله بطاعة ربه وأيوب السختياني ويوسف بن عبيد الله في فضلهما وورعهما

(فصل منه في الشارب والمشروب) سألت أكرم الله وجهك وأدام رشدك ولطاعته توفيقك حتى تبلغ من مصالح دينك ودنياك منازل ذوي الألباب ودرجات أهل الثواب ان أكتب لك صفات الشارب والمشروب وما فيهما من المدح والعيوب وان أميزك بين الانبذة والخمر

وقالوا ألا تبكى لمصرع مالك * أصاب سبيل الله خير سبيل

كأن المنايا تبتغى فى خيارنا * لها تيرة أو تهتدى بدليل

لتأت المنايا حيث شاءت فانها * مجلة بعد الفتى بن عقيل

فتى كان مولاه يحل بنجوة * فحل الموالى بعده بسهيل

وتمثلت عائشة عند قبر عبد الرحمن بن أبى بكر بقول مقيم بن نويرة

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

وعشنا بخير فى الحياة وقبلنا * أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ومات صديق لسليمان بن عبد الملك يقال له شراحيل فتمثل عند قبره

وهون وجدى عن شراحيل أننى * اذا شئت لاقيت امرأ مات صاحبه

وقال أعرابى ألا لهف الارامل واليتامى * ولهف الباكيات على قصيّ

لعمرك ما خشيت على قصى * متالف بين جمر والسلىّ

ولكنى خشيت على قصى * جريرة رمحه فى كل حىّ

فتى الفتيان محمود ممرّ * وأمار بارشاد وغىّ

فهذا الشعر من أجفى أشعار العرب بنبى صاحبه أن تقدير فى المرثى أن تكون منيته قتلا ويتأسف من موته حتف أنفه ويقول فى مدحه * وأمار بارشاد وغى * وشبيه بهذا قول لبيد فى أخيه أربد لما أصابته الصاعقة وأصابت عامرا الغدة بنو عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر بن الطفيل صار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أربد فقال لا بد أنا أشغله لك واضربه أنت بالسيف من ورائه فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام على ان يجعل له أعنة الخيل فقال عامر ومن يمنعها اليوم منى ولكن ان شئت فلك المدر ولى الوبر أو لى المدر ولك الوبر فأعرض عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال فاجعل لى هذا الامر بعدك فأعلمه النبى أن ذلك ليس بكائن قال فأبشر بخيل أولها عندك وآخرها عندى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأبى الله ذلك وابنا قيلة يعنى الأوس والخزرج ويروى أن سعد بن عبادة قال يا رسول الله

وان أوقد على حد السكر
وان أعرف لك السبب الذى
يرغب فى شرب الأنبذة
ومافيها من اجتلاب
المنفعة ومايكره من نبيذ
الأوعية وقلت ومافرق
مابين الجرار والسقاء
والمزفت والحنتم والدباء
وما القول فى المحتل
والمكسوب ومافرق
مابين النقيع والذاذى
وما المطبوخ والباذق
وما الغربى والموروق وما الذى
يحل من الطبيخ وما القول
فى شرب الفضيخ وهل
يكره نبيذ العكر وما
القول فى عتيق السكر
وأنبذة الجرار وما يعمل
من السكر ولم كره النقير
والمقير وسألت عن نبيذ
العسل والقرطبات وعن
رزين سوق الاهواز وعن
نبيذ أبى يوسف والجمهور
سولطرق والمسموم والحلو
وترس شيرين ونبيذ
الكشمش والتين ولم كره
الجلوس على البواطى
والرياحين وقلت وما
نصيب الشيطان وما
حاصل الانسان وسألت
عمن شرب الأنبذة أو
كرهها من الأوائل وما
جرى بينهم فيها من
الاجوبة والمسائل وما
كانوا عليه فيها من الآراء
وتثبتوا فيها من الأهواء
ولأى سبب تضادت فيها

غلام يشهب هذا الاعرابي لسانه عليه دعني أقتله ويروى أن عامرا قال للنبي عليه السلام لأغزونّ على ألف أشقر وألف شقراء فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيهما وتروي قيس أنه قال اللهم ان لم تهد عامرا فاكفنيه وقال عامر لاربد قد شغلته عنا مرارا فألاضربنه قال أربد أزدت ذلك مرتين فاعترض لي في احداهما حائط من حديد ثم رأيت الثانية بيني وبينه أوأقتلك فلم يصل واحد منهما الى منزله أما عامر فغدّي في دار بني سلول بن صعصعة فجعل يقول أغدّة كغدّة البعير وموتا في بيت سلولية وأما أربد فارتفعت له صحابة فرمته بصاعقة فأحرقته وكان أخا لبيد لأمه فقال يرثيه

أخشى على أربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والاسد
ما لم تعرّى المنون من أحد * لا والد مشفق ولا ولد
فجعني الرعد والصواعق بالـ * ـفارس يوم الكريهة النجد
يا عين هلا بكيت أربد اذ * دنا وقام العدوّ في كبد

وقال أيضا

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب
يتحدثون مخانة وملاذة * ويعاب قائلهم وان لم يشغب
يا أربد الخير الكريم جدوده * غادرتني أمشي بقرن أعضب
ان الرزية لا رزية مثلها * فقدان كل أخ كضوء الكوكب

قوله في خلف يقال هو خلف فلان لمن يخلفه من رهطه وهو لا خلف فلان اذا تقاموا مقامه من غير أهله وقلما يستعمل خلف الا في الشر وأصله ما ذكرنا والمخانة مصدر من الخيانة والملاوذ الذي لا يصدق في مودّته يقال رجل ملاوذ وملذان وملاذة مصدره والاعضب المقطوع وفي الحديث لا يضحّى بعضباء ويروى أن رجلا قال لمعن بن زائدة في مرضه لولا ما منّ الله به من بقائك لكنا كما قال لبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

فقال له معن انما تذكرني حين ذهب الناس هلا قلت كما قال نهار بن توسعة

فلقد نهى عرى الامور زيار * قبل أن تهلك السراة الصبور

ثم نرجع الى ذكر المرائي وقال أعرابي

الآثار واختلفت فيها الأخبار وسألت أن أقصد في ذلك الى الايجاز والاختصار وحذف الاكثار وقلت واذ جعل الله تعالى للعباد من الخمر المندوحة بالأشربة الهنيئة الممدوحة فما تقول فيها حسن من الأنبذة صفاه وبعد مداه واشتدت قواه وعتق حتى جاد وعاد بعد قدم الكون صافي اللون هل يحل لديه الاجتماع وفيه الاكتراع اذ كان يهضم الطعام ويوطئ المنام وهو في لطائف الجسم سار وفي خفيات العروق جار لا يضر معه برغوث ولا بعوض ولا برس غضوض وقلت وكيف يحل لك ترك شربه اذا كان لك موافقا ولجسمك ملائما ولم لا أقلت ان تأذيت شربه كتارك العلاج من أدواء الادواء وانه كالمعين على نفسه اذا ترك شربه أفش الداء وأنت تعلم انك اذا شربته عدلت به طبيعتك وأصلحت به صفار جسمك وأظهرت به حمرة لونك فاستبدلت به من السقم صحة ومن حلول العجز قوة ومن الكسل نشاطا والى اللذة انبساطا ومن الغم فرحا ومن الجمود تحركا

لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ * نَعِيٌّ حَيٍّ أَنَّ سَيِّدَكُمْ هَوَى

أَجَلْ صَادِقًا وَالْقَائِلُ الْفَاعِلُ الَّذِي * إِذَا قَالَ قَوْلًا أَنْبَطَ الْمَاءَ فِي الثَّرَى

فَتًى قُتِلَ لَمْ تُغْمِضِ السِّنُّ وَجْهَهُ * سَوِيٌّ وَضَعٌ فِي الرَّأْسِ كَالْبَرْقِ فِي الذُّرَى

أَشَارَتْ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ لِغَارِهَا * يُقَعْقِعُ بِالْأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى

وَلَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَاهَا وَلِيُّهُ * فَأَمْسَى وَأَدَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى

ويروى أن عائشة رضى الله عنها نظرت الى الخنساء وعليها صدار من شعر فقالت يا خنساء ألا تلبسين الصدار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقالت لم أعلم بنهيه ولكن لهذا الصدار سبب فقالت وما هو قالت كان لى زوجى رجلا مثلافا خفق فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتى أخى صخرا فاسأله فأتيته فشاطرنى ماله فأتلفه زوجى فعدت له فعاد لى بمثل ذلك فأتلفه زوجى فعدت له فلما كان فى الثالثة أو الرابعة قالت له امرأة ان هذا المال مؤتلف فامنعها شرارها فقال صخر

والله لا أمنعها شرارها * ولو هلكت خرقت خمارها * واتخذت من شعر صدارها

فلما هلك اتخذت هذا الصدار وكان صخر أخا الخنساء لابيها فقط ويروى عن بعض نساء بنى سليم انها نظرت اليها فى صدار وهى تصنع طيبا لابنتها لتنقله الى زوجها فقالوا لها فى ثنى كرهته الخنساء فقالت لها اسكتى فوالله لقد كنت أبسط منك عرفا وأطيب منك ردنا وأحسن منك عرسا وأرق منك نعلا وأكرم منك بعلا وكان بشار يقول لم تقل امرأة شعرا قط الا تبين الضعف فيه فقيل له أوكذلك الخنساء فقال تلك كان لها أربع حصى وقال الفرزدق وقد بلغه بنون

أسكان بطن الارض لو يقبل الفدا * فديتم وأعطينا بكم ساكن الظهر

فيا ليت من فيها عليها وليت من * عليها ثوى فيها أمقيما الى الحشر

فما كان لم يعرف الموت غيرهم * فتكل على ثكل وقبر على قبر

لقد شمت الاهداء بى وتغيرت * عيون أراها بعد موت أبى عمرو

تجرى على الدهر لما قد بدت له * ولو كان حيا لاجترأ على الدهر

وقاسمنى دهرى بنى مشاطرا * فلما توفى شطره مال فى شطرى

ومن الوحشة انساوهو فى الحلوة خير مسامر وعند الجلسة خير ناصر يترك الضعيف وهو مثل الأسد فى العرين ولا يلين وقلت الجيد من الأنبذة يصفى الذهن ويقوى الركن ويشد القلب والظهر ويمنع الضيم والقهر ويشهى المعدة ويهيج للطعام الشهوة ويقطع من اكثار الماء الذى جل الادواء منه ويحدر طوبة الرأس ويهيج العطاس ويشد البضعة ويزيد فى النطفة وينفى القرقرة والرياح ويبعث الجود والسماح ويمنع الطحال من العظم والمعدة من النضم ويحدر المرة والبلغم ويلطف دم العروق ويجريه ورقه ويصفيه ويبسط الآمال ويتمم البال ويغشى الغلظ فى الرئة ويصفى البشرة ويترك اللون كالعصفر ويحدر أذى الرأس فى المنخر وعموه الوجه ويسخن الكلية ويلذ النوم ويحلل النضم ويذهب بالاعياء ويغذو لطيف الغذاء ويطيب الأنفاس ويطرد الوسواس ويطرب النفس ويؤنس من الوحشة ويسكن الروعة ويذهب الحشمة ويقذف

وحدثني العباس بن الفرج الرياشي قال قدم رجل من البادية فلما صار بجيل سنام مات له بنون فدفنهم هناك وقال

دفنت الدافنين الضيم عني * برابية مجاورة سناما

أقول اذا ذكرت العهد منهم * بنفسي تلك أصداء وهاما

فلم أر مثلهم ماتوا جميعا * ولم أر مثل هذا العام عاما

(قال أبو الحسن الاخفش وفيها عن غير أبي العباس

فابت سهامهم اذ فارقوني * تلقفنا فكان لنا حماما

قال أبو العباس ويروى أن رجلا كان له بنون سبعة يروى ذلك أبو الحسن المدائني قال أبو العباس فاختلف على فيهم فقال قوم كانوا تحت حائط وقال قوم آخرون بل حلب لهم في علبة فجج فيها أفعى فبعث بها اليهم فشربوها فماتوا جميعا والرجل يقال له الحرث بن عبد الله الباهلي وهلكت لجاره شاة فجعل يعلن بالبكاء عليها فقال قائل

يا أيها الباكي على شاته * يبكي جهارا غير اسرار

ان الرزينات أمثالها * ما لقي الحرث في الدار

دعا بني معن واخوانهم * فكلهم بعد بعد وبحفار

قال أبو العباس والمصائب ما عظم منها وما صغر تقع على ضربين فالحزم التسلي عما لا يفنى الغم فيه والاحتيال لدفع ما يدفع بالحيلة ومن أحسن القول في هذا المعنى في الاسلام قول علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام حين مات ابنه فلم ير منه جزع فسئل عن ذلك فقال أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره وفي هذا زيادة تنتظر وفضل تسليم لقضاء الله عز وجل والعرب تقول الحذر أشد من الوقيعة وقال رجل من الحكماء انما الجزع والاشفاق قبل وقوع الامر فاذا وقع فالرضا والتسليم ومن هذا قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله اذا استأثر الله بشيء فالله عنه يقال لهيت عن الامر ألهى اذا أضربت عنه ولهوت ألهو من اللعب ومن أقدم ما قيل في هذا المعنى قول أوس ابن حجر الأسيدي من بني أسيد بن عمرو بن تميم يرثي فضالة بن كلدة أحد بني أسد بن خزيمة

أيتها النفس أجملي جزعا * ان الذي تحذرين قد وقعا

ان الذي جمع السماحة والـ * ـنجدة والحزم والقوى جمعا

فضول الصلب بالانشاط للجماع وفضول المعدة بالقراع ويشجع المرتاع ويزهى الذليل ويكثر القليل ويزيد في جمال الجميل ويسلي الحزين ويجمع الذهن ويذهب الهم ويطرد الغم ويكشف عن قناع الحزم ويولد في الحليم الحلم ويكفي أضغاث الحلم ويحث على الصبر ويصح من الفكر ويرجى القانط ويرضي الساخط ويغني عن الجليس ويقوم مقام الأنيس وحتى ان عزلم يقنط منه وان حضرلم يصبر عنه يدفع النوازل العظيمة وينقي الصدر من الخصومة ويزيد في المساغ ويضوئ الدماغ وينشط الباه حتى لا يزيف شيئا يراه وتقبله جميع الطبائع ويمتزج به صنوف البدائع من اللذة والسرور والنضرة والحبور وحتى سمي شربه حصفا وسمي فقده خسفا وان شرب منه الصرف بقير مزاج تحلل بغير علاج وينفي الاحزان والهموم ويدفع الاهواء والسموم ويفتح الذهن ويمنع الغبن ويلقن الجواب ولا يكيد منه العتاب به تمام اللذات وكمال المروآت ليس لشيء كسلاوته في النفوس وكسطوته في الجباه

(أودى فما تنفع الاساءة من * شئ لمن قد تحاول البدعا)

الالمعى الذى يظن لك الـ ـظن كأن قد رأى وقد سمعا

المخلف المتلف المرزأ لم * يمتع بضعف ولم يمت طبعا

والحافظ الناس فى تحوط اذا * لم يرسلوا خلف عائذ ربعا

وعزت الشمأل الرياح وقد * أمسى كميع الفتاة ملتفعا

وشبة الهيدب العبام من الـ ـقوام سقبا ملبسا قرعا

وكانت الكاعب الممنعة الـ ـحسناء فى زادها ساسبعا

ليبكك الشرب والمدامة والـ ـفتيان طرا وطامع طمعا

وذات هدم عار نواشرها * تصمت بالماء تولبا جددعا

وفيها زيادة لكنا اخترنا قوله الالمعى الحديد اللسان والقلب وقد أبانه بقوله الذى يظن لك الظن كأن قد رأى وقد سمعا وقوله المخلف المتلف أراد أنه يتلف ماله كرما ويخلفه نجدة كما قال

ناقته ترقل فى النقال * متلف مال ومفيد مال

وقال آخر * فأتلف ذاك متلاف كسوب * والمرزأ الذى تناله الرزيئات فى ماله لما يعطى ويسئل والامتاع الاقامة فيقول لم يقم وهو ضعيف والطبع أسوأ الطمع وأصله أن القلب يعتاد الخلة الدنيئة فتركبه كالحائل بينه وبين الفهم لقبح ما يظهر منه وهذا مثل وأصله فى السيف وما أشبهه يقال طبع السيف اذا ركبه صدأ يستر حديده وطبع الله على قلوبهم من ذا وتحوط وقحوط اسمان للسنة الجدبة كما يقال حجر وكل وقوله لم يرسلوا خلف عائذ ربعا العائذ الحديثة النتاج والربع الذى ينتج فى الربيع ومن شأنهم فى سنة الجدب ان ينحروا الفصال لئلا ترضع فتضر بالامهات وقوله وعزت الشمأل الرياح يقول غلبتها وتلك علامة الجدب وذهاب الامطار ومن ذلك قولهم من عز بز أى من غلب استلب وفى القرآن وعزنى فى الخطاب أى غلبنى بالمخاطبة وقوله وقد أمسى كميع الفتاة فالكميع الشجيع وهو الكمع قال الراجز

* ومنهوذ الغرار يبيت كمى * يعنى السيف أى يبيت مضاجعى ملتفعا يقال تلفع فى مطرفه وفى كسائه اذا تلفف وتزمل فيه فيقول من شدة الصر يلتفع به دون ضجيعه والكاعب التى

والرؤس وكانشاطه للحديث والجلوس يحمر الالوان ويرطب الابدان ويخلع عن الطرب الارسان وقلت ومع كل ذلك فهو يلجلج اللسان ويكثر الهذيان ويظهر الفضول والاختلاط ويناوب الكسل بعد النشاط فأما اذا تبين فى الرأس الميلان واختلف عند المشى الرجلان وأكثر الاشتاق والتفخ والبصاق واشتملت عليه الغفلة وجاءت الزلة بعد الزلة أوسال على الصدر لعابه وصار فى حد المخرفين لا يفهم ولا يبين قبيل دلالات السكر وظهور علامات السكر ينسى الذكر ويورث الفكر ويهتك الستر ويسقط من الجدار ويهور فى الآبار ويعرق فى الأنهار ويعوق عن المعروف ويعرض للحتوف ويحمل على الهفوة ويؤكد الغفلة ويورث الصياح والصمات ويصرع الفهم للسبات فلغير معنى يفحش ولغير سبب يمحل ويحيد عن الانصاف وينقلب على الساكت الكافى ثم يظهر السرائر ويطلع على ما فى الضمائر من مكنون الاحقاد وخفى الاعتقاد وقد يقل على السكر

كعب ندبها يقول تصير كالسبع فى زاد أهلها بعد أن كانت تعاف طيب الطعام وقوله وذات هدم يعنى امرأة ضعيفة والهدم الكساء الخلق الرث وقوله عارى نواشرها النواشر عروق الساعد والتؤلب الصغير والجدع السيئ الغذاء وهو الجحن والقتين وقال أعرابى

خليلى عوجا بارك الله فيكما * على قبر أهبان سقته الرواعد

فذاك القنى كل القنى كان بينه * وبين المزجى نفنف متباعد

اذا نازع القوم الاحاديث لم يكن * عييا ولا عيا على من يقاعد

وقالت ليلى الاخيلية دعا قابضا والمرهفات ينشنه * فقبضت مدعوا وليد داعيا

فليت عبيد الله كان مكانه * صريعا ولم أسمع لتوبة ناعيا

وكان سبب هذا الشعر أن توبة بن حمير العقيلى ثم الخفاجى غزا فغنم ثم انصرف فعرس فى طريقه فأمن فقال فندت فرسه فأحاط به عدوه ومعه عبيد الله أخوه وقابض مولاه فدعاهما فذب عبيد الله شيأ وانهزما وقتل توبة ففى ذلك تقول ليلى الاخيلية

أعينى ألا فابكى على ابن حمير * بدمع كفيض الجدول المتفجر

لتبك عليه من خفاجة نسوة * بماء شؤون العبرة المتحدر

سمعن بهيجا أزحفت فذكرنه * وقد يبعث الاحزان طول التذكر

كأن فتى الفتيان توبة لم يخف * بنجد ولم يطلع مع المتغور

ولم يرد الماء السدام اذا بدا * سنا الصبح فى أعقاب أخضر مدير

ولم يقدع الخصم الالد وعلاته * جفان سديفا يوم نكباء صرصر

الا رب مكروب أجبت وخائف * أجرت ومعروف لديك ومنكر

فيا توب لا ولدى ويا توب للندى * ويا توب للمستنبح المتنور

قولها التبك عليه من خفاجة نسوة تعنى خفاجة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة والهيجا تمد وتقصر وقد مر هذا وقولها بنجد ولم يطلع مع المتغور فالنجد كل ما أشرف من الارض والغور كل ما انخفض ويقال ماء سدام ومياه سدم وهى القديمة المندفقة قال الشاعر

وعلى بأسدام المياه فلم تزل * قلائص تحدى فى طريق طلائح

المتاع ويطول منه الأرق والصداع ثم يورث بالغدوات الخمار ويحتل سائر النهار ويمنع من اقامة الصلوات وفهم الأوقات ويعقب السل ويعقب فى القلوب الغل ويجفف النطفة ويورث الرعشة ويولد الصفار وضروب العلل فى الأبصار ويعقب الهزال ويجحف بالمال ويجفف الطبيعة ويقوى الخلط من المرورة ويذبل النفس ويفسد مزاج الحسن ويحدث الفتور فى القلب ويبطئ عند الجماع الصب حتى يحدث من أجله الفيق الذى ليس له رتق ويحمل على المظالم وركوب المآثم وتضييع الحقوق حتى يقتل من غير علم ويكفر من غير فهم

﴿فصل منه﴾ وقلت ومن الحلو فى المعدة التخم وفى الابدان الوخم ويولد للكرش رياحا كمثل رياح العدس وحموضة تولد فى الاسنان الضرس والسكر حسبك بفرط مرارته وكسوف لونه وبشاعة مذاقه ونفار الطبيعة عنه وأنواع ما يعالج من التمر والحبوب فشربها الداء العضال وللمجور والبق وأشباهها كدورة

وسنا الصبح ضوءه وهو مقصور فاذا أردت الحَسَبَ مددتَ والاخضر الذى ذكرت الليل والعرب تسمى الاسود أخضر وقولها ولم يقدع الخصم الالدفالا الشديد الخصام والسديف شقق السنام والنكباء الريح بين الريحين الشديدة الهبوب والصرصر الشديدة الصوت والمستنبح الذى يسرى فلا يعرف مقصدا فينبح لتجيبه الكلاب فيقصدها والمتنور الذى يلتمس ما يلوح له من النار فيقصده قال الاخطل يعير جريرا

قومٌ اذا استَنْبَحَ الاضيافُ كلبهم * قالوا لأُمِّهِمُ بُولِي على النار

فيقال ان جريرا توجع من هذا البيت وقال جَبَّحَ بهذه الكلمة ضربا من الهجاء والشتم منها البظل الفاحش ومنها عقوق الام فى ابتذالها دون غيرها ومنها تقذير الفناء ومنها السوءة التى ذكرها من الوالدة وقال آخر

وانى لَأَطْوِى البطن من دون ملئه * لمُخْتَبِطٍ فى آخر الليل ناجِ

وان امتلاء البطن فى حَسَبِ الفتى * قليلُ الغَنَاء وهو فى الجسم صالح

وقالت لَيْلَى الاخيلية

نَظرتُ وركنٌ من بُوَانَةَ دوننا * وأركانُ حِسْمَى أىَّ نظرة ناظر

الى الخيل أَجْلَى شأْوُها عن عَقيرة * لعاقرها فيها عَقيرةُ عاقر

كأن فَتَى الفتيان تَوْبَةَ لم يُنِخْ * قلائص يَفْحَصْنَ الحصى بالذراكر

ولم يَبْنِ أبراداً رِقاقاً لفتيةٍ * كرامٍ ويَرْحَلْ قبل فى الهواجر

فتى لا تَخَطَّاه الرفاقُ ولا يَرَى * لقِدْرٍ عمالا دون جارٍ مجاورِ

وكنتَ اذا مَوْلاكَ خاف ظلامةً * دعاكَ ولم يقنع سواكَ بناصر

قولها أى نظرة ناظر يصلح فيه الرفع والنصب على قوله نظرت أىَّ نظرة وأيَّةَ نظرة وأيَّمَا نظرة وأيَّمَا نظرة كما تقول مررت برجل أيَّمَا رجل وتأويله مررت برجل كامل فأيما فى موضع كامل وتقول مررت بزيد أيَّمَا رجل على الحال ومن قال أىُّ نظرة ناظر فعلى القطع والابتداء والمَخْرَجُ مَخْرَجُ استفهام وتقديره أىُّ نظرة هى كما تقول سبحان الله أىُّ رجل زيد وهذا البيت يُنْشَدُ على وجهين

فأومأتُ ايماءً خفيا لجبتر * ولله عينا جبتر أيَّما فتى

وايما

ترسب فى المعدة وتولد بين الجلدتين الحكة وأشباه هذا كثيرة تركت ذكرها لانى لم أقصدك بالمسألة أبتغى منك تحليل ما يجلب المضرة ولكن ما تقول فيما يسرك ولا يسوءك واذا شربته تلقته العروق فاتحة أفواهها كأفواه الفرخ محسنة للون ملذة للنفس يجشم على المعدة ويزود فى العروق ويقصد الى القلب فيولد فيه اللذة وفى المعدة الهضم وهو غسولها ونضوجها ويسرع الى طاعة الكبد ويفيض بالعجل الى الطحال وينفخ منه وتظهر حرته بين الجلدتين ويجود فى اللون ويولد الشجاعة والسخاء ويريح من اكتئان الضغن ويعين على تغير النكهة وينقى الذفر ويسرع الى الجبهة ويغنى عن الصلا ويمنع القر وما تقول فى نبيذ الزبيب الخض والعسل المازى اذا تورد لونه وتقادم كونه ورأيت جرته فى صفرته تلوح تراه فى الكاس كأنه بالشمس ملتحف شعاعه ويحمل فى الاكف وما تقول فى عصير الكرم اذا أجدت طبخه وأنعمت انضاجه وأحسن الدن نتاجه فاذا

وأيما ان شئت على ما فسرنا وقولها الى الخيل أجلا شأوها عن عقيرة شاؤها طلقها وقولها لعاقرها فيها عقيرة عاقر أى قد أصابوا عقيرة نفيسة كقول القائل نعم غنيمة المغتنم وكقولهم عقيرة وكاتكون وهذا نظير قوله

ولما أصابوا نفس عمرو بن عامر * أصابوا به وترا ينيم ذوى الوتر

يقال نأر منيم اذا أصابه المثئر هدا واستقر لانه أصاب كفوا وهذا خلاف قول الآخر

قوم اذا جر جانى قومهم أمنوا * للؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وخلاف قول الحرث بن عباد

لا يجبر أغنى قتيلا ولا رهط * كليب تزاجروا عن ضلال

ولكن كما قال دريد بن الصمة

قتلت بعبد الله خير لدانه * ذؤابا فلم أفخر بذاك وأجزعا

وكما قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمى من بنى تيم اللات بن ثعلبة حيث قتل مصعب بن الزبير بأخيه النابى بن زياد

ان عبيد الله ما دام سالما * تسار على رغم العدو وغادى

ونحن قتلنا ابن الزبير ورأسه * حززنا برأس النابى بن زياد

كسر الياء على الاصل كما قال ابن قيس الرقيات

لا بارك الله فى الغوانى هل * يصبحن الا لهن مطلب

ومن أخذه من نبأت على القوم أى طلعت عليهم فلا علة فيه ولا ضرورة (قال الاخفش المعروف فيه الهمز والمبرد لم يهمز فيما أخذه من نبا ينبو فصار مثل رام وقاض وما أشبههما) وقال أبو الاسد مولى خالد بن عبد الله القسرى لما قتلوا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بخالد بن عبد الله

فان تقتلوا منا ركبا فاننا * قتلنا أمير المؤمنين بخالد

وان تشغلونا عن ندانا فاننا * شغلنا وليدا عن غناء الولائد

تركنا أمير المؤمنين بخالد * مكبا على خيشومه غير ساجد

وقال الخزاعى بعد قتلنا بالفتى القسرى منهم * وليدهم أمير المؤمنينا

(ومروانا قتلنا عن يزيد * كذاك قضاؤنا فى المعتدينا

وبابن السمط منا قد قتلنا * محمدا بن هرون الامينا)

فمن يدفتله سوقا فانا * جعلنا مقتل الخلفاء دينا

فض فض عن غضارة قد صار فى لون الجامى فى صفاء ياقوتة تلمع فى الاكف لمع الدنانير ويضى كالشهاب المتقد وما تقول فى نبيذ عسل مصر فانه يؤدى الى شاربه الصحيح من طعم الزعفران مالا يلبس الحلقان ولا يجود الا فى جدد الدنان ولا يستخدم الاجناس ولا يألف الارجاس وكذلك لا يزكو على علاج الجنب والحائض ولا ينقص على شئ من الاجسام لونه حتى لو غمس فيه قطن لخرج أبيض يقطر وحسبك به فى رقة الهوى بكدره صافى الماء وهو مع ذلك كالهزرذى الاشبال المفترس الاقران من عاقره عقره ومن صارعه صرعه وما تقول فى رزين الاهوز من زبيب الدافياد اذ يقود صلبا من غير أن يسيل سلافة أو يماط عنه نفله حتى يعود كالون العقيق فى رائحة المسك العتيق أصلب الأنبذة عريكة وأصلبها صلابة وأشدها خشونة ثم لا يستعين بعسل ولا سكر ولا دوشاب وما ظنك به وهو زبيب نقيع لا يشتد ولا يجود الا بالضرب الوجيع وما تقول فى الدوشاب

وقولها ويرحل قبل فى الهوا جر تريد أنه متيقظ ظعّانٌ والمولى فى قولها اذا مولاك خاف ظلامة يحتمل ضربا فالمولى ابن العم وقوله عز وجل وانى خفتُ الموالىَ من ورائى يريد بنى العم قال الفضلُ ابن العباس

مَهْلاً بنى عمنا مهلاً موالينا ✽ لا تَنْبُشوا بيننا ما كان مَدْفونا

ويكون المولى المُعْتِق ويكون المولى من قوله جلّ ثناؤه وان الكافرين لا مَوْلَى لهم ويكون المولى الذى هو أحقُّ وأَوْلَى منه قوله مأواكم النار هى مولاكم أى أولى بكم والمولى المالك رقولها ولا يبين أراد لا تريد الخيام ❁ قال أبو العباس وكانت الخنساء وليّلى بائختين فى أشعارهما متقدمين لا كثر الفحول ورب امرأة تتقدم فى صناعة وقلما يكون ذلك والجملة ما قال الله عز وجل أومن يُنَشَّأُ فى الحليةِ وهو فى الخصام غيرُ مُبِينٍ وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان المرأة خُلِقَتْ من ضِلَعٍ عَوْجاء وانك ان تردا قامتها تَكْسِرْها فدارها تَعِشْ بها فمن نَدَرَ من النساء فى باب من الابواب أمُّ أيوب الانصاريةُ وأمُّ الدرداء ورابعةُ القَيْسِيَّةُ ومُعاذةُ العَدَوِيَّةُ فان هؤلاء النسوة تَقَدَّمْنَ فى الفضل والصلاح على تقدم بعضهن بعضا حدثنى الجاحظ عن ابراهيم بن السندى قال كانت تصير الىَّ هاشميةٌ جارية تحدثنى فى حاجات صاحبتها فأَجْمَعُ نفسى لها وأطرد الخواطر عن فكرى وأُحْضِرُ ذهنى جهدى خوفا من أن تورد علىَّ مالا أفهمه لبُعْدِ غَوْرِها واقتدارها على ان تُجْرِىَ على لسانها ما فى قلبها وكذلك ما يُؤْثَرُ عن خالصة وعُتْبَةَ جاريتى رَيْطَةَ بنت أبى العباس فأما النساء الاشراف فان القول فيهن كثيرٌ مُتَّسِعٌ فمما نَدَرَ من شعر الخنساء قولها ترثى صَخْرًا

ياصخرَ وِرْدَ ماءٍ قد تناذَرَهُ ✽ أهلُ المياه ومافى وِرْدِه عارُ

مشى السَّبَنْتَى الى هَيْجاءَ مُعْضِلةٍ ✽ له سلاحان أنيابٌ وأظفارُ

وما عَجولٌ على بَوٍّ تَحِنُّ له ✽ لها حنينان اعلانٌ واسرارُ

تَرْتَعُ ما غَفَلَتْ حتى اذا ادَّكَرَتْ ✽ فانما هى اقبالٌ وادبارُ

يوماً بأَوْجَعَ منى يوم فارقنى ✽ صَخْرٌ والعيشُ اخلاءٌ وامرارُ

وان صخرا لَوالينا وسيدُنا ✽ وان صخرا اذا نَشْتُو لَنَحَّارُ

وان صخرا لَتَأْتَمُّ الهُداةُ به ✽ كأنه عَلَمٌ فى رأسه نارُ

لم تره جارةٌ يمشى بساحتها ✽ لريبة حين يُخْلِى بيتَهُ الجارُ

قولها

اليستانى سلالة الرطب
بالحب الرتيلى اذا
أوجع ضربا وأطيل
حبسا وأعطى صفوه ومنع
رفده وبذل ماعنده
فاذا كشف عنه قناع
الطين ظهر فى لون الشقر
والكمت وسطع برائحة
كالمسك واذاهم على
المعدة لانت له الطبائع
وسليت له الأمعاء وأيس
الحصر وانقطع طمع
القولنج وانقادت له
اليبوسة وأذعنت له
بالطاعة وابتل به الجلد
القحل وارتحل عنه
الياسور وكفى شاربه
الوخز فاذا سنح بما تلظى
ورمى بشرره مثل يحل أن
يشعشع اذا سكن جاشه
وأبل حله وما تقول فى
المعتق من أنبذة التمر فانك
تنظر اليه وكان النيران
تلمع من جوفه قد ركد
ركود الذلال حتى لكان
شاربه يكرع فى شهاب
ولكانه فرند فى وجه
سيف وله صفحة مرآة
مجلوة تحكى الوجوه فى
الزجاجة حتى يفهم فيه
الجلاس وما تقول فى نبيذ
الجزر الذى منه تعتد
النطفة وتشتد النقطة
يجلب الأحلام ويركد فى
مخ العظام وما تقول فى
نبيذ الكشمش الذى
لونه لون زمردة خضراء

قولها يا صخر وراد ماء قد تناذره * أهل المياه وما في وردهعار

يعني الموت أي لاقدامه على الحرب بالسيفي والسَّنْدَى واحدوهو الجريء الصدر وأصله في التمر والجمل التي فارقها ولدها والبَوُّ قد مضى تفسيره وكذلك فاغاها اقبال وادبار وقد شرحنا كيف مذهبه في النحو وقولها الى هيجاء معضلة تعني الحرب وقولها كأنه علم في رأسه نار فالعلم الجبل قال الله جل وعز وله الجَوارِ المُنْشَآتُ في البحر كالأعلام وقال جرير

* اذا قطع من علم بادا علم * ومن حسن شعرها قولها

أعيني جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجريء الجميل * ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العما * دساد عشيرته أمردا

اذا القوم مدوا بأيديهم * الى المجد مد اليه يدا

فنال الذي فوق أيديهم * من المجد ثم مضى مصعدا

يكلفه القوم ما عالهم * وان كان أصغرهم مولدا

ترى الحد جهوي الى بيته * يرى أفضل الكسب أن يحمدا

قولها طويل النجاد النجاد حمائل السيف تريد بطول نجاده طول قامته وهذا مما يُمدح به الشريف قال جرير

فاني لأرضى عبد شمس وما قضت * وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

وقال هَرِمُ بن لَهَبِيّ قَصُرتْ حمائلُه عليه فقلّصت * ولقد تَأَنَّق فيهنّ افاطالها

وقال رجل من طَيِّئ جَدِيرٌ أن يُقِلَّ السيف حتى * يَنُوسَ اذا تمطّى في النجاد

وقال الحَكَمِيُّ أبو نُواس سَبِطُ البَنان اذا احتبى بنجاده * غَمْرُ الجماجم والسماط قيامُ

وقال عَنْتَرَةُ بَطَلٍ كأنّ ثيابه في سَرْحة * يُحْذَى نعالَ السِّبْت ليس بتوأم

وقولها رفيع العماد انما تريد ذلك يقال رجل مُعَمَّدٌ أي طويل ومنه قوله عز وجل إرَمَ ذاتِ العماد أي الطوال وقولها ما عالهم أي نابهم ونَزَلَ بهم تقول العرب ما عالَكَ فهو عالي أي ما نابك فهو نائبي ومن ذا قول كُثَيِّر يا عَيْنِ بَكِّي للذي عالَني * منذ بدا مع مُسْبِلٍ هامِلِ

صافية محكم الصلابة مفرط الحرارة حسنة السورة سريع الافاقة عظيم المؤنة قصير العمر كثير العلل جم الهيات تطمع الآفات فيه وتسرع اليه وما تقول في نبيذ التين فانك تعلم أنه مع حرارته لين العريكة سلس الطبيعة عذب المذاق سريع الاطلاق مرهم للعروق نضوج للاجساد فتاح للسدد غسال للامعاء هياج للباه أخاذ للثمن جلاب للون مع كسوف لون وقبح منظر وما تقول في نبيذ السكر الذي ليس مقدار المنفعة منه على قدر المؤنة فيه هل يوجد في المحصول لشربه معنى معقول وما تقول في المروق والغربي والفضيخ أذا المشروبات في ازمانها وأنفع المأخوذات في ابانها أقل شيء مؤنة وأحسنه معونة وأكثر شيء فنونا وأسرعه بلوغا ضرورات عروفات للرجل الوفي ولها أرابيح على الشاة كاذكى رائحة تشم أقل المشروبات صداعا وأشدهن خداعا

﴿فصل منه﴾ وكرهت أيضا تقليد المختلف من الآثار فأكون كخاطب ليل دون التأمل والاعتبار لعلي بان

ومن جيد قولها أبعد ابن عمرو من آل الشريد حلّت به الارض أثقالها

لعمر أبيه لنعم الفتى * اذا النفس أعجبها مالها

فان تلد مرّة أودت به * فقد كان يكثر قتالها

فخرّ الشواهق من فقده * وزلزلت الارض زلزالها

همّمت بنفسي كلّ الهموم * فأولى لنفسي أولى لها

لأجعل نفسي على آلة * فاما عليها واما لها

قولها حلت به الارض أثقالها حلت من الحلى تقول زينت به الارض الموتى وقال المفسرون في قول الله عز وجل وأخرجت الارض أثقالها قالوا الموتى وقولها نعم الفتى اذا النفس أعجبها مالها نقول يجود بما هو له في الوقت الذي يؤثره أهله على الحمد والشواهق الجبال والشاهق العالي ويقال للمتكبر شمخ بأنفه وقولها على آلة أي على حالة وعلى خطة هي الفيصل فاما ظفرت وأما هلكت وقولها فأولى لنفسي أولى لها يقول الرجل اذا حاول شيأ فأفلته من بعد ما كاد يصيبه أولى له واذا أفلت من عظيمة قال أولى لي وروى عن ابن الحنفية أنه كان يقول اذا مات ميت في جواره أو في داره أولى لي كدت والله أكون السواد المخترم وقد مضى هذا مفسرا وأنشد لرجل يقتنص فاذا أفلته الصيد قال أولى لك فكثر ذلك منه فقال

فلو كان أولى يطعم القوم صدتهم * ولكن أولى يترك القوم جوّعا

وقالت الخنساء ترثي أخاها معاوية بن عمرو وكان معاوية أخاها لابيها وأمها وكان صخر أخاها لابيها وكان أحبهما اليها وكان صخر يستحق ذلك منها بأمور منها أنه كان موصوفا بالحلم ومشهورا بالجود ومعروفا بالتقدم في الشجاعة وبحفظ وظائف العشيرة

أريني من دموعك واستفيقي * وصبرا ان أطقت ولن تطيقي

وقولي ان خير بني سليم * وفارسها بصحراء العقيق

ألا هل ترجعن لنا الليالي * وأيام لنا بلوى الشقيق

واذ نحن الفوارس كل يوم * اذا حضروا وفتيان الحقوق

واذ فينا معاوية بن عمرو * على أدماء كالجمل الفنيق

فبكيه

كلام الشيخ لا يجلوه الامفتاح اليقين

(فصل منه) قد فهمت أسعدك الله تعالى بطاعته جميع ما ذكرت من أنواع الأنبذة وبديع صفاتها والفصل بين جيدها ورديئها ونافعها وضارها وما سألت من الوقوف على حدود ولا زلت من عداد من يسأل ولا يبحث وكنز لنا في عداد من يشرح ويفسح اعلم أكرمك الله انك لو بحثت عن أحوال من يؤثر شرب الخمور على الأنبذة لم تجد الا جاهلا مخذولا أو حدثا مغرورا أو خليعا ماجنا أو رعاعا همجا ومن اذا عد البهيمة واذا راح نعامة ليس يحمد من المعرفة اذا كثر من انتحال القول بالجماعة قد مرج له الصحيح بالمحال فهو يدين بتقليد الرجال لشعشع الداح ويحرم المباح فتى عذله عاذل ووعظه واعظ قال الأشربة كلها خمر فلا أشرب الا أجودها وقد أحببت أيدك الله التوثق من اصفاء فهمك وسوق ظنابا التقرير فقدمت لك من التوطئة ما يسهل لك سبيل المعرفة وذلك الى مثلك من مثلي حرم سيما فيما خفيت معالمه ودرست مناهجه وكثرت

فَبَكَيْهِ فَقَدْ أَوْدَى حَمِيدًا * أَمِينَ الرَّأْيِ مَحْمُودًا صَدِيقَا

فَلَا وَاللهِ لَا تَسْلَاكَ نَفْسِي * لِفَاحِشَةٍ أَتَيْتَ وَلَا عُقُوقَا

وَلَكِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ خَيْرًا * مِنَ النَّعْلَيْنِ وَالرَّأْسِ الْحَلِيقِ

قولها أريق من دموعك واستفيق معناه أن الدمعة تذهب اللوعة ويروى عن سليمان بن عبد الملك أنه قال عند موت ابنه أيوب لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة انى لأجد فى كبدى جمرة لا تطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك الصبر فنظر الى رجاء بن حيوة كالمستريح الى مشورته فقال له رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذاك من بأس فقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال العين تدمع والقلب يوجع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فأرسل سليمان عينه فبكى حتى قضى أربا ثم أقبل عليهما فقال لولم أنزف هذه العبرة لانصدعت كبدى ثم لم يبك بعدها وليكنه تمثل عند قبره لما دفنه وحثا على قبره التراب وقال يا غلام دابتى ثم وقف ملتفتا الى قبره فقال

وَقَفْتُ عَلَى قَبْرٍ مُقِيمٍ بِقَفْرَةٍ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقِ

نرجعنا الى تفسير قولها وقولها وصبرا ان أطقت ولن تطيق كقول القائل ان قدرت على هذا فافعل ثم أبانت عن نفسها فقالت ولن تطيق وقولها فلا والله لا تسلاك نفسى تريد لا تسلو عنك كقوله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أى كالوا لهم أو وزنوا لهم وقولها لفاحشة أتيت ولا عقوق معناه لا أجد فيك ما تسلو نفسى عنك ثم اعتذرت من اقصارها بفضل الصبر فقالت

وَلَكِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ خَيْرًا * مِنَ النَّعْلَيْنِ وَالرَّأْسِ الْحَلِيقِ

تأويل النعلين أن المرأة كانت اذا أصيبت بحميم جعلت فى يديها نعلين تصفق بهما وجهها وصدرها قال عبد مناف بن ربيع الهذلى

مَاذَا يُغَيِّرُ بَنِي رَبِيعٍ عَوِيلُهُمَا * لَا تَرْقُدَانِ وَلَا بُؤْسَى لِمَنْ رَقَدَا

كُلَّاهُمَا أَبْطَنَتْ أَحْشَاؤُهَا قَصَبًا * مِنْ بَطْنِ حَلْيَةَ لَا رَطْبًا وَلَا نَقَدَا

اذَا تَأَوَّبَ نَوْحٌ قَامَتَا مَعَهُ * ضَرْبًا أَلِيمًا بِسَبْتٍ يَلْعَجُ الْجِلْدَا

قوله ماذا يغير ابنى ربيع عويلهما يعنى أختيه يقول ماذا يرد عليهما العويل والسهر وقوله

شبهه واشتد مرضه ولو لم يكن ذلك وكان قد اعتاص على البرهان فى اظهاره واحتجب فى الابانة عنه الى ذكر ضده ونظيره وشكله لم أحتشم من الاستعانة بكل ذلك فكيف والقدرة بحمد الله وافرة والحجة واضحة فد يكون الشئ من جنس الحرام فيعالج بضرب من العلاج حتى يتغير بلون يحدث له ورائحة وطعم ونحو ذلك فيتغير لذلك اسمه ويصير حلالا بعد ان كان حراما ﴿فصل منه فى تحليل النبيذ دون الخمر﴾ فان قال لنا قائل ما تدرون لعل الأنبذة قد دخلت فى ذكر تحريم الخمر ولكن لما كان الابتداء أجرى فى ذكر تحريم الخمر خرج التحريم عليها وحدها فى ظاهر المخاطبة يدخل سائر الأشربة فى التحريم بالقصد والارادة قلنا قد علمنا أن ذلك على خلاف ما ذكرا السائل لأسباب موجودة وعلل معروفة منها أن الصحابة الذين شهدوا نزول الفرائض والتابعين من بعدهم لم يختلفوا فى قاذف المحصنين أن عليه الحد واختلفوا فى الأشربة التى تسكر لبس لجهلهم أسماء الخمور ومعانيها ولكن الأخبار

كلتاهما أبطنت أحشاؤها فصبا أراد لترديد الناقحة صوتا كأنه زمير وانما يعني بالقصب المزامير
كما قال الراعي زجل الحداء كأن في حيزومه * قصبا ومقنعة الحنين عجولا
(قال الأخفش الزجل اختلاط الصوت الذي لصوته تطريب والحيزوم الصدر وقصبا يعني مزمارا
شبه صوت الحادي بالمزمار ومقنعة أراد وصوت مقنعة يعني ناقة ثم حذف الصوت وأقام مقنعة
مقامه) وقال عنترة بركت على ماء الرداع كأنما * بركت على قصب أجش مهضم
قال الأصمعي هو زمن منى وقوله لا رطبا ولا نقدا يقول ليس برطب لا يبين فيه الصوت ولا يموت كل
يقال نقدت السن اذا مسها الشكال وكذلك القرن قال الشاعر * بأم قرنا أرومه نقد *
وقوله بسبت يعني النعل المجردة ويعلج يوتر واحتاج الى تحريك الجلد فاتبع آخره أوله
وكذلك يجوز في الضرورة في كل شيء ساكن وأما قول الفرزدق
خلعن حليهن فهن عطل * ويعن به المقابلة النواما
يعني اشترين النعال فليس هذا من هذا الباب انما سبين فاشترين نعالا للخدمة وكذلك قوله
أخذن حريرات وأبدين مجلدا * وداوعليهن المنقشة السفر
يعني القداح يقول سبين فاقتسمن بالقداح وانما قالت الخنساء هذا الشعر في معاوية أخيها قبل
ان يصاب صخر أخوها فلما أصيب صخر نسبت به من كان قبله وكان معاوية فارسا شجاعا فأغار
في جمع من بني سليم على غطفان وكان صميم خيلهم فنذر به القوم فاحتربوا فلم يزل يطعن
فيهم ويضرب فلما رأوا ذلك تهيأ له ابنا حرملة ذريد وهاشم فاستطرد له أحدهما فحمل عليه
معاوية فطعنه وخرج عليه الآخر وهو لا يشعر فقتله فتنادى القوم قتل معاوية فقال
خفاف ابن ندبة قتلني الله ان رمت حتى أثأر به فحمل على مالك بن حمار وهو سيد بني شمخ بن
فزارة فقتله وقال فان تك خيلي قد أصيب صميمها * فعمدا على عيني تيممت مالكا
وقفت له علوي وقد خام صحبتي * لأبني محمدا أولا أثأر هالكا
أقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني أنا ذلكا
فلما دخلت الأشهر الحرم ورد عليهم صخر فقال أيكم قاتل أخي فقال أحد ابني حرملة الآخر خبره
فقال استطردت له فطعنتي هذه الطعنة وحمل عليه أخي فقتله فأينا قتلت فهو ثأرك أما انا لم

نساب

المروية في تحريم المسكر
والواردة في تحليلها ولو
كانت الأشربة كلها عند
أهل اللغة في القديم خمرا
لما احتاجوا الى أهل
الروايات في الخمر أي
الاجناس من الأشربة
هي كما يحتاجوا الى طلب
معرفة العبيد من الاماء
وهذا باب يطول شرحه
ان استقصيت جميع
ما فيه من المسألة
والجواب وما ينكر من
خالفنا في تحليل الأنبذة
مع اقرارهم بان الأشربة
المسكرة الكثيرة لم تزل
معروفة بأسمائها
وأعيانها وأجناسها
وبلدانها وان الله تعالى
قصد للخمر من بين جميعها
فحرمها وترك سائر
الأشربة طلقا مع أجناس
سائر المباح والدليل على
تحويه ذلك ان الله تعالى
ما حرم على الناس شيأ
من الأشياء في القديم
والحديث الا أطلق لهم
من جنسه وأباح من
سنخه ونظيره وشبهه
ما يعمل مثل عمله أو قريبا
منه ليغنيهم الحلال عن
الحرام أعني ما حرم بالسمع
دون المحرم بالعقل قد
حرم من الدم المسفوح
وأباح غير المسفوح كجامد
دم الطحال والكبد وما
أشبههما وحرم الميتة

نَسْلُبُ أخاك قال فما فعلت فرسُه السُّمَّى قال هاهى ذلك فخذها فانصرف بها فقيل لصخر ألا تهجوهم فقال ما بينى و بينهم أقذعُ من الهجاء ولولم أُمسِكْ عن سبهم الا صيانة للسانى عن الخنا لفعلتُ ثم خاف ان يُظَنَّ به عِيٌّ فقال

وعاذلة هَبَّتْ بليل تلومُنى * ألا لا تلومينى كفى اللَّوْمَ ما بيا

تقول ألا تهجو فوارسَ هاشم * ومالَكَ اذ أهجوهُمُ ثم ماليا

أبى الشَّتْمُ أنّى قد أصابوا كريمتى * وأن ليس اهداءُ الخنا من شمائليا

اذا ما امرؤٌ أهدى لميتٍ تحيّةً * فحيّاكَ ربُّ العرش عنى معاويا

وهوّن وجدى أننى لم أقُل له * كذبتَ ولم أبخَل عليه بماليا

قال أبو عبيدة فلما أصاب دُرَيْدا زاد فيها

وذى إخوةٍ قطّعتُ أرحامَ بينهم * كما تركونى واجدا لا أخا ليا

(قال أبو الحسن الأخفش وزاد فى الأخوُلِ بعد قوله معاويا

لَنِعْمَ الفتى أدنى ابنُ صرمةَ بزّهُ * اذا راح فحلُ الشَّوْلِ أجدبَ عاريا)

قال أبو العباس فلما انقضت الأشهر الحرم جمع لهم ليُغيرَ عليهم فنظرتْ غَطَفانُ الى خيله بموضعها فقال بعضهم لبعض هذا صخرُ بن الشريد على فرسه السُّمَّى فقيل كلّا السُّمَّى غرّاه وكان قد حَمَّمَ غُرَّتَها فأصاب فيهم وقُتِلَ دُرَيْدُ بن حرملة وأما هاشم فان قيس بن الأسود الجُشَمى من جُشَمِ ابن بكر بن هوازن بن منصور والخنساء من بنى سليم بن منصور لقيهم منصرفين كل واحد منهم من وجهة فرآه وقد انفرد لحاجته فقال لا أطلب بمعاوية بعد اليوم فارسل عليه سهما فقلق ثُحْقُحَه فقالت الخنساء

فدًى للفارس الجُشَمى نفسى * وأفديه بمن لى من حميم

فداكَ الحىُّ حىُّ بنى سُلَيْمٍ * بظاعنهم وبالأنَس المقيم

كأن هاشم أقررتَ عينى * وكانت لا تنام ولا تُنيم

فأما صخر فسنذكر مقتلَه مع انقضاء ما نذكر من مراثى الخنساء اياه قالت الخنساء

ألا يا صخر ان أبكيتَ عينى * لقد أضحكتنى دهرا طويلا

بكيتُ بى نساءً معولاتٍ * وكنتُ أحقَّ من أبدى العويلا

وأباح الذكية وأباح أيضا ميتة البحر وغير البحر كالجراد وشبهه وحرم الربا وأباح البيع وحرم بيع ما ليس عندك وأباح الصلح وحرم السفاح وأباح النكاح وحرم الخنزير وأباح الجدى الرضيع والخروف والحوار والحلال فى كل ذلك أعظم موقعا من الحرام

(فصل منه) لا قائلا يقول أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وسكان حرمه ودار هجرته أبصر بالحلال والحرام والسكر والخمر وما أباح الرسول وما حظره وكيف لا يكون كذلك والدين ومعالمه من عندهم خرج الى الناس والوحى عليهم نزل والنبى صلى الله عليه وسلم فيهم دفن وهم المهاجرون السابقون والانصار المؤثرون على أنفسهم وكلهم مجمع على تحريم الانبذة المسكرة وانها كالخمر وخلفهم على منهاج سلفهم الى هذه الغاية حتى انهم جلدوا على الريح الخفى وكيف لا يفعلون ذلك ويدينون به وقد شهدوا من شهد النبى صلى الله عليه وسلم قد حرمها وذمها وأمر بجلد شاربها ثم كذلك فعل ائمة الهدى من بعده

دفعتُ بذا الجليلَ وأنت حيٌّ * فمن ذا يدفع الخطبَ الجليلا

اذا قُبِّحَ البكاء على قتيلٍ * رأيتُ بكاءَكَ الحسنَ الجميلا

وقالت أيضا تعرَّفني الدهر نهسًا وخزًا * وأوجعني الدهرُ قرعًا وغمزًا

وأفنى رجالي فبادوا معًا * فأصبح قلبي بهم مستفزًا

كأن لم يكونوا حمى يُتَّقى * اذا الناسُ اذ ذاك من عزَّ بزَّا

وكانوا سراة بني مالك * وزينَ العشيرِ مجدًا وعزا

وهم في القديم سراة الاديـ * ـم والكائنون من الخوف حرزا

وهم منعوا جارهم والنسا * ء يُحفزُ أحشاءها الخوفُ حفزا

غداة لقوهم بملمومة * رداحٍ تُغادرُ للارض ركزا

وخيلٍ تكدَّس بالدارعيـ * ـن تحت العجاجة يجمزن جمزا

ببيض الصفاح وسُمر الرماح * فبالبيض ضربًا وبالسُمر وخزا

جزرنا نواصي فرسانهم * وكانوا يظنُّون ألا تجزَّا

ومن ظن ممن يلاقي الحروبَ * بأن لا يُصابَ فقد ظنَّ عجزا

نعفُّ ونعرفُ حق القرى * ونتخذ الحمد ذُخرا وكنزا

وكان سبب قتل صخر بن عمرو بن الشريد أنه جمع جمعا وأغار على بني أسد بن خزيمة فنذر وابه فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فانفضَّ أصحاب صخر عنه وطعنه أبو ثور طعنة في جنبه استقل بها فلما صار الى أهله تعالج منها فنتأ من الجرح كمثل اليد فأضناه ذلك حولا فسمع سائلا يسأل امرأته وهو يقول كيف صخرٌ اليوم فقالت لا ميتٌ فيُنعى ولا صحيحٌ فيُرجى فعلم أنها قد برئت به ورأى تحرُّق أمه عليه فقال

أرى أمَّ صخرٍ ما تجفُّ دموعُها * وملَّت سُليمًا مضجعي ومكاني

وما كنتُ أخشى ان أكون جنازةً * عليك ومن يغترُّ بالحدثان

أهمُّ بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

لعمري لقد أنبهتُ من كان نائما * وأسمعتُ من كانت له أذنان

فأي امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في شقىً وهوان

فهم الى اليوم على رأيهم وهم متفقون ينهون عن شربها ويجلدون عليها وانا نقول في ذلك ان عظم حق البلد لا يحل شيأ ولا يحرمه وانما يعرف الحلال والحرام بالكتاب الناطق والسنة المجمع عليها والعقول الصحيحة والمقاييس المعينة وبعد هذا المهاجري والانصاري الذي رووا عنه تحريم الأنبذة ثم لم يروعنه التحليل بل لو أنصف القائل لعلم أن الذين من أهل المدينة حرموا الأنبذة ليسوا بأفضل من الذين أحلوا النكاح في أدبار النساء ومن حرم ثوم من أهل مكة حرم بعضهم ذبائح الزنوج لانهم فيما زعموا مشوهوا الخلق ثم حكموا بالشاهد واليمين خلافا لظاهر التنزيل وأهل المدينة وان كانوا جلدوا على الريح الخفي فقد جلدوا على حمل الزق الفارغ لانهم زعموا أنه آلة الخمر حتى قال بعض من ينكر عليهم فهلا جلدوا أنفسهم لانه ليس منهم الا ومعه آلة الزنا وكان يجب على هذا المثال ان يحكم بمثل ذلك على حامل السيف

ثم عزم على قطع ذلك الموضع فلما قطعه يئس من نفسه فبكاها فقال

أياجارتا ان الخطوب قريب * من الناس كل الخطئين تصيب

لياجارتا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

كأني وقد أدنوا الى شفارهم * من الادم مصقول السراة نكيب

قال أبو العباس ومن حلو المراثي وحسن التأبين شعر ابن منذر فانه كان رجلا عالما مقدما شاعرا مفلقا وخطيبا مصقعا وفي دهر قريب فله في شعره شدة كلام العرب بروايته وأدبه وحلاوة كلام المحدثين بعصره ومشاهدته ولا يزال قد رمى في شعره بالمثل السائر والمعنى اللطيف واللفظ الفخم الجليل والقول المتسق النبيل وقصيدته لها امتداد وطول وانما نملي منها ما اخترنا من نحو وما وصفنا قال يرثي عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي وكان به صبا واغتبط عبد المجيد لعشرين سنة من غير ما علة وكان من أجل الفتيان وآدبهم وأظرفهم فذلك حيث يقول ابن منذر

حين تمت آدابه وتردى * برداء من الشباب جديد

وسقاه ماء الشبيبة فاهتز اهتزاز الغصن الندي الأملود

وسمت نحوه العيون وما كا * ن عليه لزائد من مزيد

وكأني أدعوه وهو قريب * حين أدعوه من مكان بعيد

فلئن صار لا يجيب لقد كا * ن سميعا هشا اذا هو نودي

يا فتى كان للمقامات زينا * لا أراه في المحفل المشهود

لهف نفسي أما أراك وقد عا * ند لي ان دعوت من مردود

كان عبد المجيد سم الاعادي * ملء عين الصديق رغم الحسود

عاد عبد المجيد رزأ وفقدا * ن رجاء لريب دهر كنود

خلة الود لم أمت كمدا بعـ * ـدك اني عليك حق جليد

لو فدى الحي ميتا افتدتك نفـ * ـسي نفسي بطارفي وتلادي

ولئن كنت لم أمت من جوى الحز * ن عليه لا بلغن مجهودي

لأقيمن مأتما كنجوم الليـ * ـل زهرا يلطمن حر الخدود

والسكين والسم القاتل في نظائر ذلك الان وهذه كلها آلات القتل وبعد فأهل المدينة لم يخرجوا من طبائع الانس الى طبع الملائكة ولو كان كل ما يقولونه حقا وصوابا لجلدوا من كان دارفي معبد والفريض وابن شريح ودحمان وابن محرز وعلوية وابن جامع ومخارق وأهل شريك ووكيع وحماد وابراهيم وجماعة التابعين والسلف والمتقدمين لان هؤلاء فيما زعموا كانوا يشربون الأنبذة التي هي عندهم خمر وأولئك كانوا يعالجون الأغاني التي هي حلال طلق على نقر العيدان والطنابير والثنايات والصنج والزير والمعازف التي ليست محرمة ولا منهي عن شئ منها ولو كان ما خالفونا فيه من تحليل الأنبذة وتحريمها كالاختلاف في الأواني وصفاتها وأوزانها واختلاف مخارجها ووجوه مصارفها ومجاريها وما يدمج ويوصل منها للحنجرة والحنك والنفس واللهوات وتحت اللسان من نغمها وأي الدساتين أطرب وأيها أصوب وما يختص بالهمز

مُوجعاتٍ يبكينَ الكبدَ الحرّى عليه وللفؤادِ العميد

ولعينٍ مطروفةٍ أبداً قا * ل لها الدهرُ لا تقرّي وجودي

كلّما رنّ البكاءُ فأنفذْ * تِ لعبدِ المجيدِ سجلاً وعودي

لفتى يحسُنُ البكاءُ عليه * وفتىً كان لامتداحِ القصيد

وأوّل هذا الشعر

كلُّ حيٍّ لاقى الحِمامَ فَوُدّي * ما لحيٍّ مؤمّلٍ من خلود

لا تهابُ المنونَ شيباً ولا تُرْ * عى على والدٍ ولا مولود

يقدحُ الدهرُ في شماريخِ رَضْوى * ويحُطُّ الصخورَ من هَبُود

ولقد تركُ الحوادثُ والايا * مُ وهيّانِ الصخرةَ الصَّخود

وفي هذا الشعر مما استحسنته

أينَ ربُّ الحصنِ الحصينِ بسُورا * ، وربُّ القصرِ المُنيفِ المشيد

شادَ أركانَهُ وقوّبَهُ با * بَيْ حديدٍ وحفَّهُ بجُنود

كان يُجبى اليه ما بين صَنْعا * ، قَصْرِ الى قُرىً بَيْرود

وتَرى خلفَه زرافاتِ خيلٍ * حافلاتٍ تعدُو بمثلِ الأُسود

فرَمى شَعْصَهُ وأقصدَه الدهـ * ـرُ بسهمٍ من المنايا سديد

ثم لم يُنجِهِ من الموتِ حصنٌ * دونه خندقٌ وبابٌ حديد

ومُلوكٌ من قبلِه عمّروا الار * ضَ أعنوا بالنصرِ والتأييد

فلوانّ الايامَ أخلدنَ حيّاً * لعلاهُ أخلدنَ عبدَ المجيد

ما درَى نَعشُه ولا حاملوه * ما على النعشِ من عفافٍ وجُود

وريحُ أيدٍ حثَتْ عليه وأيدٍ * دفنتْه ما غيّبتْ في الصعيد

انّ عبدَ المجيدِ يومَ تولّى * هدَّ ركناً كما كان بالمهدود

(وأرانا كالزرعِ يحصُدُه الدهـ * ـرُ فمِنْ بين قائمٍ وحصيد

وكأنا للموتِ ركبٌ مُحثُّو * نَ سراعاً لمَنْهلٍ مَوْرود)

هدَّ ركني عبدُ المجيدِ وقد كنـ * ـتُ بركن أنوءُ منه شديد

(فبعيد

أو يحرك بالضم وكالقول بان الهزج بالنصر أطيب وبالوسطى، والسريع على الزير ألذ وعلى المثنى والمصعد في لين أطرب، أم الهزج في الشدة لسهل ذلك ولسلناه له لمن يدعيه ولم نجاذب من يدعي دوننا معرفته

(فصل منه) ولهج أصحاب الحديث بحكم لم أسمع بمثله في تزييف الرجال وتصحيح الأخبار وانما أكثروا في ذلك لتعلم حيدهم عن التفتيش وميلهم عن التنقير وانحرافهم عن الانصاف

(فصل منه) والذي دعاني الى وضع جميع هذه الأشربة والوقوف على أجناسها وبلدانها مخافة أن يقع هذا الكتاب عند بعض من عساه لا يعرف جميعها ولم يسمع بذكرها فيتوهم اني في ذكر أجناسها المستشنعة وأنواعها المبتدعة كالهاذي برقية العقرب وان كان قصدي لذكرها في صدر الكتاب لاقف على حلالها وحرامها وكيف اختلفت الأمة فيها وما سبب اعتراض الشك واستكمان الشبهة ولأن احتج للمباح وأعطيه حقه وأكشف أيضا عن المحظور فاقسم

(فبعيد

(فبعد المجيد نأمور نفسى * عمرت بى بعدا نتعاش جدودى
وبعد المجيد شلت يدى اليمنى وشلت بيمين الجود)

وفى هذا الشعر فبرغمى كنت المقدم قبلى * وبكرهى دليت فى المكروه
كنت لى عصمة وكنت سماء * بل تحيا أرضى ويخضر عودى

قال أبو العباس وكانت العرب تقدم مرائى وتفضلها وترى قائلها بها افوق كل مؤبن وكانهم يرون ما بعدها من المراثى منها اخذت وفى كنفها تصلح فمنها قصيدة أعشى باهلة ويكنى أبا قحافة التى يرثى بها المنتشر بن وهب الباهلى وكان أحد رجالى العرب (قال الاخفش هو منسوب الى الرجل) وهم السعاة السابقون فى سعيهم وكان من خبره أنه أسر صلاءة بن العنبر الحارثى فقال افد نفسك فأبى فقال لا قطعنك أغلة أغلة وعضوا عضوا مالم تفتد نفسك فجعل يفعل ذلك به حتى قتله ثم حج من بعد ذلك المنتشر ذا الخلصة وهو بيت كانت خثعم تحجه زعم أبو عبيدة أنه بالعيلات وأنه مسجد جامعها فدلت عليه بنو نفيل بن عمرو بن كلاب الحارثيين فقبضوا عليه فقالوا لنفعلن بك كما فعلت بصلاءة ففعلوا ذلك به فالتى راكب أعشى باهلة فقال له أعشى باهلة هل من جائبة خبر قال نعم أسرت بنو الحرث المنتشر وكانت بنو الحرث تسمى المنتشر مجدعا فلما صار فى أيديهم قالوا لنقطعنك كما فعلت بصلاءة فقال أعشى باهلة يرثى المنتشر

انى أتتنى لسان لا أسر بها * من علو لا عجب منها ولا سخر
فبت مرتفقا للنجم أرقبه * حيران ذا حذر لو ينفع الحذر
فجاشت النفس لما جاء جمعهم * وراكب جاء من تثليث معتمر
يأبى على الناس لا يأوى على أحد * حتى التقينا وكانت دوننا مضر
ينمى امرأ لا تغب الحى جفنته * اذا الكواكب أخطانوءها المطر
من ليس فى خيره شر يكدره * على الصديق ولا فى صفوه كدر
طاوى المصير على العزاء منصلت * بالقوم ليس له لاما ولا ضجر
لا ينكر البازل الكوماء ضربته * بالمشرفى اذا ما اجلوذ السفر
وتفزع الشول منه حين تبصره * حتى تقطع فى أعناقها الجرر

له قسطه فأكون قد سلكت بالحرام سبيله وبالحلال منهجه اقتداء منى بقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وقد كتبت لك أكرمك الله تعالى فى هذا الكتاب ما فيه الجزاية والكفاية ولو بسطت القول لتجدته متسعا ولا تأمن منه لملهم وربما كان الاقلال فى ايجاز أجدى من اكثار يخاف عليه الملال فخلطت لك جدا بهزل وقرنت لك جهة بجهة لتخف مؤنة الكتاب على القارئ ويزيد ذلك فى نشاط المستمع فجعلت الهزل بعد الجد جاما لرد اللهة بعد الجهة مستراحا

(فصل من حدر رسالته فى استحقاق الامامة)

يحكى فيه قول من يجيز أكثر من امام واحد زعم قوم أن الامامة لا تجب لرجل واحد بعينه من رهط واحد ولا لواحد من عرض الناس وان كان أكثرهم فضلا وأعظمهم عن المسلمين غناء بعد أن يكون فردا فى الأمامة لا ثانى له وأن الناس ان تركوا أن يقيموا اماما

لا يُصعِبُ الامرَ الا ريثَ يركبه * وكلُّ أمرٍ سوى الفحشاءِ يأتمرُ

تكفيه فلذةُ كبدٍ ان ألمَّ بها * من الشواءِ ويكفي شُربَه الغُمرُ

لا يتّأرّى لما فى القِدرِ يَرقُبُه * ولا تراه أمام القوم يقتفرُ

لا يغمزُ الساقَ من أينٍ ولا وصَبٍ * ولا يعضُّ على شُرسوفه الصفرُ

مُهفهفٌ أهضمُ الكشحين مُنخرقٌ * عنه القميصُ لسيرِ الليلِ محتقرُ

عشنا بذلك دهرًا ثم فارقنا * كذلك الرُّمحُ ذو النصلين ينكسرُ

(فان جزِعنا فقد هدَّت مُصيبتُنا * وان صبرنا فانا معشرٌ صُبُرُ

انى أشُدُّ حزيمى ثم يُدرِكنى * منذُ البلاءُ ومن آلائه الذكرُ

لا يأمنُ الناسُ مُمساهُ ومُصبَحَهُ * من كل أوبٍ وان لم يأتِ ينتظرُ

اما يُصِبْكَ عدوٌّ فى مُباوأةٍ * يوما فقد كنتَ تبغى وتنتصرُ

لو لم تخُنه نُفيلٌ وهى خائنةٌ * ألمَّ بالقوم وردٌ منه أو صدرُ

وزادُ حربٍ شهابٌ يُستضاءُ به * كأبيضى مُسوادا الطخيةِ القمرُ

اما سلكتَ سبيلا كنتَ سالكَها * فاذهب فلا يُبعدنْكَ اللهُ منتشرُ

مَن ليس فيه اذا قاولتَه رَهَقٌ * وليس فيه اذا عاسرتَه عَسَرُ

قوله انى أتتنى لسان يقال هو اللسان وهى اللسان فمن ذكّر فجمعه السِّنّ ونظيره حمارٌ وأحمرةٌ وفراشٌ وأفرشةٌ وازارٌ وآزرةٌ ومن أنّث قال لسان وألسُنٌ كما تقول ذراعٌ وأذرُعٌ وكُراعٌ وأكرُعٌ لا تبالى أمضموم الاول كان أو مفتوحا أو مكسورا اذا كان مؤنثا ألا ترى أنك تقول شمال وأشمُلٌ قال أبو النجم * يأتى لها من أيمُنٍ وأشمُلِ * وقال آخر أنشدنيه المازنى

فظلّت تكوس على أكرُعٍ * ثلاثٍ وكان لها أربعُ

وأراد باللسان ههنا الرسالة وقوله من عل يقول من فوق فاذا كان معرفة مفردا بنى على الضم كقبلُ وبعدُ واذا جعلته نكرة نونته وصرفته كما قال جرير

انى انصببتُ من السماء عليكم * حتى اختطفتُكمُ بأفرزدقٌ من عَلِ

والقوافى مجرورة وان شئت رددت ما ذهب منه وهى ألف منقلبة من واو لان بناءه فَعَلٌ من علا

واحدا جاز لهم ذلك ولم يكونوا بتركه ضالين ولا عاصين ولا كافرين فان أقاموه كان ذلك رأيا راوه وغير مضيق عليهم تركه ولهم أن يقيموا اثنين وجائز لهم أن يقيموا أكثر من ذلك ولا بأس أن يكونوا عجما وموالى ولكن لا بد من حاكم واحد اكان أو أكثر على حكم ولا يجوز أن يكون الرجل حاكما على نفسه وقاضيا عليها بالحدود ولم يقل أحد البتة ان من الحكم والحاكم بدا ولكنهم اختلفوا فى جهاتهم ومعانيهم وقالوا أى ذلك كان من الجهة الواحد والاثنين أو أكثر من ذلك وعلى الناس الكف عن محارمهم وترك الأصل والتناجى فيما بينهم والتخاذل عند الحادثة تنوبهم من عدو يدهمهم من غيرهم أو خارب يخيف سبلهم من أهل دعوتهم وعليهم فيما شجر بينهم اعطاء النصفة من أنفسهم بالغا ما بلغ فى عسر الأمر ويسره وعلى كل رجل فى داره وبيته وقبيلته وناحيته ومصره اذا كان مأمونا اذا صلاح اذا ثبت عنده على أخيه وصاحبه وجاره وحاشيته من

يافى قال الراجز وهى تنوش الحوض نوشا من علا * نوشا به تقطع أجواز الفلا

وقوله فبت من تفقا وهو المتسكى على من فقه وانما أراد السهر كما قال أبو ذؤيب

فبت أرقب فيت الليل من تفقا * كأن عينى فيها الصاب مذبوح

وقوله جاشت النفس يقول خبثت يكون ذلك من تذكرها للتهوع ومن جزعها منه ويروى عن معاوية أنه قال اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم فان فيه مآثر أسلافكم ومواضع ارشادكم فلقد رأيتنى يوم الحرير وقد عزمت على الفرار فما يردنى الا قول ابن الاطنابة الانصارى

أبت لى عفتى وأبى بلائى * وأخذى الحمد بالثمن الربيح

وإجشامى على المكروه نفسى * وضربى هامة البطل المشيح

وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى

يقال جشأت مهموز وجاشت غير مهموز وتثليث موضع بعينه وقوله لا يلوى على أحد يقال استقام فلان فما لوى على أحد ويقال ألوى بالشئ اذا ذهب به وقوله اذا الكواكب أخطأنوءها المطر فالنوء عندهم طلوع نجم وسقوط آخر وليس كل الكواكب لها نوء وانما كانوا يتقولون هذا فى أشياء بعينها ويروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال اذا ذكرت النجوم فأمسكوا يعنى أمر الأنواء لم يختلف فى ذلك المفسرون وعنه عليه السلام فى غب سماء أتدرون ما قال ربكم تبارك وتعالى قال أصبح عبادى مؤمن بى وكافر بالكواكب وكافر بى ومؤمن بالكواكب فأما المؤمن بى الكافر بالكواكب فهو الذى يقول مطرنا بنوء الرحمة والمؤمن بالكواكب الكافر بى الذى يقول مطرنا بنوء كذا وانما نوء مهموز وهو من قولك ناء بحمله أى استقل به فى ثقل فالنوء مهموز وهو فى الحقيقة الطالع من الكواكب لا الغائر وكان الاصمعى لا يفسر من الشعر ما فيه ذكر الأنواء بل كان لا يسمع ما كان فيه هجاء أو كان فيه ذكر النجوم ولا يفسر ما وافق تفسيره بعض ما فى القرآن الا ساهيا فيما يذكر أصحابه عنه ويروى أنه سئل عن غير شئ من ذلك فأباه وزجر السائل وقوله طاوى المصير يقال لواحد المصران مصير وتقديره قضيب وقضبان وكثيب وكثبان والعزاء الامر الشديد يقال فلان صابر على العزاء وكذلك اللأواء وكذلك الجلى مقصورا فأما العزا بوالألأواء فممدودان وقوله منصلت يقال سيف منصلت وصلت اذا جرد من

خدمه حد أو حكم جناه جان عليهم على نفسه أو ظلم ركبه من غيره اقامة ذلك الحكم والحد عليه اذا أمكنه مستحقه الا أن يكون فوقه كاف قد أجرى عليه وعلى المجترح الذنب الموجب على نفسه الحد والمستحق له امضاء الحكم فى بدنه وماله والامكان من نفسه وان لا يعاز بقوة ولا يروغ بحيلة ولا يسخط حكم التنزيل فيما نزل به وفيما هو سبيله من مال أو غيره وانما يجب ذلك اذا كان على الفريقين من القيم والجانى يمكنه ما كلفه الله من ذلك فان أبى القيم اقامة الحق والحد على الجانى بعد استتابة والامكان من نفسه لاقامة الحد عليه فقد عصى الله تعالى ولم يفت فى ذلك الأمر نفسه لان الله تعالى قد بينه له وأوجب عليه وقرره حين أوضح له الحجة وقرب الدلالة وطوقه المعرفة ومكنه من الفعل وقد بسطنا العذر لذوى العجز فى صدر الكلام وان أبى الجانى المستحق للحكم والحد الامكان من نفسه وماله وما هو بسبيله فقد عصى الله تعالى فى ذلك كما عصاه فى ركوبه

عمده وقوله ليلة لاماء ولاشجر يريد القفر ووقت الصعوبة وقوله لاتنكر البازل الكوماء ضربته بالمشرفي يقول قد عودّ الابل ان ينحرها ومن شأنهم ان يعرقبوها قبل النحر والمشرفي السيف وهو منسوب الى المشارف وقوله اجلوذا منه وأنشدني الزيادي لرجل من أهل الحجاز أحسبه ابن أبي ربيعة

الا حبذا حبذا حبذا * حبيب تحملت منه الاذى

وياحبذا بردأنيابه * اذا أظلم الليل واجلوذا

وقوله حتى تقطع في أعناقها الجرر يقول حتى اعتادت أن ينحرها فهن تفزع منه حتى تقطع جرتها ومثل هذا قول الخنوت

سأبكي خليلي عنترا بعد هجعة * وسنبي مرادا ساقتيل قنان

قتيلان لاتبكي اللقاح عليهما * اذا شبعت من قرمل وأقان

يقول كانا ينحران الابل فهي لاتجزع لفقدهما وقرمل وأقان ضربان من النبت وشبههما جذا قوله حيث يقول

فلو كان سنبي باليمن تباشرت * ضباب الملا من جمعهم بقتيل

يقول هؤلاء قوم كانوا يحترشون الضباب فكلما قتل منهم واحد سرت بذلك الضباب واستبشرت وقوله لايتأرى لما في القدر رقبه يقول لايحبس له ومن ذا سمى الآرى لانه محبس الدابة وقوله ولا تراه أمام القوم يقتفر يقول لايسبقهم الى شئ من الزاد وقوله ولا يعض على شرسوفه الصفر الشراسيف أطراف الضلوع والصفر ههنا حية البطن وله مواضع وقوله مهفهف يعني ضامرا وأهضم الكشحين توكيد له وقوله اما يصبك عدو في مباءة يقول في وتر يقال باءة فلان بكذا كما قال مهلهل بؤ بشسع كليب أي هو ثأر بالشسع والطخية والطخياء والطخيئة ثلاث لغات شدة الظلمة وكان الذي أصابه هند بن أسماء الحارثي فيه يقول

أصبت في حرم منا أخا ثقة * هند بن أسماء لايجنيك الظفر

يقال هنأه ذلك وهنأله كما تقول هنيأ لك قال الاخطل

الى امام تغادينا فواضله * أظفره الله فليهنئك الظفر

وقوله وليس فيه اذا عاسرته عسر مدح شريف مثل قولهم اذا عز أخوك فهن وانما هذا فيمن لايخاف استذلاله بأن يخرج صاحبه عند مساهلته الى باب الذل فأما من كان كذلك فعاسرته

ما أوجب عليه الحدود يؤتى من ربه لما ذكرنا من ايضاح الحجة واثبات القدرة

﴿فصل منه﴾ وقد علمنا أن من شأن الناس الهرب اذا خافوا نزول المكروه والامتناع من امضاء الحدود بعد وجوبها عليهم ما وجدوا السبيل الى ذلك وهذا سبب اسقاط الاحكام والتفاسد وقد أمرنا ان نترك أسباب الفساد ما استطعنا وبالنظر للرعية ما أمكننا فوجب علينا عند الذي قلنا انا لو لم نقم اماما واحدا كان الناس على ما وصفنا من التسرع الى الشئ اذا طمعوا والهرب اذا خافوا وهذا أمر قد جربت به عامة المعرفة وفتحت عندنا فيه التجربة قلنا عند ذلك ان الامامة لاتجب على الناس من طريق الظنون واشفاق النفوس وقد رأينا أعظم منها خطرا وقدرا ونفعا في كل جهة على خلاف ذلك وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى أمة وقد علم أنهم يزدادون من كفرهم من قبل ذلك الرسول كفرا بجحدهم له واخراجهم اياه وقصدهم قبله ثم لا يكون

أحمد ومدافعته أمدح كما قال جرير

بشر أبو مروان عاسرته * عسر وعند يساره ميسور

قال أبو العباس ومن أشعار العرب المشهورة المختارة في المراثي قصيدة مقيم بن نويرة في أخيه مالك وسنذكر منها أبياتا نختارها من ذلك قوله

أقول وقد طار السقاء في ربابه * وغيث يسح الماء حتى تربعا

سقى الله أرضا حثها قبر مالك * ذهاب الغوادي المدجنات فأمرعا

وما تر سيل الوادين بديمة * ترشح وسميا من النبت خروعا

تحيتنه مني وان كان نائيا * وأضحى ترابا فوقه الارض بلقعا

فما وجد أظآر ثلاث روائم * رأين مجرا من حوار ومصرعا

يذكرن ذا البيت الحزين ببثه * اذا حنت الاولى سجعن لها معا

بأوجع مني يوم فارقت مالكا * ونادى به الناعي الرفيع فأسمعا

وفيها وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كاني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا * أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

فان تكن الايام فرقن بيننا * فقد بان محمودا أخي يوم ودعا

تقول ابنة العمري مالك بعدما * أراك حديثا ناعم البال أفرعا

فقلت لها طول الاسى اذ سألتني * ولوعة حزن تترك الوجه أسفعا

وفقد بني أم تفانوا فلم أكن * خلافهم أن أستكين وأضرعا

ولست اذا ما الدهر أحدث نكبة * ورزأ بزوار القرائب أخضعا

ولا فرح ان كنت يوما بغبطة * ولا جزع ان ناب دهر فأوجعا

ولكنني أمضي على ذاك مقدما * اذا بعض من لاقى الخطوب تكعكعا

فعمرك ألا تسمعيني ملامة * ولا تنكئي قرح الفؤاد فيجمعا

وقبرك اني قد شهدت فلم أجد * بكفي عنه للمنية مدفعا

ذلك ما نعاله من الارسال اليهم والاحتجاج به عليهم لكان عليهم انهم يزدادون فسادا وبغيا اذ كان قدم لهم ما به ينالون مصالح دينهم ودنياهم وانما على الحكيم أن يأتي الأمر الحكيم عرف ذلك عارف أم جهله جاهل وعلى الجواد ذي الرحمة في جوده ورحمته أن يفعل ما هو أفضل في الجود وأبلغ في الاحسان وألطف في الانعام من ايضاح الحجة وتسهيل الطرق والابلاغ في الموعظة مع ضمان الوعد بالغاية من الثواب والدوام واللذة والتوعد بغاية العقاب في الاوام والمكروه الى عباده الذين كانفهم طاعته وأهل المخافة الى عائدته ونظره واحسانه فان قبل ذلك قابل فقد أصاب حظه وان أبى ذلك فلنفسه ظلم وقد صنع الله به ما هو أصلح وان لم يستصلح العبد نفسه قالوا فاذا كان الله تبارك وتعالى عالما بان القوم يزدادون فسادا عند ارسال الرسل وكان غير صارف لهم عن الارسال اليهم اذ كان قد عدل خلقهم ومكنهم من مصلحتهم فما بال الظن والحسبان بان الناس يتفاسدون ويتنازعون اذا لم يبعثوا اماما واحدا

فلو أن ما ألقى أصاب متالعا * أو الركن من سلمى اذا التضعضعا

وفي هذه القصيدة لقد كفن المنهال تحت ردائه * فتى غير مبطان العشيات أروعا

ولا برم تهدى النساء لعرسه * اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

لبيبا اذا عان اللبيب منه ساحة * خصيبا اذا ما رائد الجدب أوضعا

تراه كنصل السيف يهتز للندى * اذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

اذا ابتدر القوم القداح وأوقدت * لهم نار أيسار كفى من تضجعا

بمثنى الايادى ثم لم تلف مالكا * على القرن يخمى اللحم أن يتمزعا

قوله وقد طار السنا في ربابه السنا الضوء وهو مقصور قال الله جل وعز يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار والسناء من الحسب ممدود والرباب سحاب دون السحاب كالمتعلق بما فوقه قال المازني

كأن الرباب دون السحاب * نعام تعلق بالأرجل

وقوله يسح معناه يصب فاذا قلت يسحو أو ينضى فمعناه يقشر ومن ذا سميت سحاءة القرطاس وسحايته ومنه قيل للحديدة التي يقشر بها وجه الارض مسحاة قال عنترة

سحا وساحية فكل قرارة * يجرى عليها الماء لم يتصرم

وقوله تريع أي كثر حتى جاء وذهب يقال راع يريع اذا رجع ومنه سمى ريع الطعام لانه يرجع بفضل قال مزرد

خلطت بصاعي عجوة صاع حنطة * الى صاع سمن فوقه يتريع

والذهاب الامطار اللينة والمدجنات من السحاب السود وهو مأخوذ من الدجن والدجنة ومعناه الباس الغيم وظلمته قال طرفة

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الطراف الممدد

ويقال أمرع الوادى اذا أخصب من ذلك قول مولانا ابن الاجيد عن قوفى بن دلهم قال أبو العباس حدثني به ابن المهدي أحمد بن محمد الغوري يحدث به عن الأصمعي عن أبيه عن مولانا ابن الاجيد عن أوفى قال في النساء أربع فمنهن الصدع تفرق ولا تجمع ومنهن من لها شينها أجمع ومنهن غيث وقع في بلد فأمرع ومنهن التيع ترى ولا تسمع قال فذكرت ذلك لرجل فقال ومنهن القرثع قلت وما هي قال التي تكحل عينا وتدع الاخرى وتلبس ثوبا مقلوبا (قال الاخفش حدثني بذلك

وجب فرضا لم ينطق به كتاب ولم يؤكده خبر وقد رأينا العلم بان الناس يتفاسدون ولا يرد به فرض (فصل منه) وقالوا قد رأينا أهل الصلاح والقدر عند انتشار أمر السلطان وغلبة السفلة والدعار ويصبح العوام يقوم منهم العدد اليسير في الناحية والقبيلة والدرب والمحلة فيقيم لهم حدا لمستطيل ويقمع شذوذ الدعار حتى يسرح الضعيف ويأمن الخائف وينتشر التاجر ويكبر جانبهم الداعر وانما صلاح الناس بقدر تعاونهم وتخاذلهم مع أن الناس لو تركهم المتسلطون عليهم وألجئوا الى أنفسهم حتى يتحقق عندهم أن لا كافي الا بطشهم وحيلهم وحتى تكون الحاجة الى الذب والحراسة والعلم بالمكيدة هي التي تحملهم على منع أنفسهم لذهبت عادة الكفاية وضعف الاتكال ولتعودوا اليقظة ولدربوا بالحراسة واستمرأوا دفين الرأى لان الحاجة تفتق الحيلة وتبعث على الروية وكان بالحري أن يصلح أمر الجميع لان طمع الراعي اذا عاد يأسا صرفه في البغي

أبو العيناء عن الاصمعي وذكر نحو ذلك) وقوله وآثر سيل الوادي بين بديمة زعم الأصمعي وغيره من أهل العلم أن الديمة المطر الدائم أياما بارقي وقوله ترشح وسميا أي تهيئه لذلك يقال فلان يرشح للخلافة والوشيم أول مطر يسم الارض والولي كل مطرة بعد مطرة فالثانية ولي للاخرى لانها تليها والخروع كل عود ضعيف وقوله فما وجدا ظآر ثلاث رواعم أظآر جمع ظئر وهي الناقة تعطف على الحوار فتألفه ورواعم واحدتها راعوم ومعنى ترأمه تشمه والحوار ولد الناقة ويقال لمحيث يسقط من أمه سليل قبل أن تقع عليه الأسماء فان كان ذكرا فهو سقب وان كانت أنثى فهي حائل وهو في ذلك كله حوار سنة وقوله ندماني جذيمة يعني جذيمة الأبرش الازدي وكان ملكا وهو الذي قتلته الزباء وهو أول من توقد بالشمع ونصب المجانيق للحرب وله قصص تطول وقد شرحنا ذلك في كتاب الاختيارين بما يقال لهما مالك وعقيل في ذلك يقول أبو خراش الهذلي

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا * خليلا صفاء مالك وعقيل

والمثل يضرب بهما طول ما نادما كما يضرب باجتماع الفرقدين قال عمرو بن معدي كرب

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

قال هذا من قبل أن يسلم وقال اسمعيل بن القاسم

ولم أر مايدوم له اجتماع * سيفترق اجتماع الفرقدين

وقوله أراك حدثنا أبو عبيد البال أفرعا الأفرع التام شعر الرأس وقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه الفرعان خير أم الصلعان فقال بل الفرعان وكان أبو بكر أفرع وكان عمر أصلع فوقع في نفسه أنه يعني عنه وعن أبي بكر والأسفع الأسود يقال سفعته النار أي غيرت وجهه الى السواد وقوله فعمرك يقسم عليها ويقال عمرك الله أي أذكرك الله قال

عمرتك الله الا ماذكرت لنا * هل كنت جارتنا أيام ذي سلم

وقوله غير مبطان العشيات يقول كان لا يأكل في آخر نهاره انتظارا للضيف ويروى ان عمر بن الخطاب سأله فقال أكذبت في شيء مما قلته في أخيك فقال نعم في قولي غير مبطان وكان ذا بطن ويقال في غير هذا الحديث ان من سيما الرئيس السيد أن يكون عظيم البطن ضخم الرأس فيه طرش وقال رجل لفتى والله ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بأرسح فتكون فارسا وقال

وكان ذلك منبها النائم ومشحذا لليقظان وضراوة للوائل ومزجرة للبغاة حتى تنبت عليه الصغيرة وينفحل معه الكبير

(فصل منه) وزعم قوم أن الامامة لا تجب الا بأحد وجوه ثلاثة اما عقل يدل على شيء أو خبر لا يكذب مثله أو انه لا يحتمل شيأ من التأويل الا وجها واحدا فقالوا فوجدنا الأخبار مختلفة والمختلف متدافع وليس في المتدافع والمتكافئ بيان ولا فضل فمن ذلك قول الانصار وهم شطر الناس أو أكثرهم مع امامتهم على دين الله تعالى وعلمهم بالكتاب والسنة حيث قالوا عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم منا أمير ومنكم أمير فلو كان قد سبق من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أمر ما كان أحد أعلم به منهم ولا أخلق للاقرار والعمل بما يلزم الصبر عليه منهم بعد الذي ظهر من احتمالهم في جنب الله تعالى والجهاد في سبيله والنصرة لنبيه صلى الله عليه وسلم مع الايواء والايثار بعد المواساة ومحاربة القريب والبعيد والعرب قاطبة وقريش خاصة ثم الذي

رجل لرجل والله ما فُتِقَتْ فَتْقَ السادة ولا مُطِلَتْ مَطْلَ الفرسان والارع ذو الروعة والهيئة والبَرِمُ الذى لا ينزل مع الناس ولا يأخذ فى المَيْسِر ولا يَنْزِعُ الا نكدا قال النابغة

هلا سألتِ بنى ذُبْيانَ ما حَسَبى * اذا الدُخانُ تَغَشَّى الأشمطَ البَرِما

وقوله اذا القشع وهو الجلد اليابس ويقال لكناسة الحَمَّام القِشْعُ قال أبو هريرة وكُذِبْتُ حتى رُميتُ بالقِشْعِ ۞ وحدثنى العباس بن الفَرَج الرياشى عن محمد بن عبد الله الانصارى القاضى فى اسناد ذكره قال صلى مُقَدَّمٌ مع أبى بكر الصديق الفجر فى عقب قتل أخيه وكان أخوه خرج مع خالد مَرْجِعَهُ من اليمامة يظهر الاسلام فظن به خالد غير ذلك فأمر ضرار بن الأزور الأسدى فقتله وكان مالك من أرداف الملوك ومن متقدمى فرسان بنى يَرْبوع قال فلما صلى أبو بكر قام مقدم يحذائه واتكأ على سيفه فوسنه ثم قال

نعم القتيلُ اذا الرياحُ تناوحَتْ * خَلْفَ البيوت قتلتَ يا ابن الأزور

ولنعم حَشْوُ الدرع كنتَ وحامِرًا * ولنعم مأوى الطارق المُتَنَوِّر

أدعوه بالله ثم غَدَرْتَهُ * لوهُودعالَ بذمةٍ لم يَغْدِرِ

وأومأ الى أبى بكر فقال والله ما دعوته ولا غررته ثم أتم شعره فقال

لا يُمْسِكُ الفحشاءَ تحت ثيابه * خُلُوٌ تمائلُهُ عفيفُ المِئْزَرِ

ثم بكى ولنحط على سيفه فوسنه وكان أعور دميما فما زال يبكى حتى دمعت عينه العوراء فقام اليه عمر بن الخطاب فقال لَوَدِدْتُ أنى رَثَيْتُ أخى زيدا بمثل ما رثيت به مالكا أخاك فقال له يا أبا حفص والله لو علمت أن أخى صار بحيث صار أخوك ما رَثَيْتُهُ فقال عمر ما عَزَّانى أحد بمثل تعزيتك وكان زيد بن الخطاب قتل شهيدا يوم اليمامة وكان عمر يقول انى لأَهَشُّ للصبا لانها تأتينا من ناحية زيد ويروى عن عمر أنه قال لو كنتُ أقول الشعر كما تقول لرثيتُ أخى كما رثيتَ أخاك ويروى أن متمما رثى زيدا فلم يُجِدْ فقال له عمر لم ترث زيدا كما رثيت أخاك مالكا فقال لانه والله يحركنى لمالك ما يحركنى لزيد ومن طريف شعره

لَعَمْرى وما دهرى بتأبين هالك * ولا جَزَعٍ والموتُ يذهب بالفتى

لئن مالك خَلَّى على مكانه * لنى أسوة ان كنت باغية الأسا

نطق القرآن به من تزكيتهم وتفضيلهم بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولقيه بهم وثنائه عليهم وهو يقول أما والله ما علمتكم الا لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع فى أمور كثيرة ثم لم يكن قولهم منا أمير ومنكم أمير من سفيه من سفهائهم ضرى اليه أمثالهم فان لكل قوم حمقة وجهالا وأحداثا وسرعانا من حدث تبعثه الغوارة ولا شذ رجل بحب الجاه والفتنة أو مغفل مجدوع أو غرذو حمية يؤثر حسبه ونسبه على دين الله تعالى وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ولا كان ذاك القول اذ كان من عليتهم فى الواحد الشاذ القليل بل كان فى ذوى أحلامهم والقدم منهم ثم كان المرشح والمأمول عندهم سعد بن عبادة سيدا مطاعا ذا سابقة وفضل وحلم ونجدة وجاه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعانته به فى الحوادث والمهم من أمره ثم كان فى الدهم من الانصار والوجوه والجمهور من الأوس والخزرج فكيف يكون سبق من النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا أمر يقطع عددا ويوجب

كهولٌ ومُرْدٌ من بني عم مالك * وأيفاعُ صدقٍ قد تعلّيتهم رضا

سقوا بالعقار الصرف حتى تتابعوا * كدأب ثمود اذ غاسقهم صحى

اذا القوم قالوا من فتى للمَلمّة * فما كلهم يدعى ولكنه الفتى

ومثل هذا الشعر قول النهشلي

لو كان في الالف منا واحد فدعوا * من فارس خالهم أيّاه يعنونا

وأول هذا المعنى لطرفة

لما القوم قالوا من فتى خلت أنني * عنيت فلم أكسل ولم أتبلّد

وقال متمم أيضا في كلمة له يرثي بها مالكا

جميل المحيّا ضاحك عند ضيفه * أغرّ جميع الرأي مشترك الرحل

وقورا اذا القوم الكرام تقاولوا * خفلت حباهم واستطيروا من الجهل

وكنت الى نفسي أشدّ حلاوةً * من الماء بالماذيّ من عسل النحل

وكلّ فتى في الناس بعد ابن أمه * كساقطة احدى يديه من الخبل

وبعض الرجال نخلة لا جنى لها * ولا ظلّ الا أن تعدّ من النخل

وقال له عمر بن الخطاب انك لجزلٌ فأين كان أخوك متمم فقال كان والله أخى في الليلة المظلمة ذات الآزير والصُّرّاد يركب الجمل الثفال ويجنب الفرس الجرور وفي يده الرمح الثقيل وعليه الشملة الغلاوت وهو بين المزادتين حتى يُصبح فيُصبح أهله متيسما الجمل الثفال البطيء الذي لا يكاد ينبعث والفرس الجرور الذي لا يكاد ينقاد مع من يجنبه انما يجر الحبل والشملة الغلاوت التي لا تكاد تثبت على لابسها وذكر لنا أن مالكا كان من أردف الملوك وفي تصداق ذلك يقول جرير

يفخر ببني يربوع * منهم عتيبة والمحل وقعنب والحنتفان ومنهم الردفان

فأحد الردفين مالك بن نويرة اليربوعي والردف الآخر من بني رياح بن يربوع والردافة موضعان أحدهما ان يردفه الملك على دابته في صيد أو ترف أو ما أشبه ذلك من مواضع الانس والوجه الآخر أنبل وهو أن يخلف الملك اذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس لما احتضر ابراهيم النخعي رحمه الله جزع جزعا شديدا فقيل له في ذلك فقال وأي خطر

رضا وهؤلاء الأمناء على الدين والقوام قد قاموا هذا المقام وقالوا هذا المقال قالوا فان قال قائل فان القوم كانوا على طبقات من ذاكر متعمد وناس قد كان سقط عن ذكره وحفظه ومن رجل كان غائبا عن ذلك القول والتأكيد الذي كان من النبي صلى الله عليه وسلم وآله في اقامة الامام يقدم في أيام وفاته ومن رجل قدم في الاسلام لم يكن من جمال العلم فاذكرهم أبو بكر وعمر فذكروا ووعظاهم فاتعظوا فقد كان فيهم الناشئ الفاضل الذي يزجره الذكر ويرتدع اذا بصر والمعتمد الذي لم يبلغ من لجاجه وتتابعه وركوب ردعه ما يؤثر معه التصميم على حسن المرجوع عند الموعظة الحسنة والتخويف بفساد العاجل في كثير ممن لم يكن له في الاسلام القدر النبيه اما للغفلة واما للابطاء عنه واما للمحمول في قومه مع اسلامه وصحة عقده فداواهم أبو بكر وعمر يوم السقيفة حين قالوا نحن الائمة وأنتم الوزراء وحيث رووا لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الائمة من قريش فلما استرجعوا رجعوا

أعظم من هذا انما أوقع رسولا يردعلى من ربى اما بالجنة واما بالنار ولما احتضر بن سيرين جعل يقول نفسى والله أعز الانفس على ولما احتضر جُعْرُبن عدى ليُقتل سأل أن يُمهل حتى يصلى ركعتين وظهر منه جزع شديد فقال له قائل أتجزع فقال وكيف لا أجزع سيف مشهور وكفن منشور وقبر محفور ولست أدرى أيؤدينى الى جنة أم الى نار (قال أبو الحسن ما بقوم بقتل حجر ابن عدى شئ وانى لاعجب من قوله هذا ولست أدرى أيدنينى الى جنة أو الى نار وهو شهيد الشهداء رحمه الله) وقد ذكرنا موت عمرو بن العاصى وكلامه عند الموت ﴿ وممن ظهرت منه عند الموت قسوة حَلْحَلَةُ الفزارىُّ وسعيد بن أبان بن عُيَيْنَةَ بن حِصْن الفزارىُّ فان عبد الملك لما أحضرهما اليقيد منهما قال لحلحلة صبرا حَلْحَلُ فقال اى والله

أصبر من ذى ضاغط عركك * ألتى بوانى زوره للبرك

ثم قال لابن الاسود الكلبى أجد الضربة فانى والله ضربت أباك ضربة أسلخته فعددت النجوم فى سلخه ثم قال عبد الملك لسعيد بن أبان صبرا سعيدا فقال اى والله

أصبر من عود يجنيه الجلب * قد أثر البطان فيه والحقب

ومنهم وكيع بن أبى سود أحد بنى غُدانة بن يربوع فانه لما يئس منه خرج الطبيب من عنده فقال له محمد ابنه ما تقول قال لا يُصلى الظهر وكان محمد نائما فدخل الى أبيه فقال له أبوه وكيع ما قال لك المعلوج قال وعد أنك تبرأ قال أسألك بحقى عليك قال ذكر أنك لا تصلى الظهر فقال ويلى على ابن الخبيثة والله لو كانت فى شدقى للكمتها الى العصر ويروى أن ابراهيم النخعى قال فى الحديث الذى ذكرنا والله لوددت أنها تلجلج فى حلقى الى يوم القيامة وفى وكيع بن أبى سود يقول الفرزدق

لقد رزئت بأسا وحزما وسؤددا * تميم بن مر يوم مات وكيع

وما كان وقافا وكيع اذا دنت * مصائب موت ربلهن نجيع

اذا التقت الابطال أبصرت لونه * مضيا وأعناق الكماة خضوع

فصبرا تميما انما الموت منهل * يصير اليه صابر وجزوع

وقال أيضا لتبك وكيعا خيل ليل مغيرة * تساقى المنايا بالرديئة السمر

لقوا منتهم فاستهزموهم بدعوة * دعوها وكيعا والجياد بهم تجرى

ومن

قلنا الدليل على أن القوم لم يروا فى كلام أبى بكر وعمر حجة عليهم وان انصرافهم عما اجتمعوا له لم يكن لانهم رأوا أن ذلك القول من أبى بكر وعمر وأبى عبيدة بن الجراح حجة غضب رئيسهم وخروجه من بين أظهرهم مراغما فى رجال من رهطه مع تركه بيعة أبى بكر رضوان الله عليه وتشيعه عليهم بالشام وقد قال قيس بن سعد بن عبادة وهو يذكر خذلان الانصار لسعد بن عبادة واستبداد الرهط من قريش عليهم بالامر وخبرتمونا انما الامر فيكم خلاف رسول الله يوم التشاجر

وان وزارات الخلافة دونكم
كما جاءكم ذو العرش دون العشائر

فهلا وزيرا واحدا تجتبونه بغير وداد منكم واواصر
سقى الله سعدا يوم ذاك ولاسقى
عواجله هابت صدور النوابر

وقال رجل من الانصار ردعاه على رضوان الله عليه الى عونه ونصرته اما يوم الجمل أو يوم صفين مالى أقاتل عن قوم اذا قدروا

ومن الجفاة عند الموت هُدبة بن خشرم العُذري وكان قتل زيادة بن زيد العُذري فلما حُمل الى معاوية تقدم معه عبد الرحمن أخو زيادة بن زيد فادّعى عليه فقال له معاوية ما تقول قال أتحبُّ أن يكون الجواب شعرًا أم نثرا قال بل شعرا فانه أمتع فقال هدبة

فلما رأيتُ أنّها هي ضربةٌ * من السيف أو اغضاءُ عينٍ على وتر
تحمّدتُ لأمرٍ لا يعيّرُ والدي * خزايتُه ولا يُسبُّ به قبري
رُميْنا فرامينا فأخطأ سهمُنا * مَنيّةَ نفسٍ في كتاب وفي قدر
وأنتَ أميرُ المؤمنين فقالنا * وراءَكَ من مَعْدَى ولا عندَكَ من قَصْر
فان تَدْنُ في أمر الفعالا نَضِقْ بها * ذراعًا وان صَبْرٌ فنصبرُ للصبر

فقال له معاوية أراك قد قورت باهدبة قال هو ذاك فقال عبد الرحمن أقِدْني فذكره ذلك معاوية وضنّ بهدبة عن القتل وكان ابن زيادة صغيرا فقال له معاوية أوما عليك ان تشفي صدرك وتحرم غيرك ثم وجّه به الى المدينة فقال يُحبَس الى أن يبلغ ابن زيادة فبلغ وكان والي المدينة سعيد ابن العاصي فما وقف عليه من قصته قوله

ولما دخلتُ السجنَ يا أمَّ مالكٍ * ذكرتُكِ والاطرافُ في حَلَقِ سُمْرِ
وعند سعيدٍ غيرَ أنّي لم أبُحْ به * ذكرتُكِ ان الامرَ يُذكَرُ بالامرِ

فسُئل عن هذا القول فقال لما رأيت ثغر سعيد وكان سعيد حسن الثغر جدًّا ذكرتُ به ثغرها ويقال انه عُرض على ابن زيادة عشرُ ديات فأبى الا القَوَد وكان ممن عَرَضَ الديات عليه ممن ذُكر لنا الحسينُ بن علي وعبدُ الله بن جعفر عليهما السلام وسعيدُ بن العاصي ومَرْوان بن الحَكَم وسائرُ القوم من قريش والانصار فلما خُرج به ليُقاد بالحَرّة جعل يُنشد الأشعار فقالت له حُبّى المدينيّة ما رأيتُ أقسى قلبا منك أتُنشد الأشعار وأنت تُمضَى بك لتُقتَل وهذه خلائقُ كأنها اظبيُ عَطشانُ تُولوِلُ تعني امرأته فوقف ووقف الناسُ معه فأقبل على حُبّى فقال

ما وَجدتُ وَجْدي بها أمُّ واحدٍ * ولا وَجدَ حُبّى بابنِ أمِّ كلاب
وانه طويلُ الساعدَين شَمَرْدَلٌ * كأنّ نَعامَتْ من قوةٍ وشَباب

فأغلقت حُبّى البابَ في وجهه وسبّته وعَرَضَ له عبدُ الرحمن بن حسّان فقال أنشدني فقال له أعلى

عدنا عدوا وكنا قبل أنصارا
ويل لها أمة لو أن قائدها * يتلو الكتاب ويخشى النار والعارا
أما قريش فلم نسمع بمثلهم * غدرا وأعجب في الاسلام آثارا
الا تكن عصبة حالوا بينهم * بالعرف عرفا وبالانكاد انكارا
أبا عمارة والشاوي ببلقعة * في يوم مؤتة لا ينفكّ طيارا
أبا عمارة حمزة بن عبد * المطلب رضوان الله عليه وقد كان يكنى أبا يعلى والشاوي في يوم مؤته جعفر ابن أبي طالب وقال رجل من الانصار من ولد أبي زيد القاري وذكر أمر الانصار وأمر قريش دعاها الى استبدادها وحقودها تذكرقتلى في القليب تكلموا * هنالك قتلى لا تؤدى دياتهم
وليس لها كيما اسوى الصبر مذهب
فان تغضب الابناء من قبل من مضى * فوالله ماجئنا فيها فتعتبوا

﴿فصل منه﴾ قد حكينا قول من خالف في وجوب الامامة وتعظيم الخلافة وفسرنا وجوه اختلافهم واستقصينا جميع حججهم

هذه الحال قال نعم فأنشده

ولستُ بمفراحٍ اذا الدهرُ سرَّنى * ولا جازعٍ من صَرْفِهِ المُتَقَلِّبِ

ولا أتبغّى الشرَّ والشرُّ تاركى * ولكن متى أحمل على الشر أركب

وحرَّبنى مولاى حتى غشيتُهُ * متى ما يحرِّبْنى ابنُ عمِّى تحرَّبِ

فلما قُدِّم نظر الى امرأته فدخلته غيرةٌ وقد كان جُدِع فى حروبهم فقال

فان يكُ أنفى بانَ منه جمالُهُ * فما حَسَبى فى الصالحين بأجدعا

فلا تنكحى ان فرَّق الدهرُ بيننا * أعمَّ القفا والوجه ليس بأقرعا

فقالت قفوا عنه ساعة ثم مضت ورجعت وقد اصطلحت أنفها فقالت أهذا فعلُ مَن له فى الرجال حاجة فقال الآن طاب الموتُ ثم أقبل على أبويه فقال

أبليان اليوم صبرا منكما * ان حُزْنا منكما اليوم لَشَر

ما أظنُّ الموت الا هيِّنا * انَّ بعد الموت دارا للمُستقَرّ

ثم قال أذا العرش انى عائذ بك مؤمنٌ * مُقِرٌّ بلاّ فى اليك فقيرُ

وانى وان قالوا أميرٌ مُسلَّطٌ * وحُجَّابُ أبواب لهنَّ صريرُ

لأعلم أنَّ الأمر أمرُك ان تدن * فربٌّ وان تغفر فأنت غفورُ

ثم قال لابن زيادة أثبت قدميك وأجد الضربة فانى أيفعتك صغيرا وأرملتُ أمَّك شابة ويزعم بعض أصحاب الأخبار انه قال ما أجزع من الموت وآيةُ ذلك انى أضرب برجلى اليسرى بعد القتل ثلاثا وهو باطل موضوع ولكن سأل فقيل فقال حيث يقول

فان تقتلونى فى الحديد فانى * قتلتُ أخاكم مطلقا لم يُقيَّدِ

قال أبو العباس ووقف حبّار بن سلمى على قبر عامر بن الطفيل ولم يكن حضره فقال أنعم صباحا أبا على فوالله لقد كنت سريعا الى المولى بوعدك بطيأ عنه بابعادك ولقد كنت أهدى من النجم وأجرى من السيل ثم التفت اليهم فقال كان ينبغى ان تجعلوا قبر أبى على سيلانى ميل وذكر الحرمازى ان الأحنف بن قيس لما مات وكان موته بالكوفة مشى المُصعَب بن الزبير فى جنازته بغير رداء وقال اليوم مات سيدُ العرب فلما دُفن قامت امرأة على قبره أحسبها من بنى منقر فقالت لله درُّك من

اذ كان على عذر لمن غاب عنه خصمه وقد تكفل بالاخبار عنه فى تركه الحيطة له والقيام بحجته كما أنه لا عذر له فى التقصير عن افساد ما يخالفه وكشف خطأ من يضاده عند من قرأ كتابه وتفهم حجته لان أقل ما يزيل بعذره ويزيح علته أن يكون قول خصمه قد استهدف لعقله وأضجر لسانه وقد مكنه من نفسه وسلطه على اظهار عورته فاذا استراح من شغب المنازع ومداراة المسمع لم يبق الا أن يقوى على خلافه او يعجز عنه ومن شكر المعرفة بعايب الناس ومراشدهم ومضارهم ومنافعهم أن يحتمل ثقل مؤنتهم وتعريفهم وان يتوخى ارشادهم وان جهلوا فضل من يسدى اليهم ولان يصان العلم بمثل بذله ولان تستبقى النعمة فيه بمثل نشره واعلم أن قراءة الكتب أبلغ فى ارشادهم من تلاقيهم اذا كان مع التلاقى يقوى التصنع ويكثر التظالم وتفرط البصرة وتنبعث الحمية وعند المزاحمة تشتد الغلبة وشهوة المباهاة والاستيلاء من الرجوع والأنفة من الخضوع وعن جميع

مُحِنٍّ فى جَنٍّ ومُدْرَجٍ فى كفن فنسأل الذى فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك ان يجعل سبيل الخير سبيلك ويُوَلِّيَ الخير دليلك وأن يُوَسِّعَ لك فى قبرك ويغفرلك يوم حشرك فوالله لقد كنت فى المحافل شريفا وعلى الأراملِ عطوفا ولقد كنت فى الحى مُسَوَّدا والى الخليفة مُوَفَّدا ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين قال فقال الناس ماسمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها ووقف رجل على قبر النجاشى فترحم وقال لولا أن القول لا يحيط بما فيك والوصف يقصر دونك لأطنبت بل لأسهبت ثم عقر ناقته على قبره وقال

عقرتُ على قبر النجاشى ناقتى * ببيض عضب أحلصته صياقله

على قبر من لو أننى مُتُّ قبله * لهانت عليه عند قبرى رواحله

وروى ابن دأب أن حسان بن ثابت الانصارى اجتاز بقبر ربيعة بن مُكَدَّم فأنشد

لا يبعدَنْ ربيعةُ بنُ مُكَدَّمٍ * وسقى الغوادى قبره بذنوب

نفرت قلوصى من حجارة حرة * نصبت على طُلْحِ اليدين وهوب

لا تنفرى يا ناقَ منه فانه * شر يبُ خمر مسعر الحروب

لولا السفار وطول قفر مهمه * لتركتها تحبو على العرقوب

نعم الفتى أدّى نُبَيْشةُ رحلَه * يوم الكديد نُبَيْشةُ بن حبيب

وربيعة بن مُكَدَّم رجل من بنى كنانة وكان قتله أهبان بن غادية الخزاعى وقيس تقول قتله نُبَيْشةُ ابن حبيب السُّلَمِىُّ وكان أهبان أخا نبيشة لامه وكان أتاه زائرا وأغار ربيعةُ بن مكدم على بنى سليم فخرج أهبان مع أخيه فحمل عليه فقتله وحمل أخو ربيعة على أهبان ففاته فلانَه فى بنى سُلَيْم قال حسان * نفرت قلوصى من حجارة حرة * لان الحرة هناك لبنى سليم وفى قصداق ما ادّعيه خزاعةُ يقول أهبان

ولقد طعنتُ ربيعةَ بن مُكَدَّم * يوم الكديد فخرّ غير موسّد

فى عارض شرِق بنانُ فؤاده * منه بأحمر كالنقيع المجسّد

ولقد وهبتُ سلاحَه وجوادَه * لاخى نُبَيْشةَ قبل لوم الحُسَّد

وقال أخو ربيعة يجيبه فان ابنُ غادية المنيةَ بعدما * رفعتْ أسفلَ ذيله بالمطرد

ويظهر التباين واذا كانت القلوب على هذه الصفة وبهذه الحالة امتنعت من المعرفة وعميت عن الدلالة وليست فى الكتب علة تمنع من درك البغية واصابة الحجة لان المتوحد بقراءتها والمتفرد بفهم معانيها الا بباهى نفسه ولا يغالب عقله ولا يعاز خصمه والكتاب قد يفضل ويرجح على واضعه بأمور منها أن الكتاب يقرأ بكل مكان أو فى كل زمان على تفاوت الاعصار وبعد ما بين الأمصار وذلك أمر يستحيل فى الواضع ولا يطمع فيه من التنازع وقد يذهب العالم ويبقى كتبه ويفنى ويبقى أثره ولولا ما رسمت لنا الأوائل فى كتبها وخلفت من عجيب حكمها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدناها لما غاب عنا وفحمنا المستغلق علينا فهمنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لقد خس حظنا فى الحكمة وانقطع سبيلنا الى المعرفة ولو ألجئنا الى قدر قوتنا ومبلغ خواطرنا ومنتهى تجاربنا بما أدركته حواسنا وشاهدته نفوسنا لقلت المعرفة وقصرت الهمة وضعفت المنة فاعتقم الرأى ومات الخاطر وتبلد العاقل واستبد بنا سوء العادة

قل لابن غادية المتاح لقتلنا * ما كان يقتلنا الوحيد المفرد

يريد أن أهبان مفرد من قومه في أخواله وقال أيضا

فان تذهب سليم بوتر قومي * فأسلم من منازلنا قريب

وقالت ليلى الاخيلية آليت أبكي بعد توبة هالكا * وأحفل من دارت عليه الدوائر

لعمرك ما بالموت عار على الفتى * اذا لم تصبه في الحياة المعايرُ

فلا يبعدن الله يا توب انما * لقاء المنايا دارعا مثل حامر

ويروى فلا يبعدن الله يا توب هالكا * أنا الحرب ان دارت عليه الدوائر

فكل جديد أو شباب الى بلى * وكل امرئ يوما الى الله صائر

وذكر المدائني أن رجلا عزى رجلا أفرط عليه الجزع على ابنه فقال يا هذا مر بت به وهو حزنة وفتنة وجزعت عليه وهو صلاة ورحمة فسري عنه ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعزوا عن مصائبكم بي وقال رجل لابن عمر أعظم الله أجرك فقال نسأل الله العافية معناه أنه لما قال له أعظم الله أجرك انما دعا بان يكثر ما يوجر عليه ودل على انه من باب المصائب تعزيته اياه

﴿ وهذا باب طريف من أشعار المحدثين ﴾

قال مطيع بن اياس الليثي يرثي يحيى بن زياد الحارثي وكان صديقه وكانا مرميين جميعا بالخروج عن الملة

يا أهل بكر القابي القرح * وللدموع الهوامل السفح

راحوا بيحيى الى مغيبة * في القبر بين التراب والصفح

راحوا بيحيى ولو تطاوعني الـ * ـقدار لم يبتكر ولم يرح

يا خير من يحسن البكاء له * اليوم ومن كان أمس للسمح

وفي يحيى يقول مطيع لنبوة كانت بينهما

كنت ويحيى كيدي واحد * نرمى جميعا وترامى معا

ان مرة الدهر فقد سرني * أو حادث ناب فقد أفظعا

أو نام نامت أعين أربع * منا وان هب فلن أهجعا

حتى اذا ما الشيب في عارضي * لاح وفي مفرقه أسرعا

وأكثر من كتبهم نفعا وأحسن مما تكلفوا موقعا كتاب الله تعالى الذي فيه الهدى والرحمة والاخبار عن كل عبرة وتعريف كل سيئة وحسنة فينبغي أن يكون سبيلنا فيمن بعدنا سبيل من قبلنا فينا مع انا قد وجدنا في العبرة أكثر مما وجدوا كما أن من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا فما ينتظر الفقيه بفقهه والمحتج لدينه والذاب عن مذهبه ومواساة الناس في معرفته وقد أمكن القول وأطرق السامع ونجا من التقية وهبت ريح العلماء

﴿ فصل منه ﴾ واعلم أن قصد العبد بنعم الله تعالى الى مخالفته غير مخرج انعام الله عليه ولا يحول احسانه اليه الى غير معناه وحقيقته ولم يكن احسان الله في اعطائه الاداة وتبيين الحجة لينقلبا افسادا واساءة لان المعان على الطاعة عصى بالمعونة وأفسد بالانعام وأساء بالاحسان وفرق بين المنعم والمنعم عليه لان المنعم عليه يجب أن يكون شكورا والحق النعمة راعيا والمنعم منفرد يحسن الانعام ويريد في جميل الشكر ولان المنعم أيضا هو الذي حبب الشكر الى فاعله بالذي قدم اليه من

سعى وشاة جبن بيننا * فكاد حبل الوصل أن يقطعا

فلم ألم يحيى على حادث * ولم نقل خان ولا ضيعا

وقال أبو عبد الرحمن العتبي يرثي علي بن سهل بن الصباح وكان له صديقا

ياخير اخوانه وأعطفهم * عليهم راضيا وغضبانا

أمسيت حزنا وصار قربك لي * بعدا وصار اللقاء هجرانا

انا لله راجعون لقد * أصبح حزني عليك ألوانا

حزن اشتياق وحزن مرزئة * اذا انقضى عاد كالذي كانا

قوله ياخير اخوانه محال وباطل وظلم أنه لا يضاف أفعل الى شيء الا وهو جزء منه وقال أيضا

دعوتك يا أخي فلم تجبني * فردت دعوتي حزنا علينا

بموتك ماتت اللذات مني * وكانت حية اذ كنت حيا

فيا أسفي عليك وطول شوقي * اليك ألوان ذاك يرد شيا

وحدثني رجل من أصحابنا قال شهدت رجلا في طريق مكة معتكفا على قبر وهو يردد شيأ ودموعه تكف من لحيته فدنوت اليه لاسمع ما يقول فجعلت العبرة تحول بينه وبين الابانة فقلت له ياهذا فرفع رأسه الي وكأنما هيج من رقدة فقال ما تشاء فقلت أعلى ابنك تبكي قال لا قلت فعلى أبيك قال لا ولا على نسيب ولا صديق ولكن على من هو أخص منهما قلت أو يكون أحد أخص ممن ذكرت قال نعم من أخبرك عنه بمن هذا المذخون كان عدوا لي من كل باب يسعى على في نفسي وفي مالي وفي ولدي فخرج الي الصيد أيأس ما كنت من عطبه وآكل ما كان من صحته فرمى ظبيا فأقصده فذهب ليأخذه فاذا هو قد أنفذه حتى نجم سهمه من صفحة الظبي فعثر فتلقى بقؤاده ظبة السهم فلقمه أولياؤه فانتزعوا السهم وهو والظبي ميتان فمضى الى خبره فأسرعت الى قبره مغتبطا بفقده فاني لضاحك السن اذ وقعت عيني على صخرة فرأيت عليها كتابا فهممت فاقرأه وأومأ الى الصخرة فاذا عليها

احسانه وتوليه من شاء ولذلك جعلوا النعمة لقاحا والشكر ولادا وانما مثل اعطاء الآلة والتكليف لفعل الخير مثل رجل تصدق على فقير ليستر عورته ويقيم من أود صلبه وليصرف في منافعه ولا يكون انفاق الفقير ذلك الشيء في الفساد والخلاف والفواحش لينقلب احسان المتصدق اساءة وانما هذا بصواب الرأي الذي لا ينقلب صوابا وان انجح صاحبه وقد يؤتى الرجل من حزمه ولا يكون مذموما ويخطىء بالاضاعة ولا يكون محمودا

(فصل منه) ولم يكن الله تعالى ليضع العدل ميزانا بين خلقه وعيارا على عباده في نظرهم وفي ظاهر ما فرض عليهم ويبسر خلافه ويستخفي بضده ويعلم أن قضاءه فيهم غير الذي فطرهم على استحسانه وتحبيب اليهم به في ظاهر دينه والذي استوجب به على الشكر على جميع خلقه

(فصل منه) وان لم يكن العبد على ما وصفنا من الاستطاعة والقدرة والحال التي هي ادعاء الى المصلحة ما كان متروكا على طباعه ودواعي شهواته دون تعديل طبعه وتسوية تركيبه

وما نحن الا مثلهم غير أننا * أقمنا قليلا بعدهم وتقدموا

قلت أشهد انك تبكي على من يبكاؤك عليه أحق من النسيب وعما استطرفنا من شعر المحدثين قول يعقوب بن الربيع في جارية طالبها سبع سنين يبذل فيها جاهه وماله وانواله حتى ملكها فأقامت عنده ستة أشهر ثم ماتت قال فيها أشعارا كثيرة اخترنا منها بعضها من ذلك قوله

لله آنسة فجعت بها * ما كان أبعدها من الدنس
أنت البشارة والنعي معا * ياقرب مأتمها من العرس
يا ملك نال الدهر فرصته * فرمى فؤادا غير مختلس
كم من دموع لا تجف ومن * نفس عليك طويلة النفس
أبكيك ما ناحت مطوقة * تحت الظلام تنوح في الغلس
يا ملك في وفيك معتبر * ومواعظ يوحشن ذا الانس
ما بعد فرقة بيننا أبدا * في لذة درك لملتمس

وأخذ ما في صدر هذا الكلام من قول القائل

رب مغروس يعاش به * فقدته كف مغترسه
وكذاك الدهر مأتمه * أقرب الاشياء من عرسه

وقريب من هذا قول امرأة شريفة تزفى زوجها ولم يكن دخل بها

أبكيك لا للنعيم والانس * بل للمعالي والرفع في القرس
أبكي على فارس فجعت به * أرملني قبل ليلة العرس
يا فارسا بالعراء مطرحا * خانته فؤاده مع الحرس
من لليتامى اذا هم سغبوا * وكل عان وكل محتبس
أم من لبر أم من لفائدة * أم من لذكر الاله في الغلس

ومما استطرفه من شعر يعقوب قوله

وذلك أسباب نحن ذاكروها وجاعلوها حجة في أظلمة الامامة وان عليها مدار المصلحة وان طبع البشر يمتنع من الاخبار الا على ما نحن ذاكروه فنقول انا لما رأينا طبائع الناس وشهواتهم من شأنها التقلب الى هلكتهم وفساد دينهم وذهاب دنياهم وان كانت العامة أسرع الى ذلك من الخاصة فكل لا تنفك طبائعهم من حملهم على ما يريدوا بالقمع الشديد في العاجل ومن القصاص من العادل ثم التنكيل في العقوبة على شر الخيانة واسقاط القدر وازلة العدالة مع الأسماء القبيحة والالقاب الهجينة ثم بالاخافة الشديدة والحبس الطويل والتغريب عن الوطن ثم الوعيد بنار الأبد مع فوق الجنة وانما وضع الله تعالى هذه الخصال لتكون لقوة العقل مادة ولتعديل الطبائع معونة لان العبد اذا فضلت قوى طبائعه وشهواته على عقله ورأيه الغى بصيرا بالرشد غير قادر عليه فاذا احتوشته المخاوف كانت مواد لزواجر عقله وأوامر رأيه فاذا لم يكن في حوادث الطبائع ودواعي الشهوات وحب العاجل فضل على زواجر العقل وأوامر الغي

ليت شعري بأي ذنب لقيتُ * كان هجري لقربها واجتنابي
أالذنب حقدتُه كان منها * أم لعلمي بشُغلها عن عتابي
أم لأني أسخطها ورضاها * حين واريتُ وجهها في التراب
ما وفى في العباد حيٌّ لميتٍ * بعد يأسٍ منه له في الاياب

وفي هذا الشعر

انما حشرتي اذا ما تذكّرْ * تُ عناني بها وطول طلابي
لم أزل في الطلاب سبع سنينٍ * أتأتّى لذاك من كل باب
فاجتمعنا على اتفاق وقدرٍ * وغنينا عن فُرقةٍ باصطحاب
أشهراً استة صحبتُك فيها * كنّ كالحلم أو كلمع السراب
وأتاني النعيُ منك مع البشـ * ـرى فيا قُربَ أوبةٍ من ذهاب

ومن ملح شعره قوله ونحيها

حتى اذا فتر اللسانُ وأصبحتْ * لاوت قد ذبلتْ ذبولَ النرجس
وتسهّلت منها محاسنُ وجهها * وعلا الانينُ تحتّه بتنفس
رجع اليقينُ مطامعي بأساكما * رجع اليقينُ مطامعَ المتلمس

ومن ملح شعره أيضا قوله

فجعتُ بحبٍّ وقد أينعتْ * وقمتُ فأعظمُ بها من مصيبه
فأصبحتُ مغتربا بعدها * وأمستْ بحلوان مُلقىً غريبه
أراني محرّبا ان أصحتْ * منازلُ أهلي مني قريبه
خلفتُ على أختها بعدها * فصادفتُها ذاتَ عقلٍ أديبه
فأقبلتُ أبكي وتبكي معي * بكاء كئيبٍ بحزنٍ كئيبه
وقلتُ لها مرحبا مرحبا * بوجه الحبيبة أختِ الحبيبه

كان العبد ممنوعا من الفعل قادرا عليه لان الغضب والحسد والبخل والجبن والغيرة وحب الشهوات والنساء والمكاثرة والعجب والخيلاء وأنواع هذه اذا قويت دواعيها لأهلها واشتدت جواذبها لصاحبها ثم يعلم أن فوقه ناقما عليه وان له منتقما لنفسه من نفسه أو مقتضيا منه لغيره كان مبتلى وذهابه مع جواذب الطبيعة وذواعي الشهوة طبعا لا يمتنع معه واجبا لا يستطيع غيره أو مارأيته كيف يخرق في ماله ويسرع فيما أثلت له رجاله وشدت له أوائله من غير أن يرى للعوض وجها وللخلف سببا في عاجل دينه ولا آجل دنياه حتى يكون والي المسلمين هو الذي يحجر عليه ليكون مضض الحجر وذل الحظر وغلظة الجفوة واللقب القبيح وتسليط الاشكال مادة للذي معه من معرفته وبقية عقله

(فصل منه) وقد يكون الرجل معروفا بالنزق مذكورا بالطيش مسته ما باظهار الصولة حتى يتعامى كالمسه الصديق ويداريه الجليس ويترك مجازاته الكريم الذي يعرفون من شدته وبوادر حدته وشدة تسعره والتهابه

سأصفيك ودي حفاظا لها * فذاك الوفاء بظهر المغيبه

أراك كأنك وان لم تكن * ملكت من الناس عندي ضريبه

ومما اخترنا من مرثية يزيد المهلبي للمتوكل على الله قوله

لأحزن الاأراه دون ما أجد * وهل كمن فقدت عيناي مفتقد

لايبعدن هالك كانت منيته * كما هوى عن غطاء الزبية الأسد

لايدفع الناس ضيما بعد ليلتهم * اذ لا تعد الى الجاني علي يد

لو أن سيفي وعقلي حاضران له * أبليته الجهد فلم يبله أحد

جاءت منيته والعين هاجعة * هلا أتته لدى الثنايا والقنا قصد

هلا أتته أعاديه مجاهرة * والحرب تسعر والابطال تجتلد

تفر فوق سرير الملك مضطجعا * لم يحمه ملكه لما انقضى الامد

فكان أنصاره يحمون حوزته * وللردى دون أرصاد الفتى رصد

وأصبح الناس فوضى يعجبون له * أين الحصار بما تزجى حوله النقد

علمتك أسياف من لادونه أحد * وليس فوقك الا الواحد الصمد

جاؤا عظيم الذنوب يسعدون بها * فقد شقوا بالذي جاؤا وما سعدوا

ضجت نساؤك بعد العز حين رأت * خدا كريما عليه قارت جسد

أضحى شهيد بني العباس موعظة * لكل ذي عزة في رأسه صيد

خليفة لم ينل ماناله أحد * ولم يضع مثله روح ولا جسد

كم في أديمك من فوهاء هادرة * من الجوائف يعلى فوقها الزبد

اذا بكيت فان الدمع منهمل * وان رثيت فان القول مطرد

قد كنت أسرف في مالي وتخلف لي * فعلمتني الليالي كيف أقتصد

لما اعتقدتم أناس الاحلوم لهم * ضعتم وضيعتم من كان يعتقد

وكثرة فلتانه ثم لايلبث أن يحضر الوالي الصليب والرحل المنيع فيلقى ذليلا فاضحا أو حليما وقورا أو أديبا رفيقا أو صبورا محتسبا وقد نجده يجهل على خصمه ويستطيل على منازعه ويهم بتناوله والغدر به فاذا عرف له حماة تكفيه وجها لاتحميه رجاها يمنعه ومالا يصول به طامن له من شخصه والان له من جانبه وشكن من حركته واطفأ نار غضبه أو ماعلمت أن الخوف يطرد السكر ويميت الشهوة ويطفئ الغضب ويحط الكبر ويذكر بالعاقبة ويساعد العقل ويعاون الرأى وينبت الحيلة ويبعث على الروية حتى يعتدل به تركيب من كان مغلوبا على عقله ممنوعا من رأيه بسكر الشباب وسكر الغناء واهتمال الأمر وثقة العز وبأو القدرة

﴿فصل منه﴾ وانما أطنبت لك فى تفسير هذه الأحوال التى عليها الوجود والعبرة لتعلم أن الناس لو تركوا شهواتهم وخلوا أهواءهم وليس معهم من عقولهم الا حصة الغريزة ونصيب التركيب ثم اخلوا من المرشدين والمؤدبين والمعترضين بين النفوس واهوائها وبين الطبائع

ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم * حتمت كم السادة المذكورة الحشد

قوم هم الجذم والانساب تجمعهم * والمجد والدين والارحام والبلد

اذا قريش أرادوا شد ملكهم * بغير قحطان لم يبرح به أود

قد وتر الناس طرا نم قد صمتوا * حتى كأن الذى نيلوا به رشدوا

من الاولى وهبوا المجد أنفسهم * فما يبالون ما نالوا اذا حمدوا

(قال أبو الحسن قوله فارت يقال فرت الدم يفرت فورا وفرت قد يبس بين الجلد واللحم ومسك فارت وهو أخفه وأجوده قال * يعل بقرات من المسك فائق * وقرات فعال وفائق مسك فائق فتن فتونا أى يابس لا ندوة فيه)

﴿ باب ذكر الأذواء من اليمن فى الاسلام ﴾

فأما فى الجاهلية فيحصرون نحو ذى يزن وذى كلاع وذى نواس وذى رعين وذى أصبح وذى المنار وذى الكرنين فأما فى الاسلام فمنهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أنصارى ومنهم قتادة بن النعمان الانصارى ذو العين كانت عينه أصيبت فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وكانت تعتل عينه الصحيحة فلا تعتل المردودة معها ومنهم أبو الهيثم بن التيهان الانصارى ذو السيفين كان يتقلد سيفين فى الحرب ومنهم حباب بن المنذر بن الجموح ذو الرأى وهو صاحب المشورة يوم بدر أخذ برأيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت له آراء فى الجاهلية مشهورة ومنهم سعد بن صفيح ذو السبال ومنهم ذو المشهرة وهو أبو دجانة سماك بن خرشة وكانت له مشهرة اذا لبسها وخرج يختال بين الصفين لم يبق ولم يذر وكل هؤلاء من الانصار ومن اليمن من غيرهم عبد الله بن الطفيل الازدى ثم الدوسى ذو النور أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نورا فى جبينه ليدعو به قومه فقال يا رسول الله هذه مثلة فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوطه فلما ورد على قومه بالسراة جعل يقول ان الجبل

وغلبها من الأنبياء.

وخلفائها لم يكن فى قوى عقولهم مايداوون به أدواءهم ويخبرون به من اهوائهم ويقوون به لمحاربة طبائعهم ويعرفون به من جميع مصالحهم وأى داء هو أردى من طبيعة تردى وشهوة تطغى ومن كان لا يعد الداء الا ما كان مؤلما فى وقته ضارا على صاحبه فى سواد ليله وبياض نهاره فقد جهل معنى الداء وجاهل الداء جاهل بالدواء

(فصل منه) ولكنا نقول لا يجوز ان يلى أمر المسلمين على ظاهر الرأى والحزم والحيطة أكثر من واحد لان الحكام والسادة اذا تقاربت اقدارهم وتساوت عنايتهم قويت دواعيهم الى طلب الاستعلاء واشتدت منافستهم فى الغلبة وهكذا جرب الناس من أنفسهم فى جميع أمورهم الادنين فى الأصغار وبين الأعمام والمتقاربين فى الصناعات كالكلام والنجوم والطب والفتيا والشعر والنحو والعروض والتجارة والصياغة والفلاحة أنهم اذا تدانوا فى الأقدار وتقاربوا فى الطبقات قويت دواعيهم الى طلب الغلبة واشتدت جواذبهم فى حب المماثلة والاستعلاء

لَيْلَتَهُ وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة ومنهم ثم من خزاعة ذو اليدين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا اليدين وكان قبل يدعى ذا الشمالين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الظهر فسلم فى الركعة الثانية فقال ذو اليدين يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال ما كان ذلك فقال بلى يا رسول الله فالتفت الى أصحابه فقال ما يقول ذو اليدين فقالوا صدق يا رسول الله فنهض فأتم ثم قال انى لا أنسى أو أنسى لأسنّ

﴿ (وهذه تسمية من كان بينه وبين الملائكة سبب من اليمانية) ﴾

منهم سعد بن معاذ الانصارى وهبط لموته سبعون ألف ملك لم يهبطوا الى الارض قبلها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجليه فى المشى اثلاثا على جناح ملك واهتز لموته عرش الله جل وعز وفى ذلك يقول حسان

وما اهتز عرش الله من موت هالك ... سمعنا به الا لسعد أبى عمرو

وكبر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعا كما كبر على حمزة بن عبد المطلب وثم من تراب قبره رائحة المسك ومنهم حسان بن ثابت الانصارى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اهجهم وروح القدس معك وقال فى حديث آخر ان الله مؤيد حسانا بروح القدس ما نافح عن نبيه وقالت عائشة كان يوضع لحسان منبر فى مؤخر المسجد فينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم حنظلة بن أبى عامر الانصارى غسلته الملائكة وذلك أنه خرج يوم أحد فأصيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبكم هذا قد غسلته الملائكة فسئل عن ذلك فقالت امرأته كان معى على ما يكون الرجل مع امرأته فأعجلته حطمة بلغته فى المسلمين فخرج فأصيب فنى ذلك يقول الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح حمى الدبر وكان خال أبيه

غسلت خالى الملائكة الابـ ... ـرار ضينا أكرم به من صريع

وأنا ابن الذى حمت ظهره الدبـ ... ـر قتيل اللحيان يوم الرجيع

على الرياسة ومتى كانت الدواعى أقوى كانت النفس الى الفساد أميل والعزم أضعف وموضع الريبة أشغل والشيطان فيهم أطمع وكان الخوف عليهم أشد وكانوا موافقة المفسد أحرى واليه أقرب واذا كان ذلك كذلك فاصلح الأمور للحكام وانقادة اذا كانت النفوس ودواعيها ومجرى أهوائها على ما وصفنا أن ترفع عنهم أسباب التحاسد والتغالب والمباهاة والمنافسة وان ذلك أدعى الى صلاح ذات البين وأمن البيضة وحفظ الاطراف واذا كان الله تبارك وتعالى قد كلف الناس النظر لأنفسهم واستيفاء النعمة عليهم وترك الخطر بالهلكة والتغرير بالأمة وليس عليهم مما يمكنهم أكثر من الحيطة والتباعد من التغرير ولا حال أدعى الى ذلك أكثر مما وصفنا لانه أشبه الوجوه بتمام المصلحة والتمتع بالامن والنعمة

﴿فصل منه﴾ فلما كان ذلك كذلك علمنا أنه اذا كان القائم بأمور المسلمين بائن الأمر متفردا بالغاية من الفضل كانت داعى الناس الى مسابقته ومجاراته أقل ولم يكن الله ليطبع الدنيا وأهلها

ومنهم حارثة بن النعمان رأى جبريل صلى الله عليه وسلم مرتين وأقرأه جبريل السلام ومنهم تميم من خزاعة عمران بن حصين كانت تصافحه الملائكة وتعوده ثم افتقدها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان رجالا كانوا يأتونني لم أر أحسن منهم وجوها ولا أطيب أرواحا ثم قد انقطعوا عني فقال يارسول الله صلى الله عليه وسلم أصابك جرح فكنت تكتمه فقال أجل قال ثم أظهرته قال قد كان ذلك قال أما لو أقمت على كتمانه لزارتك الملائكة الى أن تموت ومنهم جرير بن عبد الله البجلي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم من هذا الفج خير ذي يمن عليه مسحة ملك ومنهم دحية بن خليفة الكلبي كان جبريل صلى الله عليه يهبط في صورته فمن ذلك يوم بني قريظة لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وهبط عليه جبريل عليه السلام فقال يامحمد أقد وضعتم سلاحكم ما وضعت الملائكة أسلحتها بعد ان الله يأمرك أن تسير الى بني قريظة وها أنا ذا سائر اليهم فزلزلهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ألا يصلوا العصر الا في بني قريظة فجعل يمر بالناس فيقول أمرت بكم أحد فيقولون مر بنا دحية بن خليفة على بغلة عليها قطيفة خز نحو بني قريظة فيقول ذاك جبريل ثم مر دحية بعد ذلك وكان لا يزال عليه السلام في غير هذا اليوم ينزل في صورته كما ظهر ابليس في صورة الشيخ النجدي

﴿ (وهذا باب قد تقدم ذكرنا اياه ووعدنا استقصاءه) ﴾

اعلم أن كل شئ من الحيوان كان مما يخبر الناس عنه كما يخبرون عن أنفسهم ومما يقتنونه ويتخذونه فبهم حاجة الى الفصل بين معرفته ونكرته ومذكره ومؤنثه تقول جاءني رجل اذا لم تدر من هو بعينه أو درأيت فلم ترد أن تبين ثم تعرفه لصاحبك اذا أردت ذلك اما بألف ولام واما باسم معروف أو اضافة أو غير ذلك وكذلك يفصل الناس بين الخيل بأسماء أو نعوت يعرفون بها بعضها من بعض وكذلك الشاء والكلاب والابل ولو لا تمييز بعضها من بعض لم يستقم الاخبار عنها والاختصاص بما أريد منها فاذا كان الشئ ليس مما يتخذونه لم يحتاجوا الى التمييز بين بعضه

العادة فاذا جمع الى عقله علما والى علمه حزما والى حزمه عزما فذلك الذي لا بعده وقد يكون

الواحد موجود عند ارادتهم له وقصدهم اليه لان الله لا يلزم الناس في ظاهر الرأي والحيطة اقامة المعدوم وتشييد المجهول لان على الناس التسليم وعلى الله تعالى قصد السبيل وهل رأيتم ملكين أو سيدين في جاهلية أو اسلام من العرب جميعا أو من العجم لا يضيف أحدهما من سلطان صاحبه ولا ينهد أطرافه ولا يساجله الحروب اذ كل واحد منهما يطمع في حد صاحبه وطرفه لتقارب الحال واستواء القوى كما جاءت الاخبار عن ملوك الطوائف كيف كانت الحروب راكدة وأمرهم مريج والناس نهب ليس لهم ثغر الا معطل ولا طرف الا منكشف والناس فيما بينهم مشغولون بأنفسهم ملوكهم من عزيزمع اتفاق المال وشغل البال وشدة الخطر بالجميع والتغرير بالكل

(فصل منه) فان قالوا فما صفة فضلهم قلنا أن يكون أقوى طبائعه عقله ثم يصل قوة عقله بشدة الفحص وكثرة السماع ثم يصل شدة فحصه وكثرة سماعه بحسن

الرجل دونه فى أمور وهو يستحق أفضل أهل دهره لان من التعظيم لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لايقام فيه الا أشبه الناس به فى كل عصر ومن الاستهانة به أن يقام فيه من لايشبهه وليس فى طريقته وانما يشبه الامام الرسول بان يكون آخذا بسيرته منه فأما أن يقاربه أو يدانيه فهذا مالا يجوز ولا يسع تمنيه والدعاء به

(فصل منه) واذا كان قول المهاجرين والانصار والذين جرى بينهم التنافس والمشاحة على ماوصفنا فى يوم السقيفة ثم صنيع أبى بكر وقوله لطلحة فى عمر وصنيع عمر فى وضع الشورى وتوعدهم له بالقتل ان هم لم يقيموا رجلا قبل انقضاء المدة ونحو من الفتنة ثم صنيع عثمان وقوله وصبره حتى قتل دونها ولم يخلعها وأقوال طلحة والزبير وعائشة وعلى رضى الله تعالى عنهم ورحمة الله عليهم وعليها ليست بحجة على ماقلنا فليست فى الأرض دلالة قاطعة وفى هذا الباب الذى وصفنا وبينا من حالهم وبينا دليل على أنهم كانوا يرون أن اقامة الامام فريضة واجبة وان الشركة عنها منفية وان الامامة تجمع صلاح الدين وايثار خير الآخرة والأولى (فصل منه) وأى مذهب هو أشنع وأى فى

وبعض يقول الرجل رأيت الاسد فليس يعنى أسدا بعينه ولكن يريد الواحد من الجنس الذى قد عرفت وكذلك الذئب والعقرب والحية وما أشبه ذلك ألا ترى ان ابن عرس وسام أبرص وأم حبين وأبا الحرث وأبا الحصين معارف لا على أن تميز بعضها من بعض ولكن تعريف الجنس وقولك ابن مخاض وابن لبون وابن ماء نكرات لان هذا مما يتخذه الناس وابن ماء اسم هو مضاف الى الماء الذى يعرف فاذا أردت التعريف من هذا لهذه النكرات أدخلت فيما أضيفت اليه الالف واللام أو لقبتها ألقابا تعرف بها كزيد وعمرو واعلم أن كل جمع مؤنث لاتذكير يريد معنى جماعة ولا تذكير من ذلك الا ما كان فعله يجرى بالواو والنون فى الجمع وذلك كل ما يعقل تقول مسلم ومسلمون كما تقول قوم يسلمون وتقول للجمال هى تسير وهن يسرن كما تقول للمؤنث لان أفعالها على ذلك وكذلك الموات قال الله عز وجل فى الاصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس والواحد مذكر وقال المفسرون فى قوله ان يدعون من دونه الا اناثا قالوا الموات فكل ما خرج مما يعقل فجمعه بالتأنيث وفعله عليه لايكون الا ذلك الا ما كان من باب المنقوص نحو سنين وعزين وليس هذا موضعه وجملته أنه لايكون الا مؤنثا فاما ذا كان يقع على بعض هذا الضرب الاسم المؤنث فيجمع الذكر والانثى فمن ذلك قولهم عقرب فهو اسم مؤنث الا أنك ان عرفت الذكر قلت هذا عقرب وكذلك الحية تقول للانثى هذه حية وللذكر هذا حية قال جرير

ان الحفافيث منكم يابنى لجأ * يطرقن حيث يصول الحية الذكر

(قال الاخفش الحفافيث ضرب من الحيات يكون صغيرا جرما ينتفخ ويعظم وينفخ نفخا شديدا لا غائلة له) وتقول هذا بطة للذكر وهذه بطة للانثى وهذا دجاجة وهذه دجاجة قال جرير

لما تذكرت بالديرين أرقنى * صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

يريد رقاء الديوك فالاسم الذى يجمعهما دجاجة للذكر والانثى ثم يخص الذكر بأن يقال ديك وكذلك تقول هذا بقرة لهما جميعا وهذا حبارى ثم يخص الذكر فتقول ثور وتقول للذكر من الحبارى خرب فعلى هذا يجرى هذا الباب وكل ما لم نذكره فهذا سبيله ❁ وقد كنا أرجأنا أشياء وذكرنا اناسنذكرها

في آخر هذا الكتاب منها خطب ومواعظ ورسائل ونحن ذاكرون ما تيسر من ذلك ان شاء الله
قال الأصمعي فيما بلغني خطبنا أعرابي بالبادية فحمد الله واستغفره ووحده وصلى على نبيه فبلغ
في الحجاز ثم قال أيها الناس ان الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا
أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم في الدنيا كنتم ولغيرها خلقتم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي
ولكم والمصلى عليه رسول الله والمدعو له الخليفة والأمير جعفر بن سليمان وحدثت في بعض
الاسانيد أن عمر بن عبد العزيز قال في خطبة له أيها الناس انما الدنيا أمل مختوم وأجل منقوص
وبلاغ الى دار غيرها وسير الى الموت ليس فيه تعريج فرحم الله امرأ فكر في أمره ونصح لنفسه
وراقب ربه واستقال ذنبه ونور قلبه أيها الناس قد علمتم أن أباكم قد أخرج من الجنة بذنب
واحد وأن ربكم وعد على التوبة فليكن أحدكم من ذنبه على وجل ومن ربه على أمل ويروى أن
رجلا مر وفاذهب اسمه عني قال أتيت ابن عمر فقلت أتحب الجنة لعامل بكل الخيرات وهو
مشرك فقال لا فقلت له أتحب النار لعامل بالشر كله وهو موحد قال عسى ولا تعتر قال وأتيت
ابن عباس فصانعته وأجابني بمثل جوابه سواء وقال عسى ولا تعتر قال وحدثني بهذا الحديث القاضي
(يعني اسمعيل بن اسحق) وذكر العتبي أحسبه عن أبيه عن هشام بن صالح عن سعد القصير قال
خطب الناس بالموسم محتبة في سنة احدى وأربعين وعهد الناس حديث بالفتنة فاستفتح ثم قال
أيها الناس انا قد وليناهذا الموضع الذي يضاعف الله فيه للحسن الاجر وعلى المسيء الوزر فلا
تحموا الأعناق الى غير ثاقها فتقطع دوننا وربّ متمن حتفه في أمنيته اقبلوا العافية ما قبلناها
منكم وفيكم وايا كم ولو فقد أتعبت من كان قبلكم وان تزيح من بعدكم فاسألوا الله أن يعين كلا على
كل فنعق به اعرابي من مؤخر المسجد فقال أيها الخليفة فقال لست به ولم تبعد قال فيا أخاه قال قد
أسمعت فقل فقال والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير لكم من أن تسيئوا وقد أحسنا فان كان
الاحسان لكم فما أحقكم باستتمامه وان كان لنا فما أحقكم بمكافأتنا رجل من بني عامر يمت اليكم
بالعمومة ويختص اليكم بالخؤلة وقد وطئه زمان وكثرة عيال وفيه أجر وعنده شكر فقال عتبة
وأصحاب الأخبار وحمال الآثار عن أول الناس اسلاما فقال فريق منهم علي وقال قوم زيد بن حارثة وقال قوم خباب ولم نجد

فاجروهذا لا يشبه حكم الحكيم وصفة الحليم ونظر المرشد وترتيب العالم

(فصل من صدر كتابه في مقالة الزيدية والرافضة)

اعلم يرحمنا الله واياك ان شيعة علي رضي الله تعالى عنه زيدي ورافضي وبقيتهم بدد لا انظام لهم وفي الاخبار عنهم غناء عن سواهما قالت علماء الزيدية وجدنا الفضل في الفعل دون غيره ووجدنا الفعل كله في أربعة أقسام أولها القدم في الاسلام حين لا رغبة ولا رهبة الا من الله تعالى واليه ثم الزهد في الدنيا فان أزهد الناس في الناس أرغبهم في الآخرة وآمنهم على نفائس الأموال وعقائل النساء وارأقة الدماء ثم الفقه الذي به يعرف الناس مصالح دنياهم ومراشد دينهم ثم المشي بالسيف كفاحا في الذب عن الاسلام وتأسيس الدين وقتل عدوه واحياء وليه فليس فوق بذل المهجة واستغراق القوة غاية يطلبها طالب أو يرتجيها راغب ولم نجد قولا خامسا فنذكره فلما رأينا هذه الخصال مجتمعة في رجل دون الناس كلهم وجب علينا تفضيله عليهم وتقديمه دونهم وذلك انا سألنا العلماء والفقهاء

به أكثر وكذلك اذا سألتهم عن الذابين عن الاسلام بهجومهم والماشين الى الاقران بسيوفهم وجدناهم مختلفين فمن قائل يقول علي رضي الله تعالى عنه ومن قائل يقول الزبير ومن قائل يقول ابن صفراء ومن قائل يقول محمد ابن مسلمة ومن قائل يقول طلحة ومن قائل يقول البراء ابن مالك على ان لعلي من قتل الاقران والفرسان ما ليس لهم فلا أقل من أن يكون على في طبقتهم وان سألناهم عن الفقهاء والعلماء رأيناهم يعدون عليا أفقههم وعمر وعبد الله بن مسعود وزيد ابن ثابت وأبي بن كعب على ان عليا كان أفقههم لم يكن يسئل ولا يسأل ويفتي ولا يستفتي ويحتاج اليه ولا يحتاج اليهم ولكن لا أقل من أن نجعله في طبقتهم وكأحدهم وان سألناهم عن أهل الزهادة وأصحاب التقشف والمعروفين برفض الدنيا وخلعها والزهد فيها قالوا علي وأبو الدرداء ومعاذ ابن جبل وأبو ذر وعمار وبلال وعثمان بن مظعون على ان عليا أزهدهم لانه شاركهم في خشونة الملبس وخشونة المأكل والرضا باليسير والتبليغ بالحقير وصلف النفس ومخالفة الشهوات وفارقهم بأن ملك بيوت الأموال ورقاب العرب والعجم فكان يتضع واعطيت

استعيذ بالله منك وأستعينه عليك قد أمرت لك بغنائك فليت شعري اغنانا الليلة يقوم بأبطالنا عند وذكر العتبي ان عتبة خطب الناس بمصر عن موجدة فقال يا حامل الأم آنف ركبت بين أعين اني انما قلمت أظفاري عنكم ليلين مسي لكم وسألتكم صلاحكم اذ كان فسادكم بإقياعليكم فأمن اذ أبيتم الا الطعن على السلطان والتنقص للسلف فوالله لأقطعن بطون السياط على ظهوركم فان حسمت أدواكم والا فان السيف من ورائكم فيكم من حكمة منالم تعها قلوبكم ومن موعظة مناصمت عنها آذانكم ولست أبخل عليكم بالعقوبة اذ جدتم بالمعصية ولا أربئكم من مراجعة الحسنى ان صرتم الى التي هي أبر واتقى ثم نزل وذكر العتبي أو غيره ان داود بن علي بن عبد الله ابن العباس خطب الناس في أول موسم ملكه بنو العباس بمكة فقال شكرا شكرا انا والله ما خرجنا لضغن فيكم ظهر ولا لذنب فيكم قصر أظن عدو الله ان لن نقدر عليه ان روخي له من خطامه حتى عثر في فضل زمامه فالآن حيث أخذ القوس باريها وعادت النبل الى النزعة ورجع الملك في نصابه في أهل بيت النبوة والرحمة والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن في فرشنا أمن الاسود والاحمر لكم ذمة الله لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم ذمة العباس لا ورب هذه البنية وأومأ بيده الى الكعبة لانهيج منكم أحدا قال وخطب الناس معاوية بن أبي سفيان فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال ايها الناس اني من زرع قد استحصد وان يأتيكم بعدي الامن أنا خير منه كالم يكن قبلي الامن هو خير مني وفي خبر هذا الخبر أنه قال لابنائه عند وفاته قلبتني فعلن فقال انكن لتقلبنه حولا قلبا ان وفي كبة النار ثم قال متمثلا

لا يبعدن ربيعة بن مكدم ٭ وسقى الغوادي قبره بذنوب

وقال لابنة قرظة ابكيني فقالت

ألا ابكيه ألا ابكيه ٭ ألا كل الفتى فيه

فلما مات دخل الناس على يزيد يعزونه بأبيه ويهنئونه بالخلافة فجعلوا يقولون حتى دخل رجل من ثقيف فقال السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته انك قد فجعت بخير الآباء

وأعطيت جميع الاشياء فاصبر على الرزية واحمد الله على حسن العطية فلا أعطى أحد كما أعطيت ولا رزئ كما رزئت فقام ابن همام السلولى فأنشده شعرا كأنما فاوضه الثقفى فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر بلاء الذى بالملك أصفاكا

أصبحت بملك هذا الخلق كلهم * فأنت ترعاهم والله يرعاكا

ما ان رزئ أحد فى الناس نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

وفى مقاولة الباقى لنا خلف * اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

الحول معناه ذو الحيلة والقلب الذى يقلب الأمور ظهرا لبطن وقوله ان وقى كبة النار فكبة النار معظمها وكذلك كبة الحرب ويقال لقيته فى كبة القوم ويروى عن بعض الفرسان أنه طعن رجلا فى حرب فقال طعنته فى الكبة فوضعت رمحى فى اللبة وأخرجته من السبة والسبة الدبر ويروى ان خالد بن صفوان دخل على يزيد بن المهلب وهو يتغدى فقال هون فكل يا أبا صفوان فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت قال أتيت ضيعتى لأبان الغراس وأوان العمارة فجلت فيها جولة حتى اذا صفقت الشمس وأزمعت بالركود ملت الى غرفة لى هفافة فى حديقة قد فتحت أبوابها ونضح بالماء جوانبها وفرشت أرضها بألوان الرياحين من بين ضمران نافح وسمسق فائح وأقحوان زاهر ووردنا ضر ثم أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وسميذ بنانى بيض البطون زرق العيون سود المنون عراض السرر غلاظ القصر ودقة وخلول ومرى ونقول ثم أتيت برطب أصفر صاف غير أكدر لم تبتذله الايدى ولم تهشمه كيل المكاييل فأكلت هذا ثم هذا فقال يزيد يا ابن صفوان لألف جريب من كلما مذروع خير من ألف جريب مذروع ❁ ونحن ذاكرون الرسائل بين أمير المؤمنين المنصور وبين محمد بن عبد الله بن حسن العلوى كما وعدنا فى أول الكتاب ونختصر ما يجوز ذكره منه ونمسك عن الباقى فقد قيل الرواية أحد الشاهدين قال لما خرج محمد بن عبد الله على المنصور كتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فانما جزاء الذين يحاربون

مع ان زهده أفضل من زهدهم لانه أعلم منهم وعبادة العالم ليست كعبادة غيره كما ان زلته ليست كزلة غيره فلا أقل من أن نعده فى طبقتهم ولا نجدهم ذكروا لابى الدرداء وأبى ذر وبلال مثل الذى ذكروا له فى باب الغناء والذب وبذل النفس ولم نجدهم ذكروا للزبير وابن عفراء وأبى دجانة والبراء ابن مالك مثل الذى ذكروا له من التقدم فى الاسلام والزهد والفقه ولم نجدهم ذكروا لابى بكر وزيد وخباب مثل الذى ذكروا له من بذل النفس والغناء والذب بالسيف ولا ذكروهم فى طبقة الفقهاء والزهاد فلما رأينا هذه الأمور مجتمعة فيه متفرقة فى غيره من أصحاب هذه المراتب وهذه الطبقات علمنا انه أفضلهم وان كان كل رجل منهم قد أخذ من كل خير بنصيب فانه لن يبلغ ذلك مبلغ من قد اجتمع له جميع الخير وصنوفه

(فصل منه) وضرب آخر من الناس همج هامج ورعاع منتشر لا نظام لهم ولا اختيار عندهم اعراب أجلاف وأشباه الاعراب يفترقون لا تدفع صولتهم اذا هاجوا ولا يؤمن هيجانهم اذا سكنوا ان أخصبوا طغوا فى البلاد وان أجدبوا آثروا العناد ثم هم موكلون ببغض الفادة وأهل الثرى والنعمة

الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ولك عهد الله وذمته وميثاقه وحق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان تبت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمنك على نفسك وولدك واخوتك ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك وان أعطيك ألف ألف درهم وأنزلك من البلاد حيث شئت وأقضي لك ما شئت من الحاجات وأن أطلق من في سجني من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك ثم لا أتبع أحدا منكم بمكروه فان شئت ان تتوثق لنفسك فوجه الي من يأخذ لك من الميثاق والعهد والامان ما أحببت والسلام فكتب اليه محمد بن عبد الله بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين الى عبد الله بن محمد أما بعد طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأنا أعرض عليك من الامان مثل الذي أعطيتني وقد تعلم أن الحق حقنا وانكم انما طلبتموه بنا ونهضتم فيه بشيعتنا وخبطتموه بفضلنا وان أبانا عليا عليه السلام كان الوصي والامام فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء وقد علمت أنه ليس أحد من بني هاشم يمت بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا وأنا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو في الجاهلية دونكم وبنوابنته فاطمة في الاسلام من بينكم فأنا أوسط بني هاشم ونسبا وخيرهم أما وأبا ولدني العجم ولم تعرق في أمهات الاولاد وأن الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا فولدني من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه أقدمهم اسلاما وأوسعهم علما وأكثرهم جهادا علي بن أبي طالب ومن نسائه أفضلهن خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله وصلى القبلة ومن بناته أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة

وقال علي رضي الله تعالى عنه في دعائه نعوذ بالله من قوم اذا اجتمعوا لم يملكوا واذا افترقوا لم يعرفوا فهؤلاء هؤلاء وضرب آخر قد فقهوا في الدين وعرفوا سبب الامامة وافتنعهم الحق وانقادوا له بطاعة الربوبية وطاعة المحبة وعرفوا المحبة وعرفوا المعدن ولكنهم قليل في كثير وان كثروا فهم أقل عددا وان كانوا أكثر فقها فلما كان الناس عند علي وأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وأهل السابقة المهاجرين والانصار على الطبقات التي نزلن المنازل التي رتبنا وبالمدينة منافقون يعضون عليهم الانامل من الغيظ وفيها بطانة لا يألونهم خبالا لا يخفى عليهم موضع الشدة وانتهاز الفرصة وهم في ذلك على تقية ووفاق ذلك ارتداد من حول المدينة من العرب وتوعدهم بذلك في شكاة النبي صلى الله عليه وسلم وصح به الخبر ثم الذي كان من اجتماع الانصار حيث انحازوا من المهاجرين وصاروا حزابا وقالوا منا أمير ومنكم أمير فاشفق على أن يظهر ارادة القيام بأمر الناس مخافة أن يتكلم متكلم أو يشغب شاغب ممن وصفنا حاله وبيننا طريقة فيحدث بينهم فرقة والقلوب على

ومن المولودين في الاسلام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ثم قد علمت ان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد الحسن مرتين وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد في مرتين من قبل جدتي الحسين والحسين فما زال الله يختار لي حتى اختارلي في النار فولدني أرفع الناس درجة في الجنة وأهون أهل النار عذابا فأنا ابن خير الاخيار وابن خير الاشرار وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار ولك عهد الله ان دخلت في بيعتي أن أؤمنك على نفسك وولدك وكل ما أصبته الا حدا من حدود الله أو حقا لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمك في ذلك فأنا أوفي بالعهد منك وأحرى لقبول الامان فأما أمانك الذي عرضت علي فأي الأمانات هو أأمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبد الله بن علي أم أمان أبي مسلم والسلام فكتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فقد أتاني كتابك وبلغني كلامك فاذا جل فخرك بالنساء لتضلعك بالخفاء والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة ولا الآباء كالعصبة والاولياء ولقد جعل الله أبا بكر أبا وبدأ به على الوالد الادنى فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه السلام واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ولقد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وهم عشيرته أربعة فأجابه اثنان أحدهما أبي وكفر اثنان أحدهما أبوك فأما ما ذكرت من النساء وقرابتهن فلو أعطين على قرب الانساب وحق الاحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه فأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب فان الله لم يهد أحدا من ولدها الى الاسلام ولو فعل لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير في الآخرة والاولى وأسعدهم بدخول الجنة غدا ولكن الله أبى ذلك فقال انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء فأما ما ذكرت من فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب وفاطمة أم الحسن وأن هاشما ولد عليا مرتين وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين فخير الاولين والآخرين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة ولم يلده عبد المطلب الا مرة واحدة وأما ما ذكرت من أنك ابن رسول الله فان الله عز وجل أبى ذلك فقال ما كان محمد أبا أحد من

الى الكف عن الاظهار والتجافي عن الامور وعلم أن فضل ما بينه وبين أبي بكر في صلاحهم لو كانوا أقاموه لا يعادل التغرير بالدين ولا يفي بالخطر بالاتكاس لان في التهيج البائقة وفي فساد الدين فساد العاجلة والآجلة فاغتفر المحول ضنا بالدين وآثر الآجلة على العاجلة فدل ذلك على رجاحة حلمه وقلة حرصه وسعة صدره وشدة زهده وفرط سماحته واصالة رأيه ومتى سخت نفس امرئ عن هذا الخطب الجليل والاثر الجزيل نزل من الله تعالى بغاية منازل الدين وانما كانت غايتهم في أمرهم أروح الحالين لهم واعون على المقصود اذ علم ان هلاكهم ثم تقوم بازاء صرفي ما بين حاله وحال أبي بكر في مصلحتهم ﴿فصل منه﴾ وانما ذكرت لك مذهب من لا يجعل القرابة والحسب سببا الى الامامة دون من يجعل القرابة سببا من أسبابها وعلله الاتي قد حكيته في كتاب الرافضة وكان ثم أوقع وبهم ألبق وكرهت المعاد من الكلام والتكرار لان ذلك يغني عن ذكره في هذا الكتاب وهو مسلك واحد وسبيل واحد وانما قصدت الى هذا المذهب دون مذهب سائر الزيدية في ولائهم وحجهم لانه أحسن شئ رأيته لهم وانما أحكي لك

رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ولكنكم بنو ابنته وانما القرابة قريبة غير انها امرأة لا تحوز الميراث ولا يجوز أن تؤم فكيف تورث الامامة من قبلها (٣) ولقد طلب بها أبوك بكل وجه وأخرجها تخاصم ومرضها سرا ودفنها ليلا فأبى الناس الا تقديم الشيخين ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصلاة غيره ثم أخذ الناس رجلا رجلا فلم يأخذوا أباك فيهم ثم كان فى أصحاب الشورى فكل دفعه عنها بايع عبد الرحمن عثمان وقبلها عثمان وحارب أباك طلحة والزبير ودعا سعدا الى بيعته فأغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده وأفضى أمر جدك الى أبيك الحسن فسلمه الى معاوية بخرق ودراهم وأسلم فى يديه شيعته وخرج الى المدينة فدفع الامر الى غير أهله وأخذ مالا من غير حله فان كان لكم فيها شئ فقد بعتموه فأما قولك ان الله اختار لك الكفر فجعل أباك أهون أهل النار عذابا فليس فى الشر خيار ولا من عذاب الله هين ولا ينبغى لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بالنار وستردفتعلم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وأما قولك انك لم تلد العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد وأنك أوسط بنى هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا فقد رأيت ان فخرت على بنى هاشم طرا وقدمت نفسك على من هو خير منك أولا وآخرا وأصلا وفصلا فخرت على ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والدوله فانظر ويحك أين تكون من الله غدا وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من على ابن الحسين وهو ولاء ولد ولقد كان خيرا من جدك حسن بن حسن ثم ابنه محمد بن على خير من أبيك وجدته أم ولد ثم ابنه جعفر وهو خير منك ولقد علمت أن جدك علينا حكم حكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما به فاجتمعا على خلعه ثم خرج محمد الحسين بن على على ابن مرجانة فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه ثم أتوا بكم على الأقتاب بغيا وعدوا وطيئة كالسبى المجلوب الى الشام ثم خرج منكم غير واحد فقتلتكم بنو أمية وحرقوكم بالنار وصلبوكم على جذوع النخل حتى خرجنا عليهم فأدركنا بثأركم اذ لم تدركوه ورفعنا أقداركم وأورثنا كم أرضهم وديارهم بعد ان كانوا يلعنون أباك فى أدبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة فعنفناهم وكفرناهم وبينا فضله

(٣) قوله ولقد طلب الى قوله تخاصم هذه عبارة مكذوبة كما فى كتب السير الصحيحة وهى من وضع الرافضة اه مصححه واشدنا

وأشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت أنا لما ذكرنا من فضل على أنا قد منناه على حمزة والعباس وجعفر بل أولئك مَضَوا سالمين مُسَلَّما منهم وابتلى أبوك بالدماء ولقد علمت أن ما ترنا فى الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم وكانت للعباس دون اخوته فنازعناه فيها أبوك الى عمر فقضى لنا عمر عليه وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حيا الا العباس فكان وارثه دون بنى عبد المطلب وطلب الخلافة غير واحد من بنى هاشم فلم ينلها الا ولده فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وبنوه القادة الخلفاء فقد ذهب بفضل القديم والحديث ولولا أن العباس أخرج الى بدر كرها لمات عمك طالب وعقيل جوعا أو لبيا حفاء عتبة وشيبة فأذهب عنهما العار والشنار ولقد جاء الاسلام والعباس يعول أبا طالب للأزمة التى أصابتهم ثم فدى عقيلا يوم بدر فقد منا كم فى الكفر وفديناكم من الأسر وورثنا دونكم خاتم الانبياء وحزنا شرف الآباء وأدركنا من ثأركم ما عجزتم عنه ووسعنا لكم بحيث لم تتسعوا أنفسكم والسلام ۞ قال أبو العباس وقد ذكرنا رسالة هشام الى خالد بن عبد الله وانا سنذكرها بتمامها فى غير هذا الموضع الذى ابتدأنا ذكرها أولا فيه وكان سبب هذه الرسالة افراط خالد فى الدالة على هشام وانه أخذ ابن حسان النبطى فضربه بالسياط وكان يقال له سهيل قال فبعث بقميصه الى أبيه وفيه آثار الدم فأدخله أبوه الى هشام مع ما قد أوغر صدر هشام عليه من افراطه بالدالة واحتجان الاموال وكفر ما أسداه اليه من توليته اياه العراق فكتب هشام الى خالد بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين عنك أمر لم يحتمله لك الا لما أحب من رب الصنيعة قبلك واستتمام معروفه عندك وكان أمير المؤمنين أحق من استصلح ما فسد عليه منك فان تعدل مقالتك وما بلغ أمير المؤمنين عنك رأى فى معاجلتك بالعقوبة رأيه ان النعمة اذا طالت بالعبد ممتدة أبطرته فأساء حمل الكرامة واستقل العافية ونسب ما فى يديه الى حيلته وحسبه وبيته ورهطه وعشيرته فاذا نزلت به الغير وانكشطت عنه عماية النعى والسلطان كل منقادا وندم حسيرا ولم يمكن منه عدوه قادرا عليه قاهرا له ولو أراد

والمهاجرين والسابقين الأولين

(وصل منه) ولو ترك الناس وقولى عقولهم وجماع طبائعهم وغلبة شهواتهم وكثرة جهلهم وشدة نزاعهم الى ما يرديهم ويطغيهم حتى يكونوا هم الذين يحتجرون من كل ما أفسدهم بقدر قواهم وحتى يقفوا على حد الضار والنافع ويعرفوا فضل ما بين الداء والدواء والاغذية والسموم كان قد كلفهم شططا وأسلمهم الى عدوهم وشغلهم عن طاعته التى هى احد الأمور عليهم وأنفعها لهم ومن أجلها عدل التركيب وسوى البنية وأخر جهم من حد الطفولة والجهل الى البلوغ والاعتدال والصحة وتمام الاداة والآلة والله قال عز ذكره وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولو أن الناس تركهم الله تعالى والتجربة وخلاهم وسير الأمور وامتحان السموم واختبار الأغذية وهم على ما ذكرنا من ضعف الحيلة وقلة المعرفة وغلبة الشهوة وتسلط الطبيعة مع كثرة الحاجة والجهل بالعاقبة لأثرت عليهم السموم ولأفنتهم الخطر ولأجهز عليهم الخبط ولتولدت الأدواء وتزادفت

أمير المؤمنين افسادك لجمع بينك وبين من شهد قتلتان خطلك وعظيم زلتك حيث تقول لجلسائك والله ما زادني ولاية العراق شرفا ولا ولاني أمير المؤمنين شيأ لم يكن من قبلي ممن هو دوني بلى مثله ولعمري لو ابتليت ببعض مقاومة الحجاج في أهل العراق في تلك المضايق التي لقيت لعلمت أنك رجل من بجيلة فقد خرج علينا أربعون رجلا فغلبوك على بيت مالك وخزائنك حتى قلت أطعموني ماء دهشا وبعلا وجبنا فما استطعتهم الا بأمان ثم أخفرت ذمتك منهم رزين وأصحابه ولعمري أن لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بخطلك في مجلسك وجهودك فضله البلد وصغر ما أنعم به عليك لحل العقدة ونقض الصنيعة ورد ك الى منزلة أنت أهلها كنت لذلك مستحقا فهذا جدك يزيد بن أسيد قد حشد مع معاوية في يوم صفين وعرض له دينه ودمه فما اصطنع الا عنده ولا ولا مما اصطنع اليك أمير المؤمنين وولاك وقبله من أهل اليمن وبيوتاتهم من قبيلك أكرم من قبيلتك من كندة وغسان وآل ذي يزن وذي كلاع وذي رعين في نظرائهم من بيوتات قومهم كلهم أكرم أولية وأشرف اسلافا من آل عبد الله ابن يزيد ثم آثرك أمير المؤمنين بولاية العراق بلا بيت رفيع ولا شرف قديم وهذه البيوتات تعلوك وتغمرك وتسكنك وتنقدمك في المحافل والمجامع عند بدأة الامور وأبواب الخلفاء ولولا ما أحب أمير المؤمنين من رد غرب لعاجلك بالتي كنت أهلها وانها منك لقريب ما أخذها سريع مكروهها فيها ان أبقى الله أمير المؤمنين زوال نعمه عندك وحلول نقمه بك فيما ضيعت وارتكبت بالعراق من استعانتك بالمجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين وجبوة خراجهم وتسلطهم عليهم نزع بك الى ذلك عرق سوء فيهم من الى فاءت عندك فبئس الجنين أنت باعدى نفسه وان الله عز وجل لما رأى احسان أمير المؤمنين اليك وسوء قيامك بشكره قلب قلبه فأسخطه عليك حتى قبضت أمورك عنده وآيسه من شكرك ما ظهر من كفرك النعمة عندك فأصبحت تنتظر سقوط النعمة وزوال الكرامة وحلول الخزي فتأهب لنوازل عقوبة الله بك فان الله عليك أرجد ولما عملت أكره فقد أصبحت وذنوبك

الاسقام حتى تصير منايا
قاتلة وحتوفا متلفة اذ لم
يكن عندهم الا أخذها
والجهل بحدوثها ومنتهى
ما يجوز منها والزيادة
فيها وقلة الاحتراس من
توليدها فلما كان ذلك
كذلك علمنا ان الله تعالى
حيث خلق العالم وسكانه
لم يخلقهم الا لصلاحهم ولا
يجوز صلاحهم الا ببقيتهم
ولولا الامر والنهي
ما كان للتبقية وتعديل
الفطرة معنى ولما ان كان
لا بد للعباد من أن يكونوا
مأمورين منهيين بين
عدو عاص ومطيع ولي
علمنا أن الناس
لا يستطيعون مدافعة
طبائعهم ومخالفة اهوائهم
الا بالزجر الشديد
والوعيد بالعقاب الأليم
غير الآجل بعد التنكيل
في العاجل اذ كان لا بد من
أن يكونوا بين بالتنكيل
معجلا والجزاء الأكبر
مؤجلا وكان شأنهم ايثار
الأدنى وتسويف الأقصى
واذا كانت عقول الناس
لا تبلغ جميع مصالحهم
في دنياهم فهم عن مصالح
دينهم أعجز اذ كان علم
الدين مستنبطا من علم
الدنيا واذا كان العلم مباشرة
أو سببا للمباشرة وعلم
الدين غامض فلا يتخاص
الى معرفته الا بالطبيعة
الفائقة والعناية الشديدة
متلقين الأئمة ولان

عند أمير المؤمنين أعظم من أن يكتفي الا ارتيابين يديه وعنده من يقرره بما ذنبا ذنبا ويكتفي بما أنيت أمرا أمرا فقد نبيته وأحصاه الله عليك ولقد كان لامير المؤمنين زاجر عنك فيما عرفك به من التسرع الى حمقتك في غير واحدة منها القرشي الذي تناولته بالحجاز ظالما فضربك الله بالصوت الذي ضربته به مفتضحا على رؤس رعيتك ولعل أمير المؤمنين يعود لك بمثل ذلك فان تفعل فأهله أنت وان يصفح فأهله هو ومن ذلك ذكرك زمزم وهي بسقيا الله وكرامته لعبد المطلب وهذا الحي من قريش تسميها أم جعار فلا سقاك الله من حوض رسوله وجعل شربك من الحميم والغساق وأيم الله أن لو لم يستدل أمير المؤمنين على ضعف نجائزك وسوء تدبيرك الا بغفلتك عن خائنك وبطانتك وعمالك والغالبة عليك جاريتك الرائفة بانعة الفهود ومستعملة الرجال مع ما أتلفت من مال الله في المبارك فانك ادعيت أنك أنفقت عليه لحنين عشر ألف ألف درهم والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما استعمل لك أمير المؤمنين ما تقصدت من مال الله وضيعت من أمور المسلمين وسلطت من ولاة السوء على جميع أهل كورك تجمع البلد الدهاقين هدايا النيروز والمهرجان حاسبا لا كثره رافعا لاقله مع مخابيث مساويك التي قد أخر أمير المؤمنين تقريرك بها ومناصبتك أمير المؤمنين في مولاه حسان وركيله في ضياعه وأحوازه في العراق واقدامك على ابنه بما أقدمت به وسيكون لامير المؤمنين في ذلك نبأ ان لم يعف عنك ولكنه يظن أن الله طالبك بامور أتيتها غير متارك لتكشيفك عنها وحملك الاموال ناقصة عن وظائفها التي جباها عمر بن هبيرة وتوجيهك أخاك أسدا الى خراسان مظهر العصبية فيها متحاملا على هذا الحي من مضر فقد أنت أمير المؤمنين بتصغيرهم واحتقاره لهم وركوبه اياهم الثقات ناسيا لحديث زينب وقصص الهجريين كيف كانت في أسد بن كرز فاذا خلوت أو توسطت ملأ فاعرف نفسك وخف رواجع البغي عليك وعاجلات النقم فيك واعلم أن ما بعد كتاب أمير المؤمنين هذا أشد عليك وأفسد لك وقبل أمير المؤمنين خلف منك كثير في أحسابهم وبيوتاتهم وأديانهم وفيهم

الناس لو كانوا يبلغون بأنفسهم غاية مصالحهم في دينهم ودنياهم كان ارسال الرسل قليل النفع يسير الفضل واذا كان الناس مع منفعتهم بالعاجل وحبهم للبقاء ورغبتهم في الثناء وحاجتهم الى الكفاية ومعرفتهم بما فيها من السلامة لا يبلغون لأنفسهم معرفة ذلك واصلاحه وعلم ذلك جليل ظاهر سببه بعضه ببعض كدرك الحواس وما لاقته فهم عن التعديل والضرير وتفصل التأويل والكلام في مجمل الأخبار وأصول الأديان أعجز وأجدر أن لا يبلغوا غايته الغاية ولا كنه الحاجة لان علم الدنيا أمر ان اما شيء بلى الحواس واما شيء بلى علم الحواس وليس كذلك الدين فلما كان ذلك كذلك علمنا أنه لا بد للناس من امام يعرفهم جميع مصالحهم ووجدنا الائمة ثلاثة رسول ونبي وامام فالرسول نبي امام والنبي نبي امام والامام امام وليس برسول ولا نبي وانما اختلفت أسماؤهم وصفاتهم لاختلاف النواميس والطبائع وعلى قدر ارتفاع بعضهم عن درجة بعض في العزم والتركيب وتغير الزمان بتغير الغرض وتبدل الشريعة فأفضل

عوض منذ والله من وراء ذلك وكتب عبد الله بن سالم سنة تسع عشرة ومائة

﴿ (هذا الكتاب قد وفيناه جميع حقوقه ووفينا بجميع شروطه الا ما أدهل عنه النسيان فانه قلما يخلى من ذلك ونحن خاتموه بأشعار طريفة وآخر ذلك الذى نختم به آيات من كتاب الله عز وجل بالتوقيف على معانيها ان شاء الله) ﴾

قال الشاعر

اذكر مجالس من بنى أسد * بعدوا وحن اليهم القلب

الشرق منزلنا ومنزلهم * غرب وأنى الشرق والغرب

من كل أبيض جل زينته * مسك أحم وصارم غضب

وقال آخر

حياة أبى العوام زين لقومه * لكل امرئ فاس الامور وجربا

ونعتب أحيانا عليه ولو مضى * لكنا على الباقى من الناس أعتبا

وقال مسلم

حياتك يا ابن سعدان بن يحيى * حياة للكارم والمعالى

جلبت لك الثناء فجاد عفوا * ونفس الشكر مطلقة العقال

وترجعنى البلاد وان نأت بى * ديارى عند تجربة الرجال

وقيل فى المثل المبالغة فى النصيحة تقع بد على عظيم الظنة وأنشدنى العباس بن الفرج الرياشى

وكم سقت فى آثاركم من نصيحة * وقد يستفيد الظنة المتنصح

وأنشدنى الرياشى

اذا الأمر أغفى عنك حتى يهيجه * فاجتنب * معرة أمر أنت عنه بمعزل

الناس الرسول ثم النبى ثم الامام فالرسول هو الذى يشرع الشريعة ويبتدئ الملة ويقيم الناس على حمل مراشدهم اذ كانت طبائعهم لا تحتمل فى ابتداء الأمر أكثر من الحمل ولو لا أن فى طاقة الناس قبول التلقين وفهم الارشاد لكانوا هملا ولتركوا نشرا حشرا ولسقط عنهم الأمر والنهى ولكنهم قد يفضلون بين الأمور اذا وردت عليهم وكفوا مؤنة التجربة وعلاج الاستنباط وان يبلغوا بذلك القدر قدر المستغنى بنفسه المستبد برأيه المكتفى بفطنته من ارشاد الرسل وتلقين الأئمة وانما جاز أن يكون الرسول مرة عربيا ومرة عجميا وليس له بيت يحظره ولا شرف يشهر موضعه لانه حين كان مبتدئ الملة ومخرج الشريعة كان ذلك أشهر من شرف الحسب المذكور وأنبه من البيت المقدم ولانه يحتاج من الأعلام والآيات والأعاجيب الى القاهر المعقول والواضح الذى لا يخيل أن يشتهر مثله فى الآفاق ويستفيض فى الاطراف حتى يصدع عقل الغبى ويضئ طبع العاقل وينقض عزم المعاند الأصل وينتبه من طول الرقدة وتخضع الرقاب وتضرع

وقال العتابي

لا ترج رجعة مذنب * خلط احتجاجا باعتذار

وقال أيضا

وفيت كل خليل ودني غمنا * الا المؤمل دولاتي وأياسي

وقيل العتابي ما أقرب البلاغة قال الا يوقى السامع من سوء افهام القائل ولا يوقى القائل من سوء فهم السامع وقال ابن يسير

اقدر رجلك قبل الخطو منزلها * فمن علا زلقا عن غرة زلقا

وكان يقال اصمت لتفهم واذكر لتعلم وقل لتذاكى ﴿ وتذكر آيات من القرآن ربما غلط في مجازها النحويون قال الله عز وجل انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه مجاز الآية ان المفعول الأول محذوف ومعناه يخوفكم من أوليائه وفي القرآن فمن شهد منكم الشهر فليصمه والشهر لا يغيب عنه أحد ومجاز الآية فمن كان منكم شاهدا بلده في الشهر فليصمه والتقدير فمن شهد منكم أي فمن كان شاهدا في شهر رمضان فليصمه نصب الظروف لا نصب المفعول به وفي القرآن في مخاطبة فرعون فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فليس معنى ننجيك نخلصك ولكن نلقيك على نجوة من الأرض ببدنك بدرعك يدل على ذلك لتكون لمن خلفك آية وفي القرآن يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم فالوقف يخرجون الرسول واياكم أي ويخرجونكم لان تؤمنوا بالله ربكم

وصلى الله على محمد خاتم النبيين ونستغفر الله

مما قلناه من عمد وقصد وزلل وخلل

الحدود حتى يتواضع له كل شرف ويرغم له كل انف فلا يحتاج حامله معه الى حال ولا مع قدره الى حسب وعلى قدر جهل الأمة وغباوة عقولها وخبث عاداتها وغلظ محنتها وشدة حيرتها تكون الآيات كفلق البحر والمشي على الماء واحياء الموتى وقصر الشمس عن مجراها لان النبي الذي ليس برسول ولا مبتدىء ملة ولا منشىء شريعة انما هو ليتأكيد والبشارة كبشارة النبي بالرسول الكائن على رأس الأيام وطول الدهر وتوكيد المبشر يحتاج من الاعلام الى دون ما يحتاج اليه المبتدى لأصل الملة والمظهر لفرض الشريعة المناقل للناس عن الضلال القديم والعادة السيئة الى العدل الراسخ فلذلك اكتفى بشهرة اعلامه وشرف آبائه وذكر شرائعه عن شهرة بيته وشرف حسبه لانه لا ذكر الا وهو حامل عند ذكره ولا شرف الا وهو وضيع عند شرفه (انتهت الفصول) التي اختارها عبيد الله بن حسان من كتب أبي عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ رحمه الله تعالى والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين

(يقول راجي عفو الباري علي بن أحمد الشهير بالحواري)

الحمد لله الذي خلق الانسان علمه البيان وأنزل لهدايته كتابا بأفصح لسان والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اختص بجوامع الكلم وروائع الحكم وجز شأو بلغاء العرب والعجم وعلى آله وأصحابه خير أمة أخرجت للناس الذين عنوا بنشر الدين وأقاموا اللغة على أمتن أساس

(وبعد) فان علم الأدب بين علوم اللسان قلادة الجيد وبيت القصيد وبه يتدرك أسرار القرآن ويقبض على أزمة البيان وقد كتب فيه أئمة البلاغة الكتب ودونوا الدواوين وأملوا الامالي بيد أن أحسنها وضعا وأدقها صنعا هو كتاب الكامل لشيخ الادب واللغة أبي العباس محمد بن يزيد المبرد فقد أودعه من مختار الشعر ونوابغ الخطب وعيون الرسائل ما فيه الغناء بحيث لو ألم به المتأدب كان من مبرزي البلغاء وقد التزم رحمه الله ان يشرح كل ما به حاجة الى الشرح بأمتن عبارة وأبلغ لفظ وأبدع اختصار وهذا ما حدا بحضرة الماجد الهمام (عبد الواحد بك الطوبي وأخيه) الى طبع ذلك الكتاب محلى هامشه بمنتخبات رسائل امام البلاغة ومالك أعنة البيان أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وهو لعمر الحق كتاب لو قرأه متأدب ولم يخرج منه جاحظيا فلا أشب الله قرنه وكان هذا الطبع الرائق بهذا الشكل الفائق بمطبعة التقدم العلمية التي مركزها درب الدليل بمصر المحمية ادارة حضرة ملتزم الطبع وأخيه ولاح بدر تمامه ولله الحمد

ختامه في النصف الثاني من شهر شعبان المكرم

سنة ١٣٢٤ هجريه على صاحبها

أفضل الصلاة وأزكى

التحية آمين

آمين

